موسوعة العلامة

المجلد الخامس

دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع

تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٢٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٢٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

ص.ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣٦ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: داكلبان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان

FAX: (9611) 351433

ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

تاريخ العلامة

ابن خلدون

المجلد الخامس

I.S.B.N. 977 - 238 - 047 - 8

دار الكتاب المصري

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣٦ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: دالكتاب - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م
H. 1420 — A.D. 1999

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الخامس

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

المجلد الثالث

القسم الأول

من تاريخ العلامة ابن خلدون

دولة بني أُميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان لبني عَبْدِ مُنافَ في قُرَيْشٍ جُمَلٌ من العـدد والشرف . لا يناهضهم فيها أَحد من سائر بطون قريش . وكان فخذاهم بنو أُمَيَّة وبنو هاشِم حيًّا جميعاً ينتمون لعبد مناف وينسبون اليه . وقريش تعرف ذلك وتسأَل لهم الرياسة عليهم ، إلا أَنَّ بني أُمية كانوا أَكثر عدداً من بني هاشِم وأوفر رجالاً ، والعِزَّة إنما هي بالكثرة ، قال الشاعر : وإنَّما العِزَّة للكَاثِر .

وكان لهم قبيل الاسلام شرف معروف ، انتهى إلى حرب ابن أُميَّة ، وكان رئيسهم في حرب الفِجَّار . وحدَّث الإخباريون أَنَّ قريشاً تواقعوا ذات يوم ، وحَرْبُ هـذا مسند ظهره إلى الكعبة ، فتبادر اليه غلمة منهم ينادون يا عم أَدرك قومك ، فقام يجرُّ إزاره حتى أَشرف عليهم من بعض الربا ، ولوَّح بطرف ثوبه اليهم أَن تعالوا فبادرت الطائفتان اليه بعد أن كان حمي وطيسهم .

ولما جاءَ الاسلام دهش الناس لما وقع من أَمر النبوّة والوحي وتنزل الملائكة ، وما وقع من خوارق الأُمور ، ونسي الناس أَمر العَصَبيَّة مسلمهم وكافرهم . أَما المسلمون فنهاهم الاسلام عن أُمور الجاهلية كما في الحديث أَنَّ الله أَذهب عنكم عُبيَّةَ[١] الجاهلية وفخرها لاننا وأَنتم بنو آدم ، وآدم من تراب . وأَمّا المشركون فشغلهم ذلك الأَمر العظيم عن شأْن العصائب ، وذهلوا عنه حيناً من الدهر .

ولذلك لما افترق أَمر بني أُميَّة وبني هاشم بالاسلام . انما كان ذلك الافتراق بحصار بني هاشم في الشعب لا غير . ولم يقع كبير فتنة لاجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالاسلام ، حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد . ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي بعزة الرجل على أَخيه وجاره في القتل والعدوان عليه ، فهذه لا يذهبها شيءٌ ولا هي محظورة ، بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاءِ إلى الدين . أَلا ترى إلى صَفْوان بن أُمية وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حُنَيْن ، وهو يومئذ مشرك في المدَّة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسلم ، فقال له أَخوه أَلا بطل السحر اليوم ؟ فقال له صفوان اسكت ! فض الله

(١) بهامش نسخة : غبية بالغين المعجمة أي الافتخار بالآباء وغير ذلك من أمور العصبية ا هـ.

فاك لأَنْ يُرِبْني رجل من قريش أَحب إليَّ من أن يربني [١] رجل من هَـوازن.

ثم ان شرف بني عبد مناف لم يزل في بني عبد شمس وبني هاشم . فلمـا هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة كذلك . ثم من بعـده العباس ، والكثير من بني عبد المطلب ، وسائر بني هاشم ، خـلا الجوُّ حينئذ من مكان بني هاشم بمكة ، واستغلظت رياسة بني أُمية في قريش . ثم استحكمتها مشيخة قريش من سائر البطون في بَدْرٍ وهلك فيها عظماءُ بني عبد شمس : عُتْبَةُ ورَبِيعَةُ والوليد وعُقْبَةُ بن أَبي مَعِيط وغيرهم . فاستقلَّ أَبو سُفْيان بشرف بني أُميَّة والتقدُّم في قريش ، وكان رئيسهم في أحُدٍ وقائدهم في الاحزاب وما بعدها .

ولما كان الفتح قـال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم لما أَسلم أَبو سفيان ليلتئذ . كما هو معروف ، وكان صديقاً له يا رسول الله ! انَّ أَبا سفيان رجل يحب الفخر . فاجعـل له ذكراً ، فقال من دخل دار أَبي سفيان فهو آمن . ثم منَّ على قريش بعد أَن ملكهم يومئذ ، وقال : اذهبوا فأَنتم الطلقاءُ وأَسلموا . وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لأَبي بكر مـا وجدوه في أَنفسهم مـن التخلف عن رتب المهاجرين الأَولين . ومـا بلغهم من كلام عُمَر في تركه شوراهم ،

(١) هكذا: ولعلها يربيني.

فاعتذر لهم أبو بكر وقـال : أدركوا اخوانكم بالجهاد ، وأنفذهم لحروب الردَّة ، فأَحسنوا الغَناءَ عن الاسلام وقوَّموا الأَعْرَاب عن الحيف والميل . ثم جـاءَ عمر فرمى بهم الروم ، وأَرغب قُرَيْشاً في النفير إلى الشام ، فكان معظمهم هنالك . واستعمل يزيـد بن أبي سفيان على الشام . وطـال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عَمْوَاس سنة ثماني عشرة ، فولى مكانه أَخـاه معاوية وأَقرَّه عثمان من بعد عمر ، فاتصلت رياستهم على قريش في الاسلام برياستهم قبيل الفتح التي لم تُحلَّ صبغتها ولا ينسى عهدها أَيام شغل بني هاشم بأَمر النبوَّة ، ونبذوا الدنيا من أَيديهم بمـا اعتاضوا عنها من مباشرة الوحي وشرف القرب من الله برسوله . ومـا زال الناس يعرفون ذلك لبني أُمية . وانظر مقـالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أَبي بكر : انَّ هذا الأَمر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف . ولمـا هلك عثمان واختلف الناس على عَليٍّ كانت عساكر علي أَكثر عدداً لمكان الخلافة والفضل ، إلا أَنها من سائر القبائل من رَبيعَةَ ويَمَنَ وغيرهم . وجموعُ مُعَاوِيَةَ انما هي جند الشام من قريش شوكة مضر وبأْسهم ، نزلوا بثغور الشام منذ الفتح ، فكانت عصبيته أَشدُّ وأَمضى شوكة . ثم كسر من جناح عليٍّ ، مـا كان من أَمر الخوارج وشغله بهم ، إلى أَن ملك معاويـة وخلع الحسن نفسه ، واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة احدى وأَربعين عندمـا نسي الناس شأْن النبوَّة والخوارق ، ورجعوا إلى

أَمر العصبية والتغالب ، وتعين بنو أُمية للغلب على مضر وسائر العرب ، ومعاوية يومئذ كبيرهم .

فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره ، فاستوت قدمه واستفحل شأْنه ، واستحكمت في أَرض مصر رياسته وتوثق عقده . وأَقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ، ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أَحد من قومه أَوفر فيها منه يداً من أَهل الترشيح من وُلْدِ فاطمةَ وبني هاشم وآل الزبير وأَمثالهم ، ويصانع رؤوس العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الأَذى والمكروه . وكانت غايته في الحلم لا تدرك ، وعصابته فيها لا تنزع ، ومرقاته فيها تزلُّ عنها الاقدام .

ذكر أَنه مازح عَدِيّ بن حاتم يوماً يؤنبه بصحبة علي ، فقال له عَدِيّ : والله انَّ القلوب التي أَبغضناك بها لفي صدورنا ، وانَّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أَدنيت الينا من الغدر شبراً لندنينَّ اليك من الشرِّ باعاً ، وانَّ حزَّ الحلقوم ، وحشرجة الحيزوم(١)، لَأَهوَن علينا من أَن نسمع المساءَة في عليٍّ ، فشم السيف يا معاوية يبعث السيف . فقال معاوية هذه كلمات حق فاكتبوها ، وأَقبل عليه ولاطفه وتحادثا ، وأَخباره في الحِلم كثيرة .

(١) قوله وحشرجة الخ . قال المجد: والحشرجة الغرغرة عند الموت تردد النفس ا هـ. وقوله الحيزوم، قال المجد أيضاً: وكأمير، الصدر أو وسطه كالحيزوم فيها، جمعه أحزمة وحزم ا هـ.

بعث معاوية العمال إلى الأمصار

لما استقل معاوية بالخلافة عام عـدم الجماعة بعث العمال إلى الأَمصار ، فبعث على الكوفة المغيرة بن شُعْبَةَ . ويقال انه وَلّى عليها أَوّلًا عبدالله بن عمرو بن العاص ، فأَتاه المغيرة منتصحاً ، وقال عمرو بمصر وابنه بالكوفة فأَنت بين نابي أسد ، فعزله وولى المغيرة . وبلغ ذلك عمراً فقال لمعاوية : يختان المال فلا تقدر على ردّه ، فعد فاستعمل من يخافك . فنصب المغيرة على الصلاة ، وولى على الخراج غيره ، وكان على القضاء شُرَيح .

ولما ولى المغيرة على الكوفة استعمل كُثَيِّرَ بن شهاب على الريّ ، وأقره زياد بعـده . وكان يغزو الدَيْلَم . ثم بعث على البصرة بِسْر بن أَرْطَأَةَ ، وكان قد تغلب عليها حمران بن زيـد عند صلح الحسن مع معاوية ، فبعث بِسْراً عليها فخطب الناس وتعرّض لعلي . ثم قال . نشدت الله رجلًا يعلم أَني صادق أَو كاذب ، ولا صدّقني أو كذبني. فقال أبو بَكْرَة : اللهمّ لا نعلمك إلا كاذباً ، فأَمر به فخنق . فقام أبو لُؤْلُؤَةَ الضَبِيّ فدفـع عنه . وكان عـلى فارس من أعمال البصرة زياد بن أَبيه . وبعث اليه معاوية يطلبه في المـال فقال : صرفت بعضه في وجهه ، واستودعت بعضه للحاجة اليه ، وحملت ما فضل إلى أَمير المؤمنين رحمه الله . فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في

ذلك ، فامتنع . فلما وَلِيَ بِسْرٌ على البصرة جمع عنده أولاد زياد والاكابر عبد الرحمن وعبدالله وعَبَّاد ، وكتب اليه لتقدمنَّ أو لأقتلنَّ بنيك فامتنع واعتزم بِسْر على قتلهم ، فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لِأُمّه فقال : أخذتهم بلا ذنب .

وصالح الحسن على أصحاب علي حيث كانوا ، فأمهله بسر إلى أن يأتي بكتاب معاوية . ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال : انَّ الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال ، وانَّ بسْراً يريد قتل بني زياد ، فكتب اليه بتخليتهم وجاءَ الى البصرة يوم المهاد ، ولم يبق منه إلى ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم انتهى .

ثم عزل معاوية بِسْراً عن البصرة ، وأراد أن يولي عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، فقال له ابن عامر إنَّ لي بالبصرة أموالاً وودائع ، وان لم تولني عليها ذهبت . فولاه وجعل اليه معها خُراسَان وسِجِسْتان . وقدمها سنة احدى وأربعين فولي على خراسان قيس ابن الهَيْثَم السَلَمي ، وكان أهل بَلْخ وباذَغِيس وهَرَاة وبوشَنْجَ قد نضوا ، فسار الى بلخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة . وقيل إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين على ما سيأتي .

ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عبد الله ابن حازم ، وقدم خراسان فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج في الأمان والصلح فأجابهم وحمل لابن عامر مالاً انتهى . ثم ولى

معاوية سنة اثنتين وأربعين على المدينة مَرْوان بن الحَكَم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام . واستقضى مروان عبدالله بن الحَرْث ابن نَوْفَل ، وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين ، وولى مكانه سعيد بن العاص ، وذلك لثمان سنين من ولايته . وجعل سعيد على القضاء (١) ابن عبد الرحمن مكان عبدالله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيد سنة أربع وخمسين وردّ اليها مروان .

قدوم زياد : وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل علي كما قدمناه ، وكان عبد الرحمن ابن أخيه أبي بكرة يلي أمواله بالبصرة ، ورفع إلى معاوية أنّ زياداً استودع أمواله عبد الرحمن ، فبعث إلى المغيرة بالكوفة أن ينظر في ذلك ، فأحضر عبد الرحمن وقال له : ان يكن أبوك أساءَ إليّ فقد أحسن عمك ، وأحسن العذر عند معاوية .

ثم قدم المغيرة على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال : داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ، فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت ، ويعيد الحرب خدعة ، فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم أتاه وقال : انّ معاوية

(١) بياض بالأصل وقال الطبري: وكان على قضاء المدينة لمروان فيما زعم الواقدي حين عزل، عبد الله بن الحارث بن نوفل. فلما ولي سعيد بن العاص عزله عن القضاء واستقضى أبا مسلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

بعثني اليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره ، فخذ لنفسك قبل أن يستغني معاوية عنك . قال أشر عليّ والمستشار مؤتمن . فقال : أرى أن تشخص اليه . وتصل حبلك بحبله ، وترجع عنه . فكتب اليه معاوية بأمانه .

وخرج زياد من فارس نحو معاوية ، ومعه المِنْجَابُ بن رابدٍ الضَبّي وحَارِثَةُ بن بَدرٍ الغَدَاني ، واعترضه عبد الله بن حازم في جماعة ، وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به . فلما رأى كتاب الأمان تركه ، وقدم على معاوية ، فسأله عن أموال فارس ، فأخبره بما أنفق وبما حمل إلى عليٍّ وبما بقي عنده مودعاً للمسلمين ، فصدَّقه معاوية وقبضه منه . ويقال : انه قال له أخاف أن تكون مكروباً بي فصالحني فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها اليه ، واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له . وكان المغيرة يكرمه ويعظمه ، وكتب اليه معاوية أن يلزم زياداً وحِجْر بن عَدِيّ وسُلَيْمَان بن صُرَد وسيف بن رَبْعِي وابن الكَوَّا وابن الحميق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات .

عمال ابن عامر على الثغور : لما ولي ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سَمُرَةَ على سِجِسْتَان ، فأتاها وعلى شُرْطَتِها عَبَّادُ بن الحُصَيْنِ ، ومعه من الأشراف عُمَرُ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَر وغيره . وكان أهل البلاد قد كفروا . ففتح أكثرها حتى بلغ

كابُلَ ، وحاصرها أشهراً ، ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها ، ولم يقدر المشركون على سد الثلمة . وبات عَبَّادُ بن الحسين عليها يطاعنهم إلى الصبحِ ، ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اهـ .

ثم سار إلى نَسَفَ فملكها عنوة ، ثم إلى حَسَكَ فصالحه أهلها ، ثم إلى الرَجْجِ فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اهـ . ثم إلى زابُلِسْتَانَ وهي غَزْنَةُ وأعمالها ، ففتحها ثم عاد إلى كابُلَ وقد نكث أهلهاففتحها اهـ . واستعمل على ثغر الهند عبدالله بن سِوارٍ العبْدِيّ ، ويقال بل ولّاه معاوية من قبله فغزا التيعان فأصاب مغنماً ، ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها ، ثم عاد الى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه ، وكان كريماً في الغاية . يقال : لم يكن أحد يوقد النار في عسكره ، وسأل ذات ليلة عن نـــار رآها فقيل له خبيص يصنع لنفساءَ ، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام .

واستعمل على خُراسان قيس بن الهَيْثَمِ ، فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عبد الله بن حاتم . فخاف قيساً وأقبل ، فزاد بن عامر غضباً لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلاً من يَشْكُرَ وقيل أَسْلَمَ بن زَرْعَةَ الكِلَابي اهـ .

ثم بعث عبدالله بن حازم ، وقيل ان ابن حازم قال لابن عامر ان قيساً لا ينهض بخراسان ، وأخاف ان لقي قيس حرباً أن ينهزم

ويفسد خراسان ، فاكتب لي عهداً ان عجز عن عدوّ قمت مقامه . فكتب وخرجت خارجة من طَخَارِسْتَانَ فأَشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس ، فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده ، وقام بأمر الناس وهزم العدوّ . وبلغ الخبر الى الأمصار فغضبت أصحاب قيس ، وقالوا خدع صاحبنا ، وشكوا الى معاوية فاستقدمه ، فاعتذر فقبل منه ، وقال له أَقم في الناس بعذرك ففعل اهـ . وفي سنة ثلاث[1] وأربعين توفي عمرو بن العاص بمصر فاستعمل معاوية عبدالله ابنه .

عزل ابن عامر : وكان ابن عامر حليماً ليناً للسفهاء ، فطرق البصرة الفساد من ذلك . وقال له زياد جرّد السيف ، فقال : لا أَصلح الناس بفساد نفسي . ثم بعث وفداً من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ، ومنهم ابن الكوّا ، وهو عبدالله بن أَبي أَوفى اليَشْكُري . فلما سألهم معاوية عن الأمصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه ، فقال معاوية : تكلم على أَهل البصرة وهم حضور ، وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان

(١) قوله وفي سنة ثلاث الخ هذا يخالف ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال قال: ليس هذا من كيسك، يضرب لمن يرى منه ما لا يمكن أن يكون هو صاحبه. وأصل هذا أن معاوية لما أراد المبايعة ليزيد دعا عمراً فعرض عليه البيعة فامتنع فتركه معاوية ولم يستقص عليه. فلما اعتل معاوية العلة التي توفي فيها دعا يزيد وخلا به وقال له: إذا وضعتم سريري على شفير حفرتي فادخل أنت القبر ومر عمراً يدخل معك فإذا دخل فاخرج واخترط سيفك ومره ليبايعك فإن فعل وإلا فادفنه قبلي ففعل ذلك يزيد فبايع عمر وقال ما هذا من كيسك ولكنه من كيس الموضوع في اللحد فذهبت مثلاً اهـ.

من أعداء ابن الكوا عبدالله بن أَبي شيخ اليَشْكُرِي ، أَو طفيل ابن عوف ، فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال : وددت أَنه ولى كل يشكري من أَجل عداوتي . ثم ان معاوية استقدم ابن عامر ، فقدم وأَقام أَياماً فلما ودعه قال : اني سائلك ثلاثاً ، قال هنّ لك ، قال ترد عليّ عملي ولا تغضب ، وتهب لي مالك بغرفة ودورك بمكة ، قال : قد فعلت . قال وصلتك رحم ، فقال ابن عامر واني سائلك ثلاثاً : ترد علي عملي بعرفة ولا تحاسب لي عاملاً ، ولا تتبع لي أثراً وتنكحني ابنتك هنداً . قال قد فعلت ! ويقال إن معاوية خيره بين أَن يردّه على اتباع أَثره وحسابه بما سار اليه ، أَو يعزله ويسوغه ما أَصاب . فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه الحرث بن عبدالله الاسدي .

استخلاف زياد : كانت سُمَيَّةُ أُم زياد مولاة للحرث بن كِنْدَة الطبيب ، وولدت عنده أَبا بَكْرَةَ ، ثم زوَّجها بمولى له ، وولدت زياداً . وكان أَبو سفيان قد ذهب إِلى الطائف في بعض حاجاته فأَصابها بنوع من أَنكحة الجاهلية . وولدت زياداً هذا ونَسَبَهُ[1] إِلى أَبي سفيان وأَقرَّ لها به ، إِلا أَنه كان بخفية ، ولما شبَّ زياد سمت به النجابة . واستكتبه أَبو موسى الأَشْعَرِي وهو على البصرة ، واستكفاه عُمَرُ في أَمر فحسن منار دينه ، وحضر عنده يعلمه بما

---

(١) كذا. ولعلّها نسبته.

صنع ، فأبلغ مـا شاء في الكلام . فقال عمرو بن العاص ـ وكان حاضراً ـ لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . قال أبو سفيان وعليٌّ يسمع : والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه ، فقال له علي : اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان اليك سريعاً . ثم استعمل عليٌّ زياداً عـلى فارس فضبطها وكتب اليه معاويـة يتهدّده ، ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه فقام في الناس فقال : عجباً لمعاوية [1] يخوفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والانصار . وكتب اليه علي إني وليتك وأنا أراك أهلاً وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس ، لا توجب ميراثاً ولا نسباً . ومعاوية يـأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام اه . ولما قتل عليٌّ وصالح زياد معاوية ، وضع مُصْقِلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشَيْبَاني على معاوية ليُعَرِّضَ له بنسب أبي سفيان ففعل ، ورأى معاوية أن يستميله باستلحاقه ، فالتمس الشهادَةَ بذلك ممن عـلم لحوق نسبه بـأبي سفيان ، فشهد له رجال من أهل البصرة وألحقه ؛ وكان أكثر شيعة علي ينكرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى أخوه أبو بكرة

وكتب زياد إلى عائشة في بعض الاحيـان من زياد بن أبي سفيان يستدعي جوابهـا بهذا النسب ليكون له حجة ، فكتبت

(١) وفي بعض الروايات: لابن آكلة الأكباد.

اليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد . وكان عبدالله بن عامر يبغض زياداً ، وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس : ابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت بقسامة من قريش انَّ أبا سفيان لم يرَ سميَّة . فأُخبر زياد بذلك . فأُخبر به معاوية . فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الابواب وشكا ذلك إلى يزيد ، فركب معه فأدخله على معاوية ، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته . فقال يزيد نقعد في انتظاره ، فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول ، وقال إني لا أتكثر بزياد من قلة ، ولا أتعزز به من ذلة ، ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضى زياداً ورضَّى له معاوية .

ولاية زياد البصرة

كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة ، وكان يتشوَّف الامارة عليها . فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه . فيقال انه خرج زياد الى الشام ، ثم انَّ معاوية عزل الحرث بن عبدالله الازدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة خمس وأربعين ، وجمع له خراسان وسجستان . ثم جمع له السِنْد والبَحْرَيْنِ وعُمَان ، وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة . وإنما سميت البتراء لأنَّه لم يفتتحها بالحمد والثناء ، فحذرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات

والاسترسال في الفسق والضلال ، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنايات ، وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم ، فأطال في ذلك . عنفهم ووبخهم وعرّفهم ما يجب عليهم من الطاعة ، من المناصحة والانقياد للأمة . وقال لكم عندي ثلاث : لا أحتجب عن طالب حاجة ، ولو طرقني ليلًا . ولا أحبس العطاء عن ابانة[١] ولا أجرّ البعوث . فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأَيْهم أشهد أنك أُوتيت الحكمة وفصل الخطاب . قال كذبت ذاك نبيّ الله داود .

ثم استعمل على شرطته عبدالله بن حُصَيْن ، وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل . وكان قد قال في خطبته لا أُوتى بمدلج إلا سفكت دمه . وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة . ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة . ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحداً إلا قتله ، وكان أوّل من شدّد أمر السلطان وشيد الملك ، فجرّد السيف وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة[٢] ، وخافه السفهاء والدُّعّار ، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم ، حتى كان الشيء يسقط من يد الانسان فلا يتعرّض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، ولا يغلق أحد بابه ، وأدرّ العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف . وسئل في اصلاح السَابِلَةِ فقال حتى

---

(١) لعلها: أبانه.
(٢) ويعد أول من أعلن الأحكام العرفية في الإسلام.

أصلح المِصْرَ . فلما ضبطه أصلح ما وراءه ، وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عِمْرانُ بن حُصَيْن ولاه قضاء البصرة فاستعفى ، فولى مكانه عبدالله بن فضالة الليثي ، ثم أخاه عاصماً ، ثم زرارة بن أوفى وكانت أُخته عند زياد ، وكان يستعين بأَنَسَ بن مالك ، وعبد الرحمن بن سُمْرَةَ ، وسمرة بن جُنْدُب . ويقال انَّ زياداً أَوَّل من سَيَّرَ بين يديه بالحِراب والعُمُد ، واتخذ الحرس رابطة ، فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد . ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فولى على مرو أَمين بن أَحمد اليَشْكُرِيّ ، وعلى نيسابور خَليد بن عبدالله الحَنَفِيّ وعلى مَرْوِ الرُوذِ والعارِبات والطالِقان قيس بن الهيْثم . وعلى هَرَاةَ وبادَغِيسَ وبُوشَنْجَ نافع بن خالد الطائي . ثم انَّ نافعاً بعث اليه بجواد باهر غنمه في بعض وجوهه ، وكانت قوائمه منه ، فأَخذ منها قائمة وجعل مكانها أُخرى ذهباً ، وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى أموره ، فسعى فيه عند زياد بأَمر تلك القائمة ، فعزله وحبسه ، وأغرمه مائة ألف كتب عليه بهـا كتاباً ، وقيل ثمانمائة ألف . وشفع فيه رجال من الأَزد ، فأَطلقه . واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفاري ، وجعل معه رجالًا على الجباية منهم أسلم بن زُرْعَةَ الكِلابيّ . وغزا الحكم طخارِسْتَان ، فغنم غنائم كثيرة . ثم سار سنة سبع وأربعين إلى جبال الغَوْرِ ، وكانوا قد ارتدُّوا ، ففتح وغنم وسبى وعبر النهر في ولايته الى ما وراءه . فملأه غارة . ولما رجع من غزاة الغوْر مات بمرو ، واستخلف على عمله أنس بن

أبي أياس بن رُبَيْن ، فلم يرضه زياد . وكتب إلى خليد بن عبدالله الحنفي بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد المحاربي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة .

صوائف الشام : ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين إلى بلاد الروم ، فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة ، وأثخنوا فيهـا . ثم دخل بِسْرُ بن أَرْطَأَةَ أرضهم سنة ثلاث وأربعين ، ومشى بها وبلغ القُسْطَنْطِينِيَّةَ . ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حمص ، فشتى بهم وغزاهم بِسْرُ تلك السنة في البحر . ثم دخل عبد الرحمن اليها سنة ست وأربعين فشتى بها ، وشتى أبو عبد الرحمن السُبَيْعِي على انطاكية . ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين ، فشتى عبد الرحمن بانطاكية أيضاً ، ودخل عبدالله بن قيس الفزاري في تلك السنة بالصائفة . وغزاهم مالك بن هُبَيْرَةَ اليَشْكُرِيّ في البحر وعقبة بن عامر الجُهَنِيّ في البحر أيضاً بأهـل مصر وأهل المدينة . ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم ، ودخـل عبدالله بن كرز الجيلي بالصائِفَةِ ، وشتى يزيد بن ثَمَرَةَ الرَهَاوِيّ في بلاد الروم بأهل الشام في البحر . وعقبة بن نافع بأهـل مصر كذلك .

ثم بعث مُعَاوِيَةُ سنة خمسين جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم مع سُفْيَان بن عوف ، وندب يزيد ابنه معهم فتثاقل فتركه . ثم بلغ

الناس أَن الغزاة أَصابهم جوع ومرض ، وبلغ معاوية أَن يزيد أَنشد في ذلك :

ما إِنْ أُبالي بما لاقَت جُمُوعُهُمُ بالفَدْفَدِ البيد من حُمَّى ومن شوم ِ
إِذا اتطأْتُ على الأَنْمَاطِ مرتَفِقاً بِدَيْرِ مُرّانَ عِنْدِي أُمُّ كُلْثُوم ِ

وهي امرأَته بنت عبدالله بن عامر ، فحلف ليلحقن بهم فسار في جمع كثير ، جمعهم اليه معاوية . فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأَبو أَيوب الانصاري ، فأَوغلوا في بلاد الروم وبلغوا القُسْطَنْطِينِيَّةَ وقاتلوا الروم عليها . فاسْتُشْهِدَ أَبو أَيوب الأَنْصَارِيّ ، ودفن قريباً من سورها . ورجع يزيد والعساكر إلى الشام ثم شتى فُضَالَةُ بن عُبَيْد بأَرض الروم سنة احدى وخمسين وغزا بِسْرُ بن أَرْطَأَةَ بالصائفة .

وفاة المغيرة : توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون ، وقيل سنة تسع وأَربعين ، وقيل سنة احدى وخمسين ، فولى مكانه معاوية زياداً وجمع له المصرين . فسار زياد اليها واستخلف على البصرة سُمْرَةَ بن جُنْدُب . فلما وصل الكوفة خطبهم ، فحصبوه على المنبر . فلما نزل جلس علـى كرسيّ وأَحاط أَصحابه بأَبواب المسجد يأْتونه بالناس يستحلفهم عـلى ذلك . ومن لم يحلف حبسه . فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس . ثم بلغه عن أَوفى ابن حسين شيءٌ فطلبه ، فهرب ثم أَخذه فقتله . وقال له عَمَارَةُ بن

عُتْبَةَ بن أبي مَعِيط انّ عُمَرَ بن الحَمْقِ يجتمع اليه شيعة عليٍّ ، فأرسل اليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده . وقال لا أُبيح أحداً حتى يخرج عليّ ، وأكثر سمرة بن جندب اليتامى بالبصرة . يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد اهـ .

كان عمرو بن العاص قبل وفاته استعمل عُقْبَةَ بن عامر بن عَبْدِ قَيْس على أفريقية ، وهو ابن خالته ، انتهى إلى لواتة ومراتة ، فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى . ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غَذَامِس . وفي السنة التي بعدها ودّان وكورا من كور السودان ، وأثخن في تلك النواحي ، وكان له فيها جهاد وفتوح . ثم ولّاه معاوية على افريقية سنة خمسين ، وبعث اليه عشرة آلاف فارس ، فدخل افريقية وانضاف اليه مُسْلِمَةُ البَرْبَرِ ، فكبر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد ، لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا ، فاذا رجعوا عنهم ارتدوا . فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البربر ، فاختط القَيْرَوَانَ وبنى بها المسجد الجامع ، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم ، وكان دوْرُهَا (١) ثلاثة آلاف باع وستمائة باع ، وكملت في خمس سنين وكان يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب ، ودخل أكثر البربر في الاسلام . واتسعت خطة المسلمين ، ورسخ الدين.

---

(١) الظاهر أنها جمع دارة، إذ من جملة معانيها محل الجامع للبناء والعرصه. وجمعها: دارات ودور.

ثم ولى معاوية على مصر وافريقية مَسْلَمَةَ بن مُخْلِدِ الأنصاري ، واستعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر ، فأساء عزل عقبة واستخف به ، فسير ابن مخلد الانصاري عقبة إلى معاوية . وشكا اليه ، فاعتذر له ووعده برده إلى عمله ، ثم ولاه يزيد سنة اثنتين وستين .

وذكر الواقدي أنَّ عقبة ولِيَ افريقية سنة ست وأربعين ، فاختط القَيْرَوَانَ ، ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبي المهاجر . فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه ، فكتب اليه يزيد يبعثه اليه وأعاده والياً على افريقية ، فحبس أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد .

كان المُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ أيام إمارته على الكوفة كثيراً ما يتعرّض لعَلِيٍّ في مجالسه وخطبه ، ويترحم على عثمان ويدعو له . فكان حِجْرُ ابن عَدِيّ إذا سمعه يقول : بلاياكم قد أضلّ الله ولعن . ثم يقول أنا أشهد أنَّ من تذمّون أحق بالفضل ، ومن تزكون أحق بالذم . فبعث له المغيرة يقول : يا حِجْرُ اتق غضب السلطان وسطوته ، فانها تُهْلِكُ أمثالك لا يزيده على ذلك .

ولما كان آخر أمارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول ، فصاح به حِجرٌ ثم قال له : مر لنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعاً بذم المؤمنين ، وصاح الناس من جوانب المسجد

صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا . فالذي أنت فيه لا يجدي علينا نفعاً . فدخل المغيرة إلى بيته وعذله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه ، ويسخط عليه معاوية . فقال لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل المصر . وسيأتي بعدي من يصنع معه مثل ذلك فيقتله .

ثم توفي المغيرة وولي زياد . فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه . وقال حِجرٌ ما كان يقول ، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حَريث ، وبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة عليّ ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم ، وأنهم حصبوا عمرو بن حَريث . فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ، ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع ، فتهدّده وقال لست بشيء ان لم أمنع الكوفة من حجر . وأودعه نكالًا لمن بعده . ثم بعث اليه فامتنع من الاجابة . فبعث صاحب الشرطة شَدَّادَ بن الهَيْثَم الهِلالي اليه جماعة . فسبهم أصحابه .

فجمع زياد أهل الكوفة وتهدّدهم فتبرؤوا . فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا ؛ حتى إذا لم يبق معه إلا قومه . قال زياد لصاحب الشرطة : انطلق اليه فأت به طوعاً أو كرهاً . فلما جاءه يدعوه امتنع من الاجابة ؛ فحمل عليهم وأشار اليه أبو العَمَرْطَة الكِنْدِي بأن يلحق بكِنْدَةَ فمنعوه . هذا وزياد على

المنبر ينتظر . ثم غشيهم أَصحاب زياد وضرب عمرو بن الحَمْقِ ، فسقط ودخل في دور الأَزْدِ ، فاختفى وخرج حجر من أَبواب كندة ، فركب ومعه أَبو العمرطة إلى دور قومه ، واجتمع اليه الناس ولم يأْته من كندة إلا قليل .

ثم أَرسل زياد وهو على المنبر مَذْحِجَ وهَمْدَان ليأْتوه بحجر ، فلما علم أَنهم قصدوه تسرّب من داره إلى النَخْعِ ، ونزل على أَخي الاشتر . وبلغه أَن الشرطة تسأَل عنه في النخع . فأَتى الأَزد واختفى عند ربيعة بن ناجد ، وأَعياهم طلبه . فدعا حجر محمد بن الأَشعث أَن يأْخذ له أَماناً من زياد حتى يبعث به إلى معاوية ، فجاءَ محمد ومعه جرير بن عبدالله ، وحجر بن يزيد وعبدالله بن الحرث أَخو الأَشتر ، فاستأْمنوا له زياداً فأَجابهم . ثم أَحضروا حجراً فحبسه وطلب أَصحابه ، فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زُوَاعَةَ بن شَدَّادَ ، فاختفى في جبل هناك .

ورفع أَمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثَقَفِيّ ابن أُخت معاوية ، ويعرف بابن أُمِّ الحكم . فسار اليهما وهرب زواعة ، وقبض على عمرو ، وكتب إلى معاوية بذلك . فكتب اليه أَنه طعن عثمان سبعاً بمشاقِصَ كانت معه فاطعنه كذلك فمات في الأُولى والثانية . ثم جدّ زياد في طلب أَصحاب حجر وأُتي بِقُبَيْصَةَ بن ضُبْعَةَ العَبْسِيّ بأَمان فحبسه . وجاءَ قَيْسُ بن

عَبَّاد الشِّبْلي برجل من قومه من أَصحاب حجر ، فأَحضره زياد وسأَله عن علي فأَثنى عليه ، فضربه وحبسه . وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأَشعث . ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجاج فقتله .

ثم أَرسل زياداً إلى عبد الله بن خليفة الطائي من أَصحاب حجر فتوارى ، وجاءَ الشُرَطُ فأَخذوه . ونادت أُخته الفرار بقومه فخلصوه . فأَخذ زياد عَدِيّ بن حاتم وهو في المسجد وقال : ائتني بعبدالله وخبره جَهْرَةً فقال آتيك بابن عمي تقتله ؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فحبسه . فنكر ذلك الناس وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير طيء قال : أَخرجه على أَن يخرج ابن عمه عني فأَطلقه وأَمر عديّ عبدالله أَن يلحق بجبل طيء فلم يزل هنالك حتى مات .

وأُتي زياد بكَرِيم بن عفيف الخَثْعَمِيّ من أَصحاب حجر وغيره . ولما جمع منهم اثني عشر في السجن دعا رؤوس الارباع يومئذ (١) وهم عمرو بن حريث على ربع أَهل المدينة ، وخالد ابن عرفطة على ربع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة ،

---

(١) هنا بياض بالأصل وقال ابن الأثير في الكامل : «وجمع زياد من أصحاب عدي اثني عشر رجلاً في السجن ثم دعا رؤساء الأرباع يومئذ وهم . . . » ويظهر مما تقدم أن العبارة تامة وليس مكان البياض شيء .

وكندة وأَبو بردة بن أَبي موسى على ربع مذحج وأَسد . فشهدوا كلهم أَن حجراً جمع الجموع ، وأَظهر شتم معاوية ، ودعا إلى حربه . وزعم أَن الأَمر لا يصلح إلا في الطالبيين . ووثب بالمصر ، وأَخرج العامل ، وأَظهر غدر أَبي تراب والترحم عليه ، والبراءة من عدوّه وأَهل حربه ، وأَنَّ النفر الذين معه وهم رؤوس أَصحابه على مقدّم رأيه .

ثم استكثر زياد من الشهود ، فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أَبي معيط ، وعمر بن سعد ابن أَبي وقاص وغيرهم . وفي الشهود شُرَيْحُ بن الحرث وشريح ابن هانىء . ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع اليهما حجر بن عدي وأَصحابه وهم : الأَرقم بن عبدالله الكندي ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصَيفي بن فضيل الشيباني ، وقُبَيْصَةَ بن ضُبَيْعَةَ العَبْسِيّ ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البَجَلي ووَرْقَاء بن سَمِيّ البجلي ، وكرام بن حبّان العَنَزي ، وعبد الرحمن بن حسّان العنزي ، ومُحْرز بن شهاب التميمي ، وعبدالله بن حَوِيَّةَ السعدي . ثم اتبع هؤلاء الاحد عشر بِعُتْبَةَ بن الأَخنس من سعد بن بكر ، وسعد بن غوات الهَمْدَاني ، وأَمرهما أَن يسيرا إلى معاوية . ثم لحقهما شريح بن هانىء ودفع كتابه الى معاوية بن وائل .

ولما انتهوا إلى مرج غدراء[١] قريب دمشق تقدَّم ابن وائل وكثير إلى معاوية ، فقرأ كتاب شريح وفيه : بلغني أنَّ زياداً كتب شهادتي ، وأني أشهد على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرام الدم والمال ، فإن شئت فاقبله أو فدعه . فقال معاوية ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج غدراء حتى لحقهم عتبة بن الأخنس ، وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بهما. وجاء عامر بن الأسود العُجَيلي إلى معاوية فأخبره بوصولهما ، فاستوهب يزيد بن أَسَدٍ البَجَلي عاصماً وورقاء ابني عمه . وقد كتب يزيد يزكيهما ويشهد ببراءتهما ، فأطلقهما معاوية . وشفع وائل بن حِجر في الأرقم ، وأبو الأعور السَلَمي في ابن الأخنس ، وحبيب بن سلمة في أخويه فتركهم . وسأله مالك بن هُبَيْرَةَ السَكونيّ في حِجر فردّه . فغضب وحبس في بيته .

وبعث معاوية هَدْبَةَ بن فَيَّاضَ القُضَاعِيّ ، والحسين بن عبدالله الكلابي ، وأبا شريف البدري إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله ، فأتوهم وعرض عليهم البراءة من علي ، فأبوا وصلوا عامة ليلتهم . ثم قدموا من الغد للقتل . وتوضأ حجر وصلى وقال : لولا أن يظنوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها . اللهمَّ إنَّا

(١) في الكامل لابن الأثير: «مرج عذراء».

نستعديك على أمشاء أهـل الكوفة ، يشهدون علينا ، وأهل الشام يقتلوننا .

ثم مشى اليه هَدْبَةَ بن فَيَّاضَ بالسيف ، فارتعد . فقالوا كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع من الموت ؟ فابرأ من صاحبك وندعك . فقال ومالي لا أجزع وأنـا بين القبر والكفن ، والسيف . وان جزعت من الموت لا أقول مـا يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم : شَرِيكُ بن شَدَّاد ، وصيفي بن فَضِيل ، وقُبَيْصَةَ بن حَنِيفَةَ ، ومُحْرِز بن شهاب . وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعبد الرحمن بن حسان العنزي (١) وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من عليٍّ فسكت . واستوهبه سُمْرَةَ بن عبدالله الخثعمي من معاوية فوهبه له . على أن لا يدخل الكوفة ، فنزل إلى الموصل . ثم سأل عبدالرحمن بن حسان عن علي فأثنى خيراً . ثم عن عثمان فقـال : أوَّل من فتح باب الظلم ، وأغلق باب الحق . فردَّه إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حياً وهو سابع القوم .

وأمَّا مالك بن هُبَيْرَةَ السكوني فلمـا لم يشفعه معاوية في حجر ، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه . فلقي القتلة وسألهم ، فقالوا :

(١) هذه العبارة غير منسجمة وفي الكامل لابن الأثير: «وإني والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هـذا الرجل مثل مقالته».

مات القوم . وسار إلى عَدِيّ فتيقن قتلهم فأرسل في أثر القَتَلَة فلم يدركوهم ، وأخبروا معاوية فقال : تلك حرارة يجدها في نفسه وكأني بهـا قد طفئت . ثم أرسل اليه بمائة ألف وقال : خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطابت نفسه .

ولما بلغ عائشة خبر حِجر وأصحابه ، أرسلت عبد الرحمن بن الحرث إلى معاوية يشفع فيهم فجاءَ وقـد قتلوا . فقال لمعاوية أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ فقـال حيث غاب علي مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سُمَيَّة فاحتملت . وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تثني عليه . وقيل في سياقة الحديث غير ذلك . وهو أنَّ زياداً أطال الخطبة في يوم جمعة ، فتأخرت الصلاة ، فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت اليه . وخشي فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء ، وقام إلى الصلاة فقام الناس معه ، فخافهم زياد ونزل فصلى . وكتب إلى معاوية وعظم عليه الأمر ، فكتب اليه أن يبعث به موثقاً في الحديد . وبعث من يقبض عليه ، فكان ما مرّ . ثم قبض عليه وحمله إلى معاوية ، فلما رآه معاوية أمر بقتله ، فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيداً ولا تغسلوا دماً فإني لاقٍ معاوية غداً على الجادَّة وقتل اهـ .

وقالت عائشة لمعاوية أين حلمك عن حجر ؟ قال : لم يحضرني

رشيد اهـ. وكان زياد قد ولى الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة إحدى وخمسين ، بعد أن هلك حسن بن عمر الغفاري وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً ، فيهم بُرَيْدَةُ بن الحصيب ، وأبو بَرْزَةَ الأسلمي من الصحابة ، وغزا بَلَخَ ففتحها صلحاً ، وكانوا انتقضوا بعد صلح الأحمق بن قيس . ثم فتح قَهَسْتَانَ عنوة واستلحم من كان بناحيتها من التُرْكِ ، ولم يفلت منهم إلا قِيزِلْ طُرْخان . وقتله قُتَيْبَةُ بن مُسْلمٍ في ولايته . فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتْل حِجرٍ سخط لذلك وقال : لا تزال العرب تقتل بعده صبراً . ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك ، لكنهم أقرّوا فذلوا . ثم دعا بعد صلاة جمعة لأيام من خبره ، وقال للناس اني قد مللت الحياة ، واني داع فأمّنوا ثم رفع يديه وقال : اللهمّ ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلاً وأمّن الناس . ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبدالله ومات من يومه . ثم مات ابنه بعد شهرين ، واستخلف خَليدَ ابن عبدالله الحنفي وأقرّه زياد .

وفاة زياد : ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في يمينه ، يقال بدعوة ابن عمر ، وذلك أنّ زياداً كتب إلى معاوية اني ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فأشغلها بالحجاز ، فكتب له عهده بذلك ، وخاف أهل الحجاز وأتوا عبدالله ابن عمر يدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك . فاستقبل القبلة ودعا

معهم وكان من دعائـه اللهمّ اكفناه ، ثم كان الطاعون فأُصيب في يمينه ، فأُشير عليه بقطعها ، فاستدعى شُرَيْحاً القاضي فاستشاره ، فقال ان يكن الأجل فرغ فتلقى الله أجذم [1] كراهية في لقائه ، وإلا فتعيش أقطع ، ويعير ولدك . فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد ، واعتزم على قطعها . فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه ، وقيل تركه لاشارة شريح . وعـذل الناس شريحاً في ذلك فقال المستشار مؤتمن . ولما حضرته الوفـاة قال له ابنه قد هيأت لكفنك ستين ثوباً . فقال يا بني قد دنا لأبيك لباس خير من لباسه . ثم مـات ودفن بالثَوِيَّةِ قرب الكوفة ، وكان يلبس القميص ويرقعه . ولمـا مات استخلف على الكوفة عبدالله بن خالد ابن أَسَيد ، وكان خليفته على البصرة عبدالله بن عمر بن غَيْلان ، وعزل بعد ذلك عبدالله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحّاك ابن قيس .

ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة

ولما قدم ابنه عبيدالله على معاوية ، وهو ابن خمس وعشرين سنة قال : من استعمل أبوك على المصرين ؟ فأخبره فقال : لو

(١) بياض بالأصل وفي مروج الذهب ما يؤخذ منه تسويده وعباراته وأنه شاور شريحاً أن في قطعها . فقال له لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش أجذم ، وإن حم أجلك تلق ربك مقطوع اليد . فإذا سألك لم قطعتها قلت بغضاً للقائك وفراراً من قضائك ا هـ.

استعملك لاستعملتك . فقال عبيدالله : انشدك الله أن يقول لي أحد بعدك ، لو استعملك أبوك وعمك استعملتك . فولاه خراسان ووصاه فكان من وصيته : اتق الله ولا تُؤْثِرَنَّ عــلى تقواه شيئاً ، فانَّ في تقواه عِوضاً وقِ عرضك من أن تدنسه ، وان أعطيتَ عهداً فأوفِ به ، ولا تتبعنَّ كثيراً بقليل ، ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمَه ، فإذا خرج فــلا يردنّ عليك . وإذا لقيت عدوّك فكبر أكبر من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ، ولا تطعمنَّ أحداً في غير حقه ، ولا تؤيسنَّ أحداً من حق هو له .

ثم ودَّعه فسار الى خراسان أوَّل سنة أربع وخمسين ، وقدم اليها أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكِلابي ، ثم قــدم فقطع النهر إلى جبال بخارىٰ على الابل ، ففتح رامينَ ، ونسف وَسْكَنْد . ولقيه الترك فهزمهم ، وكان مع ملكهم امرأته خاتون ، فأعجلوها عن لبس خفيها ، فأصاب المسلمون أحدهما وقوّم بمائتي ألف درهم . وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم ، وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه ، ثم يرفع رايته تقطر دماً . وكان هذا الزحف من زحوف خراسانَ المعدودة ، وكانت أربعة منها للأَحْنَفِ بن قيس بِقَهستان والَمرِعاتِ . وزحف لعبدالله ابن حازم ، قضى فيه جموع فاران .

وأقام عبيدالله والياً على خُراسان سنتين ، وولاه معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة . وذلك أنَّ ابن غَيلانَ خطب وهــو

أمير على البصرة . وذلك أَنَّ ابن غَيلَانَ خطب وهو أَمير عـلى البصرة ، فحصبه رجل من بني ضُبَّة فقطع يده فأَتاه بنو ضبة يسأَلونه الكتاب إلى معاوية بالاعتذار عنه ، وانه قطع عـلى أمر لم يصح ، مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعاً . فكتب لهم وسار ابن غيلان إلى معاوية رأس السنة ، واوفاه الضَبِّيُّون بالكتاب ، فادّعوا أَنَّ ابن غيلان قطع صاحبهم ظلماً . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أَمَّا القَوْدُ من عمالي فلا سبيل اليه ، ولكن أدي صاحبكم من بيت المال . وعزل عبدالله بن غيلان عن البصرة ، واستعمل عليها عبيدالله ابن زياد ، فسار اليها عبيدالله ، وولى على خراسان أَسلم بن زرعة الكلابي فلم يغزُ ولم يفتح .

العهد ليزيد

ذكر الطبري بسنده قال : قدم المغيرة على معاوية فشكا اليه الضعف ، فاستعفاه فأَعفاه وأَراد أَن يولي سعيد بن العاص . وقال أَصحاب المغيرة للمغيرة : ان معاوية قلاك ، فقال لهم رويداً ، ونهض إلى يزيد وعرض له بالبيعة . وقال ذهب أَعيان الصحابة وكبراءُ قريش ورادوا أَسنانهم ، وانمـا بقي أَبناؤهم وأَنت من أَفضلهم وأَحسنهم رأياً وسياسة ، وما أَدري ما يمنع أَمير المؤمنين من العهد لك . فأَدّى ذلك يزيد إلى أَبيه واستدعاه وفاوضه في ذلك . فقال قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماءِ بعد عثمان ،

وفي يزيد منك خلف ، فاعهد له يكون كهفاً للناس بعدك ، فلا تكون فتنة ولا يسفك دم . وأنا أكفيك الكوفة ، ويكفيك ابن زياد البصرة . فردّ معاوية المغيرة إلى الكوفة وأمره أن يعمل في بيعة يزيد . فقدم الكوفة وذاكر من يرجع اليه من شيعة بني أمية فأجابوه ، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه إلى عقد البيعة ليزيد . فقال : أوقد رضيتموه ؟ قالوا نعم ! نحن ومن وراءنا . فقال ننظر ما قدمتم له ويقضي الله أمره ، والاناة خير من العجلة ثم كتب إلى زياد يستنيره بفكر (١)

وكف عن هدم دار سعيد . وكتب سعيد إلى معاوية يعذله في ادخال الضغينة بين قرابته ، ويقول لو لم نكن بني أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم ، يجب عليك أن تدعي ذلك ، فاعتذر له معاوية وتنصل . وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيراً ، فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولى مكانه الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان وقيل سنة ثمان وخمسين .

---

(١) هنا بياض بالأصل مقدار عشرة أسطر وإليك راويه الطبري؟ «حدثني الحارث قال حدثنا علي عن مسلمة قال لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشيره، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري فقال: إن لكل مستبشر ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدعت من خصلتين: إذاعة =

=السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها. وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواباً، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد عجمتها منك فاحمدت الذي قبلك. وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف. ان أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد وهو يتخوف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم ويستشيرني وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم. ويزيد صاحب رسلة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد، فالق أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فعلات يزيد، فقل له: رويدك بالأمر، فأقمن أن يتم لك ولا تعجل. فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت.

فقال عبيد له أفلا غير هذا؟ قال ما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته، وإنك تخاف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وإنك ترى له ترك ما ينقم عليه، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس ويسهل لك ما تريد. فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة.

فقال زياد: رميت الأمر بحجره، أشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر وإن يكن خطأ فغير مستغش وابعد بك إن شاء الله من الخطأ. قال تقول بما ترى ويقضي الله بغيب ما يعلم، فقدم على يزيد فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة وأن لا يعجل فقبل ذلك معاوية، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة».

وورد في الكامل لابن الأثير بعد ذكر الرواية المذكورة أعلاه عن الطبري بفارق قليل:

«فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص وامتنع، ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم: إني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي. وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وقد كرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك. فقام مروان بالناس فأخبرهم به. فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه «والذي قال لوالديه أف لكما» الآية. فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء حجاب وقالت: يا مروان يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان =

=بوجهه فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن، كذبت والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله.

وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير. فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار.

ثم ذكر الوفود التي وفدت على معاوية ويزيد وذكر كلام المتكلمين بهذا الشأن. وسفر معاوية إلى المدينة ثم إلى مكة إلى أن قال: ثم أقبل معاوية على ابن الزبير فقال: هات لعمري إنك خطيبهم فقال: نعم نخيرك بين ثلاث خصال. قال أعرضهن قال: تصنع كما صنع رسول الله (ص) أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله (ص) ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر. قال: ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.

قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال لا! ثم قال: فأنتم! قالوا: قولنا قوله. قال: فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم أن قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح وإني قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم بكلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه. ثم دعا صاحب حرسه في حضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن هؤلاء الرهط من المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وأنهم رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله. فبايع الناس، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة.

فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل. قالوا: كادنا وخفنا القتل. وبايعه أهل المدينة ثم انصرف إلى الشام».

هذا ما ذكر في الطبري وابن الأثير بشأن أخذ البيعة ليزيد بن معاوية. وهذه الحادثة مكانها بياض في الأصل.

الطبري ج ٦ ص ١٦٩ - ١٧٠ طبع مصر.

ابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٢ طبع مصر.

عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير

عزل معاوية الضحّاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين ، وولى مكانه عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان الثَقَفِيّ ، وهو ابن أُمِّ الحَكَم أُخت معاوية ، فخرجت عليه الخوارج الذين كان المُغِيرةُ حبسهم في بيعة المستَوْرِدِ بن عَلْقَمَةَ ، وخرجوا من سجنه بعد موته . فاجتمعوا على حَيَّانَ بن ضَبْيَانَ السَلَمِيّ ، ومعاذ بن جرير الطائي ، فسير اليهم عبد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أَجمعين كما يذكر في أَخبار الخوارج . ثم انَّ أهـل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوءَ سيرته ، فعزله معاوية عنهم ، وولى مكانه النعمان بن بشير . وقال : أُوليك خيراً من الكوفة . فولاه مصر ، وكان عليها معاوية بن خديج السَكونيّ وسار إلى مصر فاستقبله معاوية على مرحلتين منها ، وقال ارجع إلى حالك لا تسر فينا سيرتك في اخواننا أَهل الكوفة ، فرجع إلى معاوية وأَقام معاوية بن خديج في عمله .

ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان : وفي سنة تسع وخمسين قـدم عبد الرحمن بن زياد وافداً على معاوية ، فقال يا أَمير المؤمنين اما لنا حق ؟ قال بلى ! فماذا قال توليني ؟ قال بالكوفة النعمان بن بشير من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبصرة وخراسان عبيدالله أَخوك ، وبسجستان عَبَّاد أَخوك . ولا أَرى ما بشبهك

إلا أن أُشركك في عمل عبيدالله ، فان عمله واسع يحتمل الشركة . فولاه خراسان ، فسار اليها وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلميّ ، فأخذ أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ وحبسه . ثم قدم عبد الرحمن فأغرمه ثلثمائة ألف درهم .

وأقام بخُراسانَ وكان مُتَضَعِّفاً لم يُقِرَّ قط . وقدم على يزيد بين يدي قتل الحسين ، فاستخلف على خراسان قَيْسَ بن الهَيْثَمِ . فقال له يزيد : كم معك من مال خراسان ؟ قال عشرون ألف ألف درهم . فخيره بين أخذها بالحساب وردّه إلى عمله ، أو تسويغه اياها وعزله ، على أن يعطي عبدالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، فاختار تسويغها والعزل . وبعث إلى ابن جعفر بألف ألف وقال نصفها من يزيد ونصفها مني . ثم ان أهل البصرة وفدوا مع عُبَيْدِ الله بن زياد على معاوية فأذن له على منازلهم ، ودخل الأحنف آخرهم وكان هيأ المنزلة من عبيد الله ، فرحب به معاوية وأجلسه معه على سريره . ثم تكلم القوم وأثنوا على عبيدالله وسكت الأحنف ، فقال معاوية : تكلم يا أبا بحر فقال أخشى خلاف القوم ، فقال انهضوا فقد عزلت عنكم عبيدالله ، واطلبوا والياً ترضونه ، فطفق القوم يختلفون إلى رجال بني أمية وأشراف الشام ، وقعد الأحنف في منزله ثم أحضرهم معاوية ، وقال من اخترتم فسمى كل فريق رجلًا والأحنف ساكت . فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال : ان وليت علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً ، وان وليت من

غيرهم ينظر في ذلك . قال فاني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباعدته . ولما هاجت الفتنة لم يعزله غير الأحنف ، ثم أخذ على وفد البصرة البيعة لابنه يزيد معهم .

بقيه الصوائف : دخل بسر بن أَرْطَاةَ سنة اثنتين وخمسين أرض الروم وشتى بها ، وقيل رجع ونزل هنالك سُفْيَانُ بن عوف الأزدي فشتى بهــا وتوفي هنالك اهـ . وغزا بالصائفة محمد بن عبد الله الثَقَفِيّ ، ثم دخل عبد الرحمن ابن امّ الحكم سنة ثلاث وخمسين إلى أرض الروم وشتى بها ، وافتتحت في هذه السنة رودس ، فتحها جُنَادةَ بن أبي أمية الأَزْدِيّ ونزلها المسلمون على حذر من الروم ، ثم كانوا يعترضونه في البحر ويأخذون سفنه ، وكان معاوية يدركهم بالعطاءِ حتى خافهم الروم ، ثم نقلهم يزيد في ولايته .

ثم دخل سنة أربع وخمسين إلى بلاد الروم محمد بن مالك وشتى بها وغزا بالصائفة (١) ابن يزيد السَلَمي ، وفتح المسلمون جزيرة أَرْوَى قرب القُسْطَنْطِينِيَّةِ ومقدمهم جُنَادَةَ بن أبي أميــة ، فملكوها سبع سنين ، ونقلهم يزيد في ولايته . وفي سنة خمس وخمسين كان شتى سفيان بن عَوْف بأرض الروم ، وقيل عُمَرَ بن محرز ، وقيل عبدالله بن قيس . وفي سنة ست وخمسين كان شتى

---

(١) بياض بالأصل وفي الطبري في أحداث سنة أربع وخمسين: «ففيها كان مشتى محمد بن مالك أرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي».

جنادة بن أَبي أُمية ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، وقيل غزا في البحر يزيد بن سُمْرَةَ . وفي البرِّ عِياضُ بن الحرث . وفي سنة سبع وخمسين كان شتي عبدالله بن قيس بأَرض الروم . وغزا مالك بن عبدالله الخَثْعَميّ في البرّ ، وعمر بن يزيد الجَهَنِيّ في البحر .

وفي سنة ثمان وخمسين كان شتي عُمَرُ بن مُرّةَ الجَهَنِيّ بأَرض الروم ، وغزا في البحر جُنَادَةَ بن أُميَّة . وفتح المسلمون في هذه السنة حِصْنَ كَفَخ من بلاد الروم ، وعليهم عُمَيْرُ بن الحَبابِ السَلَمِيّ صعد سورها وقاتل عليه وحده ، حتى انكشف الروم وفتحه . وفي سنة ستين غزا مالك بن عبدالله سُوَيَّةَ ، وملك جنادة بن أَبي أُميَّة رُودُسَ وهدم مدينتها .

وفاة معاوية : وتوفي معاوية سنة ستين ، وكان خطب الناس قبل موته وقال : اني كزرع مستحصد ، وقد طالت إمارتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ولن يأْتيكم بعدي إلا من أَنا خير منه ، كما أَنَّ من كان قبلي خير مني . وقد قيل من أَحب لقاءَ الله أَحب الله لقاءَه . اللهمَّ اني قد أَحببت لقاءَك فاحبب لقائي وبارك لي .

فلم يمض إلا قليل حتى ازداد به مرضه ، فدعا ابنه يزيد وقال : يابنيّ اني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأْت لك الأُمور ، وأَخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أَحد . واني

لا أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر الذي انتسب لك إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن عليّ ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . فأمّا ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة ، وإذا لم يبق غيره بايعك . وأمّا الحسين فإنّ أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه ، فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه ، فان له رَحِماً ما مثله وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، وليس له همة إلا في النساء . وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغُك روغان الثعلب ، واذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزُبَيْرِ . فان هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه إرْباً إرْباً .

هذا حديث الطبري عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال : لما حضرت وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غائباً ، فدعا بالضحّاك بن قيس الفِهْريّ ، وكان صاحب شرطته ، ومسلم بن عُقْبَة المُزْنيّ فقال : أبلغا يزيد وصيتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك فأكرم من قدم اليك منهم وتعاهد من غاب . وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملًا فافعل ، فان عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف . وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، وان رابك شيءٌ من عدوّك فانتصر بهم ، فاذا أصبتم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، فانهم ان قاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم . ولست أخاف عليك من قريش الا

ثلاثاً ، ولم يذكر في هـذا الطريق عبد الرحمن بن أَبي بكر . وقال في ابن عمر قد وقذه الدين فليس ملتمساً شيئاً قبلك . وقـال في الحسين ولو أَني صاحبه عفوت عنه ، وأَنا أَرجو أَن يكفيك الله بمن قتل أَباه وخذل أَخـاه . وقال في ابن الزبير إِذا شخص اليك فالبد له الا أَن يلتمس منك صلحاً فاقبل واحقن دمـاء قومك ما استطعت .

وتوفي في منتصف رجب ويقال في جمادى لتسع عشرة سنة وأَشهر من ولايته وكان على خاتمه عبدالله بن مُحْصِن الحِمْيَرِيّ وهو أَوّل من اتخذ ديوان الخاتم ، وكان سببه أَنه أمر لِعُمَر بن الزُبَيْرِ بمائة أَلف درهم ، وكتب له بذلك إِلى زيـاد بالعراق ، ففض عمر الكتاب وصيّر المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه أَنكرها معاوية ، وأَخذ عمر بردّها وحبسه فأَدّاها عنه أَخوه عبدالله . فأَحدث عند ذلك ديوان الخاتم ، وحزم الكتب ولم تكن تحزم . وكان عـلى شرطته قَيْسُ بن هَمْزَةَ الهَمْدَاني ، فعزله ابن بَيْدِ بن عُمَرَ العَذْوي ، وكان على حرسه المختار من مواليـه . وقيل أَبو المحاري مالك مولى حُمَيْرَةَ ، وهو أَوّل من اتخذ الحرس . وعلى حجابه مولاه سعد ، وكان كاتبه وصاحب أَمره سَرْجُون بن منصور الرومي ، وعلى القضاء فُضَالَةَ بن عبدالله الأَنْصَارِيّ ، وبعده أَبو دُوَيْسَ عائذ بن عبدالله الخَوْلانيّ .

بيعة يزيد

بويع يزيد بعد موت أبيه ، وعلى المدينة الوَلِيدُ بن عُتْبَة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمر بن سعيد بن العاص ، وعلى البصرة عُبَيْدُالله بن زياد ، وعلى الكوفة النُعمانُ بن بشير . ولم يكن همه إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته ، فكتب إلى الوليد بموت معاوية ، وأن يأخذ حسيناً وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة . فلما قرأ مروان الكتاب بنعي معاوية ، استرجع وترحم ، واستشاره الوليد في أمر أولئك النفر ، فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فان بايعوا وإلا قتلتهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فيثب كل رجل منهم في ناحية ، إلا ابن عمر فانه لا يحب القتال ، ولا يحب الولاية ، الا أن يرفع اليه الأمر . فبعث الوليد لوقته عبدالله ابن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث ، فجاء إلى الحسين وابن الزبير في المسجد ، في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس . وقال أجيبا الأمير . فقالا : لا تنصرف الا أن نأتيه ، ثم حدّثا فيما بعث اليهما ، فلم يعلموا ما وقع .

وجمع الحسين فتيانه وأهل بيته وسار اليه فأجلسهم بالباب ، وقال ان دعوتكم أو سمعتم صوتي عالياً فادخلوا بأجمعكم . ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ، ودعا لهما باصلاح ذات البين . فأقرأه الوليد الكتاب بنعي معاوية ، ودعاه

إلى البيعة ، فاسترجع وترحم وقال : مثلي لا يبايع سرًّا ولا يكتفي بها مني ، فاذا ظهرت الى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحداً وكنت أوّل مجيب . فقال الوليد : وكان يحب المسالمة ، انصرف . فقال مروان : لا يقدر منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينهم ، ألزمه البيعة والا اضرب عنقه . فوثب الحسين وقال : انت تقتلني أو هو ! كذبت والله ! وانصرف إلى منزله . وأخذ مروان في عذل الوليد . فقال يا مروان والله ما أُحب أن لي ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت الحسين ان قال لا أُبايع .

وأما ابن الزبير فاختفى في دارِه وجمع أصحابه ، وألح الوليد في طلبه ، وبعث مواليه فشتموه وهدّدوه ، وأقاموا ببابه في طلبه فبعث ابن الزبير أخاه جعفراً يلاطف الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ، ويعده بالحضور من الغداة ، وأن يصرف رسله من بابه فبعث اليهم وانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما ، وأخذا طريق الفرع إلى مكة ، فسرح الرحالة في طلبه فلم يدركوه ، ورجعوا وتشاغلوا بذلك عن الحسين سائر يومه . ثم أرسل إلى الحسين يدعوه فقال : أصبحوا وترون وفري .

وسار في الليلة الثانية ببنيه واخوته وبني أخيه إلا محمد بن الحنفية ، وكان قد نصحه وقال تنحّ عن يزيد وعن الامصار ما

استطعت ، وابعث دعاتك إلى الناس ، فان أجابوك فاحمد الله ، وان اجتمعوا على غيرك فلم يضرّ بذلك دينك ولا عقلك ولم تذهب به مروءتك ولا فضلك . وأنا أخاف أن تأتي مصراً أو قوماً فيختلفون عليك ، فتكون الأوّل اساءة ، فاذاً خير الامة نفساً وأباً أضيعها ذماراً وأذلها . قال له الحسين : فاني ذاهب . قال انزل مكة ، فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وان فاتت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال ، ومن بلد إلى آخر حتى ننظر مصير أمر الناس ، وتعرف الرأي . فقال يا أخي نصحت وأشفقت ! ولحق بمكة .

وبعث الوليد إلى ابن عمر ليبايع فقال : أنا أُبايع أمام الناس ، وقيل ابن عمر وابن عباس كانا بمكة ، ورجعا إلى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد . فقال ابن عمر : لا تفرّقا جماعة المسلمين ، وقدم هو وابن عباس المدينة وبايعا عنه بيعة الناس . ولما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمر بن سعيد قال : أنا عائذ بالبيت ، ولم يكن يصلي ولا يقف معهم ويقف هو وأصحابه ناحية .

عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد

ولما بلغ الخبر إلى يزيد بصنيع الوَليد بن عُتْبَةَ في أمر هؤلاء النفر ، عزله عن المدينة واستعمل عليها عمر بن سعيد الاشرق ،

فقدمها في رمضان ، واستعمل على شرطته عمر ابن الزبير بالمدينة ، لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء ، وأحضر نفراً من شيعة الزبير بالمدينة فضربهم من الاربعين إلى الخمسين إلى الستين ، منهم المنذر ابن الزبير وابنه محمد ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم . ثم جهز البعوث إلى مكة سبعمائة أو نحوها . وقال لعمر ابن الزبير : من نبعث إلى أخيك ؟ فقال لا تجد رجلاً أنكى له مني. فجهز معه سبعمائة مقاتل فيهم أَنَسُ بن عُمَيْر الأَسْلَمِي . وعذله مروان ابن الحكم في غزو مكة ، وقال له : اتق الله ولا تحلّ حرمة البيت . فقال : والله لنغزونه في جوف الكعبة .

وجاء أبو شُرَيْحٍ الخُزَاعِيّ إلى عمر بن سعيد فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ، ثم عادت كحرمتها بالامس . فقال له عمر : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ . وقيل : ان يزيد كتب إلى عمر بن سعيد أن يبعث عمر بن الزبير بالجيش إلى أخيه ، فبعثه في ألفي مقاتل وعلى مقدّمته أنيس . فنزل أنيس بذي طُوَى ونزل عمر بالأَبْطَحِ ، وبعث إلى أخيه أن برّ يمين يزيد ، فانه حلف أن لا يقبل بيعة إلا ان يؤتى بك في جامعه ، فلا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، فانك في بلد حرام . فأرسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع عبد الله بن صَفْوَانَ ، فهزموا أنيساً بذي طوى ، وقتل

أنيس في الهزيمة وتخلف عن عمر ابن الزبير أصحابه ، فدخل دار ابن علقمة وأجاره عبدة بن الزبير . وقال لأخيه قد أجرته ، فأنكر ذلك عليه . وقيل : ان صفوان قال لعبد الله بن الزبير اكفني أخاك ، وأنا أكفيك أنيس بن عمر ، وسار إلى أنيس فهزمه وقتله . وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمر فتفرّق عنه أصحابه ، وأجاره أخوه عبدة ، فلم يجز أخوه عبدالله جواره وضربه بكل من ضربه بالمدينة ، وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط .

مسير الحسين الى الكوفة ومقتله

ولما خرج الحسين إلى مكة لقيه عبدالله بن مطيع وسأله أين تريد ؟ فقال مكة ! وأستخير الله فيما بعد ، فنصحه أن لا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس . ورجع عنه وترك الحسين بمكة فأقام والناس يختلفون اليه ، وابن الزبير في جانب الكعبة يصلي ويطوف عامة النهار ، ويأتي الحسين فيمن يأتي ، ويعلم أنّ أهل الحجاز لا يلقون اليه مع الحسين . ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة ، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرَد ، وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن محمد ، ورِفاعَةَ بن شَدَّاد ، وحبيب بن مُظاهِر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم

يبايعوا للنُعْمان ، ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد ، ولو جئتنا أخرجناه . وبعثوا بالكتاب مع عبدالله بن سبع الهمداني ، وعبدالله بن وال . ثم كتبوا اليه ثانياً بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ، ثم ثالثاً يستحثونه للحاق بهم . كتب له بذلك شيث بن رَبْعي وحِجازُ ابن أَبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رُوَيْم وعُرْوَةُ بن قيس وعُمَرُ ابن الحجَّاج الزُبَيْدِي ومحمد بن عُمَيْر التميمي .

فأجابهم الحسين : فهمت ما قصصتم وقد بعثت اليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، يكتب إلي بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريباً . ولعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب ، القائم بالقسط ، يدين بدين الحق . وسار مسلم فدخل المدينة وصلى في المسجد : وودَّع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق ، وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء ، فانتهوا اليه وشربوا ونجوا . فتطير مسلم من ذلك ، وكتب إلى الحسين يستعفيه . فكتب اليه : خشيت أن لا يكون حملك على ذلك إلا الجبن ، فامض لوجهك والسلام . وسار مسلم فدخل الكوفة أوّل ذي الحجة من سنة ستين ، واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين ، فبكوا ووعدوه النصر . وعلم مكانه النُعْمانُ بن بشير أمير الكوفة ، وكان حليماً يجنح إلى المسالمة ، فخطب وحذر الناس الفتنة . وقال : لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ،

ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لاضربنكم بسيفي ما دام قائمته بيدي ، ولو لم يكن لي ناصر . فقال له بعض حلفاء بني أمية : لا يصلح ما ترى إلا الغشم ، وهـذا الذي أنت عليه مع عدوّك رأي المستضعفين . فقال : أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إلي من أن أكون من الأعَزّين في معصية الله ، ثم تركه.

فكتب عبدالله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد ابن أبي وقاص إلى يزيد بالخبر ، وتضعف النعمان وضعفه فابعث إلى الكوفة رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل عملك في عدوك فأشار عليه سرجون (١)

---

(١) هنا بياض بالأصل نحو ثلاث ورقات. وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٨ وما بعدها (طبعة مصر): «فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فأقرأه الكتب، واستشاره فيمن يوليه الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم! فاخرج عبد الله على الكوفة. فقال: هذا رأي معاوية ومات، وقد أمر لهذا الكتاب، فأخذ برأيه، وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب إليه بعهده وسيره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة. فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه. فلما وصل كتابه إلى عبد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد. وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة نسخة واحدة إلى الأشراف يدعوهم إلى كتاب الله وسنته».

وجاء في الطبري ج ٦ ص ٢٠٠ (طبعة مصر): «وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً. قال هشام، قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف. فكتب إلى مالك بن مُسْمعَ البكري وإلى الأحْنَفِ بن =

. . . .

=قيس وإلى المنذرِ بن الجارود وإلى مَسْعود بن عمْرو وإلى قيس بن الهَيْثَم وإلى عمر بن عبد الله بن معمر. فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها وهذا نصه: «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم.

وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه. وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه (ص)، فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، وان تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».

مسير الحسين إلى الكوفة ووقعة كربلاء:

إنها وقعة عظيمة، وهي ضمن الأوراق البيضاء في هذا الكتاب، تاريخ العبر للعلامة ابن خلدون.

ذكرها الطبري بإسهاب في الجزء السادس من ص (١٩٤) إلى ص (٢٧١).

وذكرها ابن الأثير في تاريخ الكامل في ج ٣ ص ٢٧٥ وما بعدها إلى ص ٣٠٢ وقد أثبتنا هنا عن هذه الوقعة ما ورد في تاريخ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء صاحب حماه ج ٢. ص ١٠٤ - ١٠٧ طبعة بيروت».

ومن أراد زيادة الإسهاب فليرجع إلى التواريخ المطولة.

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة
كما ورد بتايخ أبو الفداء

وورد على الحسين مكاتبات يحثونه على المسير إليهم ليبايعوه، وكان العامل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، فأرسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي=

. . . .

=طالب ليأخذ البيعة عليهم، فوصل إلى الكوفة وبايعه بها، قيل ثلاثون ألفاً، وقيل ثمانية وعشرون ألف نفس، ويلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه، فولى على الكوفة عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية، واستمر مع مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين، وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره، ولم يكن مع عبيد الله في القصر أكثر من ثلاثين رجلاً، ثم أن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية، حتى ان المرأة ليأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف إن الناس يكفونك، فتفرق الناس عن مسلم، ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلاً، فانهزم واستتر، ونادى منادي عبيد الله بن زياد من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته، فأمسك مسلم واحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله شتمه وشتم الحسين وعليا وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته من القصر، ثم أحضر هانيء بن عروة وكان ممن أخذ البيعة للحسين فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، وكان مقتل مسلم بن عقيل لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين، وأخذ الحسين وهو بمكة في التوجه إلى العراق، وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفاً عليه، وقال للحسين يا ابن العم إني أخاف عليك أهل العراق، فإنهم قوم أهل غدر، وأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، وإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن، فإن بها شيعة لأبيك وبها حصون وشعاب، فقال الحسين يا ابن العم إني أعلم والله أنك ناصح مشفق، ولقد أزمعت وأجمعت، ثم خرج ابن عباس من عنده وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين، واجتمع عليه جمايع من العرب، ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه، أعلم الحسين من معه بذلك، وقال من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً، ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له سراف، وصل إليه الحر صاحب شرطة عبيد الله بن زياد في الفي فارس، حتى وقفوا مقابل الحسين في حر الظهيرة، فقال لهم الحسين ما أتيت إلا بكتبكم فإن رجعتم رجعت من هنا، فقال له صاحب شرطة ابن زياد إنا أمرنا أن لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين=

. . . .

=يدي عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أهون من ذلك، وما زالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة بن زياد (ثم دخلت سنة إحدى وستين).

ذكر مقتل الحسين
كما ورد في تاريخ أبو الفداء

ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب من عبيد الله بن زياد إلى الحر يأمره أن ينزل الحسين ومن معه على غير ماء، فأنزلهم في الموضع المعروف بكربلا، وذلك يوم الخميس ثاني المحرم من هذه السنة أي سنة إحدى وستين، ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس، أرسله ابن زياد لحرب الحسين، فسأله الحسين في أن يمكن إما من العود من حيث أتى، وأما أن يجهز إلى يزيد بن معاوية، وأما أن يمكن أن يلحق بالثغور، فكتب عمر إلى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين إلى أحد هذه الأمور، فاغتاظ ابن زياد فقال لا ولا كرامة، فأرسل مع شمر بن ذي الجوشن إلى عمر بن سعد، إما أن تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته، وإما أن تعتزل ويكون الأمير على الجيش شمر، فقال عمر بن سعد بل أقاتله، ونهض عشية الخميس تاسع المحرم من هذه السنة، والحسين جالس أمام بيته بعد صلاة العصر. فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس أن يمهلوه إلى الغد، وأنه يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك. وقال الحسين لأصحابه أني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فقال أخوه العباس لم نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً! ثم تكلم أخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر في نحو ذلك، وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله ويدعون، فلما أصبحوا ركب عمر بن سعيد في أصحابه وذلك يوم عاشوراء من المذكورة، وعبى الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً. ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال إلى وقت الظهر من ذلك اليوم، فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف. واشتد بالحسين العطش، فتقدم ليشرب=

. . . .

= فرمي بسهم فوقع في فمه. ونادى شمر: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه، فضربة زرعة بن شريك على كتفه، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح، فوقع فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، وقيل إن الذي نزل واحتز رأسه هو شمر المذكور، وجاء به إلى عمر بن سعد، فأمر عمر بن سعد جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم، ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم ارفع هذا القضيب فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (ص) على هاتين الشفتين ثم بكى، وروي أنه قتل مع الحسين من أولاد علي أربعة هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر، ومن أولاد الحسين أربعة، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ومن أولاد عقيل، ثم بعث ابن زياد بالرؤوس وبالنساء وبالأطفال إلى يزيد بن معاوية، فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه، واستحضر النساء والأطفال، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة، فجهزهم إلى المدينة، ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولـون إن قال النبي لكم   مـاذا فعلتم وأنتـم آخـر الأمم
بعـترتي وبـأهـلي بعـد مفتقـدي   منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم   أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

(واختلف) في موضع الحسين فقيل جهز إلى المدينة ودفن عند أمه، وقيل دفن عند باب الفراديس، وقيل إن خلفاء مصر نقلوه من عسقلان رأساً إلى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين، وقد اختلف في عمره والصحيح أنه خمس وخمسون سنة وأشهر. وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة (وأما) عبد الله بن الزبير فإنه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد بن معاوية.

مسيرة المختار إلى الكوفة وأخذها من ابن المطيع بعد وقعة كربلاء

مضى ابراهيم إلى المختار وأخبره الخبر ، وبعثوا في الشيعة ونادوا بثأر الحسين ، ومضى إبراهيم إلى النَخَع فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلًا ، وهو يتجنب المواضع التي فيها الامراء . ثم لقي بعضهم فهزمهم ، ثم آخرين كذلك ، ثم رجع إلى المختار فوجد شيث بن رَبْعِيّ وحجاز بن أَبْجَر العِجْلي يقاتلانه فهزمهما ، وحاشب ابن المطيع فأشار اليه بجمع الناس والنهوض إلى القوم قبل . فولى أمرهم فركب واجتمع الناس وتوافى إلى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة ، وبعث ابن مطيع شيث بن رَبْعِي في ثلاثة آلاف ، ورَبْعَ بن اياس في أربعة آلاف . فسرح اليهم المختار ابراهيم بن الأشتر لراشد في ستمائة فارس وستمائة راجل ، ونعيم بن هُبَيْرَة لشيث في ثلثمائة فارس وستمائة راجل ، واقتتلوا من بعد صلاة الصبح . وقتل نعيم فوهن المختار لقتله ، وظهر شيث وأصحابه عليهم ، وقاتل إبراهيم بن الأشتر راشد بن اياس فقتله ، وانهزم أصحابه وركبهم الفشل .

وبعث ابن المطيع جيشاً كثيفاً فهزمهم ، ثم حمل على شيث فهزمه ، وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة . ورجع المنهزمون إلى ابن مطيع فدهش ، فشجعه عُمَرُ بن الحَجَّاجِ الزُبَيْدِيّ ، وقال لـه اخرج واندب الناس ففعل . وقام في الناس ووبخهم على

هزيمتهم ، وندبهم . ثم بعث عمر بن الحجاج في ألفين وشِمْرَ بن ذي الجَوْشَنِ في ألفين ، ونوْفَلَ بن مُسَاحِقَ في خمسة آلاف . ووقف هو بكتائبه .

واختلف على القصر شيث بن ربعي ، فحمل ابن الأشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره ، ثم منَّ عليه . ودخل ابن مطيع القصر وحاصره ابراهيم بن الأشتر ثلاثاً ومعه يزيد بن أَنَس وأحمد ابن شَمِيط ، ولما اشتدّ الحصار على ابن مطيع ، أشار عليه شيث ابن ربعي بأن يستأمن للمختار ، ويلحق بابن الزبير وله ما يعده . فخرج عنهم مساءً ونزل دار أبي موسى . واستأمن القوم للمختار ، فدخل القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم ، ودعاهم إلى بيعة ابن الحنفية ، فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنة ، واللطف بأهل البيت ، ووعدهم بحسن السيرة . وبلغه أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فبعث اليه بمائة ألف درهم وقال يجهز بهذه . وكان ابن مطيع قد فرّق بيوت الأموال على الناس ، وسار ابن مطيع إلى وجهه وملك الكوفة ، وجعل على شرطته عبدالله بن كامل ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة ، وجعل الأشراف جلساءه ، وعقد لعبدالله بن الحرث بن الأشتر على أرمينية ، ولمحمد ابن عُمَيْر بن عطارد على أذْرَبيجان ، ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، ولإسحق بن مسعود على المدائن ، ولسَعْدِ بن حُذَيْفَةَ بن اليمان على حُلوان . وأمره بقتال الأكراد واصلاح

السابِلَةِ . وولى شُرَيْحاً على القضاء . ثم طعنت فيه الشيعة ، بأنه شهد على حِجْر بن عَدِيّ ، ولم يبلغ عن هانىء بن عُرْوَةَ رسالته إلى قومه ، وأنَّ عليًا غرمه ، وأنه عثمانيّ . وسمع ذلك هو فتمارض ، فجعل مكانه عَبدالله بن عُتْبَةَ بن مسعود ، ثم مرض فولى مكانه عبدالله بن مالك الطائيّ .

مسيرة ابن زياد الى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشام ، بعث جيشين أَحدهما إلى الحجاز مع جيش بن دَلْجَةَ القَيْنِيّ وقِدْشَاتَةَ ومَقْتَلةَ [1] ، والآخر إلى العراق مع عُبَيْدِالله بن زياد ، فكان من أَمره وأَمر التوّابين من الشيعة ما تقدّم . وأقام محاصراً لزِفَرَ بن الحرث بقرقيسيا ، وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير ، فاشتغل بهم عن العراق سنة أَو نحوها . ثم توفي مروان وَوَلّى بعده عبد الملك ، فأَقره على ولايته وأَمره بالجدّ . ويئس من أَمر زُفَر وقيس ، فنهض إلى الموصل ، فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى تكريت . وكتب إلى المختار بالخبر ، فبعث يزيد بن أَنَس الأَسَدِيّ في ثلاثة آلاف إلى الموصل ، فسار اليها على المدائن ، وسرّح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغَنَوِيّ في ثلاثة آلاف ، فالتقيا ببابل . وعَبّى يزيد أَصحابه وهو راكب على حمار وحرّضهم. وقال ان مُت فأَميركم وَرْقَاءُ بن عازب الأَسَدِيّ ، وان هلك

(١) كذا في الأصل ولم نعثر على هذه الأسماء فيما لدينا من المراجع .

فعبدالله بن ضُمْرَةَ الفَزَارِيّ ، وان هلك فسَعْدُ الخَثْعَمِيّ .

ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهزم أهل الشام وقتل ربيعة ، وسار الفَلُّ غير بعيد ، فلقيهم عبدالله بن حَمْلَةَ الخثعميّ قد سرحه ابن زياد في ثلاثة آلاف ، فردّ المنهزمين وعاد القتال يوم الأضحى ، فانهزم أهل الشام ، وأثخن فيهم أهل الكوفــة بالقتل والنهب ، وأسروا منهم ثلثمائة فقتلوهم . وهلك يَزِيدُ بن أَنَسٍ من آخر يومه ، وقام بأمرهم وَرْقَاءُ بن عازب خليفته ، وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد وقال : نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرّأ علينا أهل الشام بذلك . وانصرف الناس وتقدّم الخبر إلى الكوفة ، فأُرجف الناس بالمختار ، وأُشيع أن يزيد قتل .

وسرّ المختار رجوع العسكر ، فسرّح ابراهيم بن الأَشتر في سبعة آلاف ، وضم اليه جيش يزيد ، ثم تأخر ابن زياد فسار لذلك . ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شيث بن رِبْعي وكان شيخهم جاهِلِياً اسلامياً ، وشكوا من سيرة المختار وايثاره الموالي عليهم ، ودعوه إلى الوثوب به . فقال حتى أَلقاه وأعذر اليه ، ثم ذهب اليه وذكر له جميع ما نكروه ، فوعده الرجوع إلى مرادهم ، وذكر له شأن الموالي وشركتهم في الفيء . فقال : ان أعطيتموني عهدكم على قتال بني أُميّة وابن الزبير تركتهم . فقال اخرج اليهم بذلك ، وخرج فلم يرجع . واجتمع رأيهم على قتاله ، وهم شيث بن رِبْعي ، ومحمد بن الأَشْعَثِ ، وعبد الرحمن بن سعد بن قيس ، وشِمْرُ بن

ذي الجَوْشَنِ ، وكعب بن أبي كعب النَخَعِيّ ، وعبد الرحمن بن مُخْنِفَ الأَزْدِيّ . وقد كان ابن مخنف أشار عليهم بأن يمهلوه لقدوم أهل الشام وأهل البصرة ، فيكفونكم أمره قبل أن يقاتلكم بمواليكم وشجعانكم وهم عليكم أشدّ ، فأبوا من رأيه وقالوا لا تفسد جماعتنا .

ثم خرجوا وشهروا السلاح ، وقالوا للمختار : اعتزلنا فان ابن الحَنَفِيَّةِ لم يبعثك . قال نبعث اليه الرسل مني ومنكم ، وأخذ يعللهم بأمثال هذه المزاجعات ، وكفّ أصحابه عن قتالهم ينتظر وصول ابراهيم بن الأشتر ، وقد بعث اليه بالرجوع . فجاءَ فرأى القوم مجتمعين ، ورِفَاعَةَ بن شَدَّاد البَجَلِيّ يصلي بهم . فلما وصل ابراهيم عَبَّأَ المختارُ أصحابه ، وسرَّح بين يديه أحمد بن شُمَيْطٍ البُجَيْلِيّ ، وعبدالله بن كامل الشادي ، فانهزم أصحابهما وصبرا ، ومدَّهما المختار بالفرسان والرجال فوجاً بعد فوج ، وسار ابن الأشتر إلى مصر وفيهم شيث بن ربعي فقاتلوه فهزمهم ، فاشتدّ ابن كامل على اليَمَنِ ، ورجع رفاعة بن شدّاد أمامهم إلى المختار ، فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبدالله بن سعيد بن قيس ، والفرات ابن زَحْرِ بن قيس ، وعُمَرَ بن مُخْنِفَ . وخرج أخوه عبد الرحمن فمات ، وانهزم أهل اليمن هزيمةً قبيحة ، وأسر من الوَادِعيين خمسمائة أسير ، فقتل المختار كل من شهد قتل الحسين منهم ، فكانوا نصفهم وأطلق الباقين .

ونادى المختار الأمان ، الا من شهد في دماء أهل البيت وفرّ عُمَرُ بن الحَجَّاجِ الزُبَيْدِي ، وكان أشدّ من حضر قتل الحسين ، فلم يوقف له على خبر . وقيل أدركه أصحاب المختار فأخذوا رأسه ، وبعث في طلب شِمْرِ بن ذي الجَوْشَنِ ، فقتل طالبه وانتهى الى قرية الكَلْبَانِيَّةِ ، فارتاح يظن انه نجا . واذا في قرية أُخرى بازائه أبو عُمْرَةَ صاحب المختار ، بعثه مَسْلَحَةً بينه وبين أهل البصرة ، فنمي اليه خبره فركب اليه فقتله وألقى شلوه للكلاب .

وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلًا أكثرهم من اليمن ، وكان آخر سنة ست وستين ، وخرج أشراف الناس إلى البصرة ، وتتبع المختار قتلة الحسين ودلَّ على عبيدالله بن أسد الجُهَنِيّ ، ومالك ابن نُسَيْرٍ الكِنْدِيّ . وحمل ابن مالك المُحَارِبيّ بالقادسية فأحضرهم وقتلهم . ثم أحضر زياد بن مالك الضُبَعِيّ ، وعِمْرَان بن خالد العَنْزِيّ وعبد الرحمن بن أبي حشكارة البَجَلي ، وعبدالله بن قيس الخَوْلانيّ ، وكانوا نهبوا من الورث الذي كان مع الحسين فقتلهم . وأحضر عبدالله أو عبد الرحمن بن طَلْحَةَ وعبدالله بن وَهِيبٍ الهَمَدَاني ابن عم الأعشى فقتلهم . وأحضر عثمان بن خالد الجُهَنِيّ وأبا اسماء بشر ابن سُمَيْطٍ القابِسِيّ ، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه ، فقتلهما وحرقهما بالنار .

وبحث عن خولي بن يزيد الأَصبَحِيّ صاحب رأس الحسين ، فجيءَ برأسه وحرق بالنار . ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

بعد أن كان أخذ له الأمان منه عبدالله بن أبي جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ ، فبعث أبا عُمْرَةَ فجاءه برأسه وابنه حفص عنده . فقال تعرف هذا ؟ قال نعم ! ولا خير في العيش بعده فقتله . ويقال : ان الذي بعث المختار على قتلة الحسين ، أن يزيد بن شراحيل الأنصاري قدم على محمد بن الحنفية ، فقال له ابن الحنفية : يزعم المختار ان لنا شيعة ، وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه . فلما سمع المختار ذلك تتبعهم بالقتل ، وبعث برأس عمرو ابنه إلى ابن الحنفية ، وكتب اليه أنه قتل من قدر عليه وهو في طلب الباقين . ثم أحضر حكيم بن طُفَيْل الطائي ، وكان رمى الحسين بسهم ، وأصاب سلب العباس ابنه . وجاء عَدِيٌّ بن حاتم يشفع فيه ، فقتله ابن كامل والشيعة قبل أن يصل حذراً من قبول المختار شفاعته . وبحث عن مُرَّةَ بن مُنْقِذَ بن عبد القيس قاتل علي بن الحسين ، فدافع عن نفسه ونجا إلى مُصْعَبَ بن الزبير ، وقد شُلَّت يده بضربة . وبحث عن زيد وفاد [1] الحسين قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل ، رماه بسهمين وقد وضع كفه على جبهته يتقي النبل ، فأثبت كفه في جبهته وقتله بالأخرى ، فخرج بالسيف يدافع . فقال ابن كامل ارموه بالحجارة ، فرموه حتى سقط وأحرقوه حيًّا . وطلب سِنَانَ ابن أَنَس الذي كان يدعي قتل الحسين فلحق بالبصرة . وطلب عُمَرَ بن صُبْحٍ الصدائي فقتله طعناً بالرماح ، وأرسل في

(١) كذا في الأصل.

طلب محمد بن الأَشعث وهو في قريته عند القادسِيَّة فهرب إلى مصعب وهدم المختار داره . وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأَمر الحسين . فلحقوا بمصعب وهدم دورهم .

شأن المختار مع ابن الزبير

كان على البصرة الحَرْثُ بن أَبي رَبِيعَةَ وهو القَبَّاعُ عاملًا لابن الزُبَيْرِ . وعلى شرطته عَبَّادُ بن حسين ، وعلى المقاتلة قَيْسُ ابن الهَيْثَمِ . وجاءَ المثنى بن مَخرَمَةَ العَبْدِيّ ، وكان ممن شهد مع سليمان بن صُرَد ، ورجع فبايع للمختار ، وبعثه إلى البصرة يدعو له بها ، فأَجابه كثير من الناس ، وعسكر لحرب القبَّاع . فسرَّح اليه عَبَّادَ بن حُسَيْنٍ وقَيْسَ بن الهَيْثَمِ في العساكر ، فانهزم المثنى إلى قومه عبد القَيْسِ ، وأَرسل القبَّاع عسكراً يأْتونه به . فجاءَه زياد بن عُمَرَ العَتَكِيّ ، فقال له : لتردنَّ خيلك عن إخواننا أَو لَنُقَاتِلَنَّهُم . فأَرسل الأَحنف بن قيس وأَصلح الامر ، على أَن يخرج المثنى عنهم ، فسار إلى الكوفة .

وقد كان المختار لما أَخرج ابن مطيع من البصرة كتب إلى ابن الزبير يخادعه ليتم أَمره في الدعاءِ لأَهل البيت ، وطلب المختار في الوفاءِ بما وعده به الولاية . فأَراد ابن الزبير أَن يتبين الصحيح من أَمره . فولَّى عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على الكوفة ، وأَعلمه بطاعة المختار وبعثه اليها . وجاءَ الخبر إلى المختار ، فبعث زائدة بن قُدَامَةَ في خمسمائة فارس ، وأَعطاه سبعين

ألف درهم ، وقال ادفعها إلى عُمَرَ فهي ضعف ما أنفق ، وأمره بالانصراف بعد تمكث ، فان أبى فأره الخيل ، فكان كذلك . ولما رأى عمر الخيل أخذ المال وسار نحو البصرة ، واجتمع هو وابن مطيع في امارة القباع قبل وثوب ابن مخرمة . وقيل ان المختار كتب إلى ابن الزبير اني اتخذت الكوفة داراً ، فان سوغتني ذلك وأعطيتني مائة ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك مروان ؛ فمنعه من ذلك . فأقام المختار بطاعته ويوادعه ليتفرّغ لاهل الشام .

ثم بعث عبد الملك بن مروان عبد الملك بن الحرث بن الحكم ابن ابي العاص إلى وادى القري ، فكتب المختار إلى ابن الزبير يعرض عليه المدد ، فأجابه أن يعجل بانفاذ الجيش إلى جند عبد الملك بوادي القرى ، فسرّح شرحبيل بن دَوْسٍ الهَمداني في ثلاثة آلاف اكريم[1] من الموالي ، وأمره أن يأتي المدينة ويكاتبه بذلك ، واتهمه ابن الزبير فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في ألفين ، وأمره أن يستنفر العرب ، وإن رأى من جيش المختار خلافاً نَاجَزَهُمْ وأهلكهم . فلقيهم عباس بالرَّقيم وهم على تعبية ، فقال سيروا بنا إلى العدوّ الذي بوادي القرى . فقال ابن دوس انما أمرني المختار أن آتي المدينة ، ففطن عباس لما يريد . فأتاهم بالعلوفة والزاد ، وتخير ألفاً من أصحابه وحمل عليهم ، فقتل ابن دوس وسبعين معه

(١) كذا في الأصل.

من شجعان قومه ، وأمن الباقين فرجعوا للكوفة ، ومـات أكثرهم في الطريق .

وكتب المختارُ الى ابن الحَنَفِيَّة يشكو ابن الزُبَيْرِ ويوهمه أنه بعث الجيش في طاعته ، ففعل بهم ابن الزبير ما فعل . ويستأذنه في بعث الجيوش إلى المدينة ، ويبعث ابن الحنفية عليهم رجلًا من قبله فيفهم الناس أني في طاعتك ، فكتب اليه ابن الحنفية قد عرفت قصدك ووفاءك بحقي ، واحب الامر اليَّ الطاعة . فاطع الله وتجنب دماء المسلمين . فلو أردت القتال لوجدت الناس إليَّ سراعاً والاعوان كثيراً لكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثم دعا ابن الزُبَيْرِ مُحَمد بن الحَنَفِيَّةِ ومن معه من أهل بيته وشيعته إلى البيعة ، فامتنع وبعث اليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم ، فاستكانوا وصبروا فتركهم . فلمـا استولى المختار على الكوفة ، وأظهر الشيعة دعوة ابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به . فاعتزم عليهم في البيعة ، وتوعدهم بالقتل ، وحبسهم بزمزم ، وضرب لهم أجلًا . وكتب ابن الحنفية إلى المختار بذلك ، فأخبر الشيعة وندبهم وبعث أمراء منهم في نحو ثلثمائة ، عليهم أبو عبدالله الجَدَلي . وبعث لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم ، وساروا إلى مكة ، فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب ، كراهة اشهار السيوف في الحرم ، وطفقوا ينادون بثأر الحسين

حتى انتهوا إلى زمزم . وأخرج ابن الحنفية وكان قد بقي من أجله يومان ، واستأذنوه في قتال ابن الزبير ، فقال لا أستحل القتال في الحرم . ثم جاء باقي الجند ، وخافهم ابن الزبير ، وخرج ابن الحنفية إلى شِعْب عليّ واجتمع له أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال .

ولما قتل المختار واستوثق أمر ابن الزبير ، بعث اليهم في البيعة ، فخافه على نفسه وكتب لعبد الملك فأذن له أن يقدم الشام ، حتى يستقيم أمر الناس ، ووعده بالاحسان . وخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام . ولما وصل مِدْيَنَ لقيه خبر مهلك عمر ابن سعيد ، فندم وأقام بايْلَة وظهر في الناس فضله وعبادته وزهده. وكتب له عبد الملك أن يبايعه فرجع إلى مكة ونزل شعب أبي طالب ، فأخرجه ابن الزبير فسار إلى الطائف ، وعذل ابن عباس ابن الزبير على شأنه ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هنالك . وصلى عليه ابن الحنفية ، وعاش إلى أن أدرك حصار الحجاج لابن الزبير .

ولما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك ، وكتب عبد الملك إلى الحجاج بتعظيم حقه وبسط أمله ، ثم قدم إلى الشام وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجاج عنه ففعل ، وقيل ان ابن الزبير بعث إلى ابن عباس وابن الحنفية في البيعة حتى يجتمع الناس على امام ، فانَّ في هذه فتنةً . فحبس ابن الحنفية في زمزم ، وضيق

على ابن عباس في منزله ، وأراد احراقهما ، فأرسل المختار جيشه كما تقدّم ونفس عنهما . ولما قتل المختار قوي ابن الزبير عليهما فخرجا إلى الطائف .

مقتل ابن زياد

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستينَ ، بعث ابراهيم بن الأَشْتَر لقتال ابن زياد ، وبعث معه وجوهَ أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه . وبعث معه بالكرسي الذي كان يستنصر به وهو كرسيّ قد غشاه بالذهب . وقال للشيعة هـذا فيكم مثل التابوت في بني اسرائيل ، فكبر شأْنه وعظم . وقاتل ابن زياد فكان له الظهور وافتتن به الشيعة ، ويقال : إنه كرسي عليٍّ بن أبي طالب ، وان المختار أَخذه من والد جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ ، وكانت أمه أُمّ هانىء بنت أبي طالب ، فهو ابن أُخت علي . ثم أَسرع ابراهيم بن الأَشتر في السير وأَوغل في أَرض الموصل ، وكان ابن زياد قد ملكها كما مرّ .

فلما دخل ابراهيم أَرض الموصل عَبّى أَصحابه ، ولما بلغ نهر الخازر بعث على مقدمته الطُفَيْلَ بن لقيط النخعي ، ونزل ابن زياد قريباً من النهر ، وكانت قيسُ مطبقة على بني مروان عند المرج ، وجند عبد الملك يومئذ (١) فلقي عُمَيْرُ بن الحبابِ السَلَمِي

(١) هنا بياض بالأصل وعبارة الطبري في ج ٧ ص ١٤٢ : «وجاء عبد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطىء خازر، وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر: إني معك وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسل إليه ابن الأشتر أن ألقني إذا شئت. وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، وجند مروان، يومئذ كانوا وصاحبهم بجدل، فأتاه عمر ليلاً فبايعه».

ابراهيم بن الأشتر ، وأوعده أن ينهزم بالميسرة ، وأشار عليه بالمشاجرة . ورأى عند ابن الأشتر ميلًا إلى المطاولة فثناه عن ذلك . وقال : انهم ميلوا [1] منكم رعباً وان طاولتهم اجترؤا عليكم . قال وبذاك أوصاني صاحبي . ثم عبّى أصحابه في السَحَر الأوّل ، ونزل يمشي ويحرِّض الناس ، حتى أشرف على القوم ، وجاءه عبدالله بن زهير السلولي بأنهم خرجوا على دهش وفشل ، وابن الأشتر يحرِّض أصحابه ويذكرهم أفعال ابن زياد وأبيه .

ثم التقى الجمعان وحمل الحُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ من ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم ، فقتل علي بن مالك الخثعمي ، ثم أخذ الراية فرد بن علي ، فقتل وانهزمت الميسرة ، فأخذ الراية عبدالله بن ورقاء بن جَنَادَةَ السلولي ، ورجع بالمنهزمين إلى الميسرة كما كانوا . وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عُمَيْرُ بن الحباب كما وعدهم ، فمنعته الأنفة من ذلك وقاتل قتالًا شديداً . وقصد ابن الأشتر قلب العسكر وسواده الأعظم ، فاقتتلوا أشدّ قتال ، حتى كانت أصوات الضرب بالحديد كأصوات القصارين وابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم . ثم حملوا حملة رجل واحد ، فانهزم أصحاب ابن زياد . وقال ابن الأشتر اني قتلت رجلًا تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك ، وضربته بسيفي فقصمته نصفين ، فالتمسوه ، فاذا هو ابن زياد فأخذت رأسه وأحرقت

(١) كذا، ولا معنى للميل هنا، ولعلها ملئوا.

جثته . وحمل شَرِيك بن جَدِير التَّغْلَبي على الحُصَيْنِ بن نُمَيْر ، فاعتقله وجاءَ أَصحابه فقتلوا الحصين .

ويقال : انَّ الذي قتل ابن زياد هو ابن جدير هذا ، وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع وادّعى قتله سفيان بن يزيد الازدي ، وورقاءُ بن عازب الازدي ، وعبيدالله بن زهير السلمي واتبع أَصحاب ابن الأَشتر المنهزمين فغرق في النهر أَكثر ممن قتل ، وغنموا جميع مـا في العسكر . وطرأَ ابن الأَشتر بالبشارة إلى المختار فأَتته بالمدائن ، وأَنفذ ابن الأَشتر عماله إلى البلاد فبعث أَخاه عبد الرحمن على نَصِيبين ، وغلب على سِنْجَارَ ودارا وما والاهما من أَرض الجزيرة . وولى زُفَرَ بن الحرث قَيْسَ[(١)] وحاتم بن النُعمَانِ البَاهِلِيّ حَرّان والرها وشِمْشَاط ، وعُمَيْرَ بن الحَباب السَلَمِي كَفَرْتوبي وطُورَ عَبْدِين ، وأَقام بالموصل وأَنفـذ رؤُوس عبيدالله وقواده إلى المختار .

مسير مصعب الى المختار وقتله اياه

كان ابن الزبير في أَوَّل سنة سبع وستين أَو آخر ست عزل الحرث بن ربيعة وهو القَبَّاع وولى مكانه أَخاه مُصْعَباً ، فقـدم البصرة وصَعِدَ المنبر ، وجـاءَ الحرث فأَجلسه مصعب تحته بدرجة ،

---

(١) قال في المشترك: قيس بفتح القاف وسكون المثناة من تحت وفي آخرها سين مهملة. وقال في اللباب: كيش بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وفي آخرها شين معجمة، وجزيرة كيش بين الهند والبصرة، وبهذه الجزيرة مغاص لؤلؤ، وبها نخيل محدث وأشجار جبلية وشرب أهلها من الآبار اهـ من أبي الفداء.

ثم خطب وقرأ الآيات من أوّل القصص ، ونزل ولحق به أشراف الكوفة حتى قربوا من المختار ، ودخل عليه شيث بن ربعي وهو ينادي واغوثاه ، ثم قدم محمد بن الأَشعث بعده واستوثقوه إلى المسير ، وبعث إلى المهلب بن أَبي صُفْرَةَ وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار ، فأَبطأَ وأَغفل . وأَرسل اليه محمد بن الأَشعث بكتابه ، فقال المُهلَّب : ما وجد مصعب بريداً غيرك ؟ فقال : ما أَنا ببريد ، ولكن غلبنا عبيدنا على أَبنائنا وحرمنا ، فأَقبل معه المهلب بالجموع والاموال ، وعسكر مصعب عند الجسر ، فأَرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة سرًّا ليثبط الناس عن المختار ، ويدعو إلى ابن الزبير . وسار على التعبية وبعث في مقدمته عَبَّادَ بن الحُصَيْن الحَبْطِي التَمِيمِي ، وعلى ميمنته عمر بن عبيدالله بن مَعمَر ، وعلى ميسرته المُهلَّب .

وبلغ الخبر المختار فقام في أَصحابه ، وقرّبهم إلى الخروج مع ابن شُمَيْط ، وعسكر مع محمد في أَعفر . وبعث رؤوس الأَرباع الذين كانوا مع ابن الأَشتر مع ابن شميط وأَصحابه فثبتوا وحمل المهلب من الميسرة ، على ابن كامل فثبت ، ثم كرّ المهلب وحمل حملة منكرة ، وصبر ابن كامل قليلًا وانهزموا وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فانهزم وقتل . واستمرّ القتل في الرجالة ، وبعث مصعب عباداً فقتل كل أَسير أَخذه . وتقدّم محمد بن الأَشعث في خيل من أَهل الكوفة ، فلم يدركوا منهزماً إلا قتلوه . ولما فرغ مُصْعَبُ منهم

أَقبل فقطع الفرات من موضع واسِط ، وحملوا الضعفاءَ وأَثقالهم في السفن ، ثم خرجوا إلى نهر الفرات وسار إلى الكوفة . ولما بلغ المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أَصحابه ، وأَنَّ مصعباً أَقبل اليه في البرِّ والبحر سار إلى مجتمع الانهار ، نهر الجزيرة والمسلحين والقادسية ، ونهر يسر . فسكر الفرات فذهب ماؤُه في الانهار .

وبقيت سفن أَهل البَصْرَةِ في الطين فخرجوا إلى السكر وأَزالوه ، وقصدوا الكوفة . وسار المختار ونزل حروراءَ بعد أَن حصن القصر وأَدخل عدة الحصار ، وأَقبل مصعب وعلى ميمنته المهلب ، وعلى ميسرته عُمَرُ بن عبيدالله ، وعلى الخيل عَبَّادُ بن الحُصَيْن ، وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهَمْداني ، وعلى الخيل عمر بن عبيدالله النهدي . ونزل محمد بن الأَشعث فيمن هرب من أَهل الكوفة بين العسكرين .

ولما التقى الجمعان اقتتلوا ساعة ، وحمل عبدالله بن جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميّ على من بازائه ، فحطم أَصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوهم ، وحمل مالك بن عمر النَهْدِيّ في الرجالة عند المساءِ على ابن الأَشعث حملة منكرة ، فقتل ابن الأَشعث وعامة أَصحابه . وقتل عبيدالله بن علي بن أَبي طالب وقاتل المختار . ثم افترق الناس ودخل القصر وسار مصعب من الغد فنزل السَبْخَةَ وقطع

عنهم الميرة . وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية ، ففطن مُصْعَبُ لذلك فمنعه ، وأصابهم العطش فكانوا يصبون العسل في الآبار ويشربون .

ثم ان المختار أشار على أصحابه بالاستماتة فَتَحَنَّط وتَطَيَّب ، وخرج في عشرين رجلًا : منهم السائب بن مَسْلَك الأَشْعَرِي فعذله . فقال : ويحك يا أحمق ، وثب ابن الزبير بالحجاز ، ووثب بجدة باليمامة ، وابن مروان بالشام فكنت كأحدهم الا أني طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عقد العرب ، فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نيَّة . ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بني حنيفة أخوين طَرْفَةَ وَطَرَّافَ ابني عبدالله بن دَجَاجَة . وكان عبدالله بن جُعدَةَ بن هُبَيرَةَ لما رأى عزم المختار على الاستماتة تدلى من القصر ، واختفى عند بعض إخوانه ، ثم بعث الذين بقوا بالقصر إلى مصعب ، ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين . وأشار عليه المهلب باستبقائهم ، فاعترضه أشراف أهل الكوفة ، ورجع إلى رأيهم. ثم أمر بكف المختار بن أبي عبيد فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد فلم ينزعها من هنالك إلا الحجاج . وقتل زوجة عمرة بنت النعمان بن بشير زعمت أن المختار [1] فاستأذن أخاه عبدالله وقتلها .

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٦: «وقالت عمرة: رحمه الله كان عبداً لله صالحاً فحبسها مصعب وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي فأمر بقتلها، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة».

ثم كتب مصعب إلى ابراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ، ووعده بولاية أعنة الخيل وما غلب عليه من المغربة . وكتب اليه عبد الملك بولاية العراق ، واختلف عليه أصحابه فجنح إلى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشراف أهل الشام . وكتب إلى مصعب بالاجابة وسار اليه ، فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وارمينيَة وأذربَيْجان الُمهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ . وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة ، وانه بعث على مقدّمته أحمد بن شُمَيْط ، وبعث مُصْعَب عَبَّاداً الحَبْطِيّ ومعه عبيدالله بن علي بن أبي طالب ، وتراضوا ليلًا ، فناجزهم المختار من ليلته . وانكشف أصحاب مصعب إلى عسكرهم واشتدّ القتال ، وقتل من أصحاب مصعب جماعة ، منهم محمد بن الأشعث .

فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا في أصحاب مصعب وليس عنده أحد ، فانصرف ودخل قصر الكوفة وفقد أصحابه فلحقوا به ، ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم . وأقبل مصعب فحاصرهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل ، وطلب الذين في القصر الأمان من مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعاً ، وكانوا ستة آلاف رجل . ولما ملك مصعب الكوفة بعث عبدالله بن الزبير ابنه حمزة على البصرة مكان مصعب ، فأساء السيرة وقصر بالاشراف ففزعوا إلى مالك بن مُسْمِع ، فخرج إلى

الجسر وبعث إلى حمزة أن ألحق بأبيك . وكتب الأحنف إلى أبيه أن يعزله عنهم ويعيد لهم مصعباً ففعل .

وخرج حمزة بالاموال فعرض له مالك بن مسمع وقال : لا ندعك تخرج باعطياتنا ، فضمن له عُمَرَ بن عُبَيْدِالله العطاءَ فكف عنه . وقيل : ان عبيدالله بن الزبير انما ردّ مُصْعباً إلى البصرة عند وفادته عليه بعد سنة من قتل المختار . ولما ردّه إلى البصرة استعمل عمر بن عبيدالله بن معمر علـى فارس ، وولاه حرب الأَزَارِقَةِ . وكان المهلب على حربهم أيام مصعب وحمزة ، فلما ردَّ مصعباً أراد أن يولي المهلب الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك ، فاستقدمه واستخلف عـلى عمله المغيرة . فلما قدم البصرة عزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس ، واستعمل عليها عمر بن عبيدالله بن معمر فكان له في حروبهم ما نذكره في أخبار الخوارج .

خلاف عمر بن سعيد الأشدق ومقتله

كان عبد الملك بعد رجوعه من قنسرين أقام بدمشق زماناً ، ثم سار لقتال زفر [1] بن الحرث الكلابي بقرقيسيا ، واستخلف على دمشق عبد الرحمن بن أُم الحكم الثَقَفِي ابن أُخته وسار معه

(١) لعله زفر بن الحارث وهو الذي أشار إليه الأخطل في قصيدته بمدح بني أمية:
بني أمية إني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

عُمَرُ بن سعيد . فلما بلغ بطنان انتقص [١] عمر وأسرى ليلًا إلى دمشق ، وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمر وهدم داره ، واجتمع اليه الناس فخطبهم ووعدهم . وجاءَ عبد الملك على اثره فحاصره بدمشق ، ووقع بينهما القتال أياماً . ثم اصطلحا وكتب بينهما كتاباً ، وأَمَّنه عبد الملك فخرج اليه عمرو ودخل عبد الملك دمشق ، فأقام أربعة أيام . ثم بعث إلى عمر ليأتيه ، فقال له عبدالله بن يزيد ابن معاوية وهو صهره وكان عنده : لا تأتيه [٢] فاني أخشى عليك منه . فقال : والله لو كنت نائماً ما أيقظني . ووعد الرسول بالرواح اليه ثم أتى بالعشي ولبس درعه تحت القباء ، ومضى في مائة من مواليه ، وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان ، وحسان بن نجد الكلبي ، وقَبِيْصَةَ بن ذُوَيْبٍ الخُزَاعي وأذن لعمر فدخل .

ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه إلا غلام واحد . ونظر إلى عبد الملك والجماعة حوله فأحسّ بالشر . وقال للغلام انطلق إلى أخي يحيى وقل له يأتيني ، فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيبه الغلام لبيك ، وهو لا يفهم . فقال له اغرب عني . ثم أذن عبد الملك لحسان وقبيصة فلقيا عمر ، ودخل فأجلسه معه على السرير ، وحادثه زمناً . ثم أمر بنزع السيف عنه . فأنكر ذلك عمر وقال : اتق الله يا أمير المؤمنين ! فقال له عبد

(١) كذا. ولعلها انتقض بالضاد.
(٢) كذا. ولعلها لا تأته.

الملك : أتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك؟ فأخذ عنه السيف ، ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حين خلعتني حلفت يمين ان أنا رأيتك بحيث أقدر عليك ان أجعلك في جامعة ، فقال بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم ! وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ؟ فقال بنو مروان أبرّ قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية ، فقال عمر قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين .

فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاماً فجمعه فيها ، وسأله أن لا يخرجه على رؤوس الناس . فقال أمكراً عند الموت ؟ ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ثم سأل الابقاء . فقال عبد الملك : والله لو علمت أنك تبقى ان أبقيت عليك وتصلح قريش لابقيتك ، ولكن لا يجتمع رجلان مثلنا في بلد . فشتمه عمر ، وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله . فلما قام اليه بالسيف ذكره الرحم ، فأمسك عنه وجلس . ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الابواب ، فغلظ لعبد العزيز ثم تناول عُمَرَ فذبحه بيده ، وقيل أمر غلامه ابن الزغير فقتله .

وافتقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج إلى الصلاة . فأقبل أخوه يحيى في أصحابه وعبيده وكانوا ألفاً ، ومعه حميد بن الحرث وحُرَيْثٌ وزُهَيْرٌ بن الأَبْرَدِ فهتفوا باسمه ، ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف ، وخرج الوليد بن عبد الملك واقتتلوا ساعة . ثم خرج عبد الرحمن ابن أم الحكم الثَقَفِيّ بالرأس فألقاه

إلى الناس ، وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بدر الأموال فانتهبوها وافترقوا . ثم خرج عبد الملك إلى الناس وسأل عن الوليد فأُخبر بجراحته ، وأتي بيحيى بن سعيد وأخيه عَنْبَسَةَ فحبسهما وحبس بني عمر بن سعيد ، ثم أخرجهم جميعاً وألحقهم بمصعب ، حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأمّنهم ووصلهم .

وكان بنو عمر أربعةٌ : أُمَيَّةَ وسَعْد واسماعيل ومحمد . ولما حضروا عنده قال أنتم أهل بيت ترون لكم على جميع قومكم فضلًا لن يجعله الله لكم ، والذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قديماً في أنفس أوّليكم على أوّلينا في الجاهلية . فقال سعيد : يا أمير المؤمنين ! تعدّ علينا أمراً كان في الجاهلية ، والاسلام قد هدم ذلك ، ووعد جنة وحذر ناراً . وأمّا عمر فهو ابن عمك وقد وصل إلى الله وأنت أعلم بما صنعت ، وان أحدثنا به فبطن الارض خير لنا من ظهرها . فرق لهم عبد الملك وقال أبوكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله واخترت قتله على قتلتي ، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم واحسن حالتهم . وقيل انّ عمر انما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب ، طلبه أن يجعل له العهد بعده كما فعل أبوه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق فعصى وامتنع بها ، وكان قتله سنة تسع وستين .

مسير عبد الملك الى العراق ومقتل مصعب

ولما صفا الشام لعبد الملك اعتزم على غزو العراق ، وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه ، فاستمهله أصحابه فأبى . وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيرُه ، فأرسل إلى المُهَلَّب بن أَبي صُفْرَةَ وهو بفارس في قتال الخوارج يستشيره . وقد كان عزل عمر بن عُبَيْدِالله ابن مَعْمَرَ عن فارس وحرب الخوارج ، وولى مكانه المهَلب ، وذلك حين استخلف على الكوفة . وجاءَ خالد بن عبيدالله بن خالد بن أُسَيْد على البصرة مختفياً ، واعيد لعبد الملك عند مالك بن مسمع في بكر بن وائل والازد ، وأمد عبد الملك بعبيدالله بن زياد بن ضَبْيَان وحاربهم عمر بن عبيدالله بن معمر ، ثم صالحهم على ان يخرجوا خالداً فأخرجوه .

وجاءَ مصعب وقد طمع أَن يدرك خالداً فوجده قد خرج ، فسخط على ابن معمر وسب أَصحابه وضربهم وهدم دورهم وحلقهم ، وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها . وعزل بن معمر عن فارس وولى المُهلَّب وخرج إلى الكوفة . فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك ، وكان معه الاحنف فتوفي بالكوفة . ولما بعث عن المهلب ليسير معه أَهل البصرة إلا أَن يكون المهلب على قتال الخوارج ردّه وقال له المهلب : إنَّ أَهل العراق قد كاتبوا عبد الملك ، وكاتبهم فلا يتعدى .

ثم بعث مصعب عن ابراهيم بن الأَشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله في مقدمته وسار حتى عسكر في معسكره ، وسار عبد الملك وعلى مقدمته أَخوه محمد بن مروان ، وخالد بن عبيدالله ابن خالد بن أَسيد ، فنزلوا قريباً من قرقيسيا . وحضر زُفَرُ بن الحرث الكلابي ، ثم صالحه . وبعث زفر معه الهُذَيْل ابنه في عسكر وسار معه فنزل بمسكن قريباً من مسكن مصعب ، وفرّ الهذيل بن زفر فلحق بمصعب . وكتب عبد الملك إلى أَهل العراق وكتبوا اليه وكلهم بشرط أَصفهان ، وأَتى بن الأَشتر بكتاب مختوماً إلى مصعب فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فأَخبره مصعب بما فيه ، وقال مثل هذا لا يرغب عنه . فقال ابراهيم : ما كنت لأَتَقَلَّدَ الغدر والخيانة . ولقد كتب عبد الملك لاصحابك كلهم[١] مثل هذا فأَطعني واقتلهم أَو احبسهم في أَضيق محبس ، فأَبى عليه مصعب وأَضمر أَهل العراق الغدر بمصعب . وعذلهم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أَهل الشام فأَعرضوا عنه .

ولما تداني العسكران بعث عبد الملك إلى مصعب يقول ، فقال : تجعل الأمر شورى . فقال مُصْعَبُ ليس بيننا إلا السيف . فقدم عبد الملك أَخاه محمداً ، وقدم مصعب ابراهيم بن الأَشتر وأَمدّه بالجيش فأَزال محمداً عن موقفه ، وأَمدّه عبد الملك بعبيدالله بن يزيد ، فاشتد القتال ، وقتل من أَصحاب مصعب بن عمر الباهلي والد قُتَيْبَةَ ،

(١) كذا. ولعلها «وكلهم».

وأمدّ مصعب ابراهيم بعتّاب بن ورقاء ، فساءَ ذلك ابراهيم ونكره . وقال : أوصيته لا يمدني بعتاب وأمثاله . وكان قد بايع لعبد الملك ، فجر الهزيمة على ابراهيم وقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك . وتقدّم أهل الشام ، فقاتل مصعب ودعا رؤوس العراق إلى القتال فاعتذروا وتثاقلوا . فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالامان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه ، فنادى ابنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه في لقائه . فجاءه وبذل له الامان وأخبر أباه فقال : أتظنهم يعرفون لك ذلك ؟ فان أحببت فافعل . قال لا يتحدّث نساءُ قريش اني رغبت بنفسي عنك . قال : فاذهب إلى عمك بمكة فاخبره بصنيع أهل العراق ودعني ، فإني مَقْتُولٌ فقال لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن الحق أنت بالبصرة فانهم على الطاعة ، أو بأمير المؤمنين بمكة . فقال لا يتحدّث قريش اني فررت .

ثم قال لعيسى تقدّم يا بني أحتسبك ، فتقدّم في ناس فقتل وقتلوا . وألح عبد الملك في قبول أمانه فأبى ودخل سرادقه ، فتحفظ ورمى السرادق ، وخرج فقاتل ، ودعاه عبيدالله بن زياد بن ضبيان فشتمه وحمل عليه ، وضربه فجرحه . وخذل أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة أنفس وأثخنته الجراحة ، فرجع اليه عبيد الله ابن زياد بن ضبيان فقتله ، وجاء برأسه إلى عبد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها . وقال : انما قتلته بثأر أخي ، وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته ، وقيل : انّ الذي قتله زائدة بن قَدَامَةَ

الثَّقَفي من أَصحابِ المختار . وأَخذ عبيد الله رأْسه ، وأَمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثِليقِ عند نهر رَحْبِيل . وكان ذلك سنة احدى وسبعين .

ثم دعا عبد الملك جند العراق الى البيعة فبايعوه ، وسار الى الكوفة فأَقام بالنُخَيْلَةِ أَربعين يوماً ، وخطب الناس فوعد المحسن ، وطلب يحيى بن سعيد من جعفَةَ وكانوا أَخواله ، فأَحضروه فأَمنه . وولى أَخاه بشر بن مروان على الكوفة ، ومحمد بن نُمَيْر على هَمْدان ، ويزيد بن ورقاءَ بن رُوَيْم على الري ولم يف لهم باصبهان كما شرطوا عليه ، وكان عبدالله بن يزيد بن أَسد والد خالد القِسْري ، ويحيى ابن معتوق الهمداني قد لجئا إلى علي بن عبدالله بن عباس ، ولجأَ هُذَيْل ابن زُفَرَ بن الحرث ، وعمر بن يزيد الحكَمِي إلى خالد بن يزيد ، فأَمنهم عبد الملك . وصنع عمر بن حُرَيْثَ لعبد الملك طعاماً فأَخبره بالخَوَرْنَق ، وأَذن للناس عامة فدخلوا ، وجاءَ عمر بن حريث فأَجلسه معه على سريره وطعم الناس . ثم طاف مع عُمَرَ بن حُرَيْثَ على القصر يسأَله عن مساكنه ومعالمه ، ولما بلغ عبدالله بن حازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال : أَمعه عمر بن مَعمَرَ قيل : هو على فارس . قال فالمهلب ؟ قيل في قتال الخوارج . قال فَعَبَّاد بن الحسين ؟ قيل على البصرة . قال : وأَنا بخراسان .

خُذِيني فَجُرِّيني جِهاراً وأَنْشِدِي بِلَحمِ امرئٍ لم يَشْهَدِ اليَوْمَ نَاصِرُهْ

ثـم بعث عبد الملك برأس مصعب إلى الكوفة ثم إلى الشام . فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف[١] به فمنعت من ذلك زوجـة عبد الملك عاتِكَةُ بنت يزيد بن معاوية ، فغسلته ودفنته . انتهى قَتْلُ مُصْعَبُ إلى المُهلَّب وهو يحارب الأَزَارِقَةَ ، فبايع الناس لعبد الملك بن مروان . ولما جـاءَ خبر مصعب لعبدالله بن الزبير خطب الناس فقال : الحمد لله الذي له الخَلْقُ والأَمْرُ يُؤتي المُلْكَ من يشاءُ ويَنْزَعُ المُلْكَ ممن يَشاءُ ويُعِزُّ من يَشاءُ ويُذِلُّ من يشاءُ . الا وانـه لم يذل الله من كان الحق معه ، وان كان الناس عليه طرّاً . وقد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب . فالذي أفرحنا منه ان قتله شهادة ، وأمـا الذي أحزننا فانَّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة . ثم عبد من عبيد الله وعون من أعواني ألا وإنَّ أهـل العراق ، أهل الغدر والنفاق ، سلموه وباعوه بأقل الثمن فان [٢] فوالله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص ، والله مـا قتل رجل منهم في الجاهلية ولا في الاسلام . ولا نموت الا طعناً بالرماح وتحت ظلال السيوف ، الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فان تُقْبِل لا آخذها أخذ الأَشِرِ البَطِرِ ، وان تُدْبِرْ لم أَبكِ عليها

---

(١) كذا . ولا نعرف لهذا المصدر وجوداً . ولعلها التطواف إذا كان الفعل طاف .

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٦ : «فإن يقتل فمه ، والله ما نموت على مضاجعنا الخ» .

بكاءَ الضَرِعِ المهين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

ولما بلغ الخبر إلى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن أُبان ، وعبدالله بن أَبي بَكْرَةَ ، واستعان حمدان بعبدالله بن الأَهْتم عليها ، وكانت له منزلة عند بني أُمَيَّة ، فلما تمهد الأَمر بالعراق لعبد الملك بعد مُصْعَب ولَّى على البصرة خالد بن عبدالله بن أُسَيْد ، فاستخلف عليها عبيد الله بن أَبي بكرة ، فقدم على حمدان وعزله حتى جاءَ خالد ثم عزل خالداً سنة ثلاث وسبعين ، وولى مكانه على البصرة أَخاه بِشْراً وجمع له المصْرَيْن ، وسار بشر إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عُمَرَ بن حُرَيْث . وولى عبد الملك على الجزيرة وأَرْمِينِيَةَ بعد قتل مصعب أَخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين ، فغزا الروم ومَزَّقهُم بعد أَن كان هادن ملك الروم أَيام الفتنة على أَلف دينار يدفعها اليه في كل يوم .

امر زفر بن الحرث بقرقيسيا

قد ذكرنا في وقعة راهِط مسير ابن زُفَرَ إلى قرقيسيا ، واجتماع قيس عليه . وأَقام بها يدعو لابن الزبير . ولما ولي عبد الملك كتب إلى أَبَانَ بن عُقْبَةَ بن أَبي مَعِيط ، وهو على حمص بالمسير إلى زُفَر ، فسار وعلى مقدمته عبدالله بن رُمَيْت العَلائي ، فعاجله عبدالله بالحرب ، وقتل من أَصحابه نحو ثلثمائة . ثم أَقبل ابان فواقع زفر ، وقيل ابنه وَكِيع بن زفر ، وأَوهنه . ثم سار اليه عبد الملك إلى قرقيسيا قبل مسيره إلى مُصْعَب ، فحاصره ونصب عليه المجانيق

وقال : كلب لعبد الملك ، لا تخلط معنا القَيْسِيَّة ، فانهم ينهزمون إذا التقينا مع زفر ففعل . واشتدّ حصارهم ، وكان زفر يقاتلهم في كل غداة ، وأمر ابنه الهُذَيل يوماً أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عبد الملك ، ففعل وقطع بعض أَطْنَابِهِ .

ثم بعث عبد الملك أخاه بالامان لزفر وابنه الهذيل على أنفسهما ومن معهما ، وان لهم ما أحبوا . فأَجاب الهذيل وأدخل أباه في ذلك . وقال عبد الملك لنا خير من ابن الزبير ، فأَجاب أَن له الخيار في بيعته سنة . وأَن ينزل حيث شاءَ ، ولا يعين على ابن الزبير . وبينما الرسل تختلف بينهم اذ قيل لعبد الملك قد قدم من المدينة أربعة أبراج ، فترك الصلح وزحف اليهم ، فكشفوا أَصحابه إلى عسكرهم ، ورجع إلى الصلح واستقر بينهم على الامان ووضع الدماءَ والاموال . وان لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عُنُقِهِ ، وان يدفع اليه مال نفسه في أَصحابه . وتأخر زُفَرُ عن لقاءِ عبد الرحمن خوفاً من فعلته بعمر بن سعد . فأَرسل اليه بقضيب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاءَ اليه وأَجلسه عبد الملك معه على سريره . وزوّج ابنه مَسْلَمَةَ الرباب بنت زُفَر . وسار عبد الملك إلى قتال مصعب ، فبعث زفر ابنه الهذيل معه بعسكر ، ولما قارب مصعباً هرب اليه ، وقاتل مع ابن الأَشتر ، حتى إذا اقتتلوا اختفى الهذيل في الكوفة حتى أَمَّنه عبد الملك كما مرّ .

مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها

قد تقدّم لنا خلاف بني تميم على ابن حازم بخراسان وأنهم كانوا على ثلاث فرق ، وكف فرقتين منهم . وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور ، وعليهم بُجَيْرُ[1] بن ورقاءُ الصُرَيمي . فلما قتل مصعب بعث عبد الملك إلى حازم يدعوه إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين ، وبعث الكتاب مع رجل من بني عامر بن صَعْصَعَةَ . فقال ابن حازم : لولا الفتنة بين سليم وعامر ، ولكن كلْ كتابك فأكله . وكان بكير بن وَشَّاح التميمي خليفة ابن حازم على مَرو ، فكتب اليه عبد الملك ، بعهده على خراسان ورغبة بالمطامع أَن انتهى ، فخلع ابن الزبير ودعا إلى عبد الملك ، وأَجابه أَهل مرو . وبلغ ابن حازم فخاف أَن يأْتيه بكير ويجتمع عليه أَهل مرو وأَهل نيسابور ، فترك بُجيراً وارتحل عنه إلى مرو ، ويزيد ابنه يترمّد[2] . فاتبعه بجير ولحقه قريباً من مرو ، واقتتلوا فقتل ابن حازم . طعنه بجير وآخران معه فصرعوه ، وقعد أَحدهم على صدره فقطع رأسه .

وبعث بجير البشير بذلك إلى عبد الملك ، وترك الرأْس ، وجاء بكير بن وشاح في أَهل مرو ، وأَراد انفاذ الرأْس إلى عبد الملك ، وانه الذي قتل ابن حازم ، واقام في ولاية خراسان . وقيل انَّ ذلك انما كان بعد قتل ابن الزبير ، وان عبد الملك أَنفذ

(١) في الكامل لابن الأثير: «بحير بفتح الباء وكسر الحاء».

(٢) رمد الشيئين: جعله في الرماد. وفي المثل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد» أي أحسن ثم أفسد بالمن إحسانه. ومع ذلك فالكلمة هنا غامضة.

رأسه إلى ابن حازم ودعـاه إلى البيعة ، فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى ابن الزبير بالمدينة . وكان من شأنه مع الرسول ومـع بجير وبكير ما ذكرناه .[1]

كان عبد الملك لما بويع بالشام بعث إلى المدينة عُرْوَةَ بن أُنِيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن يسكن بالعَرَصَةِ ولا يدخل المدينة ، وعامِلُ ابن الزُبَيْر يومئذ على المدينة الحَرْثُ بن حاطِب بن الحرث بن مَعْمَر الجَمَحِي ، فهرب الحرث وأقام ابن أنيف شهراً يصلي بالناس الجمعة بالمدينة ويعود إلى معسكره . ثم رجع ابن أنيف إلى الشام ورجع الحرث إلى المدينة . وبعث ابن الزُبَيْر سُلَيْمان بن خَالِدِ الدَوْرَقِي على خَيْبَرَ وفَدكَ . ثم بعث عبد الملك إلى الحجاز عبد الملك ابن الحرث بن الحكم في أربعة آلاف ، فنزل وادي القرى ، وبعث سَرِيَّةً إلى سليمان بخَيْبَرَ ، وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه . وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القَمْقام . وذكر لعبد الملك ذلك فاغتمَّ وقال : قتلوا رجلًا صالحاً بغير ذنب .

ثم عزل ابن الزبير الحرث بن حاطب عن المدينة ، وولى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزُهَرِيّ ، فبعث جابر إلى خيبر أبا بكر ابن أبي قيس في ستمائة ، فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبرا . ثم بعث عبد الملك طارِقَ بن عُمَرَ مولى عثمان ، وأمره أن

(١) هنا بياض بالأصل مقدار سطرين. وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ٢١ :
«فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى أهله بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب وقال: لولا أنك رسول لقتلتك. وقيل: بل قطع يديه ورجليه وقتله».

ينزل بين أيلة ووادى القرى ، ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار ، وليسدّ خللا ، ان ظهر له بالحجاز ، فبعث طارق خيلًا إلى أبي بكير بخيبر واقتتلوا ، فأُصيب أبو بكير في مائتين من أصحابه ، وكتب ابن الزبير إلى القَبَّاع وهو عامله على البصرة يستمدّه ألفي فارس إلى المدينة . فبعثهم القباع وأمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسيرهم إلى قتال طارق ففعل ، ولقيهم طارق فهزمهم وقتل مقدمهم . وقتل من أصحابه خلقاً وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ، ورجع إلى وادي القرى .

ثم عزل ابن الزبير جابراً عن المدينة ، واستعمل طلحة بن عبدالله بن عَوْف ، وهو طلحة النَدَّاءُ وذلك سنة سبعين . فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق . ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة ، وبعث منها الحجاج بن يوسف الثَقَفِي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال ابن الزبير ، وكتب معه بالإمان لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا . فسار في جمادى سنة اثنتين وسبعين ، فلم يتعرّض للمدينة ، ونزل الطائف . وكان يبعث الخيل إلى عرفة ، ويلقاهم هناك خيل ابن الزبير فينهزمون دائماً ، وتعود خيل الحجاج بالظفر . ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرق أصحابه ، ويستأذنه في دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمدّه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجّاج ، فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، وأخرج عنها طلحة النداء عامل

بن الزبير ، وولى مكانه رجلًا من أهل الشام ، وسار ألى الحجاج بمكة في خمسة آلاف .

ولما قدم الحجاج مكة أحرم بحجه ونزل بئر ميمون ، وحج بالناس ولم يطف ولا سعى ، وحصر ابن الزبير عن عرفة فنحر بدنة بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي . ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قُبَيْس ، ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حج تلك السنة ، فبعث إلى الحجاج بالكف عن المنجنيق لاجل الطائفين ففعل ، ونادى منادي الحجاج عند الإِفَاضَةِ انصرِفوا ! فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير ، ورمى بالمنجنيق على الكعبة ، وألحت الصواعق عليهم في يومين ، وقتلت من أصحاب الشام رجالًا فذعروا . فقال لهم الحجاج لا شك فهذه صواعق تَهَامَة وانَّ الفتح قد حضر فأَبشروا .

ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزبير فسري عن أهل الشام ، فكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي ، فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم ، وغلت الاسعار وأصاب الناس مجاعةً شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرسه وقسم لحمها في أصحابه . وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمدّ من الذرة بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوءَةٌ قمحاً وشعيراً وذرةً وتمراً ، ولا ينفق منها إلا ما يمسك الرمق ، يقوي بها نفوس أَصحابه . ثم أَجهدهم الحصار ، وبعث الحجاج إلى أَصحاب ابن الزبير بالامان ، فخرج اليه منهم نحو عشرة آلاف ،

وافترق الناس عنه . وكان ممن فارقه ابناهُ حمزة وحبيب ، وأقام ابنه الزبير حتى قتل معه . وحرّض الناس الحجاج وقال : قد ترون قلة أَصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق ، فتقدموا واملؤا ما بين الحجون والأَبواء .

فدخل ابن الزبير على أُمِّه أَسماءَ وقال يا أُمَّه : قد خذلني الناس حتى ولدي والقوم يعطونني ما أَردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت أَنت أَعلم بنفسك ، إن كنت على حق وتدعوا اليه فامض له ، فقد قتل عليه أَصحابك ، ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها علمين بين بني أُميَّة . وان كنت انما أَردت الدنيا فبئس العبد أَنت ، أَهلكت نفسك ومن قتل معك . وان قلت كنت على حق فلما وهن أَصحابي ضعفت ، فليس هـذا فعل الاحرار ولا أَهل الدين فقال يا أُمَّه أَخاف أَن يمثلوا بي ويصلبوني . فقالت يا بني الشاة اذا ذبحت لا تتـألم بالسلخ ، فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأْسها وقال هذا رأْيي ، والذي خرجت به ، داعياً إلى يومي هذا ، وما ركنت إلى الدنيا ولا أَحببت الحياة وما أَخرجني الا الغضب لله ، وأَن تستحلَّ حرماته ، ولكن أَحببت أَن أَعلم رأْيك فقد زدتيني (١) بصيرة .

وإني يا أُمَّه في يومي هذا مقتول ، فلا يشتدّ حزنك وسلمي لامر الله ، فانَّ ابنك لم يتعمد اتيان منكر ، ولا عمد بفاحشة ولم

(١) كذا بالأصل والأصح : زدتني.

يَجُزْ ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم ، ولم يكن آثر عندي من رضا الله تعالى . اللهمَّ لا أقر هـذا تزكية لنفسي ، لكن تعزية لأمي حتى تسلو عني . فقالت اني لارجو أن يكون عزائي فيك جميلًا ان تقدّمتني احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك . ثم قالت اخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيراً . قال فلا تدعي الدعاءَ لي ، فدعت له وودّعها وودّعته ، ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ! فقال ما لبستها الا لأَشدّ منك . فقالت انه لا يشدّ مني فنزعها وقالت له البس ثيابك مشمرة .

ثم خرج فحمل على أهل الشام حملةً منكرة ، فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه ، وأشار عليه بعضهم بالفرار فقال : بئس الشيخ اذن أنا في الاسلام اذا واقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم . وامتلأت أبواب المسجد بأهل الشام ، والحَجَّاجُ وطارق بناحية الأَبْطَح إلى المَرْوَةِ ، وابن الزبير يحمل على هؤلاءِ وعلى هؤلاءِ وينادي أبا صفوان لعبدالله بن صفوان بن أُمية بن خلف ، فيجيبه من جانب المعترك . ولما رأى الحجاج احجام الناس عن ابن الزبير ، غضب وترجل وحمل إلى صاحب الراية بين يديه . فتقدّم ابن الزبير اليهم وكشفهم عنه ، ورجع فصلى ركعتين عند المقام ، وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب بني شيبة وأخذوا الراية .

ثم قاتلهم وابن مطيع معه حتى قتل ، ويقال أصابته جراحة فمات منها بعد أيام ، ويقال انه قال لاصحابه يوم قتل : يا آل الزبير أوطبتم لي نفساً عن أنفسكم كأهل بيت من العرب اصطلمنا في الله ، فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء في الجرح أشدّ من ألم وقعها ، صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم ، وغضوا أبصاركم عن البَارِقَةِ وليشغل كل امرىءٍ قِرْنَهُ ولا تسألوا عني . ومن كان سائلًا فاني في الرعيل الاول . ثم حمل حتى بلغ الحجون ، فأصابته حجارة في وجهه فأرغش [(١)] لها ودمي وجهه . ثم قاتل قتالًا شديداً وقتل في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد ، وكبر أهل الشام ، وثار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه ، وبعث الحجاج برأسه ورأس عبدالله ابن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك . وصلب جثته مُنَكَّسَةً على ثنية الحجون اليمنى . وبعثت اليه أسماءُ في دفنه فأبى ، وكتب اليه عبد الملك يلومه على ذلك ، فخلى بينها وبينه . ولما قتل عبدالله ركب أخوه عُرْوَةَ وسبق الحجاج إلى عبد الملك ، فرحب به وأجلسه على سريره ، وجرى ذكر عبدالله فقال عروة : انه كان ! فقال عبد الملك وما فعل ؟ قال قتل فخرَّ ساجداً . ثم أخبره عروة ان الحجاج صلبه فاستوهب جثته لأُمِّه . فقال نعم :

(١) كذا. ولعلها: أرغس بالسين. ووجهه مرغوس: طلق. وتأتي وغش بمعنى رغس أحياناً.

وكتب إلى الحجاج ينكر عليه صلبه ، فبعث بجثته إلى أُمه وصلى عليه عروة ودفنه وماتت أُمّه بعده قريباً .

ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل إلى مكة فبايعه أَهلها لعبد الملك ، وأَمر بكنس المسجد من الحجارة والدم ، وسار إلى المدينة وكانت من عمله فأَقام بها شهرين ، وأَساءَ إلى أَهلها وقال : أَنتم قتلة عثمان . وختم أَيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأَهل الذمّة . منهم جابر بن عبدالله ، وأَنس بن مالك ، وسهل بن سعد . ثم عاد إلى مكة ونقلت عنه في ذم المدينة أَقوال قبيحة أَمره فيها إلى الله ، وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أَربع وسبعين ، وان عبد الملك عزل عنها طارقاً واستعمله ، ثم هدم الحجاج بناءَ الكعبة الذي بناه ابن الزبير ، وأَخرج الحجر منه وأَعاده إلى البناءِ الذي أَقرّه عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يصدّق ابن الزبير في الحديث الذي رواه عن عائشة . فلما صح عنده بعد ذلك قال وددت أَني تركته وما تحمل .

ولاية المهلب وحرب الأزارقة

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبدالله عن البصرة ، واستعمل مكانه أَخاه بشر بن مروان وجمع له المصرين ، أَمره أَن يبعث المهلب إلى حرب الأَزارقة فيمن ينتخبه من أَهل البصرة ويتركه وراءَه في الحرب ، وأَن يبعث من أَهل الكوفة رجلًا شريفاً معروفاً بالبأْس والنجدة والتجربة في جيش كثيف إلى المهلب ، فيتبعوا

الخوارج حتى يهلكوهم . فأرسل المهلب جَذِيعْ بن سعيد بن قُبَيْصَةَ ينتخب الناس من الديوان . وشق على بشر انَّ امرأة المهلب جاءت من عند عبد الملك ، فغص به ودعا عبد الرحمن بن مخنف ، فأعلمه منزلته عنده وقال : اني أُوليك جيش الكوفة ، بحرب الازارقة ، فكن عند حسن ظني بك . ثم أخذ يغريه بالمهلب ، وان لا يقبل رأيه ولا مشورته ، فأظهر له الوفاق . وسار الى المهلب فنزلوا رامَهُرْمُزَ ، ولقي بها الخوارج فحدق عليه على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران . ثم أتاهم نعي بشر بن مروان لعشر ليال من مقدمهم ، وانه استخلف على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد ، فافترق الناس من أهل المصرين إلى بلادهم ونزلوا الاهواز وكتب اليهم خالد بن عبدالله يتهددهم ويحذرهم عقوبة عبد الملك ، ان لم يرجعوا إلى المهلب ، فلم يلتفتوا اليه ومضوا إلى الكوفة واستأذنوا عمر بن حريث ، في الدخول ولم يأذن لهم فدخلوا واضربوا عن أذنه .

ولاية أسد بن عبد الله على خراسان

ولما ولي بكير بن وَشَّاح على خراسان اختلف عليه بطون تميم وأقاموا في العصبية له وعليه سنتين ، وخاف أهل خراسان ان تفسد البلاد ويقهرهم العدوّ ، فكتبوا إلى عبد الملك بذلك ، وأنها لا تصلح إلا على رجل من قُرَيْش . واستشار أصحابه فقال له أُمَيَّة بن عبيد الله بن خالد بن أسيد نزكيهم برجل منك . فقال لولا انهزامك عن ابي فديك كنت لها . فاعتذر وحلف ان

الناس خذلوه ولم يجد مقاتلًا ، فانحزت بالعصبة التي بقيت من المسلمين عن الهلكة ، وقد كتب اليك خالد بن عبدالله بعذري ، وقد علمه الناس فولاه خراسان .

ولما سمع بكير بن وَشَّاح بمسيره بعث إلى بُجَيْر بن ورقاء وهو في حبسه كما مرّ ، فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل . وصالح بكيراً وبعث اليه بكير بأربعين ألفاً على أن لا يقاتله . فلما قارب أُمية نيسابور سار اليه بجير وعرفه عن أمور خُراسان وما يحسن به طاعة أهلها . وحذره غدر بكير . وجاءَ معه إلى مرو فلم يعرض أُمية لبكير ولا لعماله وعرض عليــه شرطته فأبى . وقــال لا أحمل الجزية اليوم ، وقــد كانت تحمل إلي بالأمس وأراد أن يوليه بعض النواحي من خراسان ، فحذره بجير منه . ثم ولى أُمية ابنه عبدالله على سجستان فنزل بَسْتًا وغزا رَتْبيل الذي ملك على الترك بعد المقتول الأوّل ، وكان هائباً للمسلمين فراسلهم في الصلح وبعث ألف ألف ، وبعث بهدايا ورقيق . فأبى عبدالله من قبولها وطلب الزيادة فجلا رتبيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبدالله . ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سأل منه الصلح وان يخلي عينه عن المسلمين ، فشرط رتبيل عليه ثلثمائة ألف درهم ، والعهد بأن لا يغزو بلادهم . فأعطاه ذلك وبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله .

ولاية الحجاج العراق

ثم ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمسة وسبعين ، وأرسل اليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير إلى العراق ، فسار على النجب في اثني عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان . وقــد كان بِشْرُ بعث المُهَلَّبَ إلى الخوارج ، فدخل المسجد وصعد المنبر وقال : عليَّ بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهموا به ، حتى تناول عُمَيْرُ بن ضابي البَرجُمي الحصباءَ وأراد أن يحصبه ، فلما تكلم جعل الحصباءَ يسقط من يديه وهو لا يشعر به .

ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة . ذكرها الناس وأحسن من أوردها المُبَرِّدُ في الكامل ، يتهدّد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلف عن المهلب . ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاءِ واللحاق بالمهلب ، فقام اليه عمير ابن ضابي وقال : أنا شيخ كبير عليل وابني هذا أشد مني . فقال هذا خير لنا منك . قال ومن أنت ؟ قال : عمير بن ضابي . قال الذي غزا عثمان في داره ؟ قال نعم . فقال يا عدوّ الله (١) إلى عثمان بدلًا قال انه حبس أبي وكان شيخاً كبيراً . فقال : اني لا أُحب حياتك ، إنَّ في قتلك صلاح المصرين ، وأمر به فقتل

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ٣٥ : «قال : يـا عدو الله أفـلا إلى عثمان بعثت بـدلاً وما حملك على ذلك؟».

ونهب ماله . وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص هو الذي أغرى به الحجاج حين دخل عليه .

ثم أمر الحجاج مناديه فنادى ألا إنّ ابن ضابي تخلف بعد ثالثة من النداءِ فأمرنا بقتله ، وذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب . فتساءل الناس إلى المهلب وهو بدار هُرْمُز وجاءه العرفاءُ فأخذوا كتبه بموافاة العسكر . ثم بعث الحجاج على البصرة الحكم ابن أيوب الثقفي وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله ، وبلغه الخبر فقسم في أهل البصرة ألف ألف ، وخرج عنها . ويقال ان الحجاج أوّل من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل ، قال الشعبي كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلي تنزع عمامته ويقام بين الناس ، فلما وليَ مُصْعَبُ أضاف اليه حلق الرؤوس واللحى ، فلما وليَ بشر أضاف اليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق المسماران يده وربما مات . فلما جاءَ الحجاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الثغر أو البعث القتل . ثم ولّى الحجاج على السِنْد سعيد بن أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ ، فخرج عليه معاوية بن الحرثِ الكلابي العلافي وأخوه ، فغلباه على البلاد وقتلاه . فأرسل الحجاج مجاعَةَ بن سعيد التميمي مكانه فغلب على الثغر وغزا وفتح فتوحات بمكران لسنة من ولايته .

وثوب أهل البصرة بالحجاج

ثم خرج الحجاج من الكوفة ، واستخلف عليها عُرْوَةَ بن

المُغيرة بن شعبة ، وسار إلى البصرة وقدمها وخطب كما خطب بالكوفة ، وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد ، فأتاه شريك بن عمرو السُّكَّري وكان به فتق ، فاعتذر به وبأنَّ بشر بن مروان قبل عذره بذلك ، وأحضر عطاءه ليرد لبيت المال ، فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحمين إلى المهلب ، ثم سار حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً . وأقام يشدّ ظهره وقال يا أهل المصرين ! هذا والله مكانكم حتى يُهْلِكَ الله الخوارج . ثم قطع لهم الزيادة التي زادها مصعب في الاعطية ، وكانت مائة مائة . وقال : لسنا نجيزها . فقال عبدالله بن الجارود انما هي زيادة عبد الملك ، وقد أجازها أخوه بشر بأمره ، فانتهره الحجاج فقال : اني لك ناصح وانه قول من ورائي فمكث الحجاج أشهراً لا يذكر الزيادة ، ثم أعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل الردّ الأول .

فقال له مَصْقَلَةُ بن كَرِبٍ العَبْدِي سمعاً وطاعة للامير فيما أحببنا وكرهنا وليس لنا أن نرد عليه . فانتهره ابن الجارود وشتمه ، وأتى الوجوه إلى عبدالله بن حكيم بن زياد المُجَاشعيّ وقالوا : ان هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة ، وانا نبايعك على اخراجه من العراق ، ونكتب إلى عبد الملك أن يولي علينا غيره وإلا خلعناه ، وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق ، فبايعوه سرًّا وتعاهدوا وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط وجدّ . ثم خرجوا في ربيع سنة ست وسبعين ، وركب عبدالله بن الجارود في عبد قيس على راياتهم ،

ولم يبق مع الحجاج إلا خاصته وأهل بيته ، وبعث الحجاج يستدعيه فأفحش في القول لرسوله ، وصرح بخلع الحجاج فقال له الرسول : تهلك قومك وعشيرتك . وأبلغه تهديد الحجاج إياه فضرب واخرج ، وقال لولا أنك رسول لقتلتك .

ثم زحف ابن الجارود في الناس حتى غشي فسطاطه ، فنهبوا ما فيه من المتاع وأخذوا زجاجته وانصرفوا عنها . فكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه . وقال الغَضْبانُ بن أَبي القَبَعْثَري الشَيْبَانيّ لابن الجارود : لا ترجع عنه وحرضه على معالجته . فقال إلى الغداة ، وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد بن عمر العتكي صاحب الشرطة بالبصرة ، فاستشارهما ، فأشار زياد بأن يستأمن القوم ويلحق بأمير المؤمنين . وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت . وقال لا تخرج إلى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقاك إلى ما رقاك ، وفعلت ما فعلت بابن الزبير في الحجاز . فقبل رأي عثمان وحقد على زياد في إشارته ، وجاءه عامر بن مسمع يقول : قد أخذ لك الامان من الناس ، فجعل الحجاج يغالطه رافعاً صوته عليه ليسمع الناس ويقول : والله لا آمنهم حتى تؤتوني بالهُذَيْل بن عُمران وعبدالله ابن حكيم ثم أرسل إلى عبيد بن كعب الفِهْرِي ان ائتني فامنعني . فقال له ان أتيتني منعتك فأبى ، وبعث إلى محمد بن عُمير بن عطَارِد وعبدالله بن حكيم بمثل ذلك ، وأجابوه مثله .

ثم انَّ عباد بن الحُصَيْن الجَفْطِيّ مرَّ بابن الجارود والهُذَيْل وعبد الله

ابن حكيم يتناجون ، فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار إلى الحجاج ، وجاءه قتيبة بن مسلم في بني أَعْصُرَ للحَمِيَّةِ القُتَيْبِيَّةِ . ثم جاءه سَبْرَةَ بن عليٍّ الكلابيّ وسعيد بن أسلم الكلابي وجعفر بن عبد الرحمن بن مُخْنِفَ الأزدي ، فثابت اليه نفسه وعلم أنه قد امتنع. وأرسل اليه مُسْمِعُ بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت عنك ، فأجابه أن أقم ، فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف . وقال ابن الجارود لعبدالله بن زياد بن ضبيان ما الرأي ؟ قال تركته أمس ولم يبق إلا الصبر .

ثم تراجعوا وعبى ابن الجارود وأصحابه على ميمنة الهُذَيْل وعلى مَيْسَرَتِهِ سعيد بن أسلم ، وحمل ابن الجارود حتى حاصر أصحاب الحجاج ، وعطف الحجاج عليه فقارب ابن الجارود ان يظفر . ثم أصابه سهم غَرِبٌ فوقع ميتاً . ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وابن الحكيم ، وأمر أن لا يتبع المنهزمين ، ولحق ابن ضبيان بعمارة فهلك هنالك . وبعث الحجاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه إلى الملك ، ونصبت ليراها الخوارج ليتبأسوا من الاختلاف ، وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير لامتناعهما من الاتيان اليه ، وحبس ابن القبعثرى لتحريضه عليه ، فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك . فقال الحجاج لا أرى أنساً يعين علي . ودخل البصرة وأخذ ماله . وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش

في شتمه ، وكتب أنس إلى عبد الملك يشكوه . فكتب عبد الملك إلى الحجاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد على ما فعل بأنس ، وأن[1] تجيء إلى منزله وتتنصل اليه ، والا نبعث من يضرب ظهرك ويهتك سترك . قالوا : وجعل الحجاج في قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عرَقاً . ثم جاءَ إلى أَنس بن مالك واعتذر اليه ، وفي عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة ، وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير ، وأفسدوا الثمار والزروع ، ثم جمع لهم خالد بن عبدالله فافترقوا قبل أن ينال منهم ، وقتل بعضهم وصلبه . فلما كانت هـذه الواقعة قدموا عليهم رجلاً منهم اسمه رياح ويلقب بشير زنجي أي أسد الزنج وافسدوا . فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد ابن عمر صاحب الشرطة أن يبعث اليهم من يقاتلهم ، وبعث ابنه حفصاً في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشاً فهزم الزنج وأبادهم .

مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج

كان المُهَلَّبُ وعبد الرحمن بن مُخْنِفَ واقفين للخوارج بِرَامَهُرْمُز فلما أمدّهم الحجاج بالعساكر من الكوفة والبصرة ، تأخر الخوارج من رامهرمز إلى كازِرُونَ وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم ، وخندق المهلب على نفسه ، وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنـا سيوفنا ،

(١) في العبارة قلق. فبينما تتحدث عن موقف عبد الملك من الحجاج؛ وإذا هي تصبح مخاطبة له.

فبيتهم الخوارج وأصابوا الغِرَّةَ في ابن مخنف ، فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا ، هكذا حديث أهل البصرة . وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا الخوارج اشتدّ القتال بينهم ، ومال الخوارج على المهلب فاضطروه إلى معسكره ، وأمدّه عبد الرحمن بالخيل والرجال .

ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المهلب ، وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه ، وصبر في سبعين من قومه فثابوا إلى عتاب ابن ورقاء ، وقد أمره الحجاج أن يسمع للمهلب فثقل ذلك عليه ، فلم يحسن بينهما العشرة ، وكان يتراءف في الكلام ، وربما أغلظ له المهلب . فأرسل عتاب إلى الحجاج يسأله القعود ، وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه ، فصادفا منه ذلك مرقعاً(١) ، واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب ، فولى المهلب عليهم ابنه حبيباً وأقام يقاتلهم بنيسابور نحواً من سنة ، وتحرّكت الخوارج على الحجاج من لدن سنة ست وسبعين إلى سنة ثمان وشغل بحربهم ، وأوّل من خرج منهم صالح بن سَرْحٍ من بني تميم . بعث اليه العساكر فقتل ، فولوا عليهم شبيباً واتبعه كُثيرٌ من بني شيبان ، وبعث اليهم الحجاج العساكر مع الحرث بن عُمَيْرَة ، ثم مع سفيان الخَثْعَمِيّ ، ثم انحدر ابن سعيد فهزموها ، وأقبل شبيب إلى الكوفة ، فحاربهم الحجاج وامتنع ، ثم سرح عليه

(١) كذا. والتعبير بوضعه الحالي غير مفهوم. ولعله: وصادف منه ذلك موقعاً.

العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزموهم. ثم بعث عتاب بن ورقاء، وزهرة بن حَوْبَةَ مدداً لهم، فانهزموا وقتل عتاب وزهرة، ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم، وقتل منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم.

ضرب السكة الاسلامية

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه إلى الروم: قل هو الله أحد، وذكر النبي مع التاريخ، فنكر ذلك ملك الروم وقال: اتركوه والا ذكرنا نبيكم في دنانيرنا بما تكرهونه. فعظم ذلك عليه واستشار الناس، فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنانيرهم ففعل. ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد. فكره الناس ذلك لانه قد يمسها غير الطاهر، ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش. وزاد ابن هُبَيْرَةَ أيام يزيد بن عبد الملك عليه. ثم زاد خالدٌ القِسْرِيِّ عليهم في ذلك أيام هشام. ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار، وضرب عليه فكانت الهُبَيْرِيَّةُ والخالِدِيَّةُ واليوسفيَّةُ أجود نقود بني أُمية. ثم أمر المنصور ان لا يقبل في الخراج غيرها وسميت النقود الاولى مكروهة اما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجاج وكرهه. وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر، فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطاً، واثني عشر، وعشرة قراريط

وهي أنصاف المثاقيل . فجمعوا قراريط الانصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين ، فجعلوا ثلثها وهو اثنا عشر قيراطاً وزن الدرهم العربي ، فكانت كل عشرة دراهم تزن سبعة مثاقيل . وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبدالله ، والاصح أن عبد الملك أول من ضرب السكة في الاسلام .

مقتل بكير بن وشاح بخراسان

قد تقدم لنا عزل بكير عن خُراسان ، وولاية أُميه بن عُبَيْدِالله ابن خالد بن أُسَيد سنة أربع وسبعين ، وأن بكيراً أقام في سلطان أُمية بخراسان ، وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان فلا يجيب ، وأنه ولاه طَخَارَسْتان ، وتجهز لها فيه بُجَيْرُ ابن ورقاء فمنعه ، ثم أمره بالتجهز لغزو ما وراء النهر ، فحذره منه بجير ، فردّه فغضب بكير . ثم تجهز أُمية لغزو غارا وموسى بن عبدالله بن حازم لِتَرْمُذ ، واستخلف ابنه على خراسان . فلما أراد قطع النهر قال لبكير ارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتكها ، وقم بأمر ابن حازم فاني أخشى أن لا يضبطها . فانتخب من وثق به من أصحابه ورجع ، وأشار عليه صاحبه عَتَّابُ بأن يحرق السفن ويرجع إلى مرو فيخلع أُمية ، ووافقه الاحنف بن عبدالله العَنْبَرِيّ على ذلك . فقال لهم بكير : أخشى على من معي . قالوا نأْتيك من أهل مرو بمن تشاء ، قال يهلك المسلمون . قال ناد في الناس برفع الخراج فيكونون معك . قال فيهلك أُمية وأصحابه . قال لهم

عِدَدٌ وعَدَدٌ يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين ، فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو ، فخلع أُمية وحبس ابنه . وبلغ الخبر أُمية فصالح أَهل الشام بُخَارى ، ورجع وأَمر باتخاذ السفن وعبر ، وجاءه موسى بن عبدالله بن حازم من (١) مدداً له ، وبعث شماس بن ورقاءَ في ثمانمائة في مقدمته فبيته بكير وهزمه ، فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه . ثم التقى أُمية وبكير فاقتتلوا أياماً ، ثم انهزم بكير إلى مرو ، وحاصره أُمية أياماً حتى سأَل الصلح على ولايــة ما شاءَ من خراسان ، وأَن يقضي عنه أَربعمائة أَلف دينه ، ويصل أَصحابه ولا يقبل فيه سعاية بُجَيْر ، فتمّ الصلح ودخل أُمية مدينة مرو ، وأَعاد بكيراً إلى ما كان عليه من الكرامة وأَعطى عتاب العدابي عشرين أَلفاً ، وعزل بُجَيْر عن شرطته بعطــا بن أَبي السائب . وقيل ان بكيراً لم يصحب أُمية إلى النهر ، وانما استخلفه على مرو ، فلما عبر أُمية النهر خلع وفعل ما فعل . ثم ان بجيراً سعى بأُمية بأَن بكيراً دعاه إلى الخلاف ، وشهد عليه جماعة من أَصحابه ، وأَن معه ابني أَخيه . فقبض عليه أُمية وقتله ، وقتل معه ابني أَخيه ، وذلك سنة سبع وسبعين . ثم عبر النهر لغزو بلخ ، فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأَشرفوا عــلى الهلاك ثم نجوا ورجعوا إلى مرو .

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٧٠ «وأتاه موسى بن عبد الله بن خازم، وأرسل أمية شماس بن دثار في ثمانمائة وسار إليه بكير فبيته وهزمه».

مقتل بجير بن زياد

ولما قُتِلَ بَكِيرُ بسعاية بُجَيْرُ بن وَرْقَاءَ تعاقد بنو سَعْدِ بن عَوْفٍ من تميم وهم عشيرته على الطلب بدمه ، وخرج فتى منهم من البادية اسمه شَمَرْدَل ، وقدم خراسان ووقف يوماً على بُجَيْرٍ فطعنه فصرعه ولم يمت ، وقتل شمردل وجاءَ مكانه صَعْصَعَةُ بن حَرْبٍ العوفي ، ومضى إلى سِجِسْتان وجاور قرابة بجير مدّة . وانتسب إلى حَنَفِيَّةَ ثم قال لهم ان لي بخراسان ميراثاً فاكتبوا إلى بجير يعينني ، فكتبوا له وجاءَ اليه وأَخبره بنسبه وميراثه ، وأَقام عنده شهراً يحضر باب المُهَلَّب وقد أَنس به وأَمن غائلته ، وجاءَ صعصعة يوماً وهو عند المهلب في قميص ورداء ، ودنا ليكلمه فطعنه ومات من الغد . وقال صعصعة فمنعته مُقاعِسُ وقالوا أَخذ بثأْره ، فحمل المهلب دم صعصعة وجعل دم بجير ببكير . وقيل انَّ المهلب بعثه إلى بجير فقتله والله أَعلم وكان ذلك سنة احدى وثمانين .

ولاية الحجاج على خراسان وسجستان

وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أُمية بن عبدالله عن خراسان وسجستان ، وضمهما إلى الحجاج بن يوسف . فبعث المهلب ابن أَبي صُفْرَةَ على خراسان ، وقد كان فرغ من حرب الازارقة ، فاستدعاه وأَجلسه معه على السرير ، وأَحسن إلى أَهل البـــلاد من أَصحابه وزادهم ، وبعث عُبَيْدَ الله بن أَبي بكرة على سِجِسْتان . فأَما المهلب فقدم ابنه حبيباً إلى خراسان فلم يعرض لامية ولا

لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولايته ، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربيّ وما وراءَ النهر ، وعلى مقدمته أبو الادهم الزِمَّانيّ في ثلاثة آلاف ، فنزل على كَشٍّ وَجاءَه ابن عمر الخَتْن يستنجده على ابن عمه ، فبعث معه ابنه يزيد . فبيت ابن العم عساكر الختن وقتل الملك ، وجاءَه صَرٌّ يريد قلعتهم حتى صالحوا بما رضي ، ورجع ، وبعث المهلب ابنه حبيباً في أَربعة آلاف ، ووافى صاحب بُخاري في أَربعين أَلفاً . وكبس بعضهم جنده في قرية فقتلهم وأَحرقها ورجع إلى أَبيه .

وأَقام المهلب يحاصر كش سنتين حتى صالحوه على فِدْيَةٍ .

وأَما عبدالله بن أَبي بكرة فأَقام بسجستان ورَتْبِيل على صلحه يؤدي الخراج . ثم امتنع فأَمر الحجاج ابن أَبي بكرة فغزوه واستباحوا بلاده ، فسار في أَهل المصرين وعلى أَهل الكوفة شُرَيْحُ بن هانىء من أَصحاب علي ، فدخل بلاد رتبيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً من مدينتهم ، وأَثخن واستباح وخرّب القرى والحصون . ثم أَخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهَلَكَةَ ، فصالحهم عبيد الله على الخروج من أَرضهم ، على أن يعطيهم سبعمائة أَلف درهم . ونكر ذلك عليه شريح وأَبى إلا القتال ، وحرَّض الناس ورجع : وقتل حين قتل بناس من أَصحابه ونجا الباقون ، وخرجوا من بلاد رتبيل ، ولقيهم الناس بالأَطعمة فكانوا يموتون إذا شبعوا . فجعلوا يطعمونهم السمن قليلًا قليلًا حتى استمرّوا

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في غزو بلاد رتبيل فأذن له ، فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة ، واختار أهل الغنى والشجاعة ، وأزاح عللهم وأنفق فيهم ألفي ألف سوي أُعْطِيَاتِهِم ، وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل . وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأَشْعَثِ ، وكان يبغضه ويقول أُريد قتله . ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أُزيله عن سلطانه ، فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه اسماعيل للحجاج وقال : لا تبعثه فاني أخشى خلافه . فقال هو أهيب لي من أن يخالف أمري . وسار عبد الرحمن في الجيش وقدم سجستان واستنفرهم ، وحذر العقوبة لمن يتعدّى . وساروا جميعاً إلى بلاد رتبيل ، وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيئاً فشيئاً . وبعث عماله عليها ورجع المصالح بالنواحي والأرصاد على العقاب والشعاب ، وامتلأت أيدي الناس من الغنائم ، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل ، وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا . وهو أن الحجاج كان قد أنزل هَمْيَانَ بن عَدِيٍّ السِدِّي مسلحة بكرمان ان احتاج اليه عامل السِند وسِجِسْتَان ، فمضى هِمْيَانُ فبعث الحجاج عبد الرحمن ابن الأشعث فهزمه . وقام بموضعه . ثم مات عبدالله بن أبي بكرة فولاه الحجاج مكانه ، وجهز اليه هذا الجيش ، وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم .

أخبار ابن الأشعث ومقتله

ولما وصل كتاب ابن الاشعث إلى الحجاج كتب إليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضيّ لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم . وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانياً وثالثاً وقال له ان مضيت والا فأخوك اسحق أمير الناس . فجمع عبد الرحمن الناس وردّ الرأي عليهم وقال : قد كنا عزمنا جميعاً على ترك التوغل في بلد العدوّ ، ورأينا رأياً وكتبت بذلك إلى الحجاج ، وهذا كتابه يستعجزني ويستضعفني ويأمرني بالتوغل بكم وأنا رجل منكم ، فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج . وقال أبو الطُفَيْل عامِرُ بن واثِلَةَ الكِنَانيّ : اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن ، فتنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا . وقال عبد المؤمن بن شيث بن رَبْعي : انصرفوا إلى عدوّ الله الحجاج فانفوه عن بلادكم ، ووثب الناس إلى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك .

وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر فلا خراج على رتبيل ما بقي من الدهر ، وان هزم منعه ، بمن يريده . وجعل عبد الرحمن على سَبْتٍ عِيَاضَ بن هَمْيَانَ الشَيْبَانيّ ، وعلى رومِجَ عبدالله ابن عامر التميمي ، وعلى كَرْمانَ حَرْثَةَ بن عمر التميمي . ثم سار إلى العراق في جموعه وأعشى هَمْدَانَ بين يديه يجري بمدحه وذمٍّ

الحجاج ، وعلى مقدمته عَطِيَّةُ بن عُمَيْر العَنْبَرِي . ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجاج فقد خلعناه ، فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلين وخلعهم .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره ويستمدّه ، وكتب المهلب إلى الحجاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهليهم ، فنكر كتابه واتهمه ، وجند عبد الملك الجند إلى الحجاج فساروا اليه متتابعين ، وسار الحجاج من البصرة فنزل تُسْتُر ، وبعث مقدمة خيلٍ فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد ، وقتل منهم جمعاً كثيراً وذلك في أضحى احدى وثمانين ، وأجفل الحجاج إلى البصرة ، ثم تأخر عنها إلى الغاوية ، وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته ، ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها ، لأن الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج ، وأمر من دخل الأمصار أن يرجع الى القرى ، يستوفي الجزية ، فنكر ذلك الناس ، وجعل أهل القرى يبكون منه ، فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك .

ثم اشتد القتال بينهم في المحرّم سنة اثنتين وثمانين ، وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك . وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة ، وانهزم منهم خلق كثير . وفشا القتل في القرى ، فقتل منهم عُقْبَةُ بن عبد الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه ، وقتل

الحجاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف ، وكان هذا اليوم يسمى يوم الزاوِيَةِ . واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبايعوه ، فقاتل بهم الحجاج خمس ليالٍ ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة ربيعة ، طائفة من أهل البصرة .

ولما جاءَ عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن عبدالله الحَضْرَمي ، وثب به مَطَرَ بن ناجِيَة من ابني تميم مع أهل الكوفة ، فاستولى على القصر وأخرجه . فلما وصل ابن الاشعث لقيه أهل الكوفة واحتف به هَمْدان . وجاءَ إلى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه ، فحبسه عبد الرحمن وملك لكوفة . ثم إن الحجاج استعمل على البصرة الحَكَم بن أيوب الثَقَفِيّ ؛ ورجع إلى الكوفة فنزل دُوَيْرِفِيرَةَ ، ونزل عبد الرحمن دير الجَماجِم ، واجتمع إلى كل واحد أمداده ، وخندق على نفسه . وبعث عبد الملك ابنه عبدالله وأخاه محمداً في جند كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجَّاج ويجري عليهم أُعطياتهم كأهل الشام ، وينزل عبد الرحمن إلى أي بلد شاءَ عاملاً لعبد الملك . فوجم الحجاج لذلك وكتب إلى عبد الملك ان هـذا مما يزيدهم جراءَة ، وذكره بقضية عثمان وسعيد بن العاص ، فأبى عبد الملك من رأيه ، وعرض عبدالله ومحمد بن مروان مـا جاءَ به عبد الملك ، وتشاور أهل العراق بينهم ، وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك ، وأن

العزة لهم على عبد الملك لا تزول ، فتواثبوا من كل جانب منكرين لذلك ومجدّدين الخلع .

وتقدّمهم في ذلك عبدالله بن ذُوَابٍ السَلَمِيّ وعُمَيْرُ بن تِيحانَ ، ثم برزوا للقتال . وجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللّخْمِيّ ، وعلى الخيل سفيان ابن الأَبْرَدِ الكلبي ، وعلى الرجالة عبدالله بن حبيب الحَكَميّ . وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجّاج بن حارثة الخَثْعَميّ ، وعلى ميسرته الأَبْرَدَ بن قُرَّةَ التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، وعلى مجنبته عبدالله بن رَزْمٍ الحُرْشي ، وعلى القرى جَبَلَةُ ابن زَحْر بن قَيْسٍ الجُعْفِيّ وفيهم سعيد بن جُبَيْرٍ وعامر الشعبي وأبو البُحْتُري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم ، وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقص .

فعبى الحجاج ثلاث كتائب مع الجَرّاحِ بن عبدالله الحَكَمِيّ ، وحملوا على القرى ثلاث حملات ، وجبلة يحرّض القرى ويبيتهم ، والشعبي وسعيد بن جبير كذلك . ثم حملوا على الكتائب ففرّقوها وأزالوها عن مكانها ، وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون اليه ، وأبصره الوليد بن نجيب الكلبيّ ، فقصده في جماعة من أهل الشام وقتله وجيءَ برأسه إلى الحجاج ، وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى . ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر

فيها القتلى والمبارزة . ثم اقتتلوا يوماً في منتصف جمادى الآخرة ، وحمل سفيان بن الأبرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرّة من غير قتال ، فتقوّضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجاج ، ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه . ومضى الحجاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل ، وعبدالله بن عبد الملك إلى الشام .

وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وقتل من أبى ذلك . ودعا بِكُمَيْلِ بن زياد صاحب علي فقتله لاقتصاصه ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة ، ولحق ابن الاشعث بالبصرة فاجتمع اليه جموع المنهزمين ، ومعه عبيدالله بن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ ، ولحق به محمد بن سعد ابن أبي وقاص بالمدائن ، وسار نحو الحجاج ومعه بَسْطَام بن مَصْقَلَةَ ابن هُبَيْرَةَ الشَيْبَاني ، كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري ، وكان انتقض بها ثم غلب عليها ، ولحق بعبد الرحمن فكان معه . وبايع عبد الرحمن خلق كثير على الموت ، ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه ، والحجاج قبالتهم ، وقاتلهم خالد بن جرير بن عبدالله . وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة ، فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال ، وقتل زياد بن غنيم القيني . وكان عليٌّ صالحَ الحجاج فهدّ منهم ثم أبى بكر القتال . وحمل بَسْطَامُ ابن مَصْقَلَةَ هُبَيْرَةَ في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة ،

كسروا جفون سيوفهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا .

وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم . ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب ، فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البُخْتُرِي الطائي ومعلّى بن الاشعث نحو سجستان . ويقال ان بعض الاعراب جاء إلى الحجاج فدله على طريق من وراء معسكر ابن الاشعث ، فبعث معه أربعة آلاف جاؤوا من ورائه ، وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره . وأقبلت السرية من الليل إلى معسكر ابن الاشعث ، وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى ، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه ، وكان عدّة القتلى أربعة آلاف : منهم عبدالله بن شداد بن الهادي ، وبسطام بن مَصْقَلَةَ وعمر بن ربيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم .

ولما سار بن الاشعث إلى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر ، وعليهم عمارة بن تميم اللخمي ، ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه ، وانهزم إلى سابور واجتمع اليه الاكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً فهزم ، وخرج عمارة ولحق ابن الاشعث بكرمان ، فلقيه عامله بها وهيأ له النزول فنزل . ثم رحل إلى زَرَنْج فمنعه عامله من الدخول ، فحاصرها أياماً ثم سار إلى بَسْتَ وعليها من قبله عَيَّاضُ بن هَمْيَان بن هشام السَلوبِيّ الشَيْبَاني ، ثم استغفله

فأوثقه . وكان رَتْبيلُ ملك الترك قد سار ليستقبله ، ونزل على بَسْت وتهدّد عِياضاً فأطلقه ، وحمل رتبيل إلى بلاده وأنزله عنده .

واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان لينموا بعشائرهم ، وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن الاشعث يستقدمونه ، فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلب ، وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان ، فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا . فسار معهم إلى هَرَاةَ ، فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ فخشي الانتقاض وقال : انما أتيتكم وأمركم جميعاً . وأنا الآن منصرف إلى صاحبي الذي جئت من عنده يعني رتبيل . ورجع عنهم في قليل . وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان فجمع بابن الاشعث وسار إلى خراسان في عشرين ألفاً ، ونزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه .

وبعث اليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد ، فقال انما نزلنا لنستريح ونرتحل . ثم أخذ في الجباية ، وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه ، وصبرت معه طائفة ثم انهزموا ، وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم مـا في عسكرهم ، وأسر جماعة منهم ، فيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمر بن موسى بن عبدالله بن معمر ، وعباس بن الاسود بن عوف والهَلْقَام بن نعيم ابن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وفيروز وأبو لعلج مولى عبيدالله

ابن معمر ، وسوار بن مروان وعبدالله بن طلحة الطلحات وعبدالله ابن فُضَالَةَ الزَهراني الأزدي . ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسِّنْدِ وأتى ابن سُمْرَةَ إلى مرو ، وانصرف يزيد إلى مرو . وبعث بالاسرى إلى الحجاج مع سَبْدَةَ بن نَجْدَةَ ، وقال له أخوه حبيب : ألا تبعث عبد الرحمن بن طلحة ؟ فان له عندنا يَدَيْن ، وقد ودى عن المهلب أبو طلحة مائة ألف ، فتركه وترك عبدالله بن فضالة لانه من الأزد . وبعث الباقين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بنائها ، فدعا بفيروز وقال : ما أخرجك مع هؤلاءِ وليس بينك وبينهم نسب . قال فتنة عمت الناس ! قال اكتب أموالك ، فكتب ألفي ألف وأكثر . فقال للحجاج وأنا آمن على دمي ، قال لا والله لتؤدِّينها ثم أقتلك . قال لا تجمع مالي ودمي وأمر به فنحي .

ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقَّاص فوبخه طويلًا ثم أمر به فقتل ، ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولاطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل . ثم أحضر الهَلْقَامَ بن نعيم فوبخه . وقال : ابن الأشعث طلب الممالك فما الذي طلبتَ أنت ؟ قال أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل . ثم أحضر عبدالله بن عامر فعذله في عبدالله ابن يزيد بن المهلب لأنه أطلق قومه من الأسر وقاد نحوه مطراً ، فأطرق الحجاج ثم قال : ما أنت وذاك ؟ ثم أمر به فقتل . فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله . ثم أمر بفيروز فعذب . ولما أحس بالموت قال أظهروني للناس ليردُّوا عليَّ ودائعي ، فلما ظهر نادى من

كان لي عنده شيءٌ فهو في حل فأمر به فقتل ، وأمر بقتل عمر بن فهر الكندي وكان شريفاً ، وأحضر أعشى همدان واستنشده قصيدته بين الأثلج وبين قيس ، وفيها تحريض ابن الأشعث وأصحابه فقال : ليست هذه وانما التي بين الأثلج وبين قيس بارق على رويّ الدال ، فأنشده فلما بلغ قوله بخ بخ للوالدة وللمولود . قال واالله لا تبخبخ بعدها أبداً وقتل .

وسأل الحجاج عن الشَعْبي فقال له يزيد بن أبي مسلم أنه لحق بالري ، فكتب إلى قُتَيْبَةَ بن مسلم وهو عامله على الري بارسال الشعبي . فقدم على الحجاج سنة ثلاث وثمانين ، وكان ابن أبي مسلم له صديقاً فأشار عليه بحسن الاعتذار . فلما دخل على الحجاج سلم عليه بالامرة وقال : وايم الله لا أقول إلا الحق قد والله حرّضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فجرة ، ولا أتقياء بررة ، وقد نصرك الله وظفرت فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج هذا والله أحب إلي ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا . ثم أمنه وانصرف .

ولما ظفر الحجاج بابن الأشعث وهزمه ، لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت ، وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة . فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجماجم ، فأشاروا على عمر بخلع الحجاج فامتنع ، فدسوا عليه أباه فأجاب . ولما سار قتيبة إلى الري خرجوا مع عمر لقتاله ثم غدروا

به فانهزم ، ولحق بطبرستان وأقرّه الأَصْبَهْبَد وأحسن اليه ، وأرادوا الوثوب على الاصبهبد فشاور أباه وقال : قد علمت الأعاجم أني أشرف منه ، فمنعه أبوه ودخل قتيبة الزي ، وكتب الحجاج إلى الاصبهبد أن يبعث بهم أو برؤوسهم ففعل ذلك .

ولما انصرف عبد الرحمن بن الأشعث من هراة إلى رتبيل قال له علقمة بن عمر الأزدي لا أدخل معك دار الحرب لأن رتبيل ان دخل اليه الحجاج فيك وفي أصحابك قتلكم أو أسلمكم اليه ، ونحن خمسمائة وقد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراماً ، وقدم عليهم مودود البصري ، وزحف اليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا اليه وقلاهم ، وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه . وكان عبيد بن سميع التميمي من أصحاب ابن الأشعث وكان رسوله إلى رتبيل أوّلاً ، فأنس به رتبيل وزحف عليه وأغرى القاسم ابن الأشعث أخاه عبد الرحمن بقتله ، فخافه وزين لرتبيل أخذ العهد من الحجاج ، واسلام عبد الرحمن اليه على أن يكفّ عن أرضه سبع سنين ، فأجابه رتبيل وخرج إلى عمارة سرّاً . وكتب عمارة إلى الحجاج بذلك ، فأجاب وكتب له بالكف عنه عشر سنين ، وبعث اليه رتبيل برأس عبد الرحمن ، وقيل مات بالسل فقطع رأسه وبعث به ، وقيل أرسله مقيّداً مع ثلاثين من أهل بيته إلى عمارة ، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات ، فبعث

عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين .

قد كنا قدمنا حصار المهلب مَدِينَةَ كش من وراءِ النهر فأقام عليها سنتين ، وكان استخلف على خراسان ابنه المغيرة فمات سنة اثنتين وثمانين ، فجزع عليه وبعث ابنه يزيد إلى مرو ومكنه في سبعين فارساً ، ولقيهم في مفازة نَسفٍ جمع من الترك يقاربون الخمسمائة ، فقاتلوهم قتالاً شديداً يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض أصحابه لبعضهم شيئاً من المتاع والسلاح ، ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو . ثم سأل أهل كش من المهلب الصلح على مال يعطونه ، فاسترهن منهم رهناً من أبنائهم في ذلك ، وانفتل المهلب وخلف حريث بن قطنة مولى خُزَاعة ليأخذ الفدية ويرد الرهن ، فلما صار ببلخ كتب اليه لا تخل الرهن وان قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لئلا يغيروا عليك . فأقرأ صاحب كش كتابه وقال : ان عجلت أعطيتك الرهن ، وأقول له جاءَ الكتاب بعد إعطائه .

فعجل صاحب كش بالفدية وأخذ الرهن ، وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ، ففدوهم فرداً فرداً وأطلقهم . ولما وصل إلى المهلب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن . فحلف حريث انَّ ابن قطنة ليقتلنَّ المهلب ؛ وخاف ثابتاً ان كان ذلك المسير اليه . فبعث اليه المهلب أخاه ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحلف ليقتلنَّ المهلب ، وخاف ثابت ان

كان ذلك أن يقتلوا جميعاً فأشار عليه باللحاق بموسى بن عبدالله بن حازم ، فلحق به في ثلثمائة من أصحابهما .

ثم هلك المهلب واستخلف ابنه يزيد ، وأوصى ابنه حبيباً بالصلاة وأوصى ولده جميعاً بالاجتماع والالفة ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسىء في الاجل وتثري المال وتكثر العدد ، وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والذلة والقلة ، وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم . واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينعش ويزل لسانه فيهلك ، واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرف واصنعوا المعروف ، فان الرجل من العرب تعده الغدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده . وعليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، وان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر ، وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين ، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ثم مات وذلك سنة اثنتين وثمانين .

ويقال انه لما حثهم على الالفة والاجتماع أحضر سهاماً محزومة فقال أتكسرون هذه مجتمعة قالوا لا : قال فتكسرونها مفترقة ؟ قالوا نعم : قال فهكذا الجماعة . واستولى يزيد على خراسان بعد

أبيه ، وكتب له الحجاج بالعهد عليها . ثم وضع العيون على بَيْزَكَ حتى بلغه خروجه عن قلعته ، فسار اليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الاموال والذخائر ، وكانت من أحصن القلاع . وكان بيزك إذا أشرف عليها يسجد لها . ولما فتحها كتب إلى الحجاج بالفتح ، وكان كاتبه يَعْمُرُ العَدْواني حليف هُذَيْل فكتب : انا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم ، فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال ومهامه الأودية وأهضام الغيطان وأفناء الانهار . فقال الحجاج : من يكتب ليزيد ؟ قيل يحيى بن يعمر : فكتب بحمله على البريد . فلما جاءه قال أين ولدت؟ قال بالأهواز . قال فمن أين هذه الفصاحة ؟ قال حفظت من أولاد أبي وكان فصيحاً . قال يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال نعم كثيراً ! قال فضلان ؟ قال نعم ! قال فأنا؟ قال تلحن خفيفاً ، تجعل أن موضع إنَّ وإنَّ موضع أنَّ . قال أجلتك ثلاثاً وإن وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان .

بناء الحجاج مدينة واسط

كان الحجاج يُنْزِل أهل الشام على أهل الكوفـة ، فضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان سنة ثلاث وثمانين ، وعسكروا قريباً من الكوفة حتى يستتموا ، ورجـع منهم ، ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمه ، فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له إلا بعد هنيهة ، وإذا سكران من أهل الشام فشكت اليه ابنة عمه

مراودته اياها، فقال لها ائذني له فأذنت له ، وجاء فقتله الفتى وخرج إلى العسكر . وقال ابعثي إلى الشاميين وارفعي اليهم صاحبهم ، فأحضروها عند الحجاج فأخبرته . فقال صدقت ! وقال للشاميين لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله إلى النار . ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد ، وبعث الروّاد فارتادوا له مكان واسط ، ووجد هنالك راهباً ينظف بقبعته من النجاسات فقال : ما هذه ؟ قال نجد في كتبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة . فاختط الحجاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد في تلك البقعة .

عزل يزيد عن خراسان

يقال ان الحجاج وفد إلى عبد الملك ومرّ في طريقه براهب قيل له ان عنده علماً من الحدثان فقال : هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه ؟ قال نعم : فقال مُسَمًّى أو موصوفاً ؟ قال موصوفاً . قال : فما تجدون صفة ملكنا ؟ قال صفته كذا . قال ثم من ؟ قال آخر اسمه الوليد . قال ثم من ؟ قال آخر اسمه ثَقَفِي . قال فمن تجد بعدي ؟ قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته ؟ قال لا أعرف صفته الا أن يغدر غدرة . فوقع في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ، ووجل منه ، وقدم على عبد الملك . ثم عاد إلى خراسان وكتب إلى عبد الملك يذمّ يزيدَ وآل المهلب وأنهم زُبَيْرِيَّة ، فكتب اليه انَّ وفاءهم لآل الزبير يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتب اليه الحجاج يخوّفه غدرهم وما يقول الراهب . فكتب اليه عبد الملك

انك أكثرت في يزيد فانظر من تولي مكانه . فسمى له قتيبة بن مسلم ، فكتب له أن يوليه .

وكره الحجاج أن يكاتبه بالعزل ، فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل ، واستشار يزيد حُصَيْن بن الْمُنْذِر الرَقَاشيّ فقال له : أَقم واعتل ، وكاتِبْ عبد الملك فانه حسن الرأي فيك . نحن أَهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره الخلاف ، وأَخذ يتجهز وأَبطأَ . فكتب الحجاج إلى المفضل بولاية خراسان واستلحاق يزيد . فقال انه لا يضرّك بعدي ، وانما ولاك مخافة أن أمتنع . وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين . ثم عزل المفضل لتسعة أَشهر من ولايته ، وولى قتيبة بن مسلم . وقيل سبب عزل اليزيد أَن الحجاج أَذل العراق كلهم إلا آل المهلب ، وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالعدا (١) والحروب . وقيل كتب اليه أَن يغزو خوارزم فاعتذر اليه بأَنها قليلة السَلَبَ شديدة الكَلَف . ثم استقدمه بعد ذلك فقال إلى أَن أَغزو خوارزم . فكتب الحجاج لا تغزها ، فغزاها وأَصاب سُبِيًّا وصالحه أَهلها ، وأَنفتل في الشتاءِ . وأَصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الاسرى فبقوا عرايا ، وقتلهم المفضل . ولما ولي المفضل خراسان غزا باذَغِيس ففتحها وأَصاب مغنماً فقسمه ، ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أَصابه .

(١) كذا ولعلها العدي أو العدى. والأولى بمعنى: الأعداء الذين تقاتلهم. والثانية بمعنى: الأعداء الذين لا تقاتلهم. وإذا كان المقصود بها «بنو عدا» فهم حي.

مقتل موسى بن حازم

كان عبدالله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان ، وافترقوا عليه فخرج الى نيسابور ، وخاف بنو تميم على ثقله بمرو ، فقال لابنه موسى : اقطع نهر بلخ حتى نلتجىء إلى بعض الملوك أو إلى حِصْنٍ نقيم فيه . فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارساً ، واجتمع اليه شبه الاربعمائة ، وقوم من بني سليم ، وأتى قُمْ فقاتله أهلها فظفر بهم ، وأصاب منهم مالًا ، وقطع النهر . وسأل صاحب بخارى أن يأوي اليه فأبى وخافه ، وبعث اليه بصلة فسار عنه ، وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه ، وأتى سمرقند فأذن له ملكها طرخونُ ملك الصُغْدِ في المقام فأقام ، وبلغه قتل أبيه عبدالله بن حازم ولم يزل مقيماً بسَمَرْقَنْدَ .

وبارز بعض أصحابه يوماً بعض الصُغْدِ فقتله ، فأخرجه طرخون عنه فأتى كِشَّ فنزلها ، ولم يطق صاحبها مدافعته ، واستجاش عليه بطرخون . فخرج موسى للقائه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس ، فاقتتلوا إلى الليل ، ودس موسى بعض أصحابه إلى طرخون يخوِّفه عاقبة أمره ، وان كل من يأتي خراسان يطالبه بدمه . فقال يرتحل عن كش ؟ قال له نعم ! وكف حتى ارتحل وأتى ترمذ ، فنزل إلى جانب حصن بها مشرف على النهر ، وأبى ملك تِرْمُذَ من تمليكه الحصن ، فأقام هنالك ولاطف الملك ، وتودَّد له وصار يتصيد معه . وصنع له الملك يوماً طعاماً وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا ،

فلما طعموا امتنعوا من الذهاب . وقال موسى : هذا الحصن اما بيتي أَو قبري ، وقاتلهم فقتل منهم عدّة ، واستولى على الحصن وأَخرج ملك تِرْمُذَ ولم يتعرّض له ولا لاصحابه . ولحق به جمع من أَصحاب أَبيه فقوي بهم ، وكان يغير على ما حوله .

ولما وَلِيَ أُمية خراسان سار لغزوه ، وخالفه بكير كما تقدّم . ثم بعث اليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خُزَاعَةَ وحاصروه . وعـاود ملك ترمذ استنصاره بالترك في جمع كثير ، ونزلوا عليه من جانب آخر . وكان يقاتل العرب أَوّل النهار والترك آخره ثلاثة أَشهر . ثم بيّت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ، ولم يهلك من أَصحابه إلا ستة عشر رجلاً . وأَصبح الخزاعي والعرب وقد خافوا مثلها . وغدا عمر ابن خالد بن حصين الكلابي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال انا لا نظفر الا بمكيدة فاضربني وخلني ، فضربه خمسين سوطاً ، فلحق بالخزاعي وقال : ان ابن حازم اتهمني بعصبيتكم ، وأَني عين لكم فأَمنه الخزاعي وأَقام عنده . ودخل عليه يوماً وهو خالٍ فقال له لا ينبغي أَن تكون بغير سلاح . فرفع طرف فراشه وأَراه سيفاً منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى . وتفرق الجيش واستأْمن بعضهم موسى .

ولما ولِيَ الُمهَلَّب على خراسان قال لبنيه إياكم وموسى ! فانه ان مات جـاءَ على خراسان أَمير من قَيْسٍ . ثم لحق به حُرَيْثُ

وثابت ابنا قَطْنَةَ الخُزاعي فكانا معه . ولما ولي يزيد أخـذ أموالهما وحرمهما ، وقتل أخاهما للأُم الحَرْثُ بن مُعَقَّد ، فسار ثابت إلى طرخون صريخاً ، وكان محبباً إلى الترك فغضب له طرخون . وجمع له نيزك وملك الصغد وأهل بخاري والصاغان ، فقدموا مع ثابت إلى موسى وقد اجتمع عليه فَلٌّ عبد الرحمن بن عباس من هَرَاةَ وفَلٌّ ابن الأَشعث من العراق ومن كابل . فكان معه نحو ثمانية آلاف ، فقال له ثابت وحريث : سر بنا في هذا العسكر مع الترك ، فنخرج يزيد من خراسان ونوليك ، فحذر موسى أن يغلباه على خراسان ، ونصحه بعض أصحابه في ذلك فقال لهما ان أخرجنا يزيد قدم عامل المدينة عبد الملك ، ولكنا نخرج عمال يزيد من وراءِ النهر ويكون لنا ، فأخرجوهم وانصرف طرخون والترك .

وقوي أمر العرب بترمذ وجبوا الاموال . واستبد ثابت وحريث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهمَّ بقتلهما ، وإذا بجموع العجم قد خرجت اليهم من الهَيَاطِلة والتُبَّتِ والتُرْكِ ، فخرج موسى فيمن معه للقتال . ووقف ملك الترك على ما قيل في عشرة آلاف ، فحمل عليهم حريث بن قَطْنَةَ حتى أزالهم عن موضعهم ، وأُصيب بسهم في وجهه وتحاجزوا . ثم بيتهم موسى فانهزموا ، وقتل من الترك خلق كثير ، ومات منهم قليل . ومات حريث بعد يومين ، ورجع موسى بالظفر والغنيمة . وقال له أصحابه قـد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى . وبلغ ثابت بعض ما كانوا يخوضون فيه ،

ودس محمد بن عبد الله الخزاعي عليهم على أنه من سبي الباسيان ولا يحسن العربية ، فاتصل بموسى وكان ينقل إلى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة قد أكثرتم عليَّ فعلى أيّ وجــه تقتلونه ولا أغدر به ؟ فقال له أخوه نوح إذا أتاك غدًا عدلنا به إلى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل اليك . فقال والله انه لهلاككم ! وجاءَ الغلام إلى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارساً ، وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عيناً .

ونزل ثابت بحشور واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم . وسار اليه موسى وقاتله ، فحصر ثابتاً بالمدينة . وأتاه طرخون مدد فرجع موسى إلى تِرْمُذَ . ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش في ثمانين ألفاً . فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه . وقال يزيد بن هُذَيْل والله لأقتلن ثابتاً أو أموت ، فاستأمن اليه وحذره بعض أصحابه منه ، فأخــذ ابنيه قُدَامَةَ والضحَّاك رهناً وأقام يزيد يتلمس غِرَّةَ ثابت . ومات ابن الزياد والقصير الخزاعي ، فخرج اليه ثابت يعزيه وهو بغير سلاح ، فضربه يزيد على رأسه وهرب . وأخــذ طرخون قدامة والضحَّاك ابني يزيد فقتلهما . وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير (١) وضعف أمرهم ، وبيتهم موسى ليلًا في ثلثمائة ،

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٠ : «وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلهما، وعاش ثابت سبعة أيام ومات. وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياماً ضعيفاً وانتشر أمرهم».

فبعث اليه طرخون كف أَصحابك فانا نرحل الغداة . فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعاً .

ولما وَلِيَ المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش إلى موسى بن حازم ، وكتب إلى مُدْرِكَ بن الْمُهَلَّب في بلخ بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً ، وكتب إلى رتبيل وإلى طرخون أَن يكونوا مع عثمان ، فحاصروا موسى بن حازم فضيقوا عليه شهرين ، وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات . فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك ، فخرجوا وخلَّف النَضْرُ ابن أَخيه سليمان في المدينة . وقال له : ان أَنا قتلت فملك المدينة لمدرك بن الْمُهلَّب دون عثمان ، وجعل ثلث أَصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه إلا إن قاتلكمَ . وقصد طرخون وأَصحابه وصدقوهم القتال ؛ فانهزم طرخون وأُخذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن ، فقاتلهم فعقروا فرسه وأَردفه مولى لـه ، فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصده ، وعقروا بـه الفرس وقتلوه ، وقتل خلق كثير من العرب . وتولى قتل موسى واصِل العَنْبَرِيّ ونادى منادي عثمان بكف القتل وبالاسر ، وبعث النضر بن سليمان إلى مدرك بن المهلب فسلم اليه مدينة تِرْمُذ ، وسلمها مدرك إلى عثمان . وكتب المفضل إلى الحجاج بقتل موسى فلم يسره لانه من قيس ، وكان قتل موسى [1]

(١) رحمه الله لو أبقي في حصنه ليكون سداً بينهم وبين طوائف الأمم المجاورة له لكان خيراً لهم وللإسلام، فقد فجعوا الإسلام بقتله، كما فجعوه بقتل قتيبة بن مسلم الباهلي. فإني أظن أنه لم يأت في صدر الإسلام عند قيام الدولة الأموية مثلهما. يعرف ذلك من نظر في وقائعهما وحروبهما: من خط الشيخ العطار.

سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على تِرْمِذ .

البيعة للوليد بالعهد

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد وكان قبيصة ينهاه عن ذلك ويقول : لعل الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك ، وجاءه رَوْحُ بن زنباع [(١)] ليلة وكان عنده عظيماً ففاوضه في ذلك فقال : لو فعلته ما انتطح فيه عنزان . فقال نصلح ان شاء الله ! وأقام روح عنده ، ودخل عليهما قُبَيْصَةُ بن ذؤيب من جنح الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه واليه الخاتم والسكة ، فأخبره بموت عبد العزيز أخيه . فقال روح كفانا الله ما نريد . ثم ضم مصر إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولاه عليها . ويقال : ان الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد ، فكتب إلى عبد العزيز إني رأيت أن يصير الامر إلى ابن أخيك فكتب له أن تجعل الامر له من بيعة ، فكتب له إني أرى في أبي بكر ما ترى في الوليد . فكتب له عبد الملك ان يحمل خراج مصر ، فكتب اليه عبد العزيز اني وإياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ، ولا ندري أينا يأتيه الموت فلا تفسد عليّ بقية عمري ، فرقّ له عبد الملك وتركه .

---

(١) روح بن زنباع قالت فيه زوجته:

بكى الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وهذا البيت أورده السنوسي في شرح الكبرى، واختلفت نسخ الشراح والحواشي فيه، فمن قائل عون وآخر عوف والصحيح روح. وله ترجمة في كتاب الأغاني. ولزوجته قائلة البيت قصة ظريفة رحمها الله تعالى ا هـ. من خط الشيخ العطار.

ولما بلغ الخبر بموت عبد العَزيز عبد الملك أمر الناس بالبَيعة لابنه الوليد وسليمان ، وكتب بالبيعَة لهما إلى البلدان . وكان على المدينة هشام بن اسماعيل المخزومي ، فدعا الناس إلى البيعة فأجابوا ، وأبى سعِيد بن المُسَيِّب فضربه ضرباً مبرحاً ، وطاف به وحبسه . وكتب عبد الملك إلى هشام يلومه ويقول : ان سعيداً ليس عنده شقاق ولا نفاق ولا خلاف ، وقد كان ابن المسيب امتنع من بيعَة ابن الزبير ، فضربه جابر بن الأسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطاً ، وكتب اليه ابن الزبير يلومه . وقيل : ان بيعَة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين ، والاول أصح .

وقيل قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر ، فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك ، وألن كنفك ، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك ، وانظر حاجبك ، وليكن من خير أهلك ، فانه وجهك ولسانك . ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو تردّه ، فاذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك ، وتثبت ، في قلوبهم محبتك . وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فانها تفتح مغاليق الأمور المبهمة . واعلم أن لك نصف الرأي ولاخيك نصفه ، ولن يهلك امرؤ من مشورة . وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته ، فانك على العُقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردّها بعد إصابتها .

وفاة عبد الملك وبيعة الوليد

ثم توفي عبد الملك منتصف شوال سنة ست وثمانين ، وأوصى إلى بنيه فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فانها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه ، فانه نابكم الذي عنه تفترّون ، ولحيكم الذي عنه ترمون . وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ، ودوّخ لكم البلاد ، وأذل لكم مغنى الاعداء . وكونوا بني أم بررة ، لا تدب بينكم العقارب . وكونوا في الحرب أحزاراً ، فان القتال لا يقرّب منية . وكونوا للمعروف منارًا ، فان المعروف يبقى أجره وذخره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانه لصون له ، واشكر[1] لما يؤتى اليهم منه ، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا ، وان عادوا فانتقموا .

ولما دفن عبد الملك قال الوليد : انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة . فكان أوّل من عزى نفسه وهنأها . ثم قام عبد الله ابن همام السامولي وهو يقول :

اللهُ أَعْطَاكَ التي لا فَوْقَهَا   وقد أراد الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ ويأْبى اللهُ إلا سَوْقَهَا   إلَيْكَ حتى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا .

(١) كذا. ولعلها: «واشكروا» كما يقتضيه السياق.

وبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وقيل ان الوليد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس لا مقدِّم لما اخره الله ، ولا مؤخر لمـا قدمه الله ، وقد كان من قضاءِ الله وسابق علمه ، ومـا كتب على أَنبيائه وحملة عرشه الموتُ ، وقـد صار إلى منازل الأَبرار وولِيَ هذه الأُمة بالذي يحق لله عليه في الشدّة على المذنب واللين لاهل الحق والفضل ، وإقامة مـا أَقام الله من منازل الاسلام واعلائه ، من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة عـلى أَعداءِ الله . فلم يكن عاجزًا ولا مُفَرِّطاً . أَيها الناس عليكم بالطاعـة ولزوم الجماعة ، فان الشيطان مع المنفرد . أَيها الناس من أَبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ثم نزل .

ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره

قدم قُتَيْبَـةُ[(١)] خراسان أَميرا عن الحجاج سنة ست وثمانين ، فعرض الجند وحث عـلى الجهاد ، وسار غازياً وجعل عـلى الحرب بمرو[(٢)] ايـاس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعد وتلقاه دهاقين البلخ والطالقان وساروا معه . ولمـا عبر النهر تلقاه ملك الصُغانِيان بهداياه . وكان ملك أَخْرُونَ وسومـان يسيءُ جواره فدعـاه إلى بلاده وسلمها اليه . وسار قتيبة إلى أَخرون وسومـان

(١) هذا فحل أمراء الدولة الأموية كما أن الحجاج فرعونها. كتبه الشيخ العطار.
(٢) مرو إحدى قواعد إقليم خراسان الأربع وهي مرو وهراة وبلخ ونيسابور ـ كتبه أيضاً.

وهو من طخارستان ، فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه . وقبضها ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورَشْتَ من فَرْغَانَةَ ، ثم أَخْسِيكَتَ مدينة فرغانة القديمة . وكان معه ابن يسار ، وأبلى في هذه الغزاة . وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين ، وكان من ذلك السُبِيّ امرأة برمك . وكان بَرْمَكُ على النُوبَهار ، فصارت لعبدالله ابن مسلم أخي قتيبة ، فوقع عليها وعلقت منه بخالد ، ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة بردّ السُبيّ فألحق عبد الله به حملهما . ثم ردّت إلى برمك .

وذكر أن ولد عبد الله بن مسلم ادّعوه ورفعوا أمرهم إلى المهدي وهو بالري ، فقال لهم بعض قرابتهم انكم ان استلحقتموه لا بدّ لكم أن تزوجوه ، فتركوه . ولما صالح قتيبة ملك سومرن كتب إلى بترك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين ، وهدّدهم فبعث بهم اليه . ثم كتب اليه يستقدمه على الامان ، فخشي وتثاقل ، ثم قدم وصالح لاهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة ، ثم غزا بيكَنْدَاد في مدائن بُخَارى إلى النهر سنة سبع وثمانين . فلما نزل بهم استجاشوا بالصُغْدِ وبمن حولهم من الترك ، وساروا إليه في جموع عظيمة ، وأخذوا عليه الطرق . فانقطعت الاخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ، ثم هزمهم بعض الايام وأثخن فيهم بالقتل والأسر وجاء إلى السور ليهدمه ، فسألوا

الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم ، وسار عنهم غير بعيد . فقتلوا العامل ومن معه ، فرجع اليهم وهدم سورهم ، وقتل المُقَاتِلَةَ وسبى الذُرِّيَّةَ ، وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله .

ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نُومَكَثْتَ ، فصالحوه وسار إلى رامِسَةَ فصالحوه أيضاً ، فانصرف وزحف أيضاً اليه التُرْكُ والصُغْد وأهل فرغانة في مائتي ألف ، ومَلِكُهُمْ كُورْبَعابُور ابن أُخت ملك الصين ، واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن ، فقاتلهم حتى جاءَ قتيبة وكان ينزل معه ، فأبلى مع المسلمين . ثم انهرم الترك وجموعهم ، ورجع قتيبة إلى مرو ، ثم أمره الحجاج سنة تسع وثمانين بغزو بخارى وملكها وردانُ خُذَاه ، فعبر النهر من زمّ ، ولقيه الصغد وأهل كش ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزمهم ومضى إلى بخارى ، فنزل عن يمين وردان ولم يظفر منه بشيء ورجع إلى مرو .

عمارة المسجد

كان الوليد عزل هشام بن لسماعيل المخزومي عن المدينة سنة سبع وثمانين ، لاربع سنين من ولايته ، وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، فقدمها ونزل دار مروان ، ودعـا عشرة من فقهاء المدينة فيهم الفقهاءُ السبعة المعروفون ، فجعلهم أهـل مشورته لا يقطع أمراً دونهم ، وأمرهم أن يبلغوه الحاجـات والظلامات فشكروه وجزوه خيراً ، ودعـا له الناس . ثم كتب اليه سنة ثمان أن يدخل حِجْرَ أُمهات المؤمنين في المسجد ويشتري مـا في نواحيه ، حتى يجعله مائتي

ذراع في مثلها ، وقدّم القبلة . ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل ، وادفــع اليه الثمن ، واهــدم عليه الملك ، ولك في عمر وعثمان اسوة . فأعطاه أهــل الأملاك مــا أحب منها بأثمانها وبعث الوليد إلى ملك الروم أنــه يريد بناءَ المسجد ، فبعثَ اليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب . ومائه من الفعلة ، وأربعين حمــلاً من الفُسَيْفِساء[1] ، وبعث بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز ، واستكثر معهم من فعَلَة الشام ، وشرع عمر في عمارته اه . ووَلّى الوليد في سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبدالله القِسْرِيّ .

فتح السند

كان الحجاج قد ولى عــلى ثغر السند ابن عمه محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وجهز معه ستة آلاف مقاتل ، ونزل مكران ، فأقام بها أياماً . ثم أتى فيريوز ففتحها ، ثم أرْمايِل . ثم سار إلى الدَبيل وكان به بَدٌّ عظيم في وسط المدينة عــلى رأسه دِقْلٌ عظيم وعليه راية . فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة . والبد صنم مركوز في بناءٍ ، والدقــل منارة عليه . وكل ما يعبد فهو عندهم بد . فحاصر الدبيل ورماهم بالمنجنيق ، فكسر الدقل فتطيروا بذلك . ثم خرجوا اليه فهزمهم ، وتسنم الناس الأسوار ففتحت عنوة ، وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين ، وبنى جامعها وسار عنها إلى النَيْروز .

(١) قوله الفسيفساء هي أحجار صغيرة ملونة ا هـ. من خط الشيخ العطار.

وقد كانوا بعثوا إلى الحجاج وصلحلوه ، فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم ، وسار عنها . وجعل لا يمرّ بمدينة من مدائن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران ، واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صَصَة . ثم عقد الجسر على النهر وعبر ، فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة . ثم اشتد القتال وترجل داهر ، فقاتل حتى قتل ، وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون . ولحقت امرأة داهر بمدينة رارو فساروا اليها وخافته فأحرقت نفسها وجواريها . وملك المدينة ولحق الفل بمدينة بَدْهَمْتَابَادَ العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة ، وهي يومئذ غَيْضَةٌ ، ففتحها عنوة واستلحم من وجد بها وخربها . ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة ، وقطع نهر ساسِل إلى الملقاد ، فحاصرها وقطع الماء عنها ، فنزلوا على حكمه . فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقتل سَدَنَةَ البلد وهم ستة آلاف . وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية ، كانت الاموال تهدى اليه من البلدان ، ويحجون اليه ويحلقون شعرهم عنده ، ويزعمون أنه هو أيوب . فاستكمل فتح السند ، وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألف وكانت النفقة نصفها .

فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم

قد تقدم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين ، وانصرف عنها ولم يظفر . وبعث اليه الحجاج سنة تسعين يوبخه على الانصراف عنها ويأمره بالعود . فسار اليها ومعه نَيْزَكُ طُرْخَان صاحب باذغيس ،

وحاصرها . واستجاش ملكها وردان ، اخذاه[1] بمن حوله من الصُغْدِ والتُرْكِ. فلما جاء مددهم خرجوا إلى المسلمين ، وكانت الازد في المقدّمة ، فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا ، وزحفت العساكر حتى ردّوا الترك إلى موقفهم . ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم في مواقفهم وأزالوهم عنها . وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره إلا بنو تميم ، فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين ، وكتب بذلك إلى الحجاج .

ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصغد ومعه فارسان ، ودنا من عسكر قتيبة يطلب الصلح على فدية يؤدّيها فأجابه قتيبة وعقد له ، ورجع قتيبة ومعه نيزك ، وقد خافه لما رأى من الفتوح ، فاستأذنه في الرجوع وهو بآمُدَ ، فرجع يريد طَخارِسْتَانَ ، وأسرع السير . وبعث قتيبة إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسه ، وتبعه المغيرة فلم يدركه ، وأظهر نيزك الخلع ودعا لذلك الأَصْبَهْبَذَ ملك بَلْخَ وباذان ملك مَرْو الروذ وملك الطالِقان وملك القاريات وملك الجَوْزَجَانِ فأجابوه ، وتوعدوا[2] لغزو قتيبة . وكتب إلى كاتب شاه يستظهر به وبعث اليه باثقاله وأمواله ، واستأذنه في الاتيان ان اضطر إلى ذلك .

(١) كذا. وهي: خذاه. وقد تقدم هكذا.

(٢) كذا. ولعلها تواعدوا. ومعناه: وعد بعضهم بعضاً. أما التوعد فتعني: التهديد وواضح أن لا معنى له هنا.

وكان جَيْفُونَةُ ملك طخارستان نيزك عنده . فاستضعفه وقبض عليه وقيده خشية من خلافه ، وأخرج عامل قتيبة من بلده . وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرّق الجند ، فبعث أخاه عبد الرحمن ابن مسلم في اثني عشر ألف إلى البروقان ، وقال أقم بها ولا تحدث شيئاً ، فاذا انقضى الشتاءُ تقدّم إلى طخارستان وأنا قريب منك . ولما انصرم الشتاءُ استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا ، فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم في الخلع ، ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في مثلها ، واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم وسار إلى القاريابات فخرج اليه ملكها مطيعاً . واستعمل عليها وسار إلى الجوزجان فلقيه أهلها بالطاعة ، وهرب ملكها إلى الجبال واستعمل عليها عامر ابن ملك الحماس .

ثم أتى بلخ وتلقاه أهلها بالطاعة ، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب حمله ، ومضى نيزك إلى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، ومضايقوه يمنعونه . ووضع أثقاله في قلعة من وراء الشعب . وأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، حتى دله عليه بعض العجم هنالك على طريق سرب منه الرجال إلى القلعة فقاتلوهم ، وهرب من بقي منهم ومضى إلى سمنجان ثم إلى نيزك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن . وارتحل نيزك إلى وادي فرغانة ، وبعث أثقاله وأمواله إلى كابل شاه ، ومضى

إلى السكون فتحصن به ولم يكن له إلا مَسْلَكٌ واحد صعب على الدواب ، فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجُدَري .

وقرب فصل الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصه ممن كان يصادق نيزك فقال : انطلق اليه وأثن عليه بغير أمان ، وإن أعياك فأمنه . وان جئت دونه صلبتك . فمضى الرجل وأشار عليه بلقائه وأنه عازم على أن يشق هنالك ، فقال أخشاه ! فقال له لا يخلصك الا اتيانك ، وتنصح له بذلك وبأنه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه . ولم يزل يفتل له[1] في الذروة والغارب ، وهو يمتنع حتى قال له انه قد أمنك . فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه ، وخرج معه نيزك ومعهم جيفونة ملك طخارستان الذي كان قيده ، حتى انتهوا إلى الشعب وهناك خيل أكمنه الرجل ما كان فيه ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فوافاه كتابه لاربعين يوماً بقتله فقتله ، وقتل معه صول طرخان خليفة جيفونة وابنِ أخي نيزك ومن أصحابه سبعمائة وصلبهم ، وبعث برأسه إلى الحجاج . وأطلق جيفونة وبعث إلى الوليد .

ثم رجع إلى مرو . وأرسل إليه ملك الجوزجان يستأمنه ، فأمنه على أن يأتيه ، فطلب الرهن فأعطاه وقدم . ثم رجع فمات بالطالقان وذلك سنة احدى وتسعين . ثم سار إلى شومان فحاصرها ، وقد كان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فبعث اليه بعد

(١) قوله يفتل له الخ . هو مثل من أمثال العرب يضرب في الخداع والمماكرة ا هـ. من الميداني.

مرجعه من هــذه الغزاة أن يؤدي ما كان صالح عليه ، فقتــل الرسول ، فسار اليه قتيبة وبعث لــه صالح أخو قتيبة وكان صديقه ينصحه في مراجعة الطاعــة فأبى ، فحاصره قتيبة ونصب عليه المجانيق ، فهدم الحصن وجمع الملك ما في الحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر لا يدرك قعره ، ثم استمات وخرج فقاتل حتى قتل . وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرّية ، ثم بعث أخاه عبد الرحمن إلى الصُغْد وملكهم طرخون ، فأعطى ما كان صالح عليه قتيبة . وسار قتيبة إلى كش ونسف فصالحوه ، ورجع ولقي أخاه ببخارى وساروا إلى مرو .

ولما رجع عن الصُغْدِ حبس الصغد ملكهم طرخون لاعطائه الجزية ، وولوا عليهم غورك ، فقتل طرخون نفسه . ثم غزا في سنة اثنتين وتسعين إلى سِجِسْتان يريد رَتْبِيل ، فصالحه وانصرف . وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خَرَاد عــلى أمره وكان أصغر منه ، وعاث في الرعية وأخذ أموالهم وأهليهم ، فكتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها اليه على أن يمكنه مــن أخيه ومن عصاه من دونهم . فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحداً من مرازِبَتِهِ على ذلك . وتجهز قتيبة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصغد ، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه وإذا به قد نزل هزار سب قريباً منهم ، وجاء أصحاب خوارزم شاه اليه يدعوه للقتال . فقال ليس لنا به طاقة ! ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا . فوافقوه

وسار إلى مدينة الفِيد من وراءِ النهر ، وهذا حصن بلاده . وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتاع ، وأن يعينه على خام ِ جُرد ، وقيل على مائة ألف رأس[١] .

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وهو عدو لخوارزم شاه ، فقاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه ، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم . وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم ، ودفع أموالهم إلى قتيبة . ولما قبض قتيبة أموالهم أشار عليه المُحشرُ بن مُخَازِم ِ السَلَميّ بغزو الصُغْد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام . فقال اكتم ذلك ، فقدم أخاه الفرسان والرماة ، وبعثوا بالأثقال إلى مرو ، وخطب قتيبة الناس وحثهم على الصغد وذكرهم الضغائن فيهم . ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول أخيه ، فحاصرهم بسمرقند شهراً واستجاشوا ملك الشاش واخشاد[٢] خاقان وفرغانة ، فانتخبوا أهل النجدة من أبناءِ الملوك والمرازبة والاساورة ، وولوا عليهم ابن خاقان وجاؤوا إلى المسلمين . فانتخب قتيبةُ من عسكره ستمائة فارس ، وبعث بهم أخاه صالحاً لاعتراضهم في طريقهم ، فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشدّ قتال ، فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . ونصب قتيبة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتد في قتالهم .

(١) قوله على مائة ألف رأس لعله ممن يأخذ منهم خراجاً، وإلا فمن البعيد استرقاق هذا العدد وأخذه منهم. وماذا يصنعون بهذا العدد وأي طعام يكفيهم كل يوم ـ من خط الشيخ العطار.

(٢) قوله وأخشاد لعله أخشيد فرغانة لأن ملك فرغانة يقال له الأخشيد ـ من خط الشيخ العطار.

وحمل الناس عليهم إلى أن بلغوا الثلمة . ثم صالحوه على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عـام . وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يمكنوه من بنـاء مسجد بالمدينة ويخلوهـا حتى يدخل فيصلي فيه . فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على اقامة جند فيها . وقيل انه شرط عليهم الاصنام وما في بيوت النار . فأعطوه فأخـذ الحلية وأحرق الاصنام وجمع من بقايـا مساميرها . وكانت ذهباً ، خمسين ألف مثقال . وبعث بجارية من سبيها من ولد يزدجرد إلى الحجاج ، فأرسلها الحجاج إلى الوليد وولدت له يزيد . ثم قال فورك لقتيبة انتقل عنا ، فانتقل وبعث إلى الحجاج بالفتح . ثم رجع إلى مرو ، واستعمل على سمرقند إياس بن عبد الله على حربها ، وعبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم على خراجها ، فاستضعف أهل خوارزم اياساً وجمعوا له ، فبعث قتيبة عبد الله عاملاً على سمرقند ، وأمره أن يضرب اياساً وحبايا السطي مائة مائة ويخلعهما . فلما قرب عبدالله من خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك ، وخشي ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم ففرّ إلى بلاد الترك . وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية . ورجع إلى قتيبة فولاه على نيسابور .

ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين إلى مـا وراء النهر ، وفرض البعث على أهل بُخارى وَكَشّ ونسَفَ وخوارزم ، فسار منهم عشرون ألف مقاتل فبعثهم إلى الشاش . وسار هو إلى خَجَنْدَةَ فجمعوا له واقتتلوا مراراً كان الظفر فيها للمسلمين ، وفتـح الجند الذين ساروا الى

مدينة الشاش وأحرقوها ، ورجعوا إلى قتيبة وهو على كشان مدينة فَرْغَانَةَ وانصرف إلى مرو . ثم بعث الحجاج اليه جيشاً من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجاج فرجعوا إلى مرو .

خبر يزيد بن المهلب واخوته

كان الحجّاج قد حبس يزيد واخوته سنة ست وثمانين ، وعزل حبيب بن المُهَلَّب عن كرمان فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين ، وبلغه أن الاكراد غلبوا على فارس . فعسكر قريباً من البصرة للبعث ، وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط قريباً منه ، ورتب عليهم الحرس من أهل الشام . ثم طلب منهم ستة آلاف ألف ، وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقها . ثم كف عنهم وجعل يستأدبهم ، وبعثوا إلى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يعدّ لهم خيلاً ، وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة . فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب ، فأقاموا يتعاقرون . واستغفلهم يزيد والمُفضَّلُ وعبد الملك وخرجوا ولم يفطنوا لهم.

ورفع الحرس خبرهم إلى الحجاج فخشيهم على خراسان ، وبعث البريد إلى قُتَيبَةَ بخبرهم ليحذرهم ، وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح ، واستقبلته الخيل المعدّة له هناك ، وساروا إلى الشام على السماوة ومعهم دليل من كلب . ونمي خبرهم ، فبعث إلى الوليد بذلك ، وقدموا إلى فلسْطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن

الازدي ، وكان كريماً على سليمان فأخبره بحالهم ، وأنهم استجاروا به من الحجاج ، فقال ائتني بهم فقد أجرتهم . وكتب الحجاج إلى الوليد أن بني المهلب خانوا مال الله وهربوا مني فلحقوا بسليمان ، فسكن ما به لانه كان خشيهم على خراسان كما خشيهم الحجاج ، وكان غاضِباً للمال الذي ذهبوا به . فكتب سليمان إلى الوليد انَّ يزيداً عندي وقد أمَّنته ، وكان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدّ نصفها وأنا أؤدّي النصف .

فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به ، فكتب سليمان لأجيئنَّ معه . فكتب الوليد إذن لا أؤمنه . فقال يزيد لسليمان لا يتشاءم الناس بي لكما . فاكتب معي وتلطف ما أطقت ، فأرسله وأرسل معه ابنه أيوب ، وكان الوليد أمر أن يبعث مقيداً . فقال سليمان لابنه ادخل على عمك أنت ويزيد في سلسلة . فقال الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان . ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمان المال عن يزيد ، فقرأه الوليد واستعطفه أيوب في ذمَّة أبيه وجواره ، وتكلم يزيد واعتذر ، فأمنه الوليد ورجع إلى سليمان ، وكتب الوليد إلى الحجاج بالكف عنهم فكف عن حبيب ، وأبي عبسة وكانا عنده ، وأقام يزيد عند سليمان يهدي اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة .

ولاية خالد القسري على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها وقتله

ولما كان في سنة ثلاث وتسعين كتب عُمَرُ بن عبد العزيز إلى

الوليد يقص عليه أفعال الحجّاج بالعراق ، وما هم فيه من ظلمه وعدوانه ، فبلغ بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إنَّ كثيراً من المُرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن . فولّى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القِسْرِيّ[1] وعُثْمَانَ بن حَيَّانَ باشارة الحجاج ، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة . ولما قدم خالد مكة أَخرج من كان بها من أهل العراق كرهاً ، وتهدّد من أنزل عراقياً أَو أَجره داراً ، وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجأُ إلى مكة والمدينة كل من خاف الحجاج فيأمن . وكان منهم سعيد بن جبير هارباً من الحجاج ، وكان قد جعله على عطاءِ الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الأَشعث إلى قتال رتبيل . فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع ، فكان معه إلى أن هزم وسار إلى بلاد رتبيل ، فلحق سعيد بأَصبهان وكتب الحجاج فيه إلى عاملها فتحرّج من ذلك ، ودس إلى سعيد فسار إلى أَذربيجان . ثم طال عليه المقام فخرج إلى مكة فكان بها مع ناس أَمثاله من طلبة الحجاج يستخفون بأَسمائهم .

فلما قدم خالد بن عبد الله مكة أَمره الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج ، فأَخذ سعيد بن جبير ومجاهداً وطلق بن حبيب ، وبعث بهم إلى الحجاج فمات طلق في الطريق وجيء بالآخرين إلى الكوفة ، وأُدخلا على الحجاج . فلما رأى سعيداً شتم خالداً القسري على إرساله

(١) خالد هذا من جبابرة أمراء الدولة المروانية على شاكلة الحجاج ا هـ ـ من خط الشيخ العطار.

وقال : لقد كنت أعرف أنه بمكة ، وأعرف البيت الذي كان فيه ، ثم أقبل على سعيد وقال : ألم أشركك في أمانتي ؟ ألم أستعملك ؟ ثم تفعل ! يعدد أياديه عنده . فقال : بلى ! قال : فما أخرجك على قتالي ؟ أنا امرؤ من المسلمين أخطىء مرّة وأصيب أخرى . ثم استمر في محاورته فقال : انما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وقال : ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير ؟ ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك ثانياً ؟ قال بلى ! قال : فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتوفي بواحدة للفاعل ابن الفاعل ، والله لاقتلنك . فقال : اني لسعيد كما سمتني أمي ، فضربت عنقه ، فهلل رأسه ثلاثاً أفصح منها بمرّة . ويقال انَّ عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير ، فأخذوها من رجليه وقطعوا عليها ساقيه ، وكان إذا نام يرى سعيد ابن جبير في منامه آخذاً بمجامع ثوبه يقول : يا عدوّ الله فيم قتلتني فينتبه مرعوباً يقول ما لي ولسعيد بن جبير .

وفاة الحجاج

وتوفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله ، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كَبْشَةَ ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهم الوليد بعد وفاته . وكتب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان : قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء

المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب ، فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه ، ولم يغير الوليد أحداً من عمال الحجاج .

أخبار محمد بن القاسم بالسند

كان محمد بن القاسم بالمُلْتان وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع إلى الدور والثغور (١) وكان قد فتحها ثم جهزه الناس إلى السَلْمَاس مع حبيب فأعطوا الطاعة ، وسالمه أهل شرست وهي مغزى أهل البصرة ، وأهلها يقطعون في البحر . ثم سار في العسكر إلى (٢) فخرج اليه دوهر فقاتله محمد وهزمه وقتله ، ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا . ولم يزل عاملاً على السند إلى أن ولي سليمان بن عبد الملك ، فعزله وولى يزيد بن أبي كَبْشَةَ السَكْسَكِيّ على السند مكانه . فقيده يزيد وبعث به الى العراق ، فحبسه صالح ابن عبد الرحمن بواسط ، وعذبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم . وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج . ومات يزيد ابن أبي كبشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه .

فولى سليمان على السند حبيب بن المُهَلَّبِ ، فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ، ورجع حبشة بن داهر الى برهماباذ ،

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٣٣ : «فرجع إلى الرور والبغرور وكان قد فتحها» .
(٢) هذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ص ١٣٤ : «ثم إلى محمد الكيرج فخرج إليه دوهر» .

فنزل حبيب على شاطىء مهران ، وأعطاه اهل الروم الطاعة ، وحارب فظفر . ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز الى الاسلام على ان يملكهم وهم اسوة المسلمين فيما لهم وعليهم ، فأسلم حبشة والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عُمَرُ بن مُسْلِم الباهِليّ عامل عمر على ذلك الثغر ، فغزا بعض الهند وظفر . ثم ولىَّ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن على السند ايام هشام بن عبد الملك . فأتى شط مهران . ومنعه حبشة ابن داهر العبور وقال : اني قد اعملت وولاني الرجل الصالح ،ولست آمنك فأعطاه الرهن ثم ردها حبشة وكفر وحارب ، فحاربه الجنيد في السفن وأسره ثم قتله .

وهرب صَصَةُ بن داهر الى العراق شاكياً لغدر الجنيد ، فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله . ثم غزا الجنيد المكيرج من آخر الهند وكانو انقضوا ، فاتخذ كباشاً [١] زاحفه ثم صك بها سور المدينة فثلمها ، ودخل فقتل وسبى وغنم وبعث العمال الى المرمد والمعدل ودهج ، وبعث جيشاً الى ارين فأغاروا عليها وأحرقو ربضها ، وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف ، وحمل مثلها وولى تميم بن زيد الضَبِيّ فضعف ووهن ومات قريباً من الدَبيلِ . وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم . ثم ولي الحكم

(١) ليس المراد بالكباش ههنا الغنم، وإنما هي آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم، وقد بطلت هذه الآلة كالمنجنيق لما حدثت الآلات النارية من المدافع وغيرها، كبطلان النبال فليس الآن من الآلات القديمة إلا السيف والرماح قليلة ا هـ. من خط الشيخ العطار.

ابن سَوّام الكلبيّ ، وقد كفر أهل الهند الا أهل قَصَّةَ ، فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأْوى المسلمين . وكان معه عمر بن محمد بن القاسم ، وكان يفوض اليه عظائم الامور وأغزاه عن المحفوظة . فلما قدم وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كان امراءُ السند ينزلونها ، واستخلص ما كان غلب عليه العدوّ ورضي الناس بولايته . ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الاموية عن الهند . وتأْتي أخبار السند في دولة المأْمون .

فتح مدينة كاشغر

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهي أدنى مدائن الصين ، فسار لذلك وحمل مع الناس عيالا تهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر ، وجعل على المجاز مسلحة [1] يمنعون الراجع من العساكر الا باذنه . وبعث مقدمة الى كاشَغْرَ فغنموا وسبوا وختم أعناق السبْي ، وأوغل حتى قارب الصين . فكتب اليه ملك الصين يستدعي من أشراف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم . فانتخب قُتَيْبَةُ عشرة من العرب كان منهم هُبَيْرَةُ بن شَمْرَجَ الكتابيّ . وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخزّ والوَشي وخيول أربعة وقال لهم أعلموه اني حالف اني لا أنصرف حتى أطأَ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم . ولما قدموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الأَول فدخلوا ، وعليهم الغلائل والأَردية . وقد تطيبوا ولبسوا النعال ،

(١) المسلحة جماعة من العسكر يقفون في الطريق للحاجة إليهم ا هـ من خط الشيخ العطار.

فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن حضره ، وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان . فلبسوا الوشي والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه ، فلم يكلمهم وقالوا هذه أقرب الى هيئة الرجال . ثم دعاهم الثالثة فلبسوا اسلاحهم وعلى رؤوسهم البيضات والمغافر ، وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح ، ونكبوا القِسِي فهالهم منظرهم . ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا ، فعجب القوم منهم . ثم دعا زعيمهم هُبَيْرَةَ بن شَمَرْجَ فسأله لم خالفوا في زيّهم ؟ فقال : أمّا الأوّل فانا نساءٌ في أهلنا ، وأمّا الثاني فزينا عند امرائنا ، وأمّا الثالث فزينا لعدونا . فاستحسن ذلك ثم قال له : قد رأيتم عظم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وقد عرفت قلتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف والا بعثت من يهلككم . فقال هبيرة كيف نكون في قلة وأول خيلنا في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأمّا القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ، ولنا آجال اذا حضرت فلن نتعداها ، وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم . قال الملك فانا نخرجه من يمينه ، نبعث له بتراب من أرضنا فيطؤه ، ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ، ثم أجازهم فأحسن . وقدموا على قتيبة فقبل الجزية ووطىء التراب ، وختم الغلمان وردهم ثم انصرف من غداته . وأوفد هبيرة الى الوليد وبلغه وهو في الفرات موت الوليد .

وفاة الوليد وبيعة سليمان

ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الاخيرة من سنة ست وتسعين ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاءِ بني امية وبنى المساجد الثلاثة . مسجد المدينة ومسجد القدس ومسجد دمشق . ولما أراد بناءَ مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبناها مسجداً . وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها خارج المدينة مما فتح عنوة ونبنيها مسجداً فتركوا ذلك . وفتح في ولايته الاندلس وكاشغر والهند ، وكان يتخذ الضياع وكان متواضعاً يمرّ بالبقّال فيسأله بكم حزمة البقل ؟ ويسعر عليه . وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز ، فأبى سليمان ، فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك ، فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وبعض خواصه . واستقدم سليمان ثم استبطأه ، فأجمع السير اليه ليخلعه فمرت دون ذلك . ولما مات بويع سليمان من يومه وهو بالرَمْلَةِ فعزل عثمان بن حيان من المدينة آخر رمضان ، وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، وعزل ولاة الحجاج عن العراق ، فولى يزيد بن المهلب على المِصْرَيْن وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم . فبعث يزيد أخاه زياداً على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العُقَيْل قوم الحجاج وبني ابيه ، وبسط أصناف العذاب عليهم ، فولى على ذلك عبد الملك بن المهلب .

مقتل قتيبة بن مسلم

ولما وَلِيَ سُلَيْمَانُ خافه قُتَيْبَةُ لما قدّمناه من موافقته الوليد على خلعه ، فخشي أن يولي يزيد بن المُهلَّبِ خُراسانَ ، فأجمع خلعه وكتب اليه لئن لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمني لاخلعنك ، ولاملأنها عليك خيلاً ورجلاً ، فامنه وكتب له العهد على خراسان . وبعث اليه رسوله بذلك ، فبعث الرسول وهو بِحُلْوَانَ انه قد خلع ، وكان هو بعد بعثة الكتاب الى سليمان قد اشتد وجله ، وأشار عليه أخوه عبد الله بالمعاجلة ، فدعا الناس الى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية من تقدّمه فلم يجبه أحد ، فغضب وشتمهم وعدّد مثالبهم قبيلة قبيلة ، فأثنى على نفسه بالاب والبلد والمعشر . فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه . وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه ، فقال : لما لم تجيبوني غضبت فلم أدر ما قلت .

وجاء الأزد الى حُضَيْنِ بن المنذر « بالضاد المعجمة » فقالوا : كيف ترى هذا يدعو إلى فساد الدين ويشتمنا ، فعرف مغزاهم فقال : ان مضر بخراسان كثير ، وتميم أكثرهم وهم شوكتها ، ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها إلا وكيعاً . وكان وكيع موثقاً من قتيبة بعزله وولاية ضِرار بن حُصَيْن الضَّبِّي مكانه . وقال حَيَّانُ النَبَطِيّ مولى بني شَيْبَان ليس لها غير وكيع ، ومشى الناس بعضهم إلى بعض سرًّا ، وتولى كِبَر ذلك حيان . ونُمِيَ خبره إلى قتيبة فأمر بقتله إذا دخل عليه ، وتنصح بعض خدم قتيبة

بذلك إلى حيان ، فلما دعـاه تمارض ، واجتمع الناس إلى وكيع وبايعوه . فمن أهل البصرة والعالِيَةِ من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زَخْر ، ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيان النبطي ، وقيل من الديلم ، وسُمِّيَ نَبَطِيًّا للكنته .

وشرط على وكيع أن يحوّل لـه الجانب الشرقي من نهر بلخ فقبل ، وفشا الخبر وبلغ قتيبة فـدس ضرار بن حيان الضبي إلى وكيع فبايعه ، وجاءَ إلى قتيبة بالخبر ، فأرسل قتيبة إلى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته ائتني به وان أبى ائتني برأسه فلما جاءَ إلى وكيع ركب ونادى في الناس فأتوه أرسالاً . واجتمع إلى قتيبة أهـل بيته وخواصه وثقاته وبنو عمه ، وأمر فنودي في الناس قبيلةً قبيلةً ، وأجابوه بالجفوة . يقول أين بنو فلان ؟ فيقولون حيث وضعتهم ! فنادى بأُذكِّركم الله والرحم ، فقالوا أنت قطعتها ! فنادى لكم العتبى ، فقالوا لا ! انا لنا الله إذاً . فدعا ببرْذَوْنٍ ليركبه فمنعه ورَمَحَهُ ، فعاد إلى سريره . وجـاءَ حيان النبطي في العجم ، فأمره عبد الله أخو قتيبة أن يحمل عـلى القوم ، فاعتذر وقال لابنه إذا لقيتني حولت قلنسوتي فمل بالأعـاجم إلى وكيع ، ثم حولها ، وسار بهم ورمى صالح أخو قتيبة بسهم ، فحمل إلى أخيه . ثم تهايج الناس وجاءَ إلى عبدالرحمن أخي قتيبة الغوغاءُ ونحوهم فأحرقوا آرِيًّا [1]

(١) الآري: محبس الدابة أو حبل تشد به: جمعها أواري وأوار.

فيه ابل قتيبة ودوابه ؛ ثم زحفوا بـه حتى بلغوا فِسْطاطه فقطعوا أَطنابه . وجرح جراحات كثيرة . ثم قطعوا رأسه ، وقتل معه اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحُصَيْن وعبد الكريم ومسلم وابنـه كُثَيِّر ، وقيل قتل عبد الكريم بقَزْوين فكان عدَّة من قتل من أَهله أَحد عشر رجلًا . ونجا أَخوه عمر مـع أَخواله من تميم . ثم صعد وكيع المنبر وأَنشد الشعر في الثناء على نفسه وفعله والذم من قتيبة ، ووعد بحسن السيرة ، وطلب رأس قتيبة وخاتمـه من الأزد ، وهددهم عليه فجاؤوا بـه فبعثه إلى سليمان ، ووفى وكيع لحيان النَبَطِيّ بما ضمن له .

ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان يزيد بن المهلب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج ، استكره أَن يحيف عـلى الناس في الخراج فتلحقه المذمَّة كما لحقت الحجاج ، ويخرب العراق وان قصر عن ذلك لم يقبل منه . فرغب من سليمان أَن يعفيه من الخراج . وأَشار عليه بصالح ابن عبد الرحمن مولى تميم . فولاه سليمان الخراج وبعثه قِبَلَ يزيد . فلما جاء صالح إلى يزيد ضيق عليه صالح وكان يزيد يطعم على أَلف خوان . فاستكثرهـا صالح فقال اكتب ثمنها عليَّ وغير ذلك . وضجر يزيد ، وجـاء خبر خراسان ، ومقتل قتيبة . فطمع يزيد في ولايتها ودس عبدالله بن الاهتم عـلى سليمان أَن يوليه خراسان ولا يشعر بطلبته بذلك ، وبسيره عـلى البريد فقـال له سليمان ان يزيد

كتب إليَّ يذكر عملك بالعراق ! فقال نعم بها وُلِدْتُ وبها نشأْت .

ثم استشاره فيمن يوليه خراسان . ولم يزل سليمان يذكر الناس وهو يردهم ، ثم حذره من وكيع وغدره قال : فَسَمِّ أَنت ! قال شريطة الكمال الاجازة ممن أُشير به ، وإذا علم بكره ذلك . ثم قال هو يزيد بن المهلب ، فقال سليمان العراق أَحب اليه ! فقال ابن الأَهْتَمِ : قد علمت ولكن نكرهه فسيتخلف على العراق ويسير إلى خراسان ، فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الاهتم . فلما جاءه بعث ابنه مخاداً على خراسان وبعثه مع ابن الاهتم. ثم سار بعده ، واستخلف على واسط الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ ، وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكِلَابيّ ، وعلى الكوفة حَرْمَلَة ابن عبد اللَخْمِيّ . ثم عزله لاشهر بشير بن حيان النهدي ، فكانت قيس تطلب بثأْر قتيبة وتزعم أَنه لم يخلع . فأَوصى سليمان يزيد أَن أَقامت قيس بينة انه لم يخلع أَن يقيده من وكيع .

الصَّوائِف

أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية

كانت الصوائف[1] تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن ، واشتدت الفتن أَيام عبد الملك ، اجتمعت الروم واستجاشوا على أَهل الشام ، فصالح عبد الملك صاحب قُسْطَنْطِينِيَّةَ على أَن

(١) الصوائف هي الجيوش التي كانت تجهز في أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار، استمر ذلك من صدر الإسلام إلى أواخر الدولة العباسي ا هـ. ـ من خط الشيخ العطار.

يؤدي اليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظراً لهم ، وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية . ثم لما قتل مُصْعَبُ وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة احدى وسبعين في الصائِفَةِ . فدخل فافتتح قِيسارِيَّةَ ، ثم ولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين ، فدخل في الصائفة إلى بلاد الروم فهزمهم . ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية في أربعة آلاف ، ولقيه الروم في ستين ألفاً ، فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر . ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين ، فبلغ انبولِيَةَ وغزا في السنة بعدها في الصائفة من طريق مرعش ، فدوّخ بلادهم وخرج الروم في السنة بعدها إلى العتيق ، فغزاهم من ناحية مرعش ثانية ، ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية مَلْطِيَةَ ودخل في الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك ، فأثخن فيهم ورجع .

وجاء الروم سنة تسع وسبعين ، فأصابوا من أهل انطاكية وظفروا بهم ، فبعث عبد الملك سنة احدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ، ففتح قاليقلا . ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم ، فسألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه ، فغزاهم سنة خمس وثمانين . وصاف فيها وشتى ، ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوّخها ، ورجع وعاد اليها سنة سبع وثمانين . فأثخن فيهم بناحية المُصَيْصَةِ وفتح حصوناً كثيرة ، منها حصن بُولَقَ والأَخْرَمِ وبُولُسَ وقَمْقِيم . وقتل

من المُسْتَقْرِبَةِ ألف مقاتل ، وسبى أهاليهم . ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مُسْلِمَةُ بن عبد الملك والعَبَّاسُ بن الوليد ، فافتتح مسلمة حِصْنَ سورية ، وافتتح العباس اردولية ولقي جمعاً من الروم فهزمهم .

وقيل : ان مسلمة قصد عَمُورِيَّةَ فلقي بها جمعاً من الروم فهزمهم ، وافتتح هِرَقْلَةَ وقُمولِيَةَ ، وغزا العباس الصائفة من ناحية البَلْدَبْدُونِ . وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أَذَرْبَيْجَانَ ففتح حصوناً ومدائن هناك . ثم غزا سنة تسعين ، ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العباس حتى بلغ أُرْدُنَّ وسورية .

وفي سنة احدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك ، وكان الوليد قد ولى مسلمة على الجزيرة وأرمينية ، وعزل عمه محمد بن مروان عنها ، فغزا الترك من ناحية أذربيجان حتى الباب ، وفتح مدائن وحصوناً ثم غزا سنة اثنتين وتسعين بعدها ، ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سَرْسَنَّةَ الى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سُبَيْطِلَةَ ، وغزا مروان بن الوليد فبلغ خَنْجَرَةَ . وغزا مسلمة ففتح ماشِيَةَ وحصن الحديد وغزالة من ناحية مَلْطِيَةَ . وغز العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ، ففتح انطاكية . وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة ، وبلغ الوليد بن هشام المُعَيْطِيّ مروج الحمام ،

ويزيد بن إبي كَبْشَةَ أَرض سورية .

وفي سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هِرَقْلَةَ . وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أَرض الرضاخِيَّة وفتح الحصن الذي فتحه الرَّصاع ، وغزا عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ أَرض الروم في البحر فشتى بها ، وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وبعث ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المِراةِ ، وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم ، فجاءَ أَلْقُونُ الى سليمان فأَخبره وضمن له فتح الروم ، وسار سليمان الى وَابِقَ وبعث الجيوش مع أَخيه مسلمة ، ولما دنا من القُسْطَنْطِينِيَّةِ أمر أَهل المعسكر أَن يحمل كل واحد مدّين مدّين من الطعام ويلقوه في معسكرهم ، فصار أَمثال الجبال ، واتخذ البيوت من الخشب . وأَمر الناس بالزراعة ، وصاف وشتى وهم يأْكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استاقوه مُدَّخَرًا .

ثم جهد أَهل القسطنطينية الحصار وسأَلوا الصلح على الجزية دينارًا على الرأْس ، فلم يقبل مسلمة ، وبعث الروم الى أَلقون إن صرفت عنا المسلمين ملكناك ، فقال لمسلمة لو أَحرقت هذا الزرع علم الروم انك قصدتهم بالقتال فنأْخذهم باليد ، وهم الآن يظنون مع بقاءِ الزرع انك تطاولهم . فأَحرق الزرع فقوي الروم ، وغدر القون وأَصبح محارباً ، وأَصاب الناس الجوع فأَكلوا الدواب والجلود وأُصول الشجر والورق ، وسليمان مقيم بوابق وحال الشتاءُ بينهم وبينه ، فلم يقدر ان يمدهم حتى مات . وأَغارت بِرْجانُ على مسلمة

وهو في قلة فهزمهم وفتح مدينتهم . وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام ، فأثخن في بلاد الروم .

وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ، ففتح حِصْنَ المراةِ مما يلي مَلْطِيَةَ . وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم ، وأمده بالنفول بالمسلمين ، وبعث اليه بالخيل والدواب وحث الناس على معونتهم . ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاءِ عنها الى ملطية وخَرّبها . وكان عبد الله بن عبد الملك قد اسكنها المسلمين ، وفرض على أهل الجزيرة مَسْلَحَةً تكون عندهم الى فصل الشتاءِ ، وكانت متوغلة في أرض الروم فخربها عمر ، وولى على ملطية جَعُونَةَ بن الحرث من بني عامر بن صَعْصَعَةَ . وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطي وعمر ابن قيس الكِنْدِيّ .

فتح جرجان وطبرستان

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار ، وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح ، وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام اذا قُصَّتْ عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراءَ النهر ، ما فعلت جَرْجانُ التي قطعت الطريق وأفسدت يوسَسَ ونيسابور ، وليست هذه الفتوح بشيءٍ ، والشأن في جرجان . فلما ولاه سليمان خراسان سار اليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمُتَطَوِّعَة ، ولم تكن جرجان يومئذ

مدينة انما هي جبال ومَخَارِمُ ، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه . فابتدأ بِقَهِسْتَانَ فحاصرها وبها طائفة من الترك ، فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم . ولم يزل على ذلك حتى بعث اليه دهقان بَتَسْتَاذِنَ [1] يسأل في الصلح ويُسَلِّمُ المدينة وما فيها ، فصالحه وأخذ ما فيها من الاموال والكنوز والسُبِيِّ ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك ، وكتب الى سليمان بذلك .

ثم سار الى جرجان ، وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة ، فكانوا احياناً يجبون مائة وأحياناً مائتين وأحياناً ثلثمائة ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ، ثم كفروا ولم خراجاً ، ولم يأْت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق الى خراسان على[2] فكان الناس يسلكون على فارس وسَلْماس . ثم فتح قتيبة طريق قومِسَ ، وبقي أمر جرجان حتى جاءَ يزيد فصالحوه . ولما فتح يزيد قَهَسْتَانَ وجَرْجَانَ طمع في طبرستان ، فاستعمل عبد الله بن معمر اليَشْكُرِيّ على ساسان وقهستان ، وخلف معه أربعة آلاف فارس ، وسار الى ادنى جرجان من جهة طبرستان ، ونزل بآمد .

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٦ «فارسل حول دهقان قهستا إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له».

(٢) هنا بياض في الأصل وفي الكامل ج ٤ ص ١٤٦ : «لم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس».

ونسا راشد بن عمر في أَربعـة آلاف ، ودخل بلاط طبرستان فسأَل صاحبها الأَصبَهْبَذ في الصلح ، وأَن يخرج من طبرستان . فأَبى يزيد ورجا أَن يفتحها ، ووجه أَخاه عُيَيْنَةَ من وجه ، وابنه خالد بن يزيد من وجه ، واذا اجتمعا فعيينة على الناس . واستجاش الاصبهبذ أَهل جيلان والدَيْلَم والتقوا ، فانهزم المشركون ، واتبعهم المسلمون الى الشِعْبِ ، وصعد المشركون في الجبل ، فامتنعوا على المسلميـن وصعد أَبو عيينة بمن معه خلفهم ، فهزمهم المشركون في الوعر ، فكفوا . وكاتب الاصبهبذ أَهـل جرجان ومقدَّمهم المرزبـان أَن يبيتوا للمسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيـد والطرق بينه وبين جرجان ، ووعدهم بالمكافأَة على ذلك . فساروا بالمسلمين وهم غارّون ، وقتل عبد الله بن مَعْمَرَ وجميع من معـه ولم ينج أَحـد . وكتبوا الى الاصبهبَذ بأَخذ المضايق والطرق ، وبلـغ ذلك يزيـد وأَصحابه فعظم عليهم وهالهم ، وفزع يزيد الى حيان النَبَطِيّ وكان قـد غرّمه مائتي أَلف درهم بسبب أَنه كتب الى ابنه مخلد كتاباً فبدأَ بنفسه ، فقـال له لا يمنعك ما كان مني اليك من نصيحة المسلمين ، وقـد علمت ما جاءَ من جرجان فاعمل في الصلح . فأَتى حيـان الاصبهبذ ومت اليه بنسب العجم وتنصل له ، وفتل له في الذروة والغـارب حتى صالحه على سبعمائة أَلف درهم واربعمائة وِقْر[1] زعفران او قيمته

(١) الوقر: الحمل الثقيل. وأكثر ما يستعمل في حمل الحمار والبغل. أمـا حمل الجمـل فيسمى الوسق.

من العين ، وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وَطَيْلَسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة ، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع اهـ .

وقيل في سبب مسير يزيد الى جَرْجان أنّ صولاً [١] التركي كان على قهستان والبحيرة ، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من قهستان ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم ، وكان يغير على فيروز بن فولفول مرزبان جرجان . وأشار فيروز بنصيب من بلاده ، فسار فيروز الى يزيد هارباً منه ، وأخذ صول جرجان ، وأشار فيروز على يزيد أن يكتب الى الاصبهبَذ ويرغبه في العطاء ان هو حبس صولًا بجرجان حتى يحاصر بها . ليكون ذلك وسيلة الى معاكسته وخروجه عن جرجان ، فيتمكن يزيد منه . فكتب الى الاصبهبذ وبعث بالكتاب إلى صول ، فخرج من حينه الى البحيرة . وبلغ يزيد الخبر فسار الى جرجان ومعه فيروز ، واستخلف على خراسان ابنه مُخْلِدًا ، وعلى سَمَرْقَنْدَ وكَشّ ونَسْفَ وبُخارَى ابنه معاوية ، وعلى طَخَارِسْتَانَ ابن قُبَيْصَةَ بن الُمهَلَّبِ ، وأتى جرجان فلم يمنعه دونها أحد ودخلها . ثم سار منها الى البحيرة وحصر صولًا بها شهرًا حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلثمائة ، ويسلم اليه البحيرة ، فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة ، وقتل يزيد من

(١) قوله صول هو اسم ملك من ملوك الترك وقول بعض العرب:
ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممن داره صول
أي داره دار صول ا هـ. من خط الشيخ العطار.

الاتراك أَربعــة عشر أَلفاً وأَمر ادريس بن حَنْظَلَةَ العمى أَن يحصي ما في البحيرة ، ليعطي الجند فلم يقدر ، وكان فيهــا منالحنطة والشعير والأَرُزّ والسمسم والعسل شيءُ كثير ، ومن الذهب والفِضَّةِ كذلك . ولما صالح يزيد اصبهبَذ طبرستان كما قدّمناه سار الى جرجان وعاهد الله ان ظفر بهم ليطحننّ القمح على سائــل دمائهم ويأْ كل منه . فحاصرهم سبعة اشهر وهم يخرجون اليه فيقاتلونه ويرجعون ، وكانوا متمنعين (١) في الجبل والاوعار . وقصد رجــل من عجم خراســان فأَتبــع (٢) بخلا في الجبل ، وانتهى الى معسكرهم وعرف الطريــق اليه ودل الادلة على معالمه ، وأَتى يزيد فأَخبره . فانتخب ثلثمائــة رجل مع ابنه خالد ، وضم اليه جَهْمَ بن ذَخْرٍ وبعثــه ، وذلك الرجل يدل به ، وواعده أَن يناهضهم العصر من الغداة . ولمــا كان الغــد وقت الظهر أَحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ، ونظر العدوّ الى النار فهالهم وحاملوا للقتال آمنين خلفهم ، فناشبهم يزيد الى العصر ، واذا بالتكبير مــن ورائهم فهربوا الى حصنهــم ، واتبعهم المسلمون فأَعطوا ما بأَيديهم ونزلوا عــلى حكم يزيــد . فقتل المقاتل وسبى الذرّية وقاد منهم اثني عشر أَلفاً الى وادي جرجــان ، ومكن أَهل الثأْر منهم حتى استلحموهم . وجرى المــاءُ على الدم وعليه الارحاء فطحن وخبز وأَكل ، وقتل منهم أَربعين أَلفاً . وبنى

(١) كذا بالأصل ومقتضى السياق والأصح ممتنعين.

(٢) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٥٠ : فبينا هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد، وقيل رجل من طيء. فأبصر وعلاً في الجبل فتبعه.

مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ، ورجع الى خراسان وولى على جرجان جهم بن ذخر الجعفي ، ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره .

وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز

ثم توفي سليمان بدابق من أرض قِنَّسرين من سنة تسع وتسعين في صفر منها ، وقد كان في مرضه أراد أن يعهد الى ولده داود ، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة ابنك غائب عنك بِقُسْطَنْطِينِيَّة ولا يعرف حياته من موته ، فعدل الى عُمَرَ بن عبد العزيز وقال له : اني والله لأعلم انها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم الا أن أجعل أحدهم بعده . وكان عبد الملك قد جعل ذلك له ، وكتب بعد البسملة : هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : اني قد وليتك الخلافة بعدي ، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب .

ثم أمر كعب بن جابر العبسي صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته ، وأمر رجاءَ بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال : اخبرهم انه كتابي فليبايعوا من وليت فيه ، فبايعوه رجلًا رجلًا وتفرّقوا . وأتى عمر الى رجاء يستعمله ويناشده الله والمودّة ، يستعفي من ذلك ، فأبى . وجاءه هشام أيضاً يستعمله ليطلب حقه في الأمر فأبى ، فانصرف أسفاً أن يخرج منْ بني عبد الملك . ثم مات سليمان وجمع رجاء

أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب . فلما ذكر عمر قال هشام : والله لا نبايعه أبداً . فقال له رجاء : والله نضرب عنقك . فقام أسفاً يجر رجليه ، حتى جاء الى عمر بن عبد العزيز ، وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فبايعه واتبعه الباقون . ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، والوليد كان غائباً عن موت سليمان ، ولم يعلم بيعة عمر ، فعقد لواءً ودعا لنفسه وجاء الى دمشق . ثم بلغه عهد سليمان فجاء الى عمر واعتذر اليه وقال : بلغني أن سليمان لم يعهد ، فخفت على الأموال أن تنهب فقال عمر : لو قمت بالأمر لقعدت في بيتي ولم انازعك ، فقال عبد العزيز : والله لا أحب لهذا الأمر غيرك ! وأوّل ما بدأ به عمر لما استقرت البيعة أنه ردّ ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلي والجوهر الى بيت المال . وقال : لا اجتمع أنا وانت وهو في بيت واحد ، فردته جميعه . ولما ولي أخوها يزيد من بعد ردّه عليها فأبت وقالت : ما كنت اعطيه حياً أعطيه ميتاً . ففرّقه يزيد على أهله . وكان بنو امية يسبون علياً ، فكتب عمر الى الآفاق بترك ذلك ، وكتب الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول بالمسلمين .

عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة الى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم ، فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان ، وقد كان عمر ولّى على البصرة عَدِيّ بن أرطاة

الفَزاريّ ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بـــن الخَطَّاب ، وضم اليه أَبا الزِنادِ ، فكتب الى عدي بن أَرطاة موسى أَن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيداً ، فلما نزل يزيد واسط ، وركب السفن يريد البصرة بعث علي بن أَرطاة موسى بن الرُحَيْبَةِ الحِمْيَرِيّ فلقيه في نهر معقل عند الجسر ، فقيده وبعث به الى عمر ، وكان عمر يبغضه ويقول انه مراءٍ وأَهل بيته جبابرة .

فلما طالبه بالأَموال التي كتب بها الى سليمان من خمس جرجان قال : انما كتبت لأُسمع الناس ، وعلمت أَن سليمان لم يكن ليأْخذني بذلك . فقال له عمر : اتق الله ، وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها . ثم حبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبد الله الحَكَمِيّ والياً على خُراسان مكانه . وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لأَبيه . وقال لــه يا أَمير المؤمنين ان كانت له بينة فخذ بها والا فاستحلفه ، والا فصالحه او فصالحني عــلى ما تسأَل ، فأَبى عمر من ذلك وشكر من مخلد مـــا فعل ثم البس يزيد جبة صوف ، وحمله على جمل وسيره الى دَهْلَك . ومرّ يزيد على الناس وهو ينادي بعشيره وبالنكير لما فعل به ، فدخل سلامة بن نعيم الخَولاني على عمر ، وقال اردد يزيد الى محبسه لئلا ينزعه قومه ، فانهم قد غضبوا فرده الى أَن كان من أَمر فزارة ما يذكر .

ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جَرجَان جَهْمُ بن ذُحْر

الجَعْفِيّ ، فأرسل عامل العراق على جرجان عاملاً مكانـــه ، فحبسه جهم وقيده . فلما جاءَ الجرّاح الى خراسان أطلق أَهل جرجان عاملهم ، ونكر الجرّاح على جهم ما فعل . وقال لولا قرابتك مني مـا سَوَّغْتُكَ هذا ! يعني أَن جهماً وجعفا معاً ابنا سعد العشيرة . ثم بعث في الغزو وأَوفد على عمر وفـداً فكلم فيـه بعضهم عمر بـأَنه يعرّي الموالي بلا عطاءٍ ولا رزق ، ويؤاخـذ من أَسلم من أَهـل الذمّةبالخراج. ثم عرّض بأنه سيف مـن سيوف الجرّاح قد علم بالظـلم والعدوان ، فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قِبَلك فخـل عنه الجزية ، فسارع الناس الى الاسلام فِراراً من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب الى عمر بذلك .

فكتب اليه عمران : الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه خاتناً ، واستقدم الجراح وقال : احمل معك أَبا مُخْلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القُشَيْرِي . ولما قدم على عمر قـال : متى خرجت ؟ قال في شهر رمضان . قال صدقك من وصفك بالجفاء، ألا أَقمت حتى تفطر ثم تسافر . ثم سأَل عمر أَبا مخلد عن عبد الرحمن ابن عبدالله فقال : يكافىء الأَكفاءَ ، ويعادي الأَعداءَ ويقدم إن وجد مـا يساعده . قال فعبد الرحمن بن نعيم ؟ قال يحب العافيـة وتأْتيه ! قال هو أَحب اليّ ، فولّاه الصلاة والحرب ، وولى عبد الرحمن القشيري الخراج . فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلب ، وولي مسلمة . فكانت ولايته أَكثر من سنـة

ونصف . وظهر من أيام الجرّاح بخراسان دعاة بني العباس فيمن بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى الآفاق حسبما يذكر في أخبار الدولة العباسية .

وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد

ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة احدى ومائة بدير سمعان ، ودفن بها لسنتين وخمسة أشهر من ولايته ، ولأربعين من عمره ، وكان يدعى أَشَجَّ بني امية ، رمحته دابة وهو غلام فشجته . ولما مات ولي بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدم ، وقيل لعمر حين احتضر : اكتب إلى يزيد فأوصه بالأُمَّة ، فقال بماذا أُوصيه ؟ انه من بني عبد الملك ! ثم كتب : أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، انك تترك ما أترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك والسلام . ولما ولي يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن المدينة ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفِهْرِيّ ، وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز ، وكان من ذلك شأن خراج اليمن . فان محمّداً أخا الحجاج جعَل عليهم خراجاً مجدّداً ، وأزال ذلك عمر الى العشر او نصف العشر . وقال : لئن يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب اليّ من تقرير هذه الوظيفة . فلما وَلِيَ يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حَرَضاً . وهلك عمه محمد بن مروان فولى مكانه على الجزيرة وأَذرَبَيْجَانَ وأَرْمِينِيَةَ عمه الآخر مَسْلَمَةَ بن عبد الملك .

احتيال يزيد بن المهلب ومقتله

قد تقدَّم لنا حبس يزيد بن المهلب ، فلم يزل محبوساً حتى اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز فعَمل في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لأَن زوجته بنت أَخي الحجاج . وكان سليمان أَمر ابن المهلب بتعذيب قرابة الحجاج كلهم ، فنقلهم من البلقـــاء وفيهم زوجة يزيد وعذبها . وجاءه يزيد بن عبـــد الملك الى منزله شافعاً فلم يشفعـــه ، فضمن حمل ما قرَّر عليهـــا فلم يقبل ، فتهدَّده فقال له ابن المهلب : لئن وليت أَنت لأَرمينك بمائة أَلف سيف ، فحمل يزيد بن عبدالملك عنهـــا مائة أَلف دينار ، ولما اشتدّ مرض عمر خاف من ذلك وأَرسل الى مواليه أَن يغدوا اليه بالابل والخيل في مكان عيَّنَـــهُ لهم . وبعث الى عامل حلب باشفاقه من يزيـــد ، وبذل له المال والى الحرس الذين يحفظونه فخلى سبيله ، وأَتى الى دوابـــه فركبها ولحق بالبصرة . وكتب الى عمر اني والله لو وثقت بحياتك لم أَخرج من محبسك . ولكن خفت أَن يقتلني يزيـــد شر قتلة . فقرأَ عمر الكتـــاب وبه رمق ، فقال اللهمّ ان كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوءاً فأَلحقه بـــه وهضه فقد هاض . انتهى .

ولما بويع ليزيد بن عبد الملك ، كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، والى عديّ بن ارطاة بالبصرة بهربه والتحرز منه ، وأَبى عَدِيّ أَن يـأْخذ الُمهَلَّبَ بالبصرة ، فحبس الُمفَضَّلُ حبيباً ومروان ابني المهلب ، وبعث عبد الحميد من الكوفة جنداً عليهم هشام بن

ساحِق بن عامر فأتوا العُذَيْبَ ومرّ بيزيد عليهم فوق القَطْقَطَانَةِ فلم يقدموا عليه . ومضى نحو البصرة وقد جمع عَدِيٌّ بن أَرطاة أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيلها المُغِيرَةَ بن عبد الله بن أبي عقيل . وجاء يزيد على أصحابه الذين معه ، وانضم اليه أخوه محمد فيمن اجتمع اليه من قومهم . وبعث عدي بن ارطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالًا : فعلى الأزد المُغِيرَةَ بن زياد بن عمر العَتْكِيّ ، وعلى تميم مُحْرِزَ بن حمدان السَعْدِيّ ، وعلى بَكْرَةَ نوح بن شَيْبَان بن مالك بن مُسْمِعَ ، وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالِيَة عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وهم قُرَيْشٌ و كِنانَةُ والازْدُ وبُجَيْلَةُ وخَثْعَمُ وقيْسُ عَيْلان ومُزَيْنَةُ ،فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فانزل . انتهى .

واختلف الناس اليه ، وأرسل إلى عَديّ أن يطلق له إخوته فينزل به البصرة ، ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد ، وبعث حميد ابن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك ، فأجاره خالد القسريّ وعمر بن يزيد الحَكَمِيّ بأمان يزيد له ولأهله . وقد كان بعد منصرف حميد فرّق في الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا عليه ، وعدي يعطي درهمين درهمين . ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدي فانهزموا ، ودنا يزيد من القصر ، وخرج عدي بنفسه ، فانهزم أصحابه . وخاف اخوة يزيد وهم في الحبس أن يقتلوا قبل وصوله ، فأغلق الباب

وامتنعوا ، فجاءهم الحرس يعالجون فأجفلهم الناس عنه ، فخلوا عنهم وانطلقوا الى أخيهم .

ونزل يزيد دار مسلم بن زياد الى جنب القصر ، وتسوّر القصر بالسلالم وفتحه ، وأتي بعدي بن ارطاة فحبسه . وهرب رؤوس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر الى الكوفة والشام . وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العَتْكِيّ الى الشام ، فلقي خالداً القِسْرِيّ وعمر بن يزيد ، وقد جاؤوا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد ابن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة ، وحبسِه عديًّا ، فرجعا الى وعد لهما فلم يقبلا ، فقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب وحماد بن ذَخْر وحملهما وسيرهما الى الشام ، فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن . وبعث يزيد بن عبد الملك الى أهل الكوفة يثني عليهم ويمنيهم الزيادة ، وجهز أخاه مسلمةوابن اخيه العباس بن الوليد الى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة ، فقدموا الكوفة ونزلوا النُخَيْلَةَ .

وتكلم العباس يوماً ببعض الكلام فأساءَ عليه حيَّانُ النبَطِيّ بالكَشَّةِ الأَعجمِيَّةِ . ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام فخطب الناس وشجعهم للقائهم وهوّن عليهم أمرهم ، وأخبرهم أن أكثرهم لـه . واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان . وبعث الى خراسان مُدْرِكَ بن المُهَلَّبِ وعليها عبد الرحمن بن نعيم ، وبعث بنو تميم ليمنعوه . ولقيه الأزد على

رأس المغارة فقالوا ارجع عنا حتى نرى مآل أمركم . ثم خطب يزيد الناس يدعوهم الى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد ، وأن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ، ونكر ذلك الحسن البَصْرِيُّ والنضْر بن أَنَسٍ بن مالك ، وتابعهما الناس في النكير .

وسار يزيد من البصرة الى واسطٍ واستخلف عليها أخاه مَرْوان ابن المُهَلَّب . وأقام بواسط أياماً ، ثم خرج منها سنة اثنتين ومائة : واستخلف عليها أمان معونة . وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة ، فاستقبله اين الوليد بسور له ، فاقتتلوا وانهزم عبد الملك ، وعاد الى يزيد . وأقبل مسلمة على شاطىء الفرات الى الأنبار فعقد الجسر وعبر وسار ، حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وفزع اليه ناس من أهل الكوفة ، وكان عسكره مائة وعشرين . وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وشق المياه وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يفزعوا الى يزيد بن المهلب ، وبعث بعثاً الى مسلمة مع صَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مُخْنِف ، فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة ، واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد ابن عُقْبَةَ .

ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمداً بالعساكر يبيتون مسلمة ، فأبى عليه أصحابه وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالاجابة فلا نغدرهم . فقال يزيد : ويحكم تصدّقونهم انهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه ، والله ما في بني مروان

امكر ولا أَبعد غوراً مـن هذه الجرادة الصغرى يعني مسلمـة . وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على اللحاق بيزيد أَخيه والحسن البصري يثبطهم ويتهدّده فلم يكف . ثم طلب الذين يجتمعون اليه فافترقوا ، فأَقام مسلمة بن عبد الملك يطـاول يزيـد بن المهلب ثمانية أَيام . ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفَر فعبى أَصحابه ، وعبى العباس بن الوليد كذلك ، والتقوا واشتدّ القتال ، وأَمر مسلمة فأَحرق الجسر فسطع دخانه . فلمـا رآه أَصحـاب يزيد انهزمـوا ، واعترضهم يزيد يضرب في وجوههم حتى كثروا عليه ، فرجع وترجل في أَصحابه . وقيل له قتل أَخوك حبيب ، فقال لا خير في العيش بعده ولا بعد الهزيمة .

ثم استمات ودَلَفَ الى مَسْلَمَةَ لا يريد غيره ، فعطف عليه أَهل الشام فقتلوه هو وأَصحابه ، وفيهم أَخوه محمد . وبعث مسلمة برأْسه الى يزيد بن عبد الملك مـع خالد بن الوليد بن عُقْبَةَ . وقيـل : إنَّ الذي قتله الهُذَيْلُ بن زُفَرِ بن الحرث الكِلَابيّ ، وأَنف أَن ينـزل فيأْخذ رأْسه فأَخذه غيره . وكان المفضل بن المهلب يقاتل في ناحية المعترك ، وما علم بقتل يزيد ، فبقي ساعة كذلك يَكِرُّ وَيَفِرُّ حتى أُخْبِرَ بقتل اخوته ، فافترق الناس عنه ومضى الى واسط . وجاءَ أَهل الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أَبو رؤْبَةَ رأْس الطائفة الْمُرْجِئَةِ ومعه جماعة منهم صدق ، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا . وأَسرمسلمة ثلثمائة أَسير حبسهم في الكوفة .

وجاءَ كتاب يزيد الى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم ، فأمر العريان بن الهَيْثَم صاحب الشرطة بذلك ، وبدأ بثمانين من بني تميم فقتلهم . ثم جاءَ كتاب يزيد باعفائهم فتركهم . وأقبل مسلمة فنزل الحيرة ، وجاءَ الخبر بقتل يزيد الى واسط ، فقتل ابنه معاوية عديّ بن ارطاة ومحمداً ابنه ومالكاً وعبد الملك ابنا مسمع في ثلاثين ، ورجع الى البصرة بالمال والخزائن . واجتمع بعمه المُفَضَّل وأهل بيتهم ، وتجهزوا للركوب في البحر ، وركبوا الى قَنْدَابيل وبها وَداع بن حميد الأسدي ، ولاه عليها يزيد بن المهلب ملجأً لاهل بيته ان وقع بهم ذلك ، فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم الى جبال كَرْمان فنزلوا بها ، واجتمع إليهم الفَلُّ من كل جانب .

وبعث مسلمة مدرك بن ضَبٍّ الكلبي في طلبهم فقاتلهم ، وقتل من أصحاب المفضل النُعْمَانُ بن ابراهيم ، ومحمد بن اسحق بن محمد ابن الأشعث وأسر ابن صول قهستان . وهرب عثمان بن اسحق ابن محمد الأشعث ، فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة . ورجع ناس من أصحاب بني المهلب فاستأمنوا ، وأمنهم مسلمة منهم مالك ابن ابراهيم بن الأشتر والوَرْدُ بن عبد الله بن حبيب السَعْدِي التميمي . ومضى الى آل المهلب ومن معهم بقندابيل، فمنعهم وداع ابن حميد من دخولها، وخرج معهم لقتال عدوّهم . وكان مسلمة قد ردّ مدرك ابن ضَبٍّ بعد هزيمتهم في جبال كرمان ، وبعث في أثرهم هلال بن أَحْوَز التميمي فلحقهم بقندابيل ، فتبعوا لقتاله .

وبعث هلال راية أمان . فمال اليه وداع بن حميد ، وعبدالله ابن هلال ، وافترق الناس عن آل المهلب . ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلهم عن آخرهم : المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ، والمِنْهال بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلب ، وعمر ابن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل(١) ملك الترك . وبعث هلال بن أَحْوَزَ برؤوسهم وسُبِيِّهِمْ واسراهم الى مسلمة بالحيرة ، فبعث بهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك ، فسيرهم يزيد الى العباس بن الوليد في حلب ، فنصب الرؤوس . وأراد مسلمة أن يبتاع الذرّية فاشتراهم الجَرّاح بن عبدالله الحَكِيمِيّ بمائة ألف وخلى سبيلهم . ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً .

ولما قدم بالأسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب ، واستأمنت هند بنت المهلب لأخيها عُيَيْنَةَ الى يزيد بن عبد الملك فأمنه ، وأقام عمرو وعثمان عند رتبيل حتى أمنهما أسد بن عبد الله القِسْرِي وقدما عليه بخراسان .

ولاية مسلمة على العراق وخراسان

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بني المهلب ولاه يزيد بن عبد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان ، فأقرّ على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد ، وكان قد

(١) كذا بالأصل ويظهر أن هنا عبارة سقطت في النسخ . وإليك ما جاء في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٧٥ : وحملت رؤوسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه إلا أبا عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل».

قام بأمر البصرة بعد بني المُهَلَّبِ شَبيبُ بن الحرث التميمي ، فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي . وأراد عبد الرحمن أن يقتل شيعة ابن المهلب بالبصرة ، فعزله وولى على البصرة عبد الملك بن بِشْرِ بن مروان . وأقرّ عمر بن يزيد على الشرطة . واستعمل مسلمة على خراسان صهره على (١) سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أَبي العباس ، ويلقب سعيد خذينة .

دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة ، وحوله مرافق مصبغة . وسئل عنه لما خرج فقال : خذينة ، وهي الدهقانة ربة البيت . ولما ولاه على خراسان ، سار اليها فاستعمل شُعْبَةَ بن ظَهيرٍ النَهْشَلِيّ على سمرقند . فسار اليها وقدم الصُغْدَ ، وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم ، ثم عادوا الى الصلح . فوبخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن ، فاعتذروا بأمر أميرهم عليّ بن حبيبِ العَبْدِي . ثم حبس سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله وأطلقهم ، ثم حبس عمال يزيد بن المهلب ، رفع لهم انهم اختانوا الأموال فعذبهم ، فمات بعضهم في العذاب ، وبقي بعضهم في بالسجن حتى غزاهم التُرْكُ والصُغْدُ فأطلقهم .

العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب مع

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٧٧ : «واستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية».

مسلمة أخيه والعباس بن أخيه الوليد قال له العباس : انا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك ، ويبث [1] ذلك في أعضادنا ، وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه بن الوليد ، وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال : أخوك أحق فان ابنك لم يبلغ ، وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده ، والوليد ابن احدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك . ثم بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول : الله بيني وبين من قدّم هشاماً عليك .

غزوة الترك

لما وَلِيَ سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خُذَيْنَةَ ، واستعمل شُعْبَةَ على سَمَرْقَنْدَ ثم عزله كما مرّ ، وولّى مكانه عثمان بن عبد الله ، ابن مُطَرِّفَ بن الشِخِّير فطمعت الترك ، وبعثهم خاقان الى الصُغدِ ، وعلى التُرْكِ كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهِلِيّ ، وفيه مائة اهل بيت بذراريهم ، وكتبوا الى عثمان بسمرقند وخافوا أن يبطىء المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة . وندب عثمان الناس فانتدب المسَيَّبَ بن بشر الرياحيّ ،ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل . فقال لهم المسيب من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدّم ! فرجع عنه ألف ، وقالها بعد فرسخ فرجع ألف آخر ، ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف .

(١) كذا. وبث تعني نشر أو أذاع ولا معنى لها هنا. ولعلها «يفت» أي يكسر قوتنا، ويفرق أعواننا.

وسار حتى كان على فرسخين من العدو ، فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن وميعادهم غداً . وقال أَصحابي ثلثمائة مقاتل وهم معكم ، فبعث المسيب الى القصر رجلين عَجَمِيًّا وعَرَبِيًّا يأْتيانه بالخبر ، فجاؤوا في ليلة مظلمة ، وقد أَجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه احد ، فصاح بهما فقالا له اسكت وادع لنا فلاناً . فأعلماه قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غداً ؟ فقال لهما نحن مستميتون . فرجعا الى المسيب فأخبراه ، فعزم على تبييت الترك ، وبايعه أَصحابه على الموت ، وساروا يومهم الى الليل . ولما أمسى حثهم على الصبر وقال : ليكن شعاركم يا محمد ، ولا تتبعوا مُوَلِّيًا ، واعقروا الدواب فانه أَشدّ عليهم ، وليست بكم قلة فانَّ سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنته ، وان كثر أهله . ثم دنوا من العسكر في السَحَرِ ، وثار الترك وخالطهم المسلمون ، وعقروا الدواب وترجل المسيب في أَصحاب له فقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل عظيم من عظماءِ الترك فانهزموا . ونادى منادي المُسَيَّبِ لا تتبعوهم ، واقصدوا القصر واحملوا من فيه ، ولا تحملوا من متاعهم الا المال . ومن حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حِسْبَةً فأجره على الله ، والا فله أربعون درهماً . وحملوا من في القصر الى سمرقند . ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً . ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤونا بالأمس .

غزو الصغد

ولما كان من انتقاض الصغد واعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا، تجهز سعيد لغزوهم وعبر النهر، فلقيه الترك وطائفة من الصُغْدِ، فهزمهم المسلمون. ونهاهم سعيد عن أَتباعهم، وقال: هم جباية أَمير المؤمنين فانكفوا عنهم. ثم سار المسلمون إلى وادٍ بينهم وبين المرج، فقطعه بعض العسكر وقد أَكمن لهم الترك، فخرجوا عليهم. وانهزم المسلمون إلى الوادي، وقيل بل كان المنهزمون مَسْلَحَةً للمسلمين. وكان فيمن قتل شُعْبَةُ بن ظهر في خمسين رجلًا. وجاءَ الأَمير والناس فانهزم العدوّ. وكان سعيد إِذا بعث سرية فأَصابوا وغنموا وسبوا ردّ السُبِيّ وعاقب السَرِيَّةَ، فثقل سعيد على الناس وضَعفوه. ولما رجع من هذه الغزاة وكان سَوْرَةُ بن الأَبْجَرِ قد قال لحيَّان النَبَطي يوم أَمر سعيد بالكف عن الصغد وانهم جباية أَمير المؤمنين[1]. فقال سورة ارجع عنهم يا حيان! فقال: عقيرة الله لا أَدعها! فقال: انصرف يا نَبَطِيّ. قال أَنبط الله وجهك. فحقدها عليه سورة وأَغرى به سعيد خدينة وقال: انه أَفسد خراسان على قتيبة، ويثب عليك ويتحصن ببعض القلاع. فقال له سعيد: لا يسمع هذا منك أَحد، ثم حاول عليه وسقاه لبناً قد أَلقى فيه ذهباً مسحوقاً. ثم ركض

(١) قوله هم جباية أمير المؤمنين معناه أنه يأخذ منهم المال، ففي استئصالهم ضياع له ا هـ. من خط الشيخ العطار.

والناس معه أربعة فراسخ ، فعاش حيان من بعدهـا ليالي قلائل ومات .

ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان

كان مَسْلَمَةُ لما ولي على هذه الاعمال لم يدفع من الخراج شيئاً ، واستحيا يزيد من عزله ، فكتب اليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله . وسار لذلك سنة ثـلاث وأربعمائة ، فلقيه عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ بالطريق عـلى دواب البريد وقـال : وجهني أمير المؤمنين لحيازة أموال بني المُهَلَّب ، فارتاب لذلك ، وقال له بعض اصحابه : كيف يبعث ابن هبيرة من عند الجزيرة لمثل هـذا الغرض ؟ ثم أتاه أنَّ ابن هبيرة عزل عماله . وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان ، وكان الحجاج يبعثه في البعوث ، وهو ممن سار لقتال مُطْرَفِ بن المُغيرَةِ حين خلع ، ويقال انه الذي قتله وجاءَ برأسه .

فسيره الحجاج إلى عبد الملك فأقطعه قرية قريبة من دمشق ، ثم بعثه إلى كروم ابن مُرْثِدَ الفزاري ليخلص منه مالاً ، فارتاب وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائداً به من الحجاج . وقال قتلت ابن عمـه ولست آمنه على نفسي ، فأجاره عبد الملك ، وكتب الحجاج اليه فيه . فقـال أمسك عنه ، وعظم شأنه عبد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عبد العزيز عـلى الروم من نـاحية أرمينية ، وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم . واستخدم أيام يزيد لمحبوبته

حَبَّابَةَ [١] ، فسعت له في ولاية العراق ، فولاه يزيد مكان أخيه مسلمة .
ولما ولي قدم عليه المَجْشَرُ بن مزاحم السَلَمِيّ وعبد الله بن عمر الليثي في وفد ، فشكوا من سعيد وحُذَيْفَةَ عاملهم ، وهو صهر مَسْلَمَةَ ، فعزله وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحُرَيْشي من بني الحُرَيْش بن كعب بن ربيعة بن عامِرَ بن صَعْصَعَةَ ، فسار خدينة عن خُراسان ، وقدم سعيد فلم يعرض لعماله

ولما قدم على خُراسان كان الناس بازاء العاوّ ، وقد نكثوا فحثهم على الجهاد ، وخاف الصُغْدُ منه بما كانوا أعانوا الترك أيام حُذَيْفَةَ ، فقال لهم ملكهم احملوا له خراج ما مضى ، واضمنوا خراج ما يأتي ، والعمارة والغزو معه ، وأعطوه الرهن بذلك . فأبوا إلا أن يستجيروا بملك فَرْغَانَةَ وخرجوا من بلادهم إلى خَجَنْدَةَ وسألوا الجوار وأن ينزلوا شِعْبَ عصام . فقال : أمهلونا عشرين يوماً أو أربعين لنخيله لكم ، وليس لكم عليَّ جوار قبل دخولكم اياه . ثم غزاهم الحُرَيْش سنة أربع ومائة ، فقطع النهر وترك قصر الريح على فرسخين من الدَنوسِيَّةِ ، وأتاه ابن عم ملك فرغانة يغريه بأهل الصُغْدِ وأنهم بخجندة ، ولم يدخلوا جواره بعد ، فبعث معه عبد الرحمن القسري في عسكر ، وجاء في أثره حتى نزلوا على خجندة ، وخرج أهل صُغْدٍ لقتالهم فانهزموا ، وقد كانوا حفروا خندقاً وغطوه بالتراب

(١) حبابة هذه جارية أحبها يزيد حباً تجاوز به الحد وضرب به المثل ا هـ. من خط الشيخ العطار.

ليسقط فيه المسلمون عند القتال ، فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق .

ثم حاصرهم الحُرَيْشِيّ ونصب عليهم المجانيق ، وأرسلوا إلى ملك فرغانة ليجيرهم . فقال قد شرت عليكم أن لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم . فسألوا الصلح من الحُرَيْشِيّ على أن يردّوا ما في أيديهم من سَبْيِ العرب ، ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة وان أحدثوا حدثاً استبيحت دماؤهم . فقبل منهم وخرجوا من خجندة ، ونزلوا في العسكر على كل من يعرفه . وبلغ الحريشي أنهم قتلوا امرأة فقتل قاتلها ، فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة . وقتل الصُغْدُ من أسرى المسلمين مائة وخمسين ، ولقي الناس منهم عنفاً ، ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح ، فقاتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف .

وكتب الحُرَيْشِيّ إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعمر بن هُبَيْرَةَ ، فأحفظه ذلك ثم سرح الحريشي سليمان بن أبي السُرى إلى حصن يطيف به وراءَ الصُغْد ومعه خَوارزم شاه وملك أَجْرون وسومان ، فسار سليمان وعلى مقدمته المُسَيَّبُ بن بشر الرياحي ، ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصرهم ، فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل ، وبعث إلى الحريشي فقبضه ، وبعث من قبضه . وسار الحُرَيْشي إلى كَشّ فصالحوه على عشرة آلاف رأس وولّى نصر بن سيار على قبضها . واستعمل

على كش ونسف حرباً وخراجاً سليمان بن السُرى واستنزل مكانه آخر اسمه قَشْقَري من حصنه على الامان وجاء به إلى مَرْوَ فشنقه وصلبه .

ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر

ولما سار ابن هبيرة على الجزيرة وأرمينية تشبب(١) البَهْراني ، فحفل لهم الخَزَر وهم التركمان ، واستجاشوا بالقَفْجَاقِ وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين بمرج الحجارة ، فهزموهم ، واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه . وقدم المنهزمون على يزيد بن عبد الملك ، فولى على أرمينية الجَرَّاحَ بن عبد الله الحَكَمِيّ وأمدّه بجيش كثيف ، وسار لغزو الخزر فعادوا لباب الأبواب . ونزل الجراح بردعة فأَراح بها قليلاً . ثم سار نحوهم وعبر نهر الكُرّ ، وأشاع الاقامة ليرجع بذلك عيونهم اليهم . ثم أسرى من ليلته وأجدّ السير إلى مدينة الباب ، فدخلها وبثّ السرايا للنهب والغارة .

وزحف اليه التركمان وعليهم ابن ملكهم ، فلقيهم عند نهر الزّمانِ واشتدّ القتال بينهم ، ثم انهزم التُركُمَانُ وكثر القتل فيهم ، وغنم المسلمون ما معهم ، وساروا حتى نزلوا على الحِصْنِ ، ونزل أَهلها على الامان فقتلهم . ثم سار إلى مدينة بَرْغوا فحاصرها ستة أيام ، ثم نزلوا على الامان ونفلهم ، ثم ساروا إلى بلنجر ، وقاتلهم

(١) التشبيب: وصف المحاسن. ولعلها هنا بمعنى ابتدأ.

التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة . وغنم المسلمون جميع ما فيه . فأصاب الفارس ثلثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً . ثم إنَّ الجراح رجع حصن بلنجر إلى صاحبه ، وردّ عليه أهله وماله ، على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفار . ثم نزل على حصن الوبيد وكان به أربعون ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجرَّاح على مال أعطوه إيـاه . ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين ، فأقام في رستاق سبى وكتب إلى يزيد بالفتح وطلب المدد ، وكان ذلك آخر عمر يزيد . وبعث هشام بعد ذلك اليه بالمدد وأقرَّه على العمل .

ولاية عبد الواحد القسري على المدينة ومكة

كان عبد الرحمن بن الضحَّاك عـاملاً على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز ، وأقام عليها ثلاث سنين ثم حدثته نفسه خطبة فاطمة بنت الحُسَيْنِ فامتنعت ، فهدّدهـا بأن يجلد ابنها في الخمر ، وهو عبد الله بن الحسين الْمُثَنَّى . وكان عـلى ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هُرْمُزَ . ولما رفع حسابه وأراد السير إلى يزيد ، جاء ليودّع فاطمة ، فقالت اخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرّض لي . ثم بعث رسولها بكتابها إلى يزيد يخبره . وقدم ابن هُرْمُزَ على يزيد ، فبينا هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب : بالباب رسول فـاطمة بنت الحسين ، فـذكر ابن هرمز ما حملته .

فنزل عن فراشه وقال : عندك مثل هذا وما تخبرني به ؟ فاعتذر بالنسيان .

فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب ، وجعل ينكث الارض بخيزرانة ويقول : لقد اجترأ ابن الضحاك ، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب ؟ قيل له عبد الواحد بن عبد الله القسري . فكتب اليه بيده : قد وليتك المدينة ، فانهض اليها واعزل ابن الضحاك وغرّمه أربعين ألف دينار ، وعذبه حتى أسمع وأنا على فراشي . وجاء البريد بالكتاب اليه ، ولم يدخل على ابن الضحاك . فأحضر البريد ودس اليه بألف دينار فأخبره الخبر ، فسار ابن الضحاك إلى مسلمة ابن عبد الملك واستجار به ، وسأل مسلمة فيه يزيد . فقال والله لا أعفيه أبداً . فردّه مسلمة إلى عبد الواحد بالمدينة فعذبه ولقي شرًّا ، ولبس جُبّة صوف يسأل الناس ، وكان قد آذى الانصار فذموه ، وكان قدوم القسري في شوال سنة أربع ومائة ، وأحسن السيرة فأحبه الناس . وكان يستشير القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله .

عزل الحريشي وولاية مسلم الكلابي على خراسان

كان سعيد الحُرَيْشي عاملاً على خراسان لابن هُبَيْرَةَ كما ذكرنا ، وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه ، ويكنيه أبا المثنى . وبعث من عيونه من يأتيه بخبره ، فبلغه أعظم مما سمع ، فعزله وعذبه حتى أدى الاموال ، وعزم على قتله ثم كف عنه . وولى ابن هُبَيْرَةَ على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَةَ الكِلَابي ، ولما

جاء إلى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا . فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسري في طلبه الحُرَيْشيّ فأدركه على الفرات . وقال لابن هبيرة ما ظنك بي ؟ قال انك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قسر . قال هو ذاك ثم انصرف وتركه .

وفاة يزيد وبيعة هشام

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لاربع سنين من خلافته ، وولي بعده أخوه هشام بعهده اليه بذلك كما مرّ ، وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك ، فعزل عمر بن هبيرة عن العراق وولى مكانـه خالد بن عبد الله القِسري فسار إلى العراق من يومه .

غزو مسلم الترك

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة ، فعبر النهر وعاث في بلادهم ولم يفتح شيئاً ، وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر ، فعبر بالناس ولم ينالوا منـه . ثم غزا بقية السنة وحـاصر أفشين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ، ثم دفعوا اليه القلعة . ثم غزا سنة ست ومائة . وتباطأ عنه الناس ، وكان ممن تباطأ البُخْتُرِي ابن دِرْهَم فردّ مُسْلمُ نَصْرَ بن سَيَّارَ إلى بَلْخٍ وأمره أن يخرج الناس اليه . وعـلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم ، فجـاء نصر وأحرق باب البختري وزياد بن طريف الباهلي . ثم منعهم عمر من دخول بلخ ، وقـد قطع سعيد النهر ، ونزل نصر بن سيار البَرْوَقان ، وأتا

جند الضَلاضِيان ، وتجمعت ربيعة والأَزد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر ، وخرجت مضر إلى نصر ، وخرج عمر بن مسلم إلى ربيعة والأَزد وتوافقوا ، وسفر الناس بينهما في الصلح ، وانصرف نصر .

ثم حمل البختري وعمر بن مسلم على نصر ، فكرّ عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم ، وأَتى بعمر بن مسلم والبختري وزياد بن طريف فضربهم مائة مائة ، وحلق رؤوسهم ولحاهم وأَلبسهم المسوح . وقيل ان سبب تعزيز عمر بن مسلم انهزام تميم عنه ، وقيل انهزام ربيعة والأَزد ، ثم أَمنهم نصر بعد ذلك وأَمرهم أَن يلحقوا بمسلم بن سعيد . ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أَصحابه ، سار إلى بُخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسري بولايته ويأْمره باتمام غزاته ، فسار إلى فرغانة وبلغه ان خاقان قد أَقبل اليه ، فارتحل . ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأَصابهم . ثم أَطاف بالعسكر وقاتل المسلمين ، وقتل المُسَيَّبُ بن بِشْرٍ الرِياحِيّ والبَرَّاءُ من فرسانْ المهلب وأَخو غورك .

وثار الناس في وجوههم فأَخرجوهم من العسكر . ورحل مسلم بالناس ثمانية أَيام ، والترك مطيفون بهم بعد أَن أَمر باحراق ما ثقل من الأَمتعة . فأَحرقوا ما قيمته أَلف أَلف . وأَصبحوا في التاسع قريب النهر دونه أَهل فرغانة والشاش . فأَمر مسلم الناس

ان يخرطوا سيوفهم ويحملوا . فأفرج أهـل فرغانة والشاش عن النهر ، ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغـد وأتبعهم ابن خاقان . فكان حميد بن عبد الله على الساقـة من وراء النهر وهو مثخن بالجراحة . فبعث إلى مسلم بالانتظار ، وعطف عـلى الترك فقاتلهم ، وأسر قائدهم وقـائد الصُغْدِ ثم أصابه سهم فمات ، وأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد ، ولقيهم هنالك كتاب أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم ، فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة .

ولاية أسد القسري على خراسان

ولما غزا خالد بن عبد الله خراسان واستخلف عليها أخاه أسد ابن عبد الله ، فقدم ومسلم بن سعيد بفَرْغَانَةَ ، فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الأَشْهَبُ بن عبد الله التميمي ، وكان على السفن بآمد ، حتى عرفه أنه الأمير ، فأذن له . ثم عبر أَسَدٌ النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانىء بن هـانىء ، فخرج بالناس وتلقى أسداً وأدخله سمرقند . وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر ، فقفل بالناس إلى سمرقند ، ثم عزل أسداً عنهـا وولى مكانه الحسن ابن أبي العَمَرْطَةِ الكِنْدي . ثم قـدم مسلم بن سعيد بن عبد الله بخراسان ، فكان يكرمـه . ومرّ بابن هبيرة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه . ثم غزا الغور وهي جبال هراة . فوضع أهلها أثقالهم في الكهوف ولم يكن اليهم طريق . فاتخـذ التوابيت ووضع فيها

الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه . ثم قطع كماق النهر ، وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال . وقيل عاد مهزوماً من الجسر ثم سار إلى عوبرين وقاتلها ، وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن أَحْوَز ، وانهزم المشركون ، وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه .

ولاية أشرش على العراق

كان أَسد بن عبد الله في ولايته على خراسان يتعصب ، حتى أَفسد الناس . وضرب نَصْرَ بن سَيَّار بالسِياط ، وعبد الرحمن بن نعيم ، وسَوْرَةَ بن أَبْجَرَ والبُخْتُري بن أَبي دِرْهَم ، وعامر بن مالك الحَمَاني وحَلَقَهُمْ وسيرهم إلى أَخيه ، وكتب اليه أَنهم أَرادوا الوثوب بي . فلامه خالد وعنفه وقال : هلا بعثت برؤوسهم ؟ وخطب أَسد يوماً فلعن أَهل خراسان . فكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد اعزل أَخاك ، فعزله في رمضان سنة تسع ، وولى مكانه الحكم بن عَوَانَةَ الكَلْبِيّ ، فقعد عن الصائفة تلك السنة . فاستعمل هشام على على خراسان أَشرس بن عبد الله السَلَمِي ، وأَمره أَن يراجع خالداً فكان خيراً ففرح به أَهل خراسان .

عزل أشرس

أَرسل أَشْرَسُ إلى سَمَرْقَنْدَ سنة عشر ومائة أَبا الصَيْدا صالح ابن ظريف مولى بني ضُبَّةَ ، والربيع بن عِمْرَانَ التميمي إلى سمرقنْدَ وغيرها مما وراءَ النهر يدعوهم إلى الاسلام ، على أَن توضع عنهم الجزية ، وعليها الحَسَنُ بن العَمَرْطَةِ الكندي ، على حربها وخراجها ،

فدعاهم إلى ذلك وأسلموا . وكتب غورك إلى الاشرس ان الجرّاح قد انكسر ، فكتب أشرس إلى ابن العمرطة بلغني أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما أسلموا نفوراً من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض ،وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه .

ثم عزل ابن العمرطة عن الخراج وولى عليها ابن هانىء ، ومنعهم أبو الصيد أخذ الجزية ممن أسلم ، وكتب هانىء إلى أشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد . فكتب اليه وإلى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم ، فامتنعوا واعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند . وخرج معهم أبو الصيد وربيع بن عِمْرَان والهيثم الشَيْبَاني وأبو فاطمة الأزدي وعامر بن قُشَيْر وبشير الجُحْدُري وبيان العَنْبَرِي واسماعيل بن عُقْبَةَ لينصروهم . وبلغ الخبر إلى أشرس فعزل ابن العمرطة عن الحرب وولى مكانه المجشر بن مُزَاحم السَلَمِيّ وعُمَيْرَة ابن سعد الشَيْبَاني ، فكتب المجشر إلى أبي الصيدا يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قَطْنَةَ فحبسهما وسيرهما إلى أشرس ، واجتمع الباقون وولوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم .

وألح هانىء في الخراج ، واستخف بفعل العجم والدهاقين . واقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذت الجزية ممن أسلم . فكفرت الصُغْدُ وبُخارى واستجاشوا بالترك ، وخرج أشرس غازياً فنزل آمد وأقام أشهراً . وقدم قَطَنُ

ابن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأَهل الصُغْد وبُخارى ومعهم خاقان ، فحصروا قَطَناً في خندقــه . وأَغار الترك على سرح المسلمين ، وأَطلق أَشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله ابن بَسطام بن مسعود بن عمر ، وبعثه معــه في خيل ، فاستقدمه من أَيدي الترك ما أَخذوه . ثم عبر أَشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدوّ فانهزموا أَمامهم . وسار أَشرس بالناس حتى جــاءَ بيكند فحاصرها المسلمون ، وقطع أَهل البلد عنهم المــاءَ ، وأَصابهم العطش فرحلوا إِلى المدينة . واعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالًا شديداً ، وأَبلى الحرث بن شريح ، وقطن بن قتيبة بلاءً شديداً وأَزالوا الترك عن الماء . فقتل يومئذ ثابت قطنة وصخر بن مسلم بن النعمان العبدي ، وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهم .

وحمل قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على الموت ، فانهزم العدوّ واتبعهم المسلمون يقتلونهم إِلى الليل . ثم رجع أَشرس إِلى بخاري وجهز عليهم عسكراً ، يحاصرونها ، وعليهم الحرث بن شُرَيح الأَزدي. ثم حاصر خاقان مدينة كَمَرْجَةَ من خراسان وبهــا جمع من المسلمين ، وقطعوا القنطرة وأَتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقــال : ان خاقان جاءَ يردّ عليَّ منكبي وأَنا آخــذ لكم الامان ، فشتموه وأَتاهم يَزْغُري في مائتين ، وكان داهيةً ، وكان خاقــان لا يخالفه . فطلب رجلًا يكلمه ، فجاءَ يزيد بن سعد الباهلي فرغبه باضعاف العطاءِ والاحسان على النزول ، ويسيرون معهم ، فلاطفه ورجع إِلى أَصحابه ، وقال هؤلاءِ يدعونكم لقتال المسلمين ، فأَبوا وأَمر خــاقان فأَلقى الحطب

الرطب في الخندق ليقطعه . وألقى المسلمون البهائم ليأكلوها ويحشوا جلودها تراباً ويملؤا بها الخندق . وأرسل الله سبحانه فاحتمل السيل ما في الخندق إلى النهر الاعظم ، ورمى المسلمون بالسهام فأصيب يزغري بسهم ومات من ليلته ، فقتلوا جميع ما عندهم من الاسرى والرهن . ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فرغانة ، فجردوا عليهم واشتد قتالهم ، وصالحهم المسلمون على أن يسلموا لهم كَمَرْجَةَ ويرحلوا عليها إلى سمرقند والدَبوسِيَّة ، وتراهنوا على ذلك . وتأخر خاقان حتى يخرجوا ، وخلف معهم كورصول ليبلغهم إلى مأمنهم ، فارتحلوا حتى بلغوا الدنوسية . وأطلقوا الرهن وكان مدة الحصار ستين يوماً .

عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد

وفي سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام أَشرس بن عبد الله عن خراسان ، وولى مكانه الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن بن عمر بن الحرث ابن خَارِجَةَ بن سِنَانَ بن أَبي حارثة المُرِّيِّ ، أَهدى إلى أُم حكيم بنت يحيي بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر ، فأعجبت هشاماً فأهدى له أُخرى مثلها ، فولاه خراسان وحمله على البريد . فقدم خراسان في خمسمائة ، ووجد الخَطَّاب بن مُحرِز السَلَمي خليفة أَشرس على خراسان . فسار الجنيد إلى ما وراء النهر ومعه الخطاب ، واستخلف على مَرْو المَجْشَر بن مُزاحم السلمي وعلى بَلْخ سورة بن أَبجر التميمي ، وبعث إلى أَشرس وهو يقاتل أَهل بخارى والصُغْد ان

يبعث اليه بسرية مخافة أن يعترضه العدو .

فبعث اليه أشرس عامر بن مالك الجابي ، فعرض له الترك والصغد فقاتلوهم ثم استداروا وراءَ معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم ، فانهزم الترك ولحق عامر بالجنيد ، فأقبل معه وعلى مقدمته عَمَارَةُ بن حُزَيْم ، واعترضه الترك فهزمهم . وزحف اليه خاقان بنواحي سَمَرقَنْدَ وقَطَنَ بن قتيبة على ساقته ، فهزم خاقان وأسر ابن أخيه وبعث به إلى هشام ، ورجع إلى مرو ظافراً ، واستعمل قطن بن قتيبة على بخارى ، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة ، وحبيب ابن مُرَّة العبسي على شرطته ، ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي على بَلْخ وعليها نضر بن سيار . فبعث مسلم إلى نصر وجيءَ به في قميص دون سراويل ، فقال شيخ مُضَرٍ جئتم به على هذه الحالة ؟ فعزل الجنيد مسلماً عن بلخ وأوفد وفداً إلى هشام بخبر غزاته .

مقتل الجراح الحكمي

قد كان تقدّم لنا دخوله إلى بلاد الخَزَرِ سنة أربع ومـائة ، وانهزامهم أمامه ، وأنه أثخن فيهم وملك بَلَنْجَرَ وردّها على صاحبها ، وأدركه الشتاءُ فأقام هنالك . وانَّ هشاماً أقرّه على عمله ثم ولاه أرمينية ، فدخل بلاد التُرْكُمانِ من ناحية تَفْليس سنة احدى عشرة ففتح مدينتهم البَيْضاءَ وانصرف ظافراً ، فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف ، وزحف اليهم الجرّاح سنة اثنتي عشرة ، ولقيهم بمرج أَرْدَبيل ، فاقتتلوا أشدّ قتال . وتكاثر العدوّ عليه فاستشهدَ

ومن معه ، وَقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية . ولما قتل طَمِعَ الخزر وهم التركمان ، وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل ، وقيل كان قتله ببلنجر . ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً الحُرَيْشيّ فقال : بلغني أنّ الجرَّاح انهزم . قـال الجرَّاح اعرف بالله من أَن ينهزم ، ولكن قتل ، فابعثني على أربعين من دواب البريد ، وابعث إليَّ كل يوم أربعين رجلاً مَدَداً ، واكتب إلى الأمراء الاجناد يواسوني . ففعل وسار الحريشي ، فلا يمرّ بمدينة إلا ويستنهض أهلها ، فيجيبه من أراد الجهاد .

ووصل مدينة أزور ، فلقّيه جماعة من أصحاب الجرَّاح فردّهم معه . ووصل إلى خِلاَطَ فحاصرها وفتحهـا ، وقسم غنائمها . ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون إلى بَرْوعَةَ فنزلها وابن خاقان يومئذ بأَذْرَبَيْجَانَ يحاصر مدينة ورثان منها ويبعث في نواحيها وبعث الحريشي إلى أهل وَرْثَان يخبرهم بوصوله ، فأخرج العدوّ عنهم ووصل اليهم الحريشي . ثم اتبع العدوّ إلى أردبيل ، وجـاءه بعض عيونه بأنّ عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ، ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا ، فبيتهم وقتلهم أجمعين ، ولم ينج منهم أحد . واستنقذ المسلمين منهم .

وسار إلى بَاجَرْوان فجاءه عين آخر ودلّه على جمع منهم ، فسار اليهم واستلحمهم أجمعين ، واستنقذ من معهم من المسلمين ، وكان فيهم أهل الجرَّاح وولده ، فحملهم إلى باجروان . ثم زحف اليهم

جموع الخزر مع ابن ملكهم ، والتقوا بأرض زَرَنْدَ واشتدّ القتال والسبي من معسكر الكفار ، فبكى المسلمون رحمة لهم ، وصدقوا الحملة . فانهزم الكفار وأتبعهم المسلمون إلى نهر أرْس ، وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى باجروان ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البَيْلَقَانَ واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل وجمع الحريشي الغنائم وعاد إلى باجروان فقسمها ، وكتب إلى هشام بالفتح . واستقدمه وولى أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان .

وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان

وخرج الجُنَيْدُ سنة اثنتي عشرة ومائة من خراسان غازياً إلى طخارَسْتانَ ، وبعث اليها عَمَارَةَ بن خُزَيْمَ في ثمانية عشر ألفاً . وبعث ابراهيم بن سام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر ، وحاشتك التركي . وزحف بهم خاقان إلى سمرقند وعليها سَوْرَةُ بن أبجر . فكتب إلى الهند مستغيثاً ، فأمر الجنيد بعبور النهر . فقال له المجشر بن مُزَاحم السَلَمِيّ وابن بَسْطام الازدي إن الترك ليسوا كغيرهم ، وقد مزقت جندك. فسلم ابن عبد الرحمن بالنَبْرَاود والبُخْتَري بَهرَاةَ ، وعمارة بن حزيم بطخارستان . ولا تعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً . فاستقدم عمارة وأمهل ، فقال أخي على سورة وعبر الجنيد ، فنزل كش وتأهب للسير . وغوّر الترك الآبار في طريق كش وسار الجنيد على التعبية ، واعترضه خاقان ومعه أهل

الصُغْدِ وفرغانة والشاش ، وحملوا على مقدّمته ، وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخِّير فرجعوا والترك في اتباعهم .

ثم حملوا على المدينة ، وأَمدّهم الجنيد بنصر بن سيار ، وشدّوا على العدوّ وقتل أعياناً منهم . وأقبل الجنيد على الميمنة ، وأَقبل تحت راية الأَزد ، فقال له صاحب الراية : ما قصدت كرامتنا لكن علمت انا لا نصل اليك ومنا عين تطرف ! فصبروا وقاتلوا حتى كلَّت سيوفهم . وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل . وتعانقوا ثم تحاجزوا ، وهلك من الازد في ذلك المعترك نحو من ثمانين فيهم عبد الله بن بسطام ، ومحمد بن عبد الله بن جودان . والحسين بن شيخ ، ويزيد بن المفضل الحَرَّاني . وبينا الناس كذلك اذ طلعت أوائل عسكر خاقان ، فنادى منادي الجنيد بالنزول فترجلوا ، وخندق كل كائن على رجاله . وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتدّ القتال .

وأَشار أَصحاب الجنيد عليه بأَن يبعث إلى سورة بن أبجر من سمرقند ليتقدّم الترك اليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد وأَصحابه . فكتب يستقدمه فاعتذر ، فأَعاد عليه وتهدّده وقال : اخرج وسر مع النهر لا تفارقه ، فلما خرج هو استبعد طريق النهر ، واستخلف على سمرقند موسى بن أَسود الحَنْظَلي . وسار محمد في اثني عشر أَلفاً حتى إذا بقي بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند

الصباح ، وحال بينهم وبين الماء واضرم النار في اليبس حواليهم فاستماتوا وحملوا ، وانكشف الترك وأظلم الجوّ بالعجاج . وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدوّ والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه . ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم إلا القليل ، وانحاش بالناس المهلب بن زياد والعجمي في ستمائة أو ألف ، ومعه قريش بن عبد الله العبدي إلى رَسْتَاقِ المرْغابِ ، وقاتلوا بعض قصوره ، فأصيب المهلب وولوا عليهم الرَحْبَ بن خالد .

وجاءهم الاسكيد صاحب نَسْفٍ وغورك ملك الصُغْد فنزلوا معه إلى خاقان ، فلم يجز أمـان غورك وقتلهم ولم ينج منهم أحد . ثم خرج الجنيد من الشعب قاصداً سمرقند ، وأشار عليه مَجْشَرُ بن مُزاحم بالنزول فنزل ، ووافقته جموع الترك . فجال الناس جولة ، وصبر المسلمون ، وقاتل العبيد وانهزم العدوّ . ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل العيالات إلى مرو ، وأقام بالصغد أربعة أشهر . وكان صاحب الرأي بخراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي ، وعبد الرحمن بن أصبح المخزومي ، وعبيد الله بن حبيب الهِجري . ولما انصرفت الترك بعث الجنيد نهار بن تُوسَعَةَ بن تيم الله ، وزميل بن سُوَيْد بن شَيْم بالخبر . وتحامل فيه على سورة بن أبجر بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدوّ منه . فكتب اليه هشام قد بعث اليك من المدد عشرة آلاف من البصرة ، ومثلها من الكوفة ، وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفاً . وأقام الجنيد بسمرقند ، وسار خاقان إلى بخارى

وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم ، فخاف عليه من الترك . واستشار عبدالله بن أَبي عبد الله مولى بن سليم بعد أَن اختلف عليه أَصحابه ، فاشترط عليه أَن لا يخالفه . فأَشار بحمل العيالات من سمرقند ، فقدّمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشِخِّير في أَربعمائة فارس وأَربعمائة راجل ، ووفر أُعطياتهم . وسار العيالات في مقدمته حتى (١) من الضيق ودنا من الطواويس ، فأَقبل اليه خاقان بكير ميمنة أَوّل رمضان سنة اثنتي عشرة واقتتلوا قليلًا . ثم رجع الترك وارتحل من الغد ، فاعترضه الترك ثانياً وقتل مسلم بن أَحوز بعض عظمائهم ، فرجعوا من الطواويس . ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى ، وقدمت الجنود من البصرة والكوفة . فسرح الجنيد معهم حَوْرَثَة بن زيد العَنْبَري فيمن انتدب معه .

ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد

بلغ هشاماً سنة ست عشرة أَنَّ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن عامل خُراسان تزوّج بنت يَزِيدَ بن المُهَلَّب ، فغضب لذلك وعزله ، وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ، وكان الجنيد قد مرض بالاستسقاء . فقال هشام لعاصم إِن أَدركته وبه رمق فأَزهق نفسه ، فلما قدم عاصم وجده قد مات ، وكانت بينهما عداوة ، فحبس عمارة ابن حُزَيمَ ، وكان الجنيد استخلفه وهو ابن عذبة ، فعذبه عاصم

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٤ ص ٢١٢ : «حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ودنا من الطواويس».

وعذب عمال الجنيد .

ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان

لما عاد مَسْلَمَةُ من غزو الخَزَرِ وهم التُرْكُمَانُ إلى بلاد المسلمين ، وكان في عسكره مروان بن محمد بن مروان ، فخرج مختفياً عنه إلى هشام ، وشكا له من مسلمة وتخاذله عن الغزو ، وما أدخل بذلك على المسلمين من الوهم . وبعث إلى العدوّ بالحرب ، وأقام شهراً حتى استعدُّوا وحشدوا ، ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد ، أراد السلامة ورغب اليه بالغزو اليهم لينتقم منهم ، وأن يمدّه بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه . فأجابه لذلك وولاه على أرمينية ، فسار اليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة . فأظهر أنه يريد غزو اللان ، وبعث إلى ملك الخزر في المهادنة ، فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح فأمسكهم مروان إلى أن تجهز ، وودّعهم وسار إلى أقرب الطرق . فوافاهم ورأى ملك الخزر أنَّ اللقاء على تلك الحال غرر ، فتأخر إلى أقصى بلاده .

ودخل مروان فأوغل فيها وخرب وغنم وسبى إلى آخرها . ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها ، وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جواري ، ومائة ألف مد تحمل إلى الباب . وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد . ثم دخل أرض وردكران فصالحوه . ثم أتى حِمْرِينَ وافتتح حصنهم ، ثم أتى سَبْدَانَ فافتتحها صلحاً ، ثم نزل صاحب اللكز في قلعته وقد

امتنع من أداء الوظيفة ، فخرج يزيد ملك الخزر ، فأُصيب بسهم ومات وصالح أَهل اللكز مروان ، وأَدخل عامله ، وسار مروان إلى قلعة سروان فأَطاعوا ، وسار إلى الرودانيَّةِ فأَوقع بهم ورجع.

خلع الحرث بن شريح بخراسان

كان الحرث هذا عظيم الأَزْدِ بخراسان ، فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بني العباس هناك . وأَقبل إلى الغاربات ، وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حَيَّان النَبَطي والخَطَّاب بن مُحرِز السَلَميّ فحبسهما وفروا من السجن إلى عاصم بدم الحرث وغدره . وسار الحرث من الغاربات إلى بلْخ وعليها نصر بن سيار والنجيبي ، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة ، فهزمهم وملك بلخ ، واستعمل عليها سليمان بن عبد الله بن حازم . وسار إلى الجوزجان (١) عليها ثم سار إلى مرو ، ونمي إلى عاصم أَن أهل مرو يكاتبونه ، فاستوثق منهم بالقسامة وخرج وعسكر قريباً من مرو ، وقطع الجسور . وأَقبل الحرث في ستين أَلفاً ومعه فرسان الأَزد وتميم ، ودهاقين الجوزجان والغاربات ، وملك الطالقان ، وأَصلحوا القناطر . ثم نزع محمد بن المثنى في أَلفين من الأَزد ، وحماد بن عامر الجابي في مثلها من بني تميم إلى عاصم ، ولحقوا به ثم اقتتلوا . فانهزم الحرث وغرق

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٢١٨ : «وسار إلى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروز».

كثير من أَصحابه في نهر مرو ، وقتلوا قتلًا ذريعاً . وكان ممن غرق حازم . ولما قطع الحرث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع اليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم .

ولاية أسد القسري الثانية بخراسان

كتب عاصم إلى هشام سنة سبع عشرة أَنَّ خراسان لا تصلح الا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث ، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله القسري وكتب اليه ابعث أَخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أَخاه أَسداً ، فسار على مقدمته محمد ابن مالك الهمداني . ولما بلغ عاصم الخبر راود الحرث بن شُرَيْحَ على الصلح ، وأَن يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة ، فان أَبى اجتمعا . وأَبى بعض أَهل خراسان ذلك فانتقض بينهما واقتتلا ، فانهزم الحرث وأَسر من أَصحابه كثير قتلهم عاصم . وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العنبري ، فلقيه أَسد بالري . وجاء إلى خراسان فبعث عاصماً وطلبه بمائة أَلف درهم ، وأَطلق عمارة بن خُزَيْم وعمال الجنيد ، ولم يكن لعاصم بخراسان إلا مرو ونيسابور . وكانت مرو الروذ للحرث ، وواصل لخالد بن عبيد الله الهجري على مثل رأْي الحرث . فبعث أَسد عبد الرحمن بن نعيم في أَهل الكوفة والشام إلى الحرث ، وسار هو بالناس إلى آمد . فخرج اليه زياد القُرَشي مولى حَيَّان النَبَطي في العسكر ، فهزمهم أَسد وحاصرهم حتى سأَلوا الامان ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني

وسار إلى بلخ . وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم ، فسار حتى قدمها . ثم سار منهـا إلى تُرْمُذ ، والحرث محاصر لهما . واعجزه وصول المدد اليها فخرج إلى بلخ ، وخرج أَهل ترمذ فهزموا الحرث وقتلوا أَكثر أَصحابه .

ثم سار أَسد إلى سمرقند ومرَّ بحصن زمّ وبه أَصحاب الحرث ، فبعث اليهم وقال انما نكرتم منا سوءَ السيرة ، ولم يبلغ ذلك النساءَ واستحلال الفروج ، ولا مظاهر المشركين على مثل سمرقند ، وأَعطاه الامان على تسليم سمرقند . وهدّده ان قاتل بأَنه لا يؤمنه أَبـداً . فخرج إلى الامان وسار معـه إلى سمرقند فنزلهم على الامـان . ثم رجع أَسد إلى بلخ وسرح جديعاً الكرمـاني إلى القلعة التي فيها ثقل الحرث وأَصحابه في طخارستان ، فحـاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو بزري من ثعلب أَصحاب الحرث . وباع سبيهم في سوق بلخ ، وانتقض على الحرث أَربعمائة وخمسون من أَصحابه بالقلعة ، ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي . فقال لهـم الحرث ان كنتم مفارقيَّ ولا بـدّ فاطلبوا الأَمان ، وان طلبتموه بعـد رحيلي لا يعطونه لكم ، فأَبوا الا إن ارتحل ، فبعثوا بالأَمان فلم يجبهم اليه . وسرح جديعة الكرمـاني في ستة آلاف ، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه . وحمـل خمسين منهم إلى أَسد فيهم ابن ميمون القاضي . فقتلهم وكتب إلى الكرماني باهلاك الباقين ، واتخذ أَسد مدينة بلخ داراً ، ونقل اليها الدواوين . ثم غزا طخارستان وأَرض حبونة

فغنم وسبى .

مقتل خاقان

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أَسد بن عبد الله بلاد الخَتْلِ ، فافتتح منهـا قلاعاً وامتلأَت أَيـدي العسكر من السُبِيّ والشاء . وكتب ابن السائجي صـاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ويضعفهم له ، فتجهز وخفف من الأَزْوِدَةِ استعجالاً للعرب . فلما أَحس به ابن السائحي بعث بالنذير إِلى أَسَد فلم يصدقْه ، فأَعاد عليه اني الذي استمددت خاقان لانك معَّرتَ[1] البلاد . ولا أُريد أَن يظفر بك خشية من معـاداة العرب ، واستطالة خاقـان عليَّ ، فصدّقه حينئذ أَسد وبعث الاثقـال مع ابراهيم بن عاصم العُقَيْلي ، الذي كان وَلِيَ سِجِسْتان ، وبعث معـه المشيخة كُثَيِّر بن أُمية ؛ وأَبا سفيان بن كثير الخزاعي ، وفضيل بن حيان المَهْري وغيرهم ، وأَمدّهما بجند آخر . وجاءَ في أَثرهم فانتهى إِلى نهر بلخ ، وقـد قطعه ابراهيم بن عاصم بالسُبِيّ والاثقال ، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعاً ، وحمل الناس شياههم حتى حمل هو شاة ، فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى المسلحة الازد وتميم . فحمل خاقان عليهم فانكشفوا ، فرجع أَسد إِلى عسكره وخندق .

وظنوا أَنَّ خاقـان لا يقطع النهر ، فقطع النهر اليهم ، وقاتله المسلمون في معسكرهم ، وباتوا والترك محيطون بهم . فلما أَصبحوا

(١) معر الرجل: افتقر وفني زاده.

لم يروا منهم أَحداً فعلموا أَنهم اتبعوا الاثقال والسَّبِي ، واستعلموا عِلمها من الطلائع . فشاور أَسدٌ الناس فأَشاروا بالمقام ، وأَشار نَصْرُ بن سَيَّار باتباعهم يخلص الاثقال ويقطع شقة لا بدّ من قطعها ، فوافقه أَسَدٌ وطَيَّرَ النذير إلى ابراهيم بن عاصم ، وصبح خاقان للاثقال وقد خندقوا عليهم . فأَمر أَهل الصُغْدِ بقتلهم ، فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد على تلٍّ حتى رأى المسلمين من خلفهم .

وأَمر الترك أَن يأْتوهم من هنالك ، ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم ، وقتلوا صاغان خذاه وأَصحابه ، وأَحسوا بالهلاك . وإذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلًا قليلًا . وجاءَ أَسد ووقف على التلِّ الذي كان عليه خاقان . وخرج اليه بقية الناس ، وجاءَته امرأَة صاغان خذاه معولة ، فأَعول معها ، ومضى خاقان يقود أَسرى المسلمين في الآفاق ويسوق الابل الموقورة والجواري . وأَراد أَهل العسكر قتالهم ، فمنعهم أَسد . ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أَصحاب الحَرْثِ بن شُرَيْح يُعَيِّرُ أَسداً ويحرِّضه ويقول : قد كان لك عن الختل مندوحة ، وهي أَرض آبائي وأَجدادي ، قد كان ما رأَيت ، ولعل الله ينتقم منك .

ومضى أَسَدٌ إلى بَلْخَ فعسكر في مرجها حتى جاءَ الشتاءُ ، فدخل البلد وشتى فيها . وكان الحرث بن شريح بناحية طخارستان ، فانضم إلى خاقان وأَغراه بغزو خراسان ، وزحفوا إلى بلخ . وخرج أَسَدٌ يوم الأَضحى ، فخطب الناس وعرّفهم بأَن الحرث بن شُرَيْحَ استجلب

الطاغية ليطفىء نور الله ويبدل دينهم، وحرّضهم على الاستنصار بالله. وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجداً. ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء، وخرج للقائهم وقد استمدّ خاقان من وراء النهر، وأهل طخارستان وحبونة في ثلاثين ألفاً، وجاء الخبر إلى أسد وأشار بعض الناس بالتحصن منهم بمدينة بلخ واستمد خالد وهشام وأبي الاسد الا اللقاء، فخرج واستخلف على بلخ الكرماني ابن علي. وعهد اليه انه لا يدع أحداً يخرج من المدينة. واعتزم نصر بن سيار والقاسم بن نجيب وغيرهم على الخروج، فأذن لهم وصلّى بالناس ركعتين وطوّل. ثم دعا وأمر الناس بالدعاء، ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف. ثم بدا له وارتحل، فلقي طليعة خاقان وأسر قائدهم. وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان. ثم أصبحوا وقد تراءى الجمعان، وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان اهـ.

وحملت الترك على الميسرة فانهزموا إلى رواق أسد، فشدت عليهم الاسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة، فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحرث معه. وأتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم. واستاقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاء ودواب كثيرة. وسلك خاقان غير الجادّة والحرث بن شريح (١) ولقيهم أسد عند الطريق.

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٨: «وأخذ خاقان طريقاً في الجبل والحرث يحميه وسار منهزماً».

وسلك الجوزجان بعثمان بن عبد الله بن الشخير طريقاً يعرفها ، حتى نزلوا على خاقان وهو آمن ، فتركوا الابنية والقـــدور تغلي ، وبناءُ العرب والموالي والعسكر مشحون من آنية الفِضَّةِ ، وركب خاقان والحرث يمانع عنه . وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخَصيّ الموكل بها . وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بهـا أسراهم ، وأقام خمسة أيام وانصرف إلى بلخ لتاسعــة من خروجه . ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه .

وانتهى خاقان الى جَوْنَةَ الطَخارِيّ فنزل عليه ، وانصرف أَسَدٌ الى بَلَخَ ، وأقام خاقان عند جونة حتى أصلح آلته وسار وسُبِيَّهُ بها . فأخذه جَدْ كَاوُشُ أبو فَشَينَ فأهدى اليه وأتحفه وحمل أصحابه ، يتخذ بذلك عنده يداً . ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعــداد للحرب ومحاصرة سمرقند ، وحمل الحَرْثُ وابن شريــح وأصحابه على خمسة آلاف برذون ، ولاعب خاقانُ بالنَرْدِ كُورْصُولَ يومــاً ، فغمزه كورصول فأنف وتشاجر ، فصك كورصول يد خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يده فتنحى وجمع .

ثم بيّتَ خاقان فقتله ، وافترق الترك وحملوه وتركوه بالعراء ، فحمله بعض عظمائهم ودفنه . وكان أسد بعث بالفتح من بلخ الى خالد بن عبد الله ، فأخبره وبعث به الى هشام فلم يصدقه ، ثم بعده القاسم بن نجيب بقتل خاقان ، فبعث قَيْسٌ أسداً وخالداً وقالــوا لهشام : استقدم مُقاتِلَ بن حَيَّانَ . فكتب بذلك الى خالد ، فأرسل

الى أَسد أَن يبعث به فقدِم على هشام والأَبْرَشُ وزيره جالس عنده ، فقص عليه الخبر فسرّ بذلك وقال لمقاتل : ما حاجتك ؟ قال يزيد ابن المهلب أَخذ من حيان أَبي مائة أَلف درهم بغير حق ، فأَمر بردّها عليَّ . فاستخلفه وكتب له بردها ، وقسمها مقاتل بين ورثة حيان .

ثم غزا أَسد الختل بعد مقتل خاقان ، وقدم مُصْعَبُ بن عُمَرَ الخُزاعِيّ اليها فسار الى حصن بدر طرخان ، فاستأْمن له أَن يلقى أَسداً فأَمنه ، وبعث الى أَسد فسأَل أَن يقبل منه أَلف درهم ، وراوده على ذلك ، فأَبى أَسد وردّه الى مصعب ليردّه الى حصنه فقال له مسلمة بن أَبي عبد الله : – وهو من الموالي – إن أَمير المؤمنين سيندم على حبسه . ثم أَقبل أَسد بالناس ووعد له المجْشَر ابن مزاحم بدر طرخان أَو قبول ما عرض ، فندم أَسد وأَرسل الى مصعب يسأَل عنه ، فوجده مقيماً عند مسلمة ، فجيء به وقطعت يده . ثم أَمر رجلًا من الأَسد كان بدر طرخان قتل أَباه ، فضرب عنقه وغلب على القلعة ، وبعث العساكر في بلاد الختل ، فامتلأَت أَيديهم من الغنائم والسُبِيّ وامتنع ولد بدر طرخان وأَمواله في قلعة فوق بلدهم صغيرة فلم يوصل اليهم .

وفاة أسد

وفي ربيع الأَول سنة عشرين توفي ابن عبد الله القِسْرِيّ بمدينة بَلْخَ ، واستخلف جعفر بن حَنْظَلَةَ النَهْرَواني ، فعمل أَربعة أَشهر ثم

جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب .

ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد

وفي هذه السنة عزل هشام خالدًا من أعماله جميعها بسعاية أبي المثنى وحسان النَبَطِيّ ، وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق ، فثقلا على خالد ، وأمر الأَشْدَقَ بالنهوض على الضياع . وأنهى ذلك حسان بعد أبي المثنى ، وأنّ غلته في السنة ثلاثة عشر ألف ألف ، فوقرت في نفس هشام . وأشار عليه بلال بن أبي بُرْدَةَ والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام ، ويضمنون له الرضا فلم يجبهم . ثم شكا من خالد بعض آل عمر والأشدق بأنـه أغلـظ لـه في القول بمجلسه ، فكتب اليه هشام يوبخه ويأمره بأن يمشي ساعياً على قدميه الى بابه ويترضاه .

ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة ، وأنه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن ام خالد ! بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف ، يا ابن اللخناء ! كيف لا تكون امرة العراق لك شرفـاً وأنت من بَجِيلَةَ القليلة الذليلة ؟ أمـا والله اني لاظن أن أول مـن يأتيك صقر من قريش يشدّ يديك الى عنقك . ثم كتب الى يوسف بن عمر الثَقَفِيّ وهو باليمن ، يأمره أن يقدم في ثلاثين مـن أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك . فسار الى الكوفة ونزل قريبـاً منها ، وقد ختن طارق ، خليفة خالد بالكوفة ، ولده ، وأهدى اليه وصيفاً ووصيفة سوى الأموال والثياب .

ومرّ يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنوهم خوارج ، وركب يوسف الى دور ثقيف فكتموا ، ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مُضَرَ ، ودخل مع الفجر فصلى ، وأرسل الى خالد وطارق فأخذهما . وقيل إن خالداً كان بواسط ، وكتب اليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق ، فركب الى خالد وأخبره بالخبر وقال : اركب الى أمير المؤمنين واعتذر اليه ، قال لا أفعل بغَير اذن ، قال فترسلني استأذنه ؟ قال لا ! قال فاضمن له جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده وهي مائة ألف ألف . قال : والله ما أجد عشرة آلاف ألف . قال أتحملها أنا وفلان وفلان ، قال لا أعطي شيئاً وأعود فيه . فقال طارق : انما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ، ونستبقي الدنيا وتبقى الدنيا عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند الكوفة ، فنقتل ويأكلوا الأموال . فأبى خالد من ذلك كله ، فودعه طارق ومضى وبكى ورجع الى الكوفة .

وخرج خالد الى الحِمَّةِ ، وجاء كتاب هشام بخطه الى يوسف بولاية العراق ، وأن يأخذ ابن النصرانية يعني خالداً وعماله فيعذبهم فأخذ الاولاد وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت . وقدم في جمادى الاخيرة سنة عشرين ومائة ، فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة ، فضربه ضرباً مُبَرِّحًا ودخل الكوفة . وبعث عثمان عطاء بن مُقْدِمَ الى خالد بالحمة ، فقدم عليه

وحبسه ، وصالحه عنه أبانَ بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف. وقيل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة . ولما ولي يوسف نزلت الذِلَّةُ بالعراق في العرب ، وصار الحكم فيه الى أهل الذمّة .

ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد

ولما مات أسد بن عبد الله ولّى هشام على خُراسان نصر بن سَيَّار ، وبعث اليه على عهده عبد الكريم بن سَلِيطٍ الحَنَفِيّ ، وقد كان جعفر بن حنظلة لما استخلفه أَسَدٌ عند موته ، عرض على نصر أن يوليه بُخارى . فقال له البُخْتُرِيُّ بن مُجَاهِدٍ مولى بني شَيْبَانَ لا تقبل ! فانك شيخ مُضَرَ بخراسان ، وكان عهدك قد جاءَ على خراسان كلها فكان كذلك . ولما وَلِيَ نَصْرٌ استعمل على بَلْخ مُسْلِمَ بن عبد الرحمن ، وعلى مَرْو الروذِ وشاح بن بكير بن وشاح ، وعلى هَراة الحرثَ بن عبد الله بن الحَشْرَجِ ، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القِسْري وعلى خَوَارَزْمَ أبا حَفْصٍ عليّ بن حَقْنَةَ ، وعلى الصُغْدِ قَطَنَ ابن قُتَيْبَةَ . وبقي أربع سنين لا يستعمل في خراسان الا مُضَرِيًّا ، فعمرت عمارةً لم تعمر مثلها ، وأحسن الولاية والجباية .

وكان وصول العهد اليه بالولاية في رجب سنة عشرين فغزا غزوات أَوَّلها الى ما وراءَ النهر من نحو باب الحديد . وسار اليها من بلخ ، ورجع الى مَرْوَ ، فوضع الجزية على من أسلم من أهل الذمّة ، وجعلها على من كان يخفف عنه منهم . وانتهى عددهم

ثلاثين أَلفاً من الصنفين ، وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء ثم غزا الثانيــة الى سمرقند ، ثم الثالثــة الى الشاش سار اليهــا من مرو ، ومعه ملك بُخارى وأَهل سَمَرْقَنْدَ وكَش ونَسْفٍ في عشريــن أَلفاً .

وجاءَ الى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول عسكر نصر في ليلة ظلماء ، ونادى نصر لا يخرج أَحد . وخرج عــاصم بن عُمَيْر في جند سمرقند ، فجاولته خيل الترك ليلًا وفيهم كورصول ، فأَسره عاصم وجاءَ بــه الى نصر فقتله وصلبه على شاطىءِ النهــر ، فحزنت الترك لقتله وأَحرقوا ابنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأَذناب خيولهم . وأَمرَ نصر باحراق عظامه لئلا يحملوهــا بعد رجوعه . ثم سار الى فَرْغَانَةَ فسبى منهــا أَلف رأْس ، وكتب اليــه يوسف بــن عِمْرَانَ ليسير الى الحرث بن شُرَيْح في الشاش ويخرب بلادهم ويسبيهم. فسار لذلك وجعل على مقدمته يحيى بن حُصَيْن ، وجاءَ بهم الى الحرث وقاتلهم ، وقتل عظيماً من عظماءِ الترك ، وانهزموا .

وجاءَ ملك الشاش في الصلح والهدنة والرهن . واشترط نصر عليه اخراج الحرث بن شريح من بلده فأَخرجه الى فاراب . واستعمل على الشاش بَنْزِلَ بن صالح مولى عمرو بن العاص . ثم سار الى أَرض فرغانة وبعث امّه في اتمام الصلح ، فجاءَت لذلك وأَكرمها نصر وعقد لها ورجعت . وكان الصغد لمــا قتل خاقان طمعوا في الرَّجعــة الى بلادهم ، فلما وَلِيَ نصر بعث اليهم في ذلك وأَعطوه مــا سأَلوه مــن

الشروط ، وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم ، وكان منها أن لا يعاقب من ارتدّ عن الاسلام اليهم ، ولا يؤخذ منهم اسرى الا ببينة وحكم ، وعاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم . فقال : لو عاينتم شكوتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم . وأرسل الى هشام في ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين .

ظهور زيد بن علي ومقتله

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنة ، والى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، والعدل في قسمة الفيء وردّ المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت . واختلف في سبب خروجه فقيل : ان يوسف بن عمر لما كتب في خالد القسْريّ كتب الى هشام انه شيعة لأهل البيت ، وانه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، وردّ عليه الامن . وانه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالاً ، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي ابن عبدالله بن عباس ، فأجازهم ورجعوا الى المدينة . فبعث هشام عنهم وسألهم فأقرّوا بالجائزة . وحلفوا على ما سوى ذلك . وان خالداً لم يودعهم شيئاً . فصدقهم هشام وبعثهم الى يوسف ، فقاتلوا خالداً وصدّقهم الآخر . وعادوا الى المدينة ونزلوا القادسية.

وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد اليهم . وقيل في سبب ذلك : ان زيداً اختصم مع ابن عمه جعفر ابن الحسن المثنى في وقف عليّ ،

وكانا يحضران عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحرث . فوقعت بينهما في مجلسه مشاتمة ، وأنكر زيد من خالد اطالته للخصومة وأن يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار الى هشام فحجبه ، ثم أذن له بعد حين . فحاوره طويلًا ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه . ثم قال له اخرج ، قال نعم ثم لا أكون الا بحيث تكره ، فسار الى الكوفة . وقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ناشدتك الله الحق بأهلك ولا تأت الكوفة ، وذكره بفعلهم مع جدّه وجدّه يستعظم ما وقع به .

وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفياً ينتقل في المنازل . واختلف اليه الشيعة وبايعه جماعة : منهم مَسْلَمَةُ بن كَهِيل ونصر بن خُزَيْمَةَ العَبْسي ومعاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته ، ثم يقول اتبايعون على ذلك ؟ فيقولون نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاقه وذمّته وذمّة نبيه بيقين تتبعني ولا تقاتلني مع عدوّي ولتنصحنّ لي في السر والعلانية . فاذا قال نعم وضع يده على يده ثم قال : اللهمّ اشهد! فبايعه خمسة عشر ألفاً ، وقيل أربعون . وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره في الناس ، وقيل : انه أقام في الكوفة ظاهراً ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس لما جاؤوا لمقاتلة خالد ، فاختلف اليه الشيعة ، وكانت البيعة . وبلغ الخبر الى يوسف ابن عمر فأخرجه من الكوفة ، ولحق الشيعة بالقادسية أو الغَلَبِيَّة

وعذله داود بن علي في الرجوع معه ، وذكره حال جدّه الحسين . فقالت الشيعة لزيد : هذا انما يريد الامر لنفسه ولأهل بيته ، فرجع معهم ، ومضى داود الى المدينة .

ولما أتى الكوفة جاءه مَسْلَمَةَ بن كَهِيل فصدّه عن ذلك ، وقال أهل الكوفة لا يعوّلون ذلك . وقد كان مع جدّك منهم أضعاف ممّا معك ولم تعادله ، وكان أعز عليهم منك على هؤلاء . فقال له قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وعنقهم . قال فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد ؟ فلا آمن أن يحدث حدث وأنا لا أهلك نفسي ، فخرج لليمامة . وكتب عبدالله بن الحسن المثنى الى زيد يعذله ويصدّه ، فلم يصغ اليه . وتزوّج نساء بالكوفة وكان يختلف اليهنّ ، والناس يبايعونه ، ثم أمر أصحابه يتجهزون .

ونمي الخبر الى يوسف بن عمر فطلبه ، وخاف فتعجل الخروج وكان يوسف بالحيرة ، وعلى الكوفة الحَكَمُ بن الصَلْتِ وعلى شرطته عمر بن عبد الرحمن من القاهرة ، ومعه عبيد الله بن عباس الكندي في ناس من أهل الشام . ولما علم الشيعة أن يوسف يبحث عن زيد جاء اليه جماعة منهم فقالوا : ما تقول في الشيخين ؟ فقال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، وما سمعت أهل بيتي يذكرونهما الا بخير . وغاية ما أقول انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك الكفر ، وقد عدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنّة . قال : فاذا كان اولئك لم يظلموك

فلم تدعو الى قتالهم ؟ فقال ان هؤلاءِ ظلموا المسلمين أجمعين ، فانا ندعوهم الى الكتاب والسنة ، وأن نحيي السنن ونطفيء البدع ، فان أجبتـم سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا : سبق الامام الحق يعنون محمداً الباقـر ، وانَّ جعفرا ابنه امامنا بعده ، فسماهم زيد الرافضة ، ويقال انما سماهم الرافضة حيث فارقوه .

ثم بعث يوسف بن عمر الى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة في المسجد ، فجمعوا وطلبوا زيداً في دار معاوية بن اسحق بن زيـد ابن حارثة ، فخرج منها ليلًا واجتمع اليه ناس من الشيعة ، وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر ، وأصبح جعفر بن أَبي العباس الكندي فلقي اثنين من أصحاب زيد يناديان بشعاره ، فقتل واحداً وأتى بالآخر الى الحكم فقتله ، وأغلق أبواب المسجد على الناس . وبعث الى يوسف بالخبر ، فسار من الحيرة وقدم الرَيَّافُ ابن سلمة الأَراثِني في ألفين خيالة وثلثمائة ماشية . وافتقد زيد الناس فقيل انهم في الجامع محصورون ، ولم يجد معه الا مائتين وعشرين. وخرج صاحب الشرطة في خيله ، فلقي نصر بن خُزَيْمَةَ العَبْسي مـن أصحاب زيد ذاهباً اليه ، فحمل عليه نصر وأصحابه فقتلوه ، وحمل زيد على أهل الشام فهزمهم . وانتهى الى دار أنس بن عُمَر الأَسدي ممن بايعه وناداه فلم يخرج اليه .

ثم سار زيد الى الكناسة فحمل عـلى أهل الشام فهزمهم ، ثـم

دخل الكوفة والرايات في اتباعه . فلما رأى زيد خذلان الناس قال لنصر بن خزيمة افعلتموها حسينية ؟ قال : أما أنا فوالله لأموتن معك وانَّ الناس بالمسجد ، فامض بنا اليهم . فجاءَ الى المسجد ينادي بالناس بالخروج اليه . فرماه أَهل الشام بالحجارة من فوق المسجد ، فانصرفوا عند المساءِ . وأَرسل يوسف بن عمر من الغد العباس بن سعد المُزني في أَهل الشام ، فجاءَه في دار الزرق ، وقد كان أَوى اليها عند المساء . فلقيه زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر . ثم حملوا على أَصحاب العباس ، فهزمهم زيد وأَصحابه ، وعباهم يوسف بن عمر من العشيٍّ ثم سرحهم ، فكشفهم أَصحاب زيد ولم تثبت خيلهم لخيله .

وبعث اليهم يوسف بن عمر بالقادِسِيَّةِ ، واشتدّ القتال وقتل معاوية بن زيد . ثم رُمِيَ زيد عند المساءِ بسهم أَثبته ، فرجع أَصحابه وأَهل الشام يظنون أَنهم تحاجزوا ، ولما نزع النصل من جبهته مات فدفنوه وأَجروا عليه الماء . وأَصبح الحَكَمُ يوم الجمعة يتبع الجرحى من الدور ، ودله بعض الموالي على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها الى يوسف بالحيرة ، فبعثه الى هشام فنصبه على باب دمشق . وأَمر يوسف الحكم أَن يصلب زيداً بالكناسة ، ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق ويحرسهم . فلما وَلِيَ الوليد أَمر باحراقهم ، واستجار يحيى بن زيد بعبد الملك بن شبر بن مروان فأَجاره حتى سكن المطلب ، ثم سار الى خراسان في نفر من الزيدية .

ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ بعث مُحَمَّد بن عَلِيّ بن عبد الله بن عبَّاس دعاته الى الآفاق سنة مائة من الهجرة ، أيام عمر بن عبد العزيز ، لما مرّ أبو هاشم عبدالله ابن محمد ابن الحَنَفِيَّةِ ذاهباً وجائياً من الشام من عند سليمان بن عبد الملك ، فمرض عنده بالحُمَيْمَةِ من أعمال البلقاء ، وهلك هنالك وأوصى له بالأمر . وكان أبو هاشم قد علم شيعته بالعراق وخراسان وأنَّ الأمر صائر في وُلْدِ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمداً وبايعوه سِرًّا ، وبعث دعاته منهم إلى الآفاق . وكان الذي بعث إلى العراق مَسِيرَةَ بن والي خراسان محمد بن حبيش ، وأما عِكْرَمَةَ السراج ، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سَلَمَة فجاووا الى خراسان ودعوا اليه سرّاً وأجابهم الناس ، وجاووا بكتب من أجاب الى مسيرة اهـ .

فبعث بها الى محمد ، واختار ابو محمد الصادق اثني عشر رجلا من أهل الدعوة فجعلهم نقباءَ عليهم وهم : سُلَيْمَانُ بن كُثَيِّر الخزاعي ، ولاهِزُ بن قُرَيْظِ التميمي ، وأبو النَجْمِ عِمرانُ بن اسماعيل مولى أَبي مَعيط ، ومالك بن الهَيْثَمِ الخزاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وأبو حمزَةَ بن عُمَرَ بن أَعْيَنَ مولى خُزَاعَةَ وأخوه عيسى ، وأبو علي شِبْلَةُ بن طُهْمَانَ الهَرَوَي مولى بني حنيفة . واختار بعده سبعين

رجلًا ، وكتب اليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثالًا يقتدون به في الدعوة ، وأقاموا على ذلك . ثم بعث مسيرة رُسُلَه من العراق سنة اثنتين ومائة في ولاية سعيد خُذَيْنَةَ ، وخلافة يزيد بن عبد الملك . وسعى بهم الى سعيد فقالوا نحن تجار ، فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأَطلقهم .

وولد محمد ابنه عبد الله السفاح سنة أَربع ومائة ، وجاءَ اليه أَبو محمد الصادق في جماعة من دعاة خراسان ، فأَخرجه لهم ابن خمسة عشر يوماً وقال هذا صاحبكم الذي يتم الأَمر على يده ، فقبلوا أَطرافه وانصرفوا . ثم دخل معهم في الدعوة بكير بن هامان جاءَ من السِنْدِ مع الجُنَيْدِ بن عبا الرحمن . فلما عُزِلَ قدم الكوفة وَلَقِيَ أَبا عكرمة وأَبا محمد الصادق ومحمد بن حُبَيْش وعَمَّار العبادي خال الوليد الأَزْرَقِ ، دعاه الى خراسان في ولاية أَسَد القسري أَيام هشام ووشى بهم اليه ، فقطع أَيدي من ظفر به منهم وصلبه .

وأَقبل عمار الى بكير بن هامان فأَخبره ، فكتب الى محمد ابن علي بذلك فأَجابه : الحمد لله الذي صدق دعوتكم ومقالتكم ، وقد بقيت فيكم قتلى ستعد . ثم كان أَوّل من قدّم محمد بن علي الى خراسان أَبو محمد زِيادُ مولى هَمَذان ، بعثه محمد بن علي سنة تسعة في ولاية أَسد ايام هشام وقال له : انزل في اليمن وتَلَطَّفْ لِمُضَرٍ ونهاه عن غالب النيسابوري شيعة بني فاطمة . فشتى زياد بمرو، ثم سعى به الى أَسد فاعتذر بالتجارة ، ثم عاد الى

أمره . فأحضره أسد وقتله في عشرة من أهــل الكوفة . ثم جاءَ بعدهم الى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كُثَيِّر ، ونزل على ابي الشحم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة ، ثم أخذ أسد بن عبد الله في ولايتــه الثانية سنة سبع عشرة . أخذ سليمان بن كثير ، ومالك ابن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريط بثلثمائة سوط ، وشهد حسن بن زيد الأسدي ببراءتهم فأطلقهم .

ثم بعث بكير بن هامان سنة ثماني عشر عمار بن زيد على شيعتهم بخراسان ، فنزل مرو وتسمى بخراش ، وأطاعه الناس . ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرّمِيّةِ ، فأباح النساءَ وقال : إن الصوم إنما هو عن ذكر الإمام، وأشار الى اخفاءِ اسمه . والصلاة الدعاء له ، والحج القصد اليه . وكان خراش هذا نَصْرَانِيًّا بالكوفة ، واتبعــه على مقالته مالك بن الهَيثَم والحُرَيْش بن سليم . وظهر أَسَدٌ على خبره ، وبلغ الخبر بذلك الى محمد بن علي فنكر عليهم قبولهــم من خراش ، وقطع مراسلتهم . فقــدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم ، وكتب معه اليهم كتــاباً مختوماً لم يجدوا فيه غير البسملة ، فعلموا مخالفة خِرَاش لأمره وعظم عليهم . ثم بعث محمد بن بكير بن أبان ، وكتب معه بكذب خراش فلم يصدّقوه ، فجاءَ الى محمد وبعث معه عُصِيا مُضَبَّبَةً بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس . ودفع الى كل رجل عصا فعلموا انهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا .

وتوفي محمد بن علي سنة أربع وعشرين ، وعهد الى ابنه ابراهيم بالأمر وأوصى الدعاة بذلك ، وكانوا يسمونه الامام . وجاء بكير بن هامان الى خراسان بنعيه ، والدعاء لابراهيم الامام سنة ست وعشرين ومائة . ونزل مَرْوَ ودفع الى الشيعة والنُقَبَاء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه ، ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم ، فقدم بها بكير على ابراهيم .

ثم بعث اليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف في أوّليته اختلافاً كثيراً . وفي سبب اتصاله بابراهيم الامام أو أبيه محمد ، فقيل كان من وُلْدِ بَزْرَجَمْهَر ، وولد باصبهان وأوصى به أبوه الى عيسى بن موسى السَرّاج ، فحمله الى الكوفة ابن سبع سنين . ونشأ بها واتصل بابراهيم الامام . وكان اسم أبي مسلم ابراهيم بن عُثْمَان ابن بَشَّار . فسماه ابراهيم الامام عبد الرحمن وزوجة أبيه أبي النجم عمران بن اسماعيلٍ من الشيعة . فبنى بها بخراسان ، وزوّج ابنته من محرز بن ابراهيم فلم يعقب . وابنته اسماء من فهم بن محرز ، فأعقبت فاطمة ، وهي التي يذكرها الخرَّمية .

وقيل في اتصاله بابراهيم الامام : ان أبا مسلم كان مع موسى السَرَّاج ، وتعلم منه صناعة السروج ، وكان يتجهز فيها باصبهان والجبال والجزيرة والموصل . واتصل بعاصِمِ بن يونس العِجْليّ صاحب عيسى السراج ، وابن أخيه عيسى وادريس ابني معقل ، وادريس هو جد أبي دَلَف . ونمي الى يوسف بن عِمْران العجلي من دعاة

بني العباس ، فحبسهم مع عمال خالد القسري . وكان أَبو مسلم معهم في السجن بخدمتهم وقبل منهم الدعوة . وقيل لم يتصل بهم من عيسى السراج ، وانما كان من ضياع بني العجلي بأَصبهان أَو الجبل. وتوجه سليمان بن كُثَيِّر ومالك بن الهَيْثَم ولاهز بن قريط ، وقَحْطَبَة ابن شبيب من خراسان ، يريدون ابراهيم الامام بمكة ، فمرّوا بعاصم ابن يونس وعيسى وادريس ابني معقل العجلي بمكانهم من الحبس فرأَوا معهم أَبا مسلم فأَعجبهم وأَخذوه . ولقوا ابراهيم الامام بمكة فأَعجبه فأَخذه وكان يخدمه . ثم قدم النقباء بعد ذلك على ابراهيم الامام يطلبون أَن يوجه من قبله الى خراسان ، فبعث معه أَبا مسلم . فلما تمكن ونوى أَمره ادعى أَنه من ولد سليط بن عبدالله بن عباس .

وكان من أَولية هذا الخبر أَن جارية لعبد الله بن العباس ولدت لغير رَشْدَة (١) فحدَّها واستعبد وليدها وسماه سليطاً ، فنشأ واختص بالوليد . وادّعى أَن عبد الله بن عباس أَقرّ بأَنه ابنه ، وأَقام البينة على ذلك . وخاصم عليّ بن عبد الله في الميراث وأَذاه . وكان في صحابته عُمَرُ الدَنُّ من وُلْدِ أَبي رافع مولى رسول الله صلى عليه وسلم ، ودخل عليها سليط بالخبر ، فاستعدت الوليد على علي فأَنكر وحلف ، فنبشوا في البستان فوجدوه . فأَمر الوليد بعلي فضرب

(١) الرشدة ضد الزنية، يقال: ولد لرشدة أي شرعي، وولد لغير رشدة: أي ابن زنى. (قاموس)

ليدله على عمر الدن . ثم شفع فيه عَبَّادُ بن زِيادٍ فأُخرج الى الحُمَيْمَةِ . لما وَلِيَ سليمان رده الى دمشق . وقيل أن أبا مسلم كان عبداً للعجليين ، وابن بكير بن هامان كان كاتباً لعمال بعض السِنْد . وقدم الكوفة فكان دعاة بني العباس فحبسوا وبكير معهم .

وكان العجليون في الحبس ، وأبو مسلم العبسي بن معقل ، فدعاهم بكير الى رأيه فأجابوه ، واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى ابن معقل بأربعمائة درهم ، وبعث به الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى موسى السَرّاج من الشيعة . فسمع منه وحفظ ، وصار يتردّد الى خراسان . وقيل كان لبعض أهل هَرَاة ، وابتاعه منه ابراهيم الامام ، ومكث عنده سنين ، وكان يتردّد بكتبه الى خُراسان . ثم بعثه أميراً على الشيعة وكتب اليهم بالطاعة له ، والى أبي سَلَمَةَ الخَلَّال داعيهم بالكوفة يأمره بانفاذه الى خراسان . فنزل على سليمان بن كُثَيِّر وكان من أمره ما يذكر بعد هذا إن شاءَ الله تعالى .

ثم جاءَ سليمان بن كثير ، ولاهِزُ بن قُرَيْظَ وقَحْطَبَةُ الى مكة سنة سبع وعشرين ، بعشرين ألف دينار للامام ابراهيم ، ومائتي ألف درهم ومسك ومتاع كثير ، ومعهم أبو مسلم وقالوا : هذا مولاك . وكتب بكير بن هامان الى الامام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لأبي سلمة حفص بن سليمان الخَلَّال وهو رضى .

فكتب اليه ابراهيم بالقيام بأمر أصحابه . وكتب الى أهل خراسان بذلك فقبلوه وصدّقوه ، وبعثوا بخمس أموالهم ونفقة الشيعة للامام ابراهيم .

ثم بعث ابرهيم في سنة ثماني وعشرين مولاه أبا مسلم الى خراسان . وكتب له : اني قد أمرته بأمري فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد أمَّرته على خراسان وما غلبت عليه . فارتابوا من قوله ووفدوا على ابراهيم الامام من قابل مكة . وذكر له أبو مسلم انهم لم يقبلوه . فقال لهم : قد عرضت عليكم الأمر فأبيتم من قبوله. وكان عرضه على سليمان بن كثير . ثم على ابراهيم بن مسلمة فأبوا. واني قد أجمع رأيي على مسلم ، وهو منا أهل البيت فاسمعوا له وأطيعوا . وقال لأبي مسلم انزل في أهل اليمن وأكرمهم . فان بهم يتمّ الأمر وآتهم البيعة . وأما مُضَرُ فهم العدوّ الغريب ، واقتل من شككت فيه . وان قدرت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، وارجع الى سليمان بن كثير واكتف به مني وسرّحه معهم فساروا الى خراسان .

وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . لعشرين سنة من خلافته ، ووَلّى بعده الوليد بن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مرّ ، وكان الوليد متلاعباً ، وله مجون وشراب وندمان . وأراد هشام خلعه فلم يمكنه . وكان

يضرب من يأخذه في صحبته ، فخرج الوليد في ناس من خاصته ومواليه ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بالأحوال ، فضربه هشام وحبسه . ولم يزل الوليد مقيماً بالبرية حتى مات هشام ، وجاءه مولى أبي محمد السُفْيَانِيّ على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر ، فسأل عن كاتبه عياض فقال : لم يزل محبوساً حتى مات هشام ، فأرسل الى الحرّاق أن يحتفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاماً من شيء طلبه . ثم خرج بعد موته من الحبس ، وختم أبواب الخزائن . ثم كتب الوليد من وقته الى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه ، الا مسلمة بن هشام فانه كان يراجع أباه بالرفق بالوليد ، فانتهى العباس لما أمر به الوليد . ثم استعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة ، فجاءته بيعتهم . وكتب مروان ببيعته واستأذن في القدوم . ثم عقد الوليد من سنته لابنيه : الحكم وعثمان بعده وجعلهما وليي عهده ، وكتب بذلك إلى العراق وخرسان .

ولاية نصر للوليد على خراسان

وكتب الوليد في سنته الى نصر بن سيار بولاية خراسان وأفرده بها ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصراً وعماله ، فردّ اليه الوليد خراسان . وكتب يوسف الى نصر بالقدوم ، ويحمل معه الهدايا والأموال وعياله جميعاً وكتب له الوليد بأن

يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، ويجمع له البراذين الغرّة [١] ويجمع بذلك اليه في وجوه أهل خراسان ، واستحثه رسول يوسف فأجازه . ثم سار واستخلف على خراسان عِصْمَةَ بن عبد الله الأَسَدِيّ ، وعلى شاس موسى بن ورقاء ، وعلى سَمَرْقَنْدَ حَسَّانَ بن [٢] من أهل الصغانيان ، وعلى آمُدَ مُقَاتِلَ بن عليّ الصُغْدِيّ وأسرّ اليهم أن يداخلوا الترك في المسير الى خراسان ليرجع اليهم . وبينا هو في طريقه الى العراق ببيهق لقيه مولى لبني ليث ، وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشام . وانّ منصور بن جُمْهُورَ قدم العراق وهرب يوسف بن عُمَرَ فرجع بالناس .

مقتل يحيى بن زياد

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مرّ فأقام عنه الحريش بن عمرو ومروان في بلخ . ولما وَلِيَ الوليد كتب الى نصر بأن يأخذه من عند الحُرَيْشِ ، فأحضر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر ، فضربه ستمائة سوط ، فجاء ابنه قُرَيْشُ ودله على يحيى فحبسه . وكتب الى الوليد فأمره أن يخلي سبيله وسبيل أصحابه . فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد ، فسار وأقام بِسَرْخَسْ ، فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عَبَّاد يخرجه عنها ،

(١) كذا وربما كانت الفره جمع فاره . ويقال للبرذون والجمال والبغل: فاره إذا كان سيورا . أما كلمة «الغرة» كما هي في الأصل فلا تتناسب كثيراً مع المعنى.

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٥٩ «وحسان من أهل الصغانيان لسمرقند» . وفي الطبري ج ٨ ص ٢٩٩ ؛ «وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند» .

فأخرجه الى بَيْهَقَ ، وخاف يحيى بن يوسف بن عُمَرَ فسار الى نيسابور وبها عمر بن زُرَارَة وكان مع يحيى سبعون رجلاً ، ولقوا دوابّ وأدركهم الاعيـاءُ فأخذوها بالثمن . وكتب عمر بن زرارة بذلك الى نصر ، فكتب اليه يأمره بحربهم . فحاربهم في عشرة آلاف فهزموه وقتلوه ، ومروا بهراة فلم يعرضوا لهـا . وسرح نصر بن سيار مسلم بن أحوز المازني اليهم ، فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب يحيى بسهم في جبهته فمات . وقتل أصحابه جميعاً وبعثوا برأسه الى الوليد ، وصلب بالجوزان . وكتب الوليد الى يوسف بن عمر بأن يحرق شلو زيد ، فأحرقه وذراه في الفرات . ولم يزل يحيى مصلوباً بالجوزجان حتى استولى ابو مسلم على خراسان فدفنه ونظر في الديوان أسماءَ من حضر لقتله فمن كان حياً قتله ، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء .

مقتل خالد بن عبد الله القسري

قد تقدّم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق ، وأنه حبس خالداً أَصحابُ العراق وخراسانِ (١) قِبَلَه ، فأقام بحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه اسماعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر ابن أخيه أسد . واستأذن هشاماً في عذابه فأذن له عـلى أنه ان هلك قتل يوسف به فعذبه . ثم أمر هشام باطلاقه سنة احدى وعشرين ، فأتى الى قرية بازاء الرصافة فأقام بها ، حتى خرج زيد وقتل وانقضى

(١) يظهر العبارة مبهمة وهي كذا في الأصل ولدى مراجعتنا لكتب التاريخ الأخرى يظهر أن أصحاب فاعل.

أَمره ، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأَنه الذي داخل زيداً ، في الخروج ، فردّ هشام سعايته ووبخ رسوله وقال : لسنا نتهم خالداً في طاعة . وسار خالِدٌ الى الصائفة ، وأَنزل أَهله دِمَشْقَ وعليها كُلْثُومُ بن عِيَاضٍ القُشَيْري ، وكان يبغض خالداً .

فظهر في دمشق حريق في ليالٍ ، فكتب كلثوم الى هشام بأَنَّ موالي خالد يريدون الوثوب الى بيتِ المال ، ويتطرَّقون [1] الى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد . فكتب اليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي ، فحبسهم ثم على صاحب الحريق وأَصحابه . وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ، ولم يذكر فيهم أَحداً من آل خالد ومواليه ، فكتب هشام الى كلثوم يوبخه ويأْمره باطلاق آل خالد وترك الموالي . فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة ، فلما قدم دخل منزله وأَذَّنَ للناس فاجتمعْوا ببابه فوبخهم وقال : ان هشاماً يسوقهنَّ الى الحبس كل يوم . ثم قال : خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فحبس أَهلي مع أَهل الجرائم كما يفعل بالمشركين . ولم يغير ذلك أَحد منكم ، أَخفتم القتل ؟ أَخافكم الله . والله ليكفنَّ عني هشام ، أَو لأَعودنَّ الى عراقيّ الهوى ، شاميّ الدار ، حجازيّ الأَصل ، يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وبلغ ذلك هشاماً فقال : خرف أَبو الهيثم . ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر الى الشام بطلب يزيد بن خالد ، فأَرسل الى كلثوم

(١) تطرق إلى الأمر: ابتغى إليه طريقاً.

بانفاذه اليه ، فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه ، فكتب اليه هشام بتخليته ووبخه اهـ .

ولما ولي الوليد بن يزيد استقدم خالداً وقال : أين ابنك ؟ قال هرب من هشام ، وكنـا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره ، وطلبناه ببلاد قومـه من الشراة فقال : ولكن خلفته طلباً للفتنة فقـال : إنّا أهل بيت طـاعة . فقال لتأتيني به أو لأُرهقنّ نفسك . فقـال والله لو كان تحت قدميَّ مـا رفعتهما عنه . فأمر الوليد بضربه . ولما قـدم يوسف بن عمر من العراق بالأمـوال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف . فقال له الوليد ان يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك اليه . فقال مـا عهدت العرب تباع ؛ والله لـو سألتني عوداً ما ضمنته . فدفعه إلى يوسف ، فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء ، وعذبه عذاباً شديداً وهـو لا يكلمه . ثم حمله إلى الكوفة فاشتدّ في عذابـه ، ثم قتله ودفنه في عباءة ، يقال انه قتله بشيء وضعه عـلى وجهه ؛ وقيل وضع على رجليه الأعوادَ وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه . وذلك في المحرّم سنة ست وعشرين ومائة .

مقتل الوليد وبيعة يزيد

ولما وَلِيَ الوليد لم يُقْلِعْ عما كان عليه مـن الهوى والمجون ، حتى نسب اليه في ذلك كثير من الشنائع . مثـل رميه المصحف بالسهام ، حين استفتح فوقع عـلى قولـه : وخاب كل جبار عنيد.

وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما [١] . ولقد ساءت القالة فيه كثيراً ، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : انها من شناعات الاعداء ، الصقوها به . قال المدائني دخل ابن الغَمْرِ بن يزيد على الرشيد فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فوجم . فقال : قل وأنتَ آمِنٌ ولو أنك مروان . فقال : أنا ابن الغمر بن يزيد . فقال : رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقِصَ ، فانه قتل خليفةً مُجْمعاً عليه ، ارفع حوائجك فرفعها وقضاها .

وقال شبيب بن شبة كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد ، فقال المهدي كان زنديقاً ، فقام ابن عِلَّاثَةَ الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ان الله عزَّ وجلَّ أعدل من أن يولي خلافة النبوَّة وأمر الأمَّة زنديقاً ، لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه ، ويراه في طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرت الصلاة ، يطرح الثياب التي عليه المصببة [٢] المصبغة . ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه . أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدي : بارك الله عليك يا ابن علاثة ، وانما كان الرجل محسوداً في خلاله ، ومزاحماً بكبار عشيرته بيته من بني عمومته مع لهو كان يُصَاحِبُهُ أَوجَدَ لهم به السبيل على نفسه .

وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ .

---

(١) تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يا رب خرقني الوليد

(٢) المصببة: المرأة التي أصبت. أي كان لها صبي. ولا معنى لها ولعلها زائدة.

قال يوماً لهشام يعزيه في مسلمة أخيه : ان عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختلّ الثغر فهوى . وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزوّدوا فان خير الزاد التقوى . فأعرض هشام وسكت القوم .

وأما حكاية مقتله فانه لما تعرّض له بنو عمه ، ونالوا من عرضه ، أخذ في مكافئتهم . فضرب سليمان ابن عمه هشام مائة سوط ، وحلقه وغرّبه إلى معان من أرض الشام ، فحبسه إلى آخر دولته . وحبس أخاه يزيد بن هشام ، وفرّق بين ابن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدّة من وُلْدِ الوليد ، فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساءِ أبيه . وخوّفوا بني أُمية منه بأنه اتخذ ميتة[1] جامعة لهم ، وطعنوا عليه في تولية ابنيه الحَكَمَ وعُثمانَ العهد مع صِغَرِهما . وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد ، لانه كان يتنسكُ فكان الناس إلى قوله أميل .

ثم فسدت اليَمَامَةُ عليه بما كان منه لخالد القسري . وقالوا : انما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه . ثم فسدت عليه قُضاعة ، وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشام . واستعظموا منه ما كان من بيعة خالد ليوسف بن عمر ، وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليَمَنِيَّة بشأن خالد ، فازداد واختفى . وأتوا إلى يزيد ابن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة . وشاور عمر بن زيد

(١) في ابن الأثير ج ٤ ص ٢٦٤ : «اتخذ مئة جامعة لبني مفهومه».

الحكمي فقال : شاور أخاك العباس والا فأظهر انه قد بايعك ، فانّ الناس له أطوع . فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته ، ودعا الناس سرًّا ، وكان بالبادية . وبلغ الخبر مروان بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يعظم عليه الامر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد ، فأعظم ذلك سعيد ، وبعث بالكتاب إلى العباس ، فتهدّد أخاه يزيد فكتمه فصدّقه .

ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لاربع ليال متنكراً ، معه سبعة نفر على الحمر . ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر أهلها سرًّا ، وأهل المزّة . وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فاستوياها فنزل قطنا ، واستخلف عليها ابنه محمداً . وعلى شرطته أبو العاج كُثَيِّرُ بن عبد الله السَلَمِيّ . ونمي الخبر اليهما فكذباه ، وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس . ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ، ولما قضوا الصلاة جاءَ حرس المسجد لاخراجهم فوثبوا عليهم ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد ابن الوليد ، فجاءَ به إلى المسجد في زهاءِ مائتين وخمسين ، وطرقوا باب المقصورة ، فأدخلهم الخادم . فأخذوا أبا العاج وهو سكران وخزان بيت المال .

وبعث عن محمد بن عبد الملك فأخذوه وأخذوا سلاحاً كثيراً كان بالمسجد ، وأصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة أهل المزّة والسكاسك وأهل دارا . وعيسى بن

شَيْب الثَعْلَبِيّ في أَهـل دَرْهَةَ وحَرَسْتا ، وحميد بن حبيب اللَخْمي في أَهل دُمَّرَعْران ، وأَهـل حُرْش والحُدَيْثَةِ ودَرِيركا ورَبَعِي بن هشام الحَرَثِيّ في جماعـة من عَرٍّ وسلامـان . ويعقوب بن عُمَيْر ابن هانىء العَبْسِيّ جُهَيْنَةَ ومواليهم . ثم بعث عبـد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس ، فجـاءَ بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الأَمان . ثم جهز يزيد الجيش إلى الوليد بمكانه من البادية مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومنصور بن جمهور. وقد كان الوليد لما بلغه الخبر بعث عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق ، فأَقام بطريقه قليلًا .

ثم بايع ليزيد ، وأَشار عـلى الوليد أَصحابه أَن يلحق بحمص فيتحصن بهـا . قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد ، وخالفه عبد الله بن عَنْبَسَةَ . وقال : ما ينبغي للخليفة أَن يدع عسكره وحرمه قبل أَن يقاتل . فسار إلى قصر النعمان بن بشير ، ومعه أَربعون من ولد الضحاك وغيره . وجـاءَ كتاب العباس بن الوليد بأَنه قادم عليه ، وقـاتلهم عبد العزيز ومنصور بعد أَن بعث اليهم زياد بن حُصَيْن الكلبي يدعوهم إلى الكتاب والسنة . فقتله أَصحاب الوليد واشتدّ القتال بينهم ، وبعث عبد العزيز بن منصور بن جمهور لاعتراض العباس بن الوليد أَن يأْتي بالوليد . فجـاءَ به كرهاً إلى عبد العزيز ، وأَرسل الوليد إلى عبد العزيز بخمسين أَلف دينار وولاية حمص ما بقي على أَن ينصرف عنه فأَبى .

ثم قاتل قتالًا شديداً حتى سمع النداء بقتله وسبه من جوانب الحومة ، فدخل القصر فأغلق الباب ، وطلب الكلام من أعلى القصر ، فكلمه يزيد بن عَنْبَسَةَ السَكْسَكِي فذكره بحرمه وفعله فيهم . فقال ابن عنبسة : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، وإنما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله ، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . قال حسبك الله يا أخا السكاسك ! فلعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وانَّ فيما أحلَّ الله سعة عما ذكرت . ثم رجع إلى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال : يوم كيوم عثمان : فتسوّروا عليه ، وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله ، وإذا بمنصور بن جُمْهور في جماعة معه ضربوه واجتزوا رأسه ، فساروا به إلى يزيد فأمر بنصبه .

فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرة في المنع من ذلك ، وقال : هذا ابن عمك وخليفة ، وانما تنصب رؤوس الخوارج ، ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته ، فلم يجبه وأطافه بدمشق على رمح ، ثم دفع إلى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه . وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشهر من بيعته . ولما قتل خطب الناس يزيد فذمّه وثلبه ، وانه انما قتله من أجل ذلك . ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار عن النفقة في غير حاجاتهم ، وسدّ الثغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب ، والا فلكم ما شئتم من الخلع . وكان يسمى الناقص

لانه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أُعطيات الناس وهي عشرة عشرة . وردّ العطاء كما كان أيام هشام ، وبايع لاخيه ابراهيم بالعهد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، حمله على ذلك أَصحابه القدرية لمرض طرقه[1] ...

ولما قتل الوليد ، وكان قد حبس سليمان بن عمه هشام بعمان ، خرج سليمان من الحبس وأَخذ ما كان هناك من الاموال ونقله إلى دمشق . ثم بلغ خبر مقتله إلى حِمْصَ ، وانَّ العباس بن الوليد أَعان على قتله ، فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها ، وطلبوه فلحق بأَخيه يزيد . وكاتبوا الأَجنادِ في الطلب بدم يزيد ، وأَمَّروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، ومُعَاوِيَةَ بن يزيد بن حُصَيْنَ بن نُمَيْرَ ، وراسلهم يزيد فطردوا رسوله ، فبعث أَخاه مسروراً في الجيش فنزل حَوَّارِين . ثم جاءَ سليمان بن هشام من [2] فردّ عليه ما أَخذ الوليد من أَموالهم ، وبعث على الجيش وأَمر أَخاه مسروراً بالطاعة ..

واعتزم أَهل حمص على المسير إلى دمشق ، فقال لهم مروان : ليس من الرأْي أَن تتركوا خلفكم هـذا الجيش وانما نقاتله قبل ،

(١) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٩ ص ٢٢ : «شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال الناقص بن الوليد فسماه الناقص، فسماه الناس الناقص لذلك. وفي هذه السنة اضطرب حبل بني مروان وهاجت الفتنة. فكان من ذلك ثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعدما قتل الوليد بن يزيد بعمان».

(٢) هنا بياض في الأصل. وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٠ والطبري ج ٩ ص ٢٣ عبارة واحدة وهي: «ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام».

فيكون ما بعده أهون علينا . فقال لهم السميط بن ثابت إنما يريد خلافكم وإنما هواه مع يزيد والقدرية ، فقتلوه وولوا عليهم محمداً السفياني وقصدوا دمشق ، فاعترضهم ابن هشام بِغَدْرا فقاتلهم قتالًا شديداً . وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك في ثلاثة آلاف إلى ثَنِيَّةِ العِقابِ وهِشامَ بن مضاد في ألف وخمسمائة إلى عَقَبَة السَلامِيَّة . وبينما سالم يقاتلهم إذ أقبلت عساكر من ثنية العقاب ، فانهزم أهل حمص ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري : الله الله على قومك يا سليمان . فكف الناس عنهم وبايعوا ليزيد . وأخذ أبا محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما إلى يزيد فحبسهما اهـ .

واستعمل على حمص معاوية بن يزيد بن الحُصَيْن ، وكان لما قتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه ، وتولى منهم سعيد وضَبْعان ابنا رَوْحٍ ، وكان وُلْدُ سليمان ينزلون فلسطين ، فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم ، وبلغ ذلك أهل الأَرْدُنِّ ، فولوا عليهم محمد بن عبد الملك . وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني على ثمانين ألفاً ، وبعث إلى ابني روح بالاحسان والولاية ، فرجعا بأهل فلسطين . وقَدَّم سليمانُ عسكراً من خمسة آلاف إلى طَبَرِيَّةَ فنهبوا القرى والضياع ، وخشي أهل طبرية على من وراءهم ، فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ونزلوا بمنازلهم ،

فافترقت جموع الأُردن وفلسطين . وسار سليمان بن هشام ، ولحقه أَهل الأُردن فبايعوا ليزيد ، وسار إلى طبرية والرَمْلةِ وأَخذ على أَهلهما البيعة ليزيد ، وولى على فلسطين ضَبْعانَ بن روح ، وعلى الأُردن ابراهيم بن الوليد .

ولاية منصور بن جمهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر

لما وَلِيَ يزيد استعمل مَنْصورَ بن جُمْهورَ على العراق وخُراسان ، ولم يكن من أَهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لرأْيه في الغيلانيّة ، وحنقاً على يوسف بقتله خالداً القِسْري . ولما بلغ يوسف قتل الوليد ارتاب في أَمره ، وحبس اليَمانِيَّةَ لما تجتمع المضرية عليه فلم ير عندهم ما يحب ، فاطلق اليمانية . وأَقبل منصور وكتب من عين البَقَرِ إلى قواد الشام في الحيرة بأَخذ يوسف وعماله ، فأَظهر يوسف الطاعة . ولما قرب منصور دخل دار عمر بن محمد بن سعيد بن العاصي ، ولحق منها بالشام سرّاً ، وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارساً لتلقيه . فلما أَحس بهم هرب واختفى ، ووجد بين النساء فأَخذوه وجاؤوا به إلى يزيد ، فحبسه مع ابني الوليد ، حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسري .

ولما دخل منصور بن جمهور الكوفة لايام خلت من رجب ، أَفاض العطاء وأَطلق من كان في السجون من العمال وأَهل الخراج ، واستعمل أَخاه على الري وخراسان ، فسار لذلك فامتنع نصر بن سَيَّار من تسليم خراسان له . ثم عزل يزيد منصور بن جمهور لشهرين

من ولايته ، وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال : سر إلى أهــل العراق ، فانَّ أَهله يميلون إلى أَبيك فسار وانقاد له أَهل الشام ، وسلم اليه منصور العمل ، وانصرف إلى الشام . وبعث عبد الله العمال على الجهات ، واستعمل عمر بن الغضبان بن القَبَعْثَرا على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات ، وكتب إلى نصر بن سَيَّارَ بعهده على خراسان .

انتقاض أهل اليمامة

ولما قتل الوليد كان علي بن المهاجر على اليمامة عاملًا ليوسف ابن عمر ، فجمع له المُهَيْرُ بن سُلَيْمانَ بن هِلال من بني الدَوْلِ بن خَوْلَةَ . وسار اليه وهو في قصره بقاع هَجَر فالتقوا وانهزم علي ، وقتل نــاس من أَصحابه ، وهرب إلى المدينة . وملك المهير اليمامة ، ثم مات واستخلف عليها عبد الله بن النُعْمان من بني قيس بن ثَعْلَبَة من الدول ، فبعث المُنْدَلِبَ بن ادريس الحنفي على الفلج قرية من قرى بني عامر بن صَعْصَعَةَ ، فجمع له بني كعب بن ربيعــة بن عامر ، وبني عمير ، فقتلوا المندلب وأكثر أَصحابه . فجمع عبد الله ابن النعمان جموعــاً من حنيفة وغيرها ، وغزا الفلج وهزم بني عقيل وبني بشير وبني جُعْدَةَ وقتل أكثرهم .

ثم اجتمعوا ومعهم نُمَيْر فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلوهم وسلبوا نساءهم ثم جمــع عمر بن الوازع الحَنَفِيّ الجموع وقال : لست بدون عبد الله بن النعمان ، وهــذه فترة من السلطان . وأغار

وامتلأت يداه من الغنائم ، وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر ، والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش . ورجع بنو عامر بالاسرى والنساء ، ولحق عمر بن الوازع باليمامة . ثم جمع عبيد الله ابن مسلم الحنفي جمعاً وأغار على قُشَيْرَ وعَكْل فقتل منهم عشرين ، وسمّى المُثنّى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ والياً على اليمامة من قبل أبيه حتى ولي العراق لمروان ، فتعرض المثنى لبني عامر وضرب عدّة من بني حنيفة وحلقهم ، ثم سكنت البلاد ، ولم يزل عبيد الله ابن مسلم الحنفي مستخفياً ، حتى قدم كسرى بن عبيد الله الهاشمي والياً على العامّة لبني العباس ودلّ عليه فقتله .

اختلاف أهل خراسان

ولما قتل الوليدُ وقدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق ، انتقض عليه جَدِيعُ بن علي الكِرْمَاني ، وهو أزديّ . وإنما سُمّيَ الكرماني لانه ولد بكرمان ، وقال لاصحابه هذه فتنة فانظروا لاموركم رجلًا ، فقالوا له أنت ! وولوه . وكان الكرماني قد أحسن إلى نصر في ولاية أسدِ بن عبد الله ، فلما ولى نصر عزله عن الرياسة بغيره ، فتباعد ما بينهما . وأكثر على نصر أصحابه في أمر الكرماني ، فاعتزم على حبسه ، وأرسل صاحب حرسه ليأتي به ، وأراد الأزد أن يخلصوه فأبى ، وجاء إلى نصر يُعَدِّدُ عليه أياديه قبله ، من مراجعة يوسف بن عمر في قتله ، والغرامة عنه ، وتقديم ابنه للرياسة . ثم قال : فبدلت

ذلك بالاجماع على الفتنة ، فأخذ يعتذر ويتنصل ، وأصحاب نصر يتحاملون عليه ، مثل مسلم بن أَحْوَرَ وعِصْمَةَ بن عبدالله الأَسَدي .

ثم ضربه وحبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين ، ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف ، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك ابن حَرْمَلَةَ على الكتاب والسنة . ولما جاءَ الكرماني قدمه عبد الملك ، ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ ، واجتمع اليه الناس ، وبعث سالم بن أَحْوَرَ في الجموع إلى الكرماني ، وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر ولا يحبسه . وأجاب نصر إلى ذلك ، وجاءَ الكرماني اليه وأمره بلزوم بيته . ثم بلغه عن نصر شيءٌ فعاد إلى حاله ، وكلموه فيه فأَمَّنه ، وجاءَ اليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة . فلما عزل جمهور عن العراق وولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، خطب نصر قدام ابن جمهور وأثنى على عبد الله ، فغضب الكرماني لابن الجمهور ، وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة . ويصلي خارج المقصورة ، ويدخل فيسلم ولا يحبس. ثم أظهر الخلاف ، وبعث اليه نصر سالم بن أحور فأفحش في صرفه ، وسفر بينهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرماني من خراسان ، وتجهز للخروج إلى جرجان .

امان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرب

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرماني خاف نصر أن يستظهر الكرماني عليه بالحرث بن شُرَيْح ، وكان مقيماً ببلاد

الترك منذ اثنتي عشرة سنة كما مرّ ، فأرسل مُقَاتِلُ بن حَيَّانَ النَبَطِيّ يراوده على الخروج من بلاد الترك ، بخلاف ما يقتضي له الامان من يزيد بن الوليد . وبعث خالد بن زِيَادَ البَدِيّ التُرْمُذِيّ وخالد ابن عمرة مولى بني عامر لاقتضاء الامان له من يزيد ، فكتب له الأمان . وأمر نصراً أن يردّ عليه ما أخذ له ، وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضاً . ولما وصل إلى نصر بعث إلى الحرث بذلك ، فلقيه الرسول راجعاً مع مقاتل بن حَيَّان وأصحابه ، ووصل سنة سبع وعشرين في جمادى الاخيرة ، وأنزله نصر بمرو وردّ عليه ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً ، وأطلق أهله وولده . وعرض عليه أن يوليه ، ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل ، وقال : لست من الدنيا واللذات في شيء ، وإنما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة ، وبذلك أُساعدك على عدوّك . وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور ، فكيف تزيدني عليه . وبعث إلى الكرماني إن عمل نصر بالكتاب عضدته في أمر الله ، ولا أعتبك ان ضمنت لي القيام بالعدل والسنة . ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير ، واجتمع اليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك .

انتقاض مروان لما قتل الوليد

كان مَرْوَانُ بن محمد بن مروان على أرمينية ، وكان على الجزيرة عَبْدَةُ بن رِياحَ العَبَادِيّ . وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه ، فبعث

معه مروان ابنه عبد الملك . فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بَجْرزان حين مقتل الوليد ، وسار عبدة عن الجزيرة . فوثب عبد الملك بالجزيرة وجرزان فضبطهما ، وكتب إلى أبيه بأرمينية يستحثه ، فسار طالباً بدم الوليد بعد أن أرسل إلى الثغور من يضبطها . وكان معه ثابت بن نعيم الجُذَامِيّ من أهل فَلِسْطِينَ ، وكان صاحب فتنة . وكان هشام قد حبسه على افساد الجند بأفريقيَّة عند مقتل كُلْثُوم بن عِياض ، وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذه عنده يداً . فلما سار من أرمينية داخَلَ ثابت أهل الشام في العود إلى الشام من وجه الفرات . واجتمع له الكبير من جند مروان وناهضه القتال . ثم غلبهم وانقادوا له ، وحبس ثابت بن نعيم وأولاده ، ثم أطلقهم من حَرَّان إلى الشام وجمع نَيِّفاً وعشرين ألفاً من الجزيرة ليسير بهم إلى يزيد ، وكتب اليه يشترط ما كان عبد الملك ولى أباه محمداً من الجزيرة والموصل وأذربيجان ، فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبايع له مروان وانصرف .

وفاة يزيد وبيعة أخيه ابراهيم

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته ، ويقال انه كان قدرياً وبايعوا لأخيه ابراهيم من بعده ، الا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر . وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة ، وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم خلعه مروان ابن محمد على ما يذكر . وهلك سنة اثنتين وثلاثين .

مسير مروان الى الشام

ولما توفي يزيد وولي أخوه ابراهيم وكان مضعفاً ، انتقض عليه مروان لوقته ، وسار إلى دمشق . فلما انتهى إلى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملا لأخيه يزيد ، ومعه أخوهما مسرور ، دعاهم مروان إلى بيعته . ومال اليه يزيد بن عُمَر بن هُبَيْرَة . وخرج بشر للقاء مروان . فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس إلى مروان ، واسلموا بشراً ومسروراً فأخذهما مروان وحبسهما ، وسار بأهل قنسرين ومن معه إلى حمص ، وكانوا امتنعوا من بيعة ابراهيم. فوجه اليهم عبد العزيز بن الحَجَّاج بن عبد الملك في جند أهل دمشق ، فكان يحاصرهم . فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم ، وبايعوا مروان ، وخرج للقائه سُلَيْمَانُ بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ، ومروان في ثمانين فدعاهم إلى الصلح ، وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنيه الحكم وعثمان ولَيَّي عهده ، فأبوا وقاتلوه . وسرَّب عسكراً جاووهم من خلفهم فانهزموا ، وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وأسروا مثلها . ورجع مروان بالفَلِّ وأخذ عليهم البيعة للحَكَم وعثمان ابني الوليد ، وحبس يزيد ابن العفار والوليد بن مصاد الكَلْبِيَّيْنِ فهلكا في حبسه .

وكان ممن شهد قتل الوليد ابن الحجاج ، وهرب يزيد بن خالد القسري إلى دمشق ، فاجتمع له مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا في قتل الحكم وعثمان ، خشية أن يطلقهما مروان

فيثأرا بأبيهما . وولوا ذلك يزيد بن خالد ، فبعث مولاه أبا الأَسَد فقتلهما وأخرج يوسف بن عمر فقتله ، واعتصم أبو محمد السفياني ببيب في الحبس فلم يطيقوا فتحه ، وأعجلهم خيل مروان . فدخل دمشق وأتى بأبي الوليد ويوسف بن عمر مقتولين ، فدفنهما وأتى بأبي عمر السُفْيَاني في قيوده ، فسلم عليه بالخلافة وقال : انَّ ولي العهد جعلها لك . ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه ، وكان أوّلهم بيعة مُعَاوِيَةَ ابن يزيد بن حُصَيْن بن نُمَيْر وأهل حمص . ثم رجع مروان إلى خراسان واستأمن له ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدما عليه ، وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذَكْوَانيَّة فبايعوا لمروان .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثاني

٥

القسم الثاني

المجلد الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

انتقاض الناس على مروان

ولما رجع الى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فَلَسْطِين أهل حمص في الخلاف على مروان، فأجابوه وبعثوا الى من كان بتدمر من طلب، وجاء الأصبغ بن ذُوالَةَ الكَلْبِيّ وأولاده، ومُعاوِيَةُ السَّكْسَكِي فارس أهل الشام وغيرها في ألف من فرسانهم، ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبعة وعشرين . وزحف مروان في العساكر من حَرَّانَ ومعه ابراهيم المخلوع، وسليمان بن هشام، ونزل عليهم ثالث يوم الفطر، وقد سدّوا أبوابهم فنادى مناديه : ما دعاكم الى النكث ؟ قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة . ودخل عُمَرُ الوَضّاح في ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف، وخرجوا من الباب الآخر، وجفل مروان في اتباعهم، وعلا الباب . فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه، وأفلت الاصبغ بن دوالة وابنه فرافصة .

ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة، وأنهم ولوا

عليهم يزيد بن خالد القسري، وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر، فبعث مروان اليهم أبا الورد بن الكَوْثَرِ بن زُفَرَ بن الحرث، وعمر بن الوضاح، في عشرة آلاف، فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم، وخرج اليهم من كان بالمدينة فهزموهم، وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه الى مروان وأحرقوا المزّة وقرى البرامة. ثم خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طَبَرِيّةَ وعليها الوليد ابن معاوية بن مروان بن الحكم. فبعث مروان اليه أبا الورد، فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه، ولقيه أبو الورد منهزماً فهزمه أخرى، وافترق أصحابه، وأسر ثلاثة من لده، وبعث بهم الى مروان.

وتغيب ثابت وولى مروان على فِلَسْطِين الرَّماحِسَ بن عبد العزيز الكِناني، فظفر بثابت بعد شهرين، وبعث بـه الى مروان موثقاً فقطعه وأولاده الثلاثة، وبعثهم الى دمشق فصلبوا. ثم بايع لابنيه عبدالله وعبيدالله وزوجهما بنتي هشام، ثم سار الى تُزْمُذَ من دير أيوب، وكانوا قد غوروا المياه. فاستعمل المزاد والقُرَبَ والابل، وبعث وزيره الأَبْرَشَ الكَلْبِيّ اليهم، وأجابوا الى الطاعة. وهرب نفر منهم الى البلد، وهدم الابرش سورها، ورجع بمن أطاع الى مروان. ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الى العراق لقتال الضَحَّاك الشَيْبَانِيّ الخارجيّ بالكوفة، وأمدّه ببعوث أهل الشام، ونزل قَرْقِيسيا ليقدّم ابن هبيرة لقتال الضحاك.

وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام في الرصافة أياماً ويلحق به، فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشام الذين بعثهم مروان مع ابن هبيرة، فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب، وسار معهم الى قِنَّسرين فعسكر بها، وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه. وبلغ الخبر مروان فكتب الى ابن هبيرة بالمقام، ورجع من قرقيسيا الى سليمان فقاتله فهزمه، واستباح معسكره وأثخن فيهم وقتل اسراهم، وقتل ابراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومي جا [1] أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفاً وهرب سليمان الى حمص في الفل فعسكر بها، وبنى ما كان تهدم من سورها.

وسار مروان اليه، فلما قرب منه بيته جماعة من أصحاب سليمان تبايعوا على الموت، وكان على احتراس وتعبية، فترك القتال بالليل وكَمنوا له في طريقه من الغد، فقاتلهم الى آخر النهار، وقتل منهم نحواً من ستمائة. وجاؤوا الى سليمان فلحق بتدمر وخلف أخاه سعيداً بحمص، وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً، حتى استأمنوا له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم.

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٨٧: «وقتل إبراهيم بن سليمان وأكثر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وادعى كثير من الإسراء للجند أنهم عبيد، فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم لمن يريد مع من أصيب من عسكرهم، ومضى سليمان حتى أنتهى إلى حمص».

ثم سار لقتال الضَحّاك الخارجيّ بالكوفة . وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بقنّسرين لحق بعبدالله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق، وسار معه الى الضحاك فبايعوه، وكان النضر بن سعيد قد وَلِيَ العراق . فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقادِسيّة جنود الضحاك من الكوفة مع ابن مَلْحَان فقتله النضر . وولى الضحاك مكانه بالكوفة المثنى بن عِمْرَانَ، وسار الضحاك الى الموصل وأقبل ابن هبيرة الى الكوفة، فنزل بعيد التمر [1] . وسار اليه المثنى فهزمه ابن هُبَيْرَةَ وقتله وعدة من قواد الضحاك . وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جُمهور، ثم جاؤوا الى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة، فهزمهم ثانية ودخل الكوفة وسار الى واسط . وأرسل الضحاك عبيدة بن سِوَار التَغْلَبِيّ لقتاله، فنزل الصَرَاة ، وقاتله ابن هبيرة هنالك فانهزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم .

ظهور عبد الله بن معاوية

كان عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر قدم على عبدالله ابن عمر بن عبد العزيز الكوفة في اخوانه وولده، فأكرمهم عبد الله وأجرى عليهم ثلثمائة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك . ولما بويع ابراهيم بن الوليد بعد أخيه ، واضطرب الشام وسار مروان الى دمشق ، حبس عبدالله بن عمر عبدالله بن معاوية عنده، وزاد

(١) بعين التمر. ولا تزال إلى الآن بهذا الاسم وتقع في الجنوب الغربي من كربلاء. ويسمونها «شفاثة» أيضاً.

في رزقه بعده لمروان يبايعه ويقاتله [١] . فلما ظفر مروان بابراهيم سار اسماعيل بن عبدالله القسري الى الكوفة وقاتله عبدالله ابن عمر، ثم خاف اسماعيل أن يفتضح، فكفوا خبرهم فوقعت العصبية بين الناس من ايثار عبدالله بن عمر بعضاً من مضر وربيعة بالعطاء دون غيرهم، فثارت ربيعة، فبعث اليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحيوا ورجعوا . وأفاض [٢] في رؤس الناس يستميلهم .

فاستنفر الناس، واجتمعت الشيعة الى عبدالله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة، وأخرجوا منه عاصِمَ بن عُمَر . فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفِيُّونَ ابن مُعَاوِيَةَ ومنهم مَنْصُورُ بن جُمْهُور واسماعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء، وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس، وخرج الى عبدالله بن عمر بالحيرة، فسرح للقائه مولاه . ثم خرج في أثره وتلاقيا، ونزع منصور بن جمهور واسماعيل أخو خالد القِسْري وعمر بن العطاء . وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية الى الكوفة . وكان عُمَرُ بن الغَضبان

(١) في هذه العبارة إبهام وعبارة الطبري في ج ٨ ص ٤٩ : «فاحتبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجري عليه وأعده لمروان بن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ويقاتل به مروان».

(٢) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٨ ص ٥٠ : «وبلغ الخبر ابن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصماً فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا فألقى نفسه بينهم وقال هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا وعظموا عاصماً وتشكروا له واقبل على صاحبيهم فسكتا وكفا فلما أمسى ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه بني همام وأرسل إلى ثمامة بن حوشب بمائة ألف. فقسمها في قومه وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف وإلى عثمان بن الخيبري بعشرة آلاف».

قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها، وانهزم أصحابه من ورائه. فرجع الى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر، ومعهم رَبيعةُ والزَّيدِيَّة على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر. ثم أخذ ربيعة الامان لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية. وسار ابن معاوية الى المدائن، وتبعه قوم من أهل الكوفة، فتغلب بهم على حُلْوانَ والجبل وهَمَذانَ وأَصْبَهانَ والريِّ الى أن كان من خبره ما نذكره.

غلبة الكرماني على مرو وقتله الحرث بن شريح

لما ولي مروان وولّى على العراق يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ كتب يزيد الى نصر بعهده على خُراسان، فبايع لمروان بن محمد، فارتاب الحرث وقال: ليس لي أمان من مروان، وخرج فعسكر، وطلب من نصر أن يجعل الامر شورى فأبى. وقرأ جَهْمُ بن صَفْوانَ مولى راسِبَ وهو رأسُ الجَهْمِيَّةِ سيرته وما يدعو اليه على الناس، فرضوا وكثر جمعه. وأرسل الى نصر في عزل سالم بن أَحْوَزَ عن الشرطة وتغير العمال، فتقرّر الامر بينهما على أن يردوا ذلك الى رجال أربعة: مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان بتعيين نصر، والمغيرة بن شُعْبَةَ الجَهْضي ومَعاذ بن جَبَلَة بتعيين الحرث. وأمر نَصْرٌ أن يكتب بولاية سَمَرْقَنْدَ وطَخارسْتانَ لمن يرضاه هؤلاء الأربعة.

وكان الحرث يقول انه صاحب السور، وانه يهدم سور دمشق، ويزيل ملك بني أمية. فأرسل اليه نصر: ان كان ما تقوله حقاً فتعال نسير الى دمشق، والا فقد أهلكت عشيرتك. فقال الحرث

هو حق، لكن لا تبايعني عليه أصحابي . قال فكيف تهلك عشرين ألفاً من ربيعة واليمن ؟ ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل . فقال له فابدأ بالكرماني فاقتله وأنا في طاعتك . ثم اتفقا على تحكيم جَهْمٍ ومقاتل، فاحتكما بأن يعزله نصر، ويكون الامر شورى . فأبى نصر فخالفه الحرث، وقدم على نَصْر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة : منهم عاصم بن عُمَيْر الضُّرَيْمي، وابو الذَيّال الناجي ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم . فكانوا معه . وأمر الحرث أن يقرأ سيرته في الاسواق والمساجد، وأتاه الناس وقرئت على باب نصر .

فضرب غلمان نصر قارئها فنادى بهم، وتجهزوا للحرب . ونقب الحرث سور مرو من الليل، ودخل بالنهار فاقتتلوا وقتل جهم بن مسعود الناجي، وأعين مولى حيان، ونهبوا منزل مسلم بن أَحْوَز، فركب سالم حين أصبح، فقاتل الحرث وهزمه، وجاء الى عسكره فقتل كاتبه . وبعث نصر الى الكَرْمَانِيّ، وكان في الأزد وربيعة، وكان موافقاً للحرث لما قدّمناه، فجاءه نصر على الأمان وحادثهم وأغلظوا له في القول فارتاب ومضى، وقتل من أصحابه جهم بن صفوان . ثم بعث الحرث ابنه حاتماً الى الكرماني يستجيشه، فقال له أصحابه دع عدويك يضطربان، ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم، وصرع تميم بن نصر ومُسْلِم بن أَحْوَز .

وخرج نصر من مرو من الغد، فقاتلهم ثلاثة أيام، وانهزم الكرماني وأصحابه، ونادى مناد يا معشر ربيعة واليمن ! ان أبا سَيّار قتل، فانهزمت مُضَرُ ونَصْر وترّجل ابنه تميم، فقاتل وأرسل اليه الحرث اني كافٍ عنك فان اليمانية يُعَيّرونني بانهزامكم، فاجعل أصحابك ازاء الكرماني. ولما انهزم نصر غلب الكرماني على مرو ونهب الاموال، فأنكر ذلك عليه الحرث، ثم اعتزل عن الحرث بشر بن جُرْمُوزٍ الضَبّي في خمسة آلاف، وقال: انما كنا نقاتل معك طلباً للعدل، فأما ان اتبعت الكرماني للعصبية فنحن لا نقاتل. فدعى الحرث الكرماني الى الشورى فأبى، فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياماً. ثم ثلم الحرث السور ودخل البلد وقاتله الكرماني قتالاً شديداً فهزمه وقتله وأخاه سوادة.

واستولى الكرماني على مرو، وقيل انّ الكرماني خرج مع الحرث لقتال بِشرِ بن جُرموز. ثم ندم الحرث على اتباع الكرماني. واتى عسكر بشر فأقام معهم، وبعث الى مضر من عسكر الكرماني فساروا اليهم، وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون الى خنادقهم. ثم نقب الحرث بعد أيام سور مرو ودخلها وتبعه الكرماني واقتتلوا، فقتل الحرث وأخاه، وبشر بن جرموز وجماعة من بني تميم. وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فانهزم الباقون، وصفت مرو لليمن وهدموا دور الُمضَرِيّة.

ظهور الدعوة العباسية بخراسان

قد ذكرنا أنّ أبا مسلم كان يتردّد الى الإمام من خراسان، ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين ليسأله عن الناس، فسار في سبعين من النُقَبَاء مؤدين بالحج. ومر بِنَسَا فاستدعى أسيداً فأخبره بان كتب الامام جاءت اليه مع الأزْهَرِ بن شُعَيْب وعبد الملك بن سعيد، ودفع اليه الكتب. ثم لقيه بِقَوْمِس كتاب الإمام اليه والى سليمان بن كثير اني قد بعثت اليك براية النصر، فارجع من حيث يلقاك كتابي ووجه قَحْطَبَةَ الى الإمام بما معه من الاموال والعروض. وجاء أبو مسلم الى مرو وأعطى كتاب الإمام لِسُلَيْمانَ ابن كُثَيِّرٍ، وفيه الأمر باظهار الدعوة، فنصبوا أبا مسلم، وقالوا رجل من أهل البيت، ودعوا الى طاعة بني العباس. وكتبوا الى الدعاة باظهار الأمر، وترك أبو مسلم بقرية من قرى مرو في شعبان من سنة تسع وعشرين.

ثم بثُّوا الدعاة في طَخارِسْتانَ ومرو الروذ والطالقان وخوارزم، وانهم ان أعجلهم عدوّهم دون الوقت عاجلوه وجردوا السيوف للجهاد، ومن شغله العدوّ عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت. ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن كُثَيِّر الخُزاعي آخر رمضان، ونصر بن سيار يقاتل الكرماني وشيبان. فعقد للواء الذي بعث به الامام اليه، وكان يدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً. ثم عقد الراية التي بعثها معه وتسمى السحاب

وهو يتلو : أُذِنَ للذين يقاتلون الآية .

ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وأخوه سليمان ومواليه، ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى، وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم في خرقان فأصبحوا عنده . ثم قدم عليه أهل السَّقَادِم مع أبي الوَضّاح في سبعمائة راجل ، وقدم من الدعاة أبو العباس المَرْوَزِي، وحَصِنَ أبو مسلم بِسُفَيْذَنْجَ ورَمَّها، وحضر عيد الفطر، فصلى سليمان بن كثير ، وخطب على المنبر في العسكر وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة . وكبر في الاولى ست تكبيرات ، وفي الثانية خمساً خلاف ما كان بنو أمية يفعلون . وكل ذلك مما سنه لهم الامام وأبوه .

ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة، فطعموا وكان أبو مسلم وهو في الخندق اذا كتب نصر بن سيار يبدأ باسمه ، فلما قوي بمن اجتمع اليه كتب الى نصر وبدأ بنفسه وقال : أمّا بعد فانّ الله تباركت أسماؤه عيّر قوماً في القرآن فقال : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير، الى : ولن تجد لسُنَّةِ الله تحويلا . فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة ابي مسلم لثمانية عشر شهراً من ظهوره ، فبعث اليه أبو مسلم مالك بن الهَيْثَم الخُزاعِيّ، فدعاه الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا ، فقاتلهم مالك وهو في مائتين يوماً بكماله . وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضَّبي وابراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى، فسرحهم

الى مالك فقوي مالك بهم، وقاتلوا القوم فحمل عبدالله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره، وانهزم أصحابه وأرسله الطائي الى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى، فأحسن أبو مسلم الى يزيد وعالجه، ولما اندملت جراحه قال ان شئت أقمت عندنا والا رجعت الى مولاك سالماً، بعد أن تعاهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا، فرجع الى مولاه.

وتفرس نصر أنه عاهدهم فقال : والله هو ما ظننت وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم وانهم والله يصلون الصلاة لوقتها بأذان واقامة، ويتلون القرآن، ويذكرون الله كثيراً ويدعون الى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أحسب أمرهم الا سيعلو . ولولا أنك مولاي لاقمت عندهم، وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الأوثان واستحلال الحرام .

ثم غلب حازِمُ بن خُزَيْمَةَ على مرو الروذ، وقتل عامل نصر بها . وكان من بني تميم من الشيعة، وأراد بنو تميم منعه . فقال انا منكم، فان ظفرت فهي لكم وان قتلت كفيتم أمري فنزل قرية زاها . ثم تغلب على أهلها، فقتل بِشْرَ بن جعفر السُّغْدِي عامل نصر عليها أوائل ذي القعدة، وبعث بالفتح الى أبي مسلم مع ابنه خُزَيْمَةَ بن حازم . وقيل في أمر أبي مسلم غير هذا، وانّ ابراهيم الامام أزوج أبا مسلم لما بعثه الى خراسان بابنة أبي النجم، وكتب الى النُّقَبَاء بطاعته .

وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهى [١] لادريس ابن معقل العجلي. ثم سار الى ولاية محمد بن علي ثم ابنه ابراهيم ثم للائمة [٢] من ولاية من ولده. وقدم خراسان وهو حديث السن، واستصغره سليمان بن كثير فرده. وكان أبو داود خالد بن ابراهيم غائباً وراء النهر. فلما جاء الى مرو أقرأه كتاب الامام وسألهم عن أبي مسلم، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه لحداثة سنة وأنه لا يقدر على الامر فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه. فقال لهم أبو داود: إنّ الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى جميع خلقه، وأنزل عليه كتابه بشرائعه، وأنبأه بما كان وما يكون، وخلف علمه رحمة لأمّته، وعلمه انما هو عند عترته واهل بيته، وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله. أتشكون في شيء من ذلك؟ قالوا لا. قال فقد شككتم والرجل لم يبعثه اليكم حتى علم اهليته لما يقوم به، فبعثوا عن ابي مسلم وردّوه من قومس بقول ابي داود، وولوه امرهم وأطاعوه. ولم تزل في نفس ابي مسلم من سليمان بن كثير. ثم بعث الدعاة ودخل الناس في الدعوة افواجاً واستدعاه الامام سنة تسع وعشرين ان يوافيه بالمرسوم ليأمره بأمره في اظهار الدعوة، وان يقدم معه قحطبة بن شبيب، ويحمل ما اجتمع عنده من الاموال. فسار في جماعة من

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ٣٠٠: «وكان أبو مسلم من أهل خطرنية من سواد الكوفة وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي».

(٢) كذا. والظاهر أن «من ولاية» زائدة.

النقباء والشيعة، فلقيه كتاب الامام بقومس يأمره بالرجوع واظهار الدعوة بخراسان، وبعث قحطبة بالمال، وانّ قحطبة سار الى جرجان. واستدعى خالد بن برمك وابا عون، فقدما بما عندهما من مال الشيعة فسار به نحو الامام.

مقتل الكرماني

قد ذكرنا من قبل أن الكرماني قتل الحرث بن شريح، فخلصت له مرو وتنحى نصر عنها. ثم بعث نصر سالم بن أحوَزَ في رابطَتِهِ وفُرْسانِهِ الى مرو، فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في ألف رجل من ربيعة، ومحمد بن المثنى في سبعمائة من الأزد، وأبو الحسن ابن الشيخ في ألف منهم، والحربي السُغدي في الف من اليمن. فتلاحى سالم وابن المثنى وشتم سالم الكرماني فقاتلوه فهزموه وقتل من أصحابه نحو مائة. فبعث نصر بعده عِصْمَةَ بن عبدالله الأَسَدِيَ فكان بينهم مثل ما كان أوّلًا. فقاتلهم محمد السُغْدي، فانهزم السغدي، وقتل من أصحابه أربعمائة، ورجع الى نصر. فبعث مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك، وانهزم مالك وقتل من أصحابه سبعمائة، ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة.

ولما استيقن ابو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه، وانه لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان الخارجي يذم اليمانِيَّة تارة ومُضَرَ أخرى ويوصي الرسول بكتاب مضر أن يتعرّض لليمانيّة ليقرؤا ذمّ مضر، والرسول بكتاب اليمانية، ان يتعرض لمضر ليقرؤا

ذمّ اليمانيّة، حتى صار هوى الفريقين معه. ثم كتب الى نصر بن سيّار والكرماني أن الامام أوصاني بكم ولا أعدو رأيه فيكم. ثم كتب يستدعي الشيعة: أسد ابن عبدالله الخزاعي بِنَسا، ومقاتل بن حكيم ابن غزوان، وكانوا أول من سوّدَ ونادوا يا محمد! يا منصور! ثم سود أهل ابي وَرْد ومرو الروذ وقرى مرو، فاستدعاهم أبو مسلم، وأقبل فنزل بين خندق الكرماني وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث الى الكرماني اني معك، وقبل فانضم أبو مسلم اليه، وكتب نصر ابن سيّار الى الكرماني يحذره منه، ويشير عليه بدخول مرو ليصالحه. فدخل ثم خرج من الغد، وأرسل الى نصر في اتمام الصلح في مائتي فارس، فرأى نصر فيه غرّة، فبعث اليه ثلثمائة فارس فقتلوه، وسار ابنه الى ابي مسلم، وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة الى بعض الدور. ودخل أبو مسلم مرو فبايعه عليّ بن الكرماني، وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري. وكان نصر حين نزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرماني ورأى قوّته، كتب الى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لابراهيم بن محمد:

أرَى خَلَلَ الرَمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ (١) وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فانَّ النارَ بالعودَيْنِ تَذْكو وإنَّ الحَرْبَ أَوَّلُها الكَلامُ
فان لم تُطفِئوها يُخرِجوها مُسَجَّرَةً يَشيبُ لها الغُلامُ

(١) مروية: نار.

أَقُولُ من التَعَجُّبِ ليتَ شِعْري ... أأيْقَاظٌ أُمَيَّــةُ أمْ نِيَامُ
فإنْ يَكُ قَوْمُنَا أَضحَوْا نِياماً ... فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حَانَ ٱلْقِيَامُ
تَعَزّي عن رِجَالِكِ ثم قولي ... على الإِسْلَامِ والعَرَبِ السَّلَامُ

فوجده مشتغلاً بحرب الضَّحَّاكِ بن قَيْس، فكتب اليه : الشاهِدُ يرى ما لا يرى الغائب، فاحثهم التلول قبلك . فقال نصر : امَّا صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده . وصادف وصول كتاب نصر الى مروان عثورهم علي كتاب من ابراهيم الامام لابي مسلم يوبخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني اذ أمكنته، ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية . فلما قرأ الكتاب بعث الى عامله بالبلقاء أن يسير الى الحيسة، فيبعث اليه ابراهيم بن محمد مشدوداً لوثاق فحبسه مروان .

اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع اليه الناس، وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر، وكان الكرماني وشيبان الخارجي لا يكرهان أمر أبي مسلم لانه دعا الى خلع مروان . وكان أبو مسلم ليس له حَرَسٌ ولا حُجَّابٌ ولا غِلْظَةُ الملك، فكان الناس يأنسون به لذلك، وارسل نصر الى شيبان الخارجي في الصلح ليتفرَّغ لقتال ابي مسلم، اما ان يكون معه او يكف عنه، ثم نعود الى ما كنا فيه . فهمَّ شيبان بذلك، وكتب ابو مسلم الى الكرماني فحرَّضه على منع شيبان من ذلك، فدخل عليه وثناه

عنه . ثم بعث ابو مسلم النضر بن نعيم الضَبّي الى هَرَاة فلكها، وطرد عنها عيسى بن عقيل بن مَعْقَل اللّيْثي عامل نصر .

فجاء يحيى بن نعيم بن هُبَيْرَةَ الشَيْباني الى الكرماني وشيبان، واغراهما بمصالحة نصر . وقال : ان صالحتم نصرًا قاتله ابو مسلم وتركّكم، لان امر خراسان لمضر. وان لم تصالحوه صالحه وقاتلكم، فقدموا نصراً قبلكم. فأرسل شيبان الى نصر في الموادعة فأجاب، وجاء مسلم بن احور بكتب الموادعة فكتبوها. وبعث ابو مسلم الى شيبان في موادعة ثلاثة اشهر . فقال ابن الكرماني : اذا ما صالحت نصرًا انما صالحه شيبان وانا موتور بأبي. ثم عاود القتال وقعد شيبان عن نصره، وقال : لا يحل الغدر، فاستنصر ابن الكرماني بأبي مسلم، فأقبل حتى نزل الماخران لاثنتين واربعين يوماً من نزوله بسفيدنج، وخندق على معسكره وجعل له بابين، وعلى شرطته مالك بن الهيثم، وعلى الحرس ابا اسحق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند ابا صالح كامل بن المظفر، وعلى الرسائل اسلم بن صبيح، وعلى القضاء القاسم بن مُجاشِع النقيب .

وكان القاسم يصلي بأبي مسلم ويقرأ القصص بعد العصر، فيذكر فضل بني هاشم وسالف بني أمية . فلما نزل أبو مسلم الماخران أرسل الى ابن الكرماني بأنه معه، فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع، وذلك أوّل المحرّم سنة ثلاثين. ثم عرض الجند، وأمر كامل بن مظفر بكتب أسمائهم وأنسابهم في

دفتر، فبلغت عدّته سبعة آلاف . ثم أن القبائل من ربيعة ومضر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلم، فعظم ذلك عليه وتحوّل عن الماخران لاربعة أشهر من نزولها لانها كانت تحت الماء . وخشي أن يقطع فتحوّل الى طَبْسِينَ وخندق بها، وخندق نصرُ بن سَيّار على نهر عياض، وأنزل عماله بالبلاد . فأنزل أبا الذُبالِ في جنده لطوسان، فآذوا أهلها وعسفوهم، وكان أكثرهم مع أبي مسلم في خندق، فسير اليهم جنداً فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين، فأطلقهم أبو مسلم، ثم بعث محرز بن ابراهيم في جمع من الشيعة ليقطع مادّة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان، فخندق بين نصر وبين هذه البلاد، واجتمع اليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر .

مقتل عبد الله بن معاوية

قد تقدّم لنا أنّ عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بويع بالكوفة، وغلبه عليها عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن . وجاءه ناس من اهل الكوفة وغيرها، فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والريّ واقام باصبهان . وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء الى دار الامارة باصطَخْر وطرد عامل عبدالله عنها، وبايع الناس لعبدالله بن معاوية . ثم سار الى كرمان فأغار عليها وانضم اليه قوّاد من اهل الشام . فسار الى سالم بن المُسَيَّب عامل عبدالله بن

عمر على شيراز، فقتله سنة ثمان وعشرين . ثم سار مُحارِبُ الى اصبهان وحوّل عبدالله بن معاوية الى اصطخر، بعد ان استعمل على الجبال اخاه الحسن بن معاوية، واتى الى اصطخر فنزل بها، وأتاه بنو هاشم وغيرهم، وجبى المال وبعث العمال . وكان معه مَنصورُ بن جُمْهُور وسليمان بن هشام، واتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجي، ثم اتاه ابو جعفر المنصور وعبدالله ابن اخيه عيسى .

ولما قدم يزيد بن عُمَرَ بن هُبَيْرَة على العراق ارسل نَبَاتَةَ بن حَنْظَلَةَ الكلابي على الأهوَازِ، وان يقاتل عبدالله بن معاوية، وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالاهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة، وهرب سليمان من الاهواز الى نيسابور، وقد غلب الاكراد عليها فطردهم عنها، وبايع لابن معاوية، فبعث اخاه يزيد بن معاوية عليها . ثم إنّ مُحارِب بن موسى فارق عبدالله بن معاوية وجمع، وقصد نيسابور . فقاتله يزيد بن معاوية، وهزمه فأتى كرمان . واقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث، فصار معه ثم نافره . فقتله ابن الأشعث واربعة وعشرين ابناً له . ثم بعث يزيد بن هُبَيْرَةَ بعد نَبَاتَةَ بن حَنْظَلَةَ ابنه داود بن يزيد في العساكر الى عبدالله بن معاوية، وعلى مقدّمته داود بن ضَبَارَةَ .

وبعث مَعْنَ بن زَائِدَةَ من وجه آخر، فقاتلوا عبدالله بن معاوية وهزموه واسروا وقتلوا، وهرب منصور بن جمهور الى السِنْد، وعبد الرحمن بن يزيد الى عُمان، وعمر بن سُهَيل بن عبد العزيز

ابن مروان الى مصر، وبعثوا بالاسرى الىا بن هبيرة؟ فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس الى خراسان . وسار معن بن زائدة في طلب منصور بن جمهور، وكان فيمن اسر مع عبدالله بن معاوية عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس، شفع فيه حرب ابن قَطَنٍ من أخواله بني هلال، فوهبه له ضَبَارَةُ، وغاب عبدالله ابن معاوية عن ابن ضبارة. ورمي أصحابه باللواطَةِ، فبعث الى ابن هبيرة ليخبره، وسار ابن ضبارة في طلب عبدالله بن معاوية الى شيراز، فحاصره بها حتى خرج منها هارباً ومعه اخوه الحسن ويزيد وجماعة من اصحابه فسلك المفازة على كرمان الى خراسان طمعاً في أبي مسلم، لانه كان يدعوا الى الرضا من آل محمد، وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحي هراة وعليها مالك فقال له : انتسب نعرفك . فانتسب له فقال : أما عبدالله وجعفر فمن أسماء آل الرسول، وأما معاوية فلا نعرفه في أسمائهم . قال ان جدّي كان عند معاوية حين ولد أبي، فبعث اليه مائة ألف على أن يسمي ابنه باسمه . فقال لقد اشتريتم الأسماء الخبيثة بالثمن اليسير [1] فلا نرى لك حقاً فيما تدعو اليه . ثم بعث بخبره الى أبي مسلم، فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم . ثم كتب اليه باطلاق أخويه الحسن ويزيد، وقتل عبدالله فوضع الفراش على

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٧: «ولقد اشتريتم الاسم الخبيث بالثمن اليسير».

وجهه فمات . [1] لما تعاقد نصر وابن الكرماني وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبي مسلم عظم على الشيعة، وجمع أبو مسلم اصحابه ودس سليمان بن كثير الى ابن الكرماني يذكره بثأر أبيه من نصر، فانتقضوا فبعث نصر الى أبي مسلم بموافقة مضر، وبعث اليه أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك . واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون الى أحدهما، وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأن مضر أصحاب مروان وعماله وشيعته وقتلة يحيى بن يزيد . فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كُثَيِّر ويزيد بن شقيق السَلَمِي بمثل ذلك، وبان نصر بن سَيَّار عامل مروان ويسميه أمير المؤمنين، وينفذ أوامره فليس على هدى، وانما يختار علي بن الكرماني. وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الوفد .

ورجع أبو مسلم من أَبِينَ الى الماخِران، وأمر الشيعة ببناء المساكن، وأمن من فتنة العرب . ثم أرسل اليه علي بن الكرماني أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال : ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرماني نصر بن سيار الحرب، ودخل مرو من ناحيته،

(١) هنا بياض في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٧: «وقتل عبد الله بن معاوية فأمر من وضع فراشاً على وجهه فمات. وأخرج فصلي عليه ودفن، وقبره بهراة معروف يزار رحمه الله».

وبعث ابو مسلم بعض النقباء . فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أَسِيدُ بن عبدالله الخُزَاعِيّ ، وعلى ميمنته مالك بن الهَيْثَم ، وعلى ميسرته القاسم بن مُجاشِع . فدخل مرو والفريقان يقتتلان ، ومضى الى قصر الامارة وهو يتلو : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها . وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا الى معسكرهم وصفت له مرو ، وأمر بأخذ البيعة من الجند ، وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زُرَيْق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة حين بعث دعاته الى خراسان سنة ثلاث وأربع ، وكانوا اثني عشر رجلًا .

فمن خُزاعة سليمان بن كُثَيِّر ومالك بن الهيثم وزيادُ بن صالح وطلحة بن زُرَيْق وعمر بن اعين . ومن طيء قَحْطَبَةُ بن شبيب بن خالد بن سعدان ، ومن تميم ابو عُيَيْنَةَ موسى بن كعب ولاهِزُ بن قُرَيْط والقاسم بن مُجاشِع واسلمُ بن سلام . ومن بكر بن وائل ابو داود خالد بن ابراهيم الشيباني وابو علي المروي ، ويقال شبل بن طهمان . وكان عمر بن اعْيَن مكان موسى بن كعب وابو النجم اسماعيل بن عِمْران مكان ابي علي المَرَوِي وهو ختن ابي مسلم . ولم يكن أحد من النقباء غير أبي منصور طلحة بن زُرَيْق ابن سعد ، وهو أبو زينب الخُزاعِي ، وقد شهد حرب ابن الأشعث ، وصحب المُهَلَّب وغزا معه . وكان أبو مسلم يشاوره في الأمور . وكان نص البيعة : أبايعكم على كتاب الله وسنّة رسوله محمد صلى

الله عليه وسلم، والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق، والمشي الى بيت الله الحرام، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى تبدأكم به ولاتكم، وذلك سنة ثلاثين ومائة.

ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قُرَيط في جماعة الى نصر بن سَيّار يدعو الى البيعة، وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأصحابه، فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد، وأرسل أصحابه بالخروج من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه. فقال أسلم بن أحوز لا يتهيأ لنا الليلة. فلما أصبح (1) أبو مسلم كتابه، وأعاد لاهز بن قريط الى نصر يستحثه، فأجاب وأقام لوضوئه. فقال لاهز: انّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته ومعه ابنه تميم، والحكم بن غيلة النُّمَيري، وامرأته المَرْزُبانة، وانطلقوا هراباً.

واستبطأه لاهز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ ابا مسلم هربه فجاء الى معسكره وقبض على أصحابه، منهم سالم بن أحوز صاحب شرطته، والبُخْتُري كاتبه، وابنان له ويونس بن عبد ربه، ومحمد بن قطن وغيرهم. وسار ابو مسلم وابن الكرماني في طلبه ليلتهما، فأدركا امرأته قد خلفها وسار، فرجعوا الى مرو. وبلغ نصر من سرخس فأقام بطوس خمس عشرة ليلة. ثم جاء

---

(1) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٠: «فلما كان الغد دعا أبو مسلم أصحابه وكتائبه».

نيسابور فأقام بها ، وتعاقد ابن الكرماني مع أبي مسلم على رأيه. ثم بعث الى شيبان الحروري يدعوه الى البيعة ، فقال شيبان : بل أنت تبايعني [(١)] واستنصر بابن الكرماني فأبى عليه ، وسار شيبان الى سرخس واجتمع له جمع من بكر بن وائل ، وبعث اليه أبو مسلم في الكف فسجن الرسل . فكتب الى بسام بن ابراهيم مولى بني لَيْثٍ المكنى بأبي وَرْدٍ أن يسير اليه ، فقاتله وقتله ، وقتل بكر بن وائل الرسل الذين كانوا عنده .

وقيل انّ ابا مسلم انما وجه الى شيبان عسكراً من عنده عليهم خُزَيْمَةُ بن حازم وبَسَّامُ بن ابراهيم . ثم بعث أبو مسلم كعباً من النقباء الى أبِيُورْدَ فافتتحها ثم ابا داود خالد بن ابراهيم من النقباء الى بَلْخٍ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشَيْرِيّ ، فجمع له أهل بلخ وتُرْمُذُ وجند طَخارِسْتانَ ونزل الجَوزجانَ ، ولقيهم أبو داود فهزمهم وملك مدينة بلخ . وساروا الى ترمذ فكتب أبو مسلم الى أبي داود يستقدمه ، وبعث مكانه على بلخ يحيى بن نعيم أبا المَيْلا ، فداخله زياد بن عبد الرحمن في الخلاف على أبي مسلم ، واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي وعيسى بن زُرْعَةَ السَلَمِي ، وأهل بلخ وترمذ ، وملوك طخارستان وما وراء النهر . ونزلوا على فرسخ من بلخ ، وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه .

---

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣١١: «فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتي، فأرسل إليه أبو مسلم إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت به».

واتفقت كلمة مُضَرَ وربيعةَ واليمنِ ومن معهم من العجم على قتال المُسَوِّدَةِ، وولوا عليهم مُقاتِل بن حَيّان النَّبطِي مخافة ان يتنافسوا. وبعث أبو مسلم أبا داود اليهم، فأقبل بعساكره حتى اجتمعوا على نهر السَّرْخَسانِ واقتتلوا. وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القُرَشي مُسَلَّحَةً وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم، وكانت راياته سوداً وأغفلوا ذلك. فلما اشتدّ القتال زحف أبو سعيد في أصحابه لمددهم، فظنوه كميناً للمسودة فانهزموا وسقطوا في النهر، وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه، وملك بلخ.

ومضى زياد ويحيى ومن معهما الى تُرْمُذَ، وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود. وبعث النَّضْرَ بن صَبيح المُزني على بلخ. ولما قدم أبو داود أشار على أبي مسلم بالتفرقة بين عليّ وعثمان ابني الكرماني. فبعث عُثمان على بلخ وقدمها فاستخلف الفرافِصَةَ بن ظَهِير العَبْسي، وسار هو والنضر بن صبيح الى مرو الروذ. وجاء مسلم بن عبد الرحمن الباهلي من ترمذ في المضرية، فاستولى على بلخ. ورجع اليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم، ولم يعن النضر في طلبهم، وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم، ورجع أبو داود الى بلخ. وسار ابو مسلم الى نيسابور، ومعه علي بن الكرماني، وقد اتفق مع أبي داود على قتال ابني الكرماني، فقتل أبو داود عثمان في بلخ، وقتل أبو مسلم علياً في طريقه الى نيسابور.

مسير قحطبة للفتح

وفي سنة ثلاثين قدم قحطبة بن شَبيب على ابي مسلم من عند الامام ابراهيم، وقد عقد له لواء على محاربة العدوّ، فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضمّ اليه العساكر، وجعل اليه التولية والعزل، وأمر الجنود بطاعته. وقد كان حين غلب على خُراسان بعث العمال على البلاد، فبعث ساعي بن النعمان الأزدي على سَمَرْقَنْد وابا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان، ومحمد بن الاشعث الخُزاعي على طَبَسين، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته. وبعث قَحْطَبَة الى طوس ومعه عدّة من القوّاد: أبو عَونٍ عبد الملك بن يزيد، وخالد بن بَرْمَكَ، وعثمان بن نهيك، وحازم بن خُزَيْمَة وغيرهم، فهزم أهل طوس وأفحش في قتلهم.

ثم بعث ابو مسلم القاسم بن مجاشعٍ الى نيسابور على طريق الحَجّة، وكتب الى قحطبة بقتال تميم بن نصر بالسوذَقان، ومعه الثاني ابن سُوَيْد وأصحاب شيبان، وأمدّه بعشرة آلاف مع علي بن معقِل. فزحف اليهم ودعاهم بدعوته وقاتلهم، فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه، يقال بلغوا ثلاثين ألفاً، واستبيح معسكرهم، وتحصن الباقي بالمدينة فاقتحمها عليهم، وخلف خالد بن بَرْمَكَ على قبض الغنائم، وسار الى نيسابور. فهرب منها نصر ابن سيار الى قُومِس، ثم تفرّق عنه أصحابه فسار الى نباتة بن حَنْظَلَة بجُرْجَانَ وكان يزيد بن هُبَيْرَةَ بعثه مدداً لنصر، فأتى فارس

واصبهان، ثم سار الى الريّ، ثم الى جرجان .

وقدم قحطبة نيسابور، فأقام بها رَمَضانَ وَشوّالَ، وارتحل الى جرجان، وجعل ابنه الحسن على مقدمته، وانتهى الى جرجان وأهل الشام بها مع نباتة، فهابهم أهل خراسان، فخطبهم قحطبة وأخبرهم أن الامام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدد فينصرونه عليهم. ثم تقدّم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن، فانهزم اهل الشام وقتل نباتة في عشرة آلاف منهم، وبعث برأسه الى أبي مسلم، وذلك في ذي الحجة من السنة، وملك قحطبة جرجان . ثم بلغه أن اهل جرجان يرومون الخروج عليه، فاستعرضهم وقتل منهم نحواً من ثلاثين ألفاً، وسار نصر من قومس الى خُوار الريّ وعليها أبو بكر العُقَيلي، وكتب الى ابن هبيرة بواسط يستمدّه، فحبس رسله. فكتب مروان الى ابن هبيرة، فجهز ابن هبيرة جيشاً كثيفاً الى نصر وعليهم ابن عطيف .

هلاك نصر بن سيار

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن الى محاصرة نصر في جوار الري في محرّم سنة احدى وثلاثين، وبعث اليه المدد مع أبي كامل وأبي القاسم محرز بن ابراهيم وأبي العباس المَروَزيّ . ولما تقاربوا نزع ابو كامل الى نصر فكان معه، وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصابهم شيء من متاعهم، فبعثه نصر الى ابن هبيرة، فاعترضه ابن عطيف بالري فأخذه فغاضبه نصر، فأقام ابن عطيف

بالري . وسار نصر الى الري وعليها حبيب بن يزيد النهشلي ، فلما قدمها سار ابن عطيف الى هَمذان وكان فيها مالك بن أدهم ابن مُحرِز الباهلي ، فعدل بن عطيف عنها الى أَصْبَهانَ وبها عامر ابن ضُبَارَةَ ، وقدم نصر الري فأقام بها يومين ومرض وارتحل . فلما بلغ نَهاوَند مات لاثني عشر من ربيع الأوّل من السنة ودخل أصحابه هَمْذان .

استيلاء قحطبة على الري

ولما مات نصر بن سَيَّار بعث الحسن بن قَحْطَبَةَ خُزَيْمَةَ بن حازم الى سمنان ، واقبل قحطبة من جرجان ، وقدم زياد بن زُرَارَةَ القُشَيْرِيّ وقد كان قدم على طاعة أبي مسلم ، واعتزم على اللحاق بابن ضُبَارَةَ ، فبعث قحطبة في أثره المُسَيَّبَ بن زُهَيْر الضَّبِّي فهزمه ، وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع . ولحق قحطبة ابنه الحسن الى الري فخرج عنها حبيب بن يزيد النَهْشَلِي وأهل الشام ، ودخلها الحسن في صفر ، ثم لحق به أبوه وكتب برسالة إلى أبي مسلم .

وقد أكثر أهل الري الى بني أمية ، فأخذ ابو مسلم أملاكهم ولم يردّها عليهم الا السفاح بعد حين . فأقام قحطبة بالري ، وكتب ابو مسلم الى أَصْبَهْبَذ طَبَرِسْتَانَ بالطاعة واداء الخراج فأجاب ، وكتب الى المَصْمَغَانِ صاحب دُنْبَاوَنْدَ وكبير الدَّيْلَمِ بمثل ذلك ، فافحش في الردّ . فكتب ابو مسلم الى موسى بن كعب ان يسير إليه

من الري فسار ولم يتمكن منه لضيق بلاده . وكان الديلم يقاتلونه كل يوم، فكثر فيهم الجراح والقتل، ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع، فرجع موسى الى الري، ولم يزل المصمغان مُتَمنِّعاً الى ايام المنصور، فأغزاه حماد بن عمر في جيش كثيف، ففتح دنباوند. ولما ورد كتاب قحطبة على ابي مسلم ارتحل عن مرو ونزل نيسابور، ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث ليال، فسار عنها مالك بن ادهم واهل الشام وخراسان الى نهاوند، ونزل على اربعة فراسخ من المدينة، وأمدّه قحطبة بأبي الجهْم ابن عَطِيَّةَ مولى باهِلَةَ في سبعمائة واقام محاصراً لها .

استيلاء قحطبة على أصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور

قد تقدّم لنا انّ ابن هبيرة بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبدالله بن معاوية بإصطَخْر، وبعث معه عامر بن ضَبَارَةَ فهزموه واتبعوه الى كرمان سنة تسع وعشرين، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان سنة ثلاثين، كتب الى ابنه داود بن ضبارة بالمسير الى قحطبة، فسار من كرمان في خمسين ألفاً ونزلوا اصبهان. وبعث اليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مُقَاتِلُ بن حكيم الكَعْبي فنزلوا قُمّ، وسار قحطبة الى نهاوند مدداً لولده الحسن الذي حاصرهم، فبعث مقاتلا بذلك قحطبة، فسار حتى لحقه، وزحفوا للقاء داود بن ضبارة وهم في مائة ألف، وقحطبة في عشرين الفاً. وحمل قحطبة واصحابه فانهزم بن ضبارة وقتل واحتووا على ما

كان في معسكرهم مما لا يعبر عنه من الاصناف وذلك في رجب.

وطير قحطبة بالخبر الى ابنه الحسن وسار الى اصبهان، فأقام بها عشرين ليلة، وقدم على ابنه فحاصروا نهاوَندَ ثلاثة اشهر الى آخر شوّال، ونصبوا عليها المجانيق وبعث بالامان الى من كان في نهاوند من اهل خراسان فلم يقبلوا، فبعث الى اهل الشام فقالوا اشغل عنا اهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا، ففعلوا وخرجوا اليه جميعاً، فقتلوا اهل خراسان فيهم ابو كامل وحاتم بن شُرَيح وابن نصر بن سَيّار وعاصم بن عُمَيْر وعليّ بن عقيل وبَيهَس. وكان قحطبة لما جاء الى نهاوند بعث ابنه الحسن الى جهات حُلوان وعليها عبدالله بن العَلاء الكِنْدِيّ، فتركها وهرب. ثم بعث قحطبة عبد الملك بن يزيد ومالك بن طرا في اربعة آلاف الى شهرزور، وبها عثمانُ بن سفْيانَ على مقدمته عبدالله بن محمد، فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة، فانهزم وقتل، وملك ابوعوف بلاد الموصل. وقيل انّ عثمان هرب الى عبد الله بن مروان، وغنم ابو عون عسكره وقتل اصحابه، وبعث اليه قحطبة بالمدد. وكان مروان بن محمد بِحَرّان، فسار في اهل الشام والجزيرة والموصل، ونزل الزاب الأكبر وأتوا شهرزور الى المحرّم سنة اثنتين وثلاثين.

حرب سفاح بن هبيرة مع قحطبة ومقتلها وفتح الكوفة

ولما قدم على يزيد بن هُبَيْرَةَ ابنه داود منهزماً من حُلوانَ،

خرج يزيد للقاء قَحْطَبَةَ في مدد لا يحصى، وكان مروان أمدّه بِحَوثَرَةَ بن سُهَيل الباهِلِيّ، فسار معه حتى نزل حلوان، واحتفر الخندق الذي كانت فارس احتفرته أيام الواقعة. وأقام وأقبل قحطبة الى حلوان، ثم عبر دِجْلَةَ الى الأَنبار، فرجع ابن هبيرة مبادراً الى الكوفة. وقدم اليها حوثرة في خمسة عشر ألفاً، وعبر قحطبة الفرات من الانبار لثمان من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات، وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، ومعه حَوثَرَةُ وفَلُّ ابن ضُبارَةَ. وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان، فيتبعه قحطبة، فأبى الا البدار الى الكوفة، وعبر اليها دجلة من المدائن، وعلى مقدمته حوثرة، والفريقان يسيران على جانب الفرات.

وقال قحطبة لاصحابه ان الامام أخبرني بأن وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا، ثم دلوه على مخاضة فعبر منها، وقاتل حوثرة وابن نباتة فانهزم أهل الشام، وفقد قحطبة وشهد مُقَاتِلُ العِلِي بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعده، فبايع جميع الناس لاخيه الحسن، وكان في سَرِيَّة فبعثوا عنه وولوه. ووجد قحطبة في جدول هو وحَرب بن كَمّ بن أحوَز وقيل: ان قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضربه معن بن زائدة، فسقط وأوصى اذا مات أن يُلقى في الماء. ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة الى أبي سَلِمَةَ الخَلّالِ بالكوفة وزير آل محمد.

ولما انهزم ابن نباتة وحَوثَرَةُ لحقوا بابن هُبَيرَة فانهزم الى واسط، واستولى الحسن بن قحطبة على ما في معسكرهم.

وبلغ الخبر الى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القَسْريّ بدعوة الشيعة، خرج ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثيّ، وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العِجْلي وسار الى (١) فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر ورجع اليه حوثرة (٢) وعن محمد عامة من معه، ولزم القصر. ثم جاء قوم من بَجِيلَةَ من أصحاب حوثرة، فدخلوا في الدعوة. ثم آخرون من كِنَانَةَ، ثم آخرون من بجدل فارتحل حوثرة نحوه (٣)

وكتب محمد الى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه، فقرأه الحسن على الناس. وارتحل نحو الكوفة، فَصَبَحَهَا الرابعة من مسيره، وقيل ان الحسن بن قحطبة سار الى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة، وعليها عبد الرحمن بن بشير العِجْلي، فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في احد عشر رجلاً، فلقي الحسن ودخل معه، وأتوا الى ابي مسلمة فاستخرجوه من بني مسلمة وعسكر بالنُخَيْلَة، ثم نزل حمام أَعْيَن.

(١) هنا بياض في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢١: «وسار محمد إلى القصر، فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ودخل محمد القصر».

(٢) هنا أيضاً بياض بالأصل وفي الكامل: «وسمع حوثرة الخبر فساد نحو الكوفة، فتفرق عن محمد عامة من معه».

(٣) هنا أيضاً بياض بالأصل، وفي الكامل: «ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل، فلما رأى ذلك حوثرة من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه».

وبعث الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة، وبايع الناس أبا مُسلمةَ حَفْصَ ابن سليمان الخَلّالِ وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد القِسري على الكوفة وكان يسمى الامير حتى ظهر أبو العباس السَفّاح، وبعث حميد بن قحطبة الى المدائن في قواد، والمُسَيَّب بن هبيرة وخالد بن مَرْمَل الى دير قناء وشراحيل الى عير (١) وبَسّامَ بن ابراهيم بن بسام الى الأهواز، وبها عبد الرحمن ابن عمر بن هبيرة، فقاتله بسام وانهزم الى البصرة، وعليها مسلم بن قُتَيبَةَ الباهِليّ عاملًا لاخيه. وبعث بسام في أثره سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والياً على البصرة، فجمع سالم قيساً ومضر وبني أمية. وجاء قائد من قواد ابن هبيرة في ألفي رجل، وجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة، واقتتلوا في صفر. وقتل ابن سفيان واسمه معاوية، فانهزم لذلك. ثم جاء الى سالم اربعة آلاف مدداً من عند مروان، فقاتل الازد واستباحهم، ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة، فهرب عنها. واجتمع ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أياماً، حتى قدم أبو مالك عبدالله بن أَسَيْد الخُزاعِيّ من قبل أبي مسلم. فلما بويع ابو العباس السَفّاح وَلّاها سُفيَان بن معاوية.

---

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣٢٢: «وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى دير قنى وبعث المهلبي وشراحيل إلى عين التمر».

بيعة السفاح

قد كنا قدمنا خبر الدعاة وقبض مروان على ابراهيم بن محمد، وانه حبسه بِحَرّان، وكان نعى نفسه الى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة، وأوصى علـى أخيه أبي العباس عبدالله بن الحرثية. فسار ابو العباس ومعه أهل بيته، ومن اخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابن اخيه ابراهيم وعيسى ابن أخيه موسى، ومن أعمامه داود وعيسى وصالح واسماعيل وعبدالله وعبد الصمد بنو علي بن عبدالله بن عباس، وموسى ابن عمه داود ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس. فقدموا الكوفة في صفر، وأبو سَلَمَةَ والشيعة عـلى حمام أَعْيُن بظاهر الكوفة، وأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أَوْد، وكتم أمرهم عن جميع القواد والشيعة أربعين ليلة، وأراد فيما زعموا أن يحوّل الامر الى ابي طالب. وسأله ابو الجهم من الشيعة وغيره فيقول: لا تعجلوا ليس هذا وقته.

ولقي أبو حميـد محمد بن ابراهيم ذات يوم خادم ابراهيم الامام، وهو سابق الخَوَرَزمِيّ فسأله عن الامام فقال: قتل ابراهيم وأوصى الى اخيه ابي العباس، وها هو بالكوفة ومعه اهل بيته. فسأله في اللقاء فقال: حتى استأذن: وواعده من الغد في ذلك المكان، وجاء ابو حميد الى ابي الجهم فأخبره وكان في عسكر ابي سلمة، فقال له تلطف في لقائهم. فجاء الى موعد سابق ومضى

معه ودخل عليهم، فسأل عن الخليفة فقال داود بن علي : هذا امامكم وخليفتكم، يشير الى ابي العباس . فسلم عليه بالخلافة وعزاه بابراهيم الامام، ورجع ومعه خادم من خدمهم الى ابي الجهم، فأخبره عن منزلهم وانّ ابا العباس ارسل الى ابي سلمة ان يبعث اليه كراء الرَوَاحِل التي جاؤا اليها، فلم يبعث اليهم شيئاً. فمشى ابو الجهم وابو الحميد والخادم الى موسى بن كعب واخبروه بالامر، وبعثوا الى الامام مائتي دينار مع خادمه .

واتفق رأي القوّاد على لقاء الامام، فنهض موسى بن كعب وأبو الجهم عبد الحميد بن رَبْعِي وسَلَمَةُ بن محمد وعبدالله الطائي واسحق بن ابراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبدالله بن بَسَّام ومحمد ابن ابراهيم ومحمد بن حُصَيْن وسليمان بن الاسود، فدخلوا على أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في ابراهيم . ورجع موسى بن كعب وأبو الجهم وخلفوا الباقين عند الامام، وأوصوهم ان جاء أبو سلمة لا يدخلنّ الا وحده . وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حددوا له، وسلم على أبي العباس بالخلافة، وأمره بالعود الى معسكره، وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاوّل، فلبسوا الصُفَّاحَ واصطفوا للخروج الى أبي العباس وأتوه بالدواب له ولمن معه من أهل بيته، واركبوهم الى دار الامارة .

ثم رجع الى المسجد فخطب وصلى بالناس، وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه، وصعد عمه داود فقام دونه وخطب

خطبته البليغة المشهورة، وذكر حقهم في الامر وميراثهم له .
وزاد الناس في أعطياتهم وكان موعوكاً فاشتدّ عليه الوعك فجلس على المنبر . وقام عمه داود على أعلى المراقي فخطب مثله، وذمّ سيرة بني أمية، وعاهد الناس على إقامة الكتاب والسنة وسيرة النبي، ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة الى المنبر، وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها، وانما قطعه عن اتمام الكلام شدّة الوعك، فادعوا الله له بالعافية. ثم بالغ ذم مروان، وشكر شيعتهم من أهل خراسان، وأن الكوفة منزلهم لا يتخلون عنها، وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عليّ بن ابي طالب أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين عبدالله بن محمد، وأشار الى السفاح . وأن هذا الامر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه لعيسى بن مريم .

ثم نزل أبو العباس وداود امامه حتى دخل القصر، وأجلس أخاه أبا جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جنّ الليل، وخرج أبو العباس الى عسكر أبي سَلَمَةَ ونزل معه في حجرته بينهما ستر . وحاجب السَّفّاح يومئذ عبدالله بن بَسّام . واستخلف على الكوفة عمه داود، وبعث عمه عبدالله الى أبي عون بن يزيد بشهرزور، وبعث ابن أخيه موسى الى الحسن بن قحطبة وهو يحاصر ابن هُبَيْرَة بواسط، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الى أحمد بن قحطبة بالمدائن . وبعث أبا اليقظان عثمان بن عُرْوَةَ بن

محمد بن عمّار بن ياسر الى بسام بن ابراهيم بن بسام بالأهوَاز ، وبعث سلمة بن عمر بن عثمان بن مالك بن الطَوّاف . وأقام السفاح بالعسكر شهراً ثم ارتحل، فنزل قصر الامارة من المدينة الهاشمية، وقد قيل أنّ داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشام عند مسير بني العباس الى الكوفة، وانهما لقياهم بِدَوْمَةَ الْجَنْدَلِ فعرفا خبرهم. وقال لهم داود كيف تأتون الكوفة ؟ ومروان بن محمد في حران في أهل الشام والجزيرة، فطلّ على العراق ويزيد بن هبيرة بالعراق. فقال يا عم : من أحب الحياة ذلّ فرجع داود وابنه معه .

مقتل ابراهيم بن الامام

قد تقدم لنا أنّ مروان حبسه بِحَرّان، وحبس سعيد بن هشام ابن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك وعبدالله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السفياني ، فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم ابن الامام وعبدالله بن عمر، وخرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين بعد أن قتلوا صاحب السجن ، فقتلهم الغوغاء من أهل حران. وكان فيمن قتلوه شُرَاحِيلُ بن مُسْلِمَةَ بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التَغْلِبيّ ، وبَطْرِيقُ أرْمِينِيَةَ واسمه كوشان . وتخلف أبو محمد السفياني في الحبس لم يستحلّ الخروج منه . ولما قدم مروان منهزماً من الزاب حل عنه فيمن بقي ، وقيل انّ شراحيل ابن مسلمة كان محبوساً مع ابراهيم ، وكانا يتزاوران ويتهاديان ،

قدس في بعض الايام الى ابراهيم بن الامام بلبن مسموم على لسان شراحيل فاستطلق بطنه . وقيل انّ شراحيل قال : أنا لله وانا اليه راجعون ، احتيل والله عليه ، وأصبح ميتاً من ليلته .

هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي الى شهرزور، فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل، وأن مروان بن محمد سار اليه من حَرّان في مائة وعشرين ألفاً وسار أبو عون الى الزاب، ووجه أبو سلمة عُيَيْنَةَ بن موسى والمِنْهَالَ بن قَبّان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مدداً له . فلما بويع أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في ألفين، وعبدالله الطائي في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين، ودراس بن فَضَلَةَ في خمسمائة، كلهم مدداً لابي عون . ثم ندب أهل بيته الى المسير الى ابي عون، فانتدب عبدالله بن علي فسار وقدم على أبي عون، فتحوّل له عن سُرَادِقِهِ بما فيه . ثم أمر عُيَيْنَةَ بن موسى بخمسة آلاف تعبر النهر من الزاب أوّل جمادى الاخير سنة اثنتين وثلاثين، وقاتل عساكر مروان الى المساء . ورجع ففقد مروان الجسر من الغد، وقدم ابنه عبدالله، وعبر فبعث عبدالله بن علي المُخَارِق بن غَفَّارٍ في أربعة نحو عبدالله بن مروان، فسرح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فانهزم أصحاب المُخارِقِ، وأسر هو وجيء به الى مروان مع رؤوس القتلى . فقال انت

المخارق ؟ قال لا ! قال فتعرفه في هذه الرؤوس ؟ قال نعم ! قال هوذا، فخلى سبيله . وقيل بل أنكر أن يكون في الرؤوس فخلى سبيله .

وعاجلهم عبدالله بن علي بالحرب قبل ان يفشوا الخبر، وعلى ميمنته ابو عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية. وكان عسكره نحواً من عشرين ألفاً، وقيل اثني عشر . وأرسل مروان اليه في الموادعة فأبى، وحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو صهر مروان على ابنته، فقاتل ابا عون حتى انهزم الى عبدالله بن علي فأمر الناس فارتجلوا . ومشى قُدُماً ينادي يا لثارات ابراهيم ! وبالاشعار يا محمد يا منصور . وامر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته . ثم ظهر له الخَلَل، فأباح الاموال للناس على ان يقاتلوا فأخذوها من غير قتال . فبعث ابنه عبدالله يصدهم عن ذلك، فتبادروا بالفرار وانهزموا، وقطع مروان الجسر وكان من غرق اكثر ممن قتل . وغرق ابراهيم بن الوليد المخلوع، وقيل بل قتله عبدالله بن علي بالشام، وممن قتل يحيى ابن علي بن هشام، وكان ذلك في جمادى الاخيرة سنة اثنتين وثلاثين .

واقام عبدالله في عسكره سبعة ايام، واجتاز عسكر مروان بما فيه . وكتب بالفتح الى ابي العباس السفاح، وسار مروان منهزماً الى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر الثعلبي وابن خُزَيْمَة

الاسدي ، فقطعا الجسر ومنعاه العبور اليهم ، وقيل هـذا امير المؤمنين ، فتجاهلوا وقالوا أمير المؤمنين لا يفر . ثم أسمعوه الشتم والقبائح ، فسار الى حَرّان وبها أبان ابن أخيه وسار الى حمص ، وجاء عبدالله الى حران ، فلقيه أبو مسعود فَأَمَّنَهُ ، وولّي الجزيرة ولما بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثاً وارتحل ، فاتبعه أهلها لينهبوه ، فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم . وسار الى دمشق وعليها الوليد بن عمه ، فاوصاه بقتال عدوّه .

وسار الى فلسطين فنزل نهر أبي فَطْرَس ، وقد غلب عـلى فَلِسطين الحكم بن ضَبْعَان الجُذَامِيّ ، فأرسل الى عبدالله بن يزيد ابن رَوْحِ بن زِنْبَاع الجُذَامِيّ فأجاره . ثم سار عبدالله بن علي في أثره من حَرّان بعد أن هدم الدار التي حبس فيها اخوه الامام ابراهيم . وانتهى الى قنج فأطاعه أهلها ، وقدم عليه أخوه عبد الصَمَدِ، بعثه السفاح مدداً في ثمانية آلاف ، وافترق قوّاد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياماً . ثم دخلوها عَنْوَةً لخمس من رمضان واقتتلوا بها كثيراً ، وقتل عاملها الوليد بن معاوية . وأقام عبدالله بدمشق خمس عشرة ليلة ، وارتحل يريد فَلِسْطِين ، فأجفل مروان الى العريش .

وجاء عبدالله فنزل نهر ابي فَطْرَسَ ، ووصله هناك كتاب السفاح بان يبعث صالح بن علي في طلب مروان ، فسار صالح في ذي القعدة ، وعلى مقدّمته أبو عون وعامر بن اسماعيل الحارثي ،

فأجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد، ونزل صالح الفسطاط، وتقدّمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم، وأسروا منهم ودلوهم على مكانه ببوصير. فسار اليه أبو عون وبيته هنالك خوفاً من ان يفضحه الصبح، فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة الحرام وقطع رأسه، وبعث به طليعة ابي عون اليه. فبعثه الى السفاح، وهرب عبدالله وعُبَيْدُ الله ابنا مروان الى الحَبَشَة وقاتلوهم، فقتل عبيد الله ونجا عبد الله، وبقي الى ايام المهدي. فأخذه عامل فلسطين، وسجنه المهدي. وكان طليعة ابي عون عامر بن اسماعيل الحارثي، فوجد نساء مروان وبناته في كنيسة بوصير قد وكل بهنّ خادماً يقتلهنّ بعده، فبعث بهن صالح. ولما دخلن عليه سألنه في الابقاء فلامهنّ على قتالهم عند بني أمية. ثم عفا عنهنّ وحملهنّ الى حران يبكين. وكان مروان يُلَقَّبُ بالحمار لحرنه في مواطن الحرب. وكان أعداؤه يلقبونه الجُعْدِيّ نسبة الى الجُعْدِ بن دِرْهَمَ كان يقول بخلق القرآن ويتزندق. وأمر هشام خالداً القسري بقتله فقتله. ثم تتبعوا بني أُمَيَّةَ بالقتل. ودخل أَسَدِيفُ يوماً على السَّفَّاح وعنده سليان بن هشام وقد امنه والده فقال:

لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رِجَالٍ   أَنّ بين الضُلوعِ داءً دَوِيّا

فَضَعِ السَّيفَ وَارْفَعِ السَوْطَ حتّى   لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمَوِيّا

فأمر السفاح بسليان فقتل. ودخل شِبْلُ بن عبدالله مولى بني

هاشم على عبدالله بن عليّ وعنده ثمانون او تسعون من بني اميّة يأكلون على مائدته فقال :

أَصبَحَ المُلكُ فِي ثَبَاتِ الأَساسِ ... بالبَهاليلِ من بَني العَبّاسِ
طَلَبُوا أَمرَ هاشِمٍ فَنَمَوْنَا ... بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَاسِ
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا ... فَاقْطَعَنْ كُلَّ رِقْلَةٍ وَغِرَاسِ
فلنا أَظْهَرَ التَوَدُّدُ منها ... وبها مِنكُمُ كَحَزِّ المواسي
فلقد غاظني وغاضَ سوائي ... قُرْبُهُمْ من نَمارِقٍ وكراسي
أَنْزِلوها بحيث أَنْزَلَها اللهُ ... بدارِ الهَوْنِ وَالإِتْعَاسِ
وَاذْكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وَزَيْدًا ... وَقَتِيلًا بِجَانِبِ المِهْرَاسِ
والقَتِيلَ الذي بحرّانَ أَضحَى ... ثاوِياً رَهْن غُرْبَةٍ وَنُعَاسِ

فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعُمُدِ ، وبسط من فوقهم الانطاع فأكل الطعام عليها ، وأنينهم يسمع حتى ماتوا وذلك بنهر ابي فُطْرُسَ . وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان ، والمُعِزُّ ابن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، وسعيد بن عبد الملك وابو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك . وقيل : أنّ ابراهيم المخلوع قتل معهم ، وقيل إنّ اسديفاً هو الذي انشد هذا الشعر للسفاح ، وانه الذي قتلهم . ثم قتل سُلَيْمَان بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بالبصرة جماعةً من بني امية ، فأمر باشلائهم في الطرق ، فأكلتهم الكلاب وقيل ان عبدالله بن علي أمر بنبش قبور الخلفاء من بني أمية ، فلم يجدوا في القبور الا شبه الرماد وخيطاً في قبر معاوية ، وجمجمة

في قبر عبد الملك . وربما وجد فيها بعض الاعضاء الا هشام بن عبد الملك، فانه وجد كما هو لم يبل، فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذرّاه في الريح، والله أعلم بصحة ذلك . ثم تتبعوا بني أمية بالقتل، فلم يفلت منهم الا الرُضعاء أو من هرب الى الأَنْدَلُس مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، وغيرهم ممن تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم .

بقية الصوائف في الدولة الاموية

قد انتهينا بالصوائف الى آخر أيام عمر بن عبد العزيز، وفي اثنتين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق، فهزمهم وأسر منهم خلقاً وقتل منهم سبعمائة أسير . وغزا العباس بن الوليد الروم أيضاً ففتحها لسنة . ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدينة رَسْلَةَ . ثم غزا الجَرّاحُ الحَكَمِيُّ أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بَلَنْجَرَ، وغنم وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم، وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعاً . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى، ففتح مدينةً قريبةً من أرض الزَوْكَخِ . ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست. ثم غزا مُسْلَمَةُ ابن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو والٍ عليها، ففتح قِيسَارِيَّةَ. وغزا ابراهيم بن هشام، ففتح حِصْناً . وغزا معاوية بن هشام في البحر قُبْرُسَ، وغزا سنة تسع ففتح حِصْناً آخر يقال له طَبْسَةَ .

وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عُقْبَةَ الفِهْرِيّ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج. وغزا بالصائفة اليسرى سنة احدى عشرة معاوية بن هشام، وبالصائفة اليمنى سعيد ابن هشام، وفي البحر عبدالله بن أبي مريم. وافتتح معاوية في صائفة ثلاث عشرة مدينة خُرْشَنَةَ. وغزا سنة ثلاث عشرة عبدالله البطال، فانهزم فثبت عبد الوهاب من أصحابه فقتل. ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مَرْعَشَ. ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة اليسرى وأصحاب ربض أفرق[(١)]. والتقى عبدالله البطال مع قُسْطَنْطِين، فهزمه البطال وأسره. وغزا سليمان ابن هشام بالصائفة اليسرى، فبلغ قيسارية. وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب. وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة. وغزا سفيان بن هشام بالصائفة اليسرى سنة سبع عشرة، وسليمان بن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة، وفرق السرايا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية [(٢)] فافتتحوا من أرض اللان آهلها أخذها قومانساه صلحاً. وغزا معاوية وسليمان أيضاً ارض الروم سنة ثماني عشرة. وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينية، ودخل ارض وارقيس ؟ فهرب

---

(١) يفهم من سياق العبارة: وغزا أصحاب ربض أفرق.

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ص ٢١٩: «وفيها بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين، وافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللان، ونزل الآخر على تومانشاه، فنزل أهلها على الصلح».

وارقيس الى الحرور ونازل حصنه فحاصره . وقتل وارقيس بعض من اجتاز به، وبعث برأسه الى مروان، ونزل أهل الحصن على حكمه، فقتل وسبى . وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من أرمينية ومرّ ببلاد اللان الى بلاد الخزر على بَلَنْجَر وسَمَنْدَر، وانتهى الى خاقان، فهرب خاقان منه . وغزا سليان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سندره، وغزا اسحق بن مسلم العُقَيْلي قومانساه[1]، وافتتح قلاعه وخرب ارضه . وغزا مروان من أرمينية سنة احدى وعشرين، وأفنى قلعة بيت السرير فقتل وسبى، ثم قلعة أخرى كذلك، ودخل عزسك وهو حِصنُ الملك فهرب منه الملك ودخل حِصناً له يسمى جَرَجَ، فيه سرير الذهب، فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة، ومائة ألف مدني . ثم دخل ارض أَزْرَقَ ونَصْرَانَ فصالحه ملكها، ثم أرض نُومان كذلك، ثم ارض حَمِدِين فأخرب بلاده، وحصر حصناً له شهراً حتى صالحه، ثم ارض مَسْدَادَ ففتحها على صلح . ثم نزل كيلان فصالحه أهل طَبَرْسَتَان وكيلان . وكل هذه الولايات على شاطىء البحر من أرمينية الى طبرستان . وغزا مسلمة بن هشام الروم في هذه السنة فافتتح بها مطامير . وفي سنة اثنتين وعشرين بعدها قتل البَطَّالُ واسمه عبدالله بن الحسين الانطاكي، وكان كثير الغزو في بلاد الروم والاغارة عليهم . وقدّمه مسلمة على عشرة آلاف

(١) في الكامل: تومانشاه.

فارس، فكان يغزو بلاد الروم الى أن قتل هذه السنة . وفي سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه، فلقي اليون ملك الروم فهزمه وغنم، وفي سنة خمسة وعشرين خرجت الروم الى حصن زِبَطْرَه، وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفِهْريّ وخزينة الروم، وبنى بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان . ثم بناه الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر ببنائه وتحصينه . ثم طرقوه ايام المعتصم وخبره معروف . وفي هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر، وبعث الاسود ابن بلال المحاربي بالجيش في البحر الى قُبْرُس ليجير أهلها بين الشام والروم فافترقوا فريقين . وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام ونزل العَمْقَ وبنى حِصْنَ مَرْعَش .

عمال بني أمية على النواحي

استعمل معاوية اوّل خلافته سنة أربعين عبدالله بن عمرو بن العاصي على الكوفة، ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة، واستعمل (1) على الخراج وكان على القضاء بها شُرَيْح، وكان حمران بن ابان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية، فبعث معاوية بِشْرَ بن أرْطاةَ على البصرة وامدّه،

(١) هنا بياض في الأصل وقد ذكر ابن الأثير في الكامل خبر تولية المغيرة بن شعبة على الكوفة وذكر أن معاوية استعمله بعدئذ على الصلاة فقط وعزله عن الخراج ولكن لم يذكر من استعمل على الخراج. وفي ج ٣ ص ٢٠٧ وأما الطبري في ج ٦ ص ٩٨ فقال: «وكان على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة وعلى القضاء شريح». ولم يذكر خبر عزله عن الخراج.

فقتل اولاد زياد بن ابيه، وكان عاملاً على فارس لعليّ بن ابي طالب . فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بني زياد فيما قيل . ثم ولّى على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، وضم اليه خُراسان وسِجِسْتَانَ، فجعل على شرطته حبيب ابن شهاب، وعلى القضاء عُمَيْرَةَ بن تَبْرى، وقد تقدّم لنا اخبار قيس في خراسان . وكان عمرو بن العاصي على كما تقدّم، فولى سنة احدى واربعين من قبله على أفريقِيّةَ عُقْبَةَ بن نافِعٍ بن عبد قيس، وهو ابن خالته، فانتهى الى لواتَةَ ومُزاتَةَ فأطاعوه ثم كفروا، فغزاهم وقتل وسبى . ثم افتتح سنة اثنتين واربعين بعدها غَذَامِسَ وقتل وسبى، وافتتح سنه ثلاثة واربعين بعدها بَلدودان . وولّى معاوية بالمدينة سنة اثنتين واربعين مروان بن الحكم، فاستقضى عبدالله بن الحرث بن نوفل .

وولى معاوية على مكة في هذه السنة خالد بن العاصي بن هشام، وكان على ارمينية حبيب بن مسلمة الفهري وولاه عليها معاوية ومات سنة اثنتين واربعين فولى مكانه (١) واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر الهند عبدالله بن سِوَارٍ العَبْدِيّ، ويقال ولاه معاوية . وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهَيْثَم عن خراسان وولى مكانه الحرث بن عبدالله بن حازم . ثم

(١) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة (٤٢) في ج ٣ ص ٢١٢ وفاة حبيب بن مسلمة الفهري في أرمينية ولكنه لم يذكر الذي تولى مكانه وأما الطبري فلم يذكر خبر وفاة هذا الرجل مطلقاً مع أن تاريخه مفصل جداً.

عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة اربع واربعين، وولى مكانه الحرث بن عبدالله الازدي، ثم عزله لاربعة اشهر، وولى اخاه زياداً سنة خمس واربعين . فولى على خراسان الحَكم ابن عُمَر الغِفَاريّ، وجعل معه على الخراج اسلم بن زرعة الكلابي . ثم مات الحكم فولى خُلَيْد بن عبدالله الحنفي سنة سبع واربعين .

ثم ولى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فُضَالَةَ الليثيّ، وتولى عمرو بن العاصي سنة تسع واربعين فولى مكانه سعيد بن العاصي، فعزل عبدالله بن الحرث عن القضاء، واستقضى ابا سَلَمَةَ ابن عبد الرحمن . وفي سنة خمسين توفي المُغيرةُ بن شُعْبَةَ فضم الكوفة الى اخيه زياد، فجاء اليها واستخلف على البصرة سُمْرَةَ ابن جُنْدُبَ، وكان يقسم السنة بين المصرين في الاقامة نصفاً بنصف . وفي سنة خمسين هذه اقتطع معاوية افريقية عن معاوية ابن خديج بمصر، وولى عُقْبَةَ بن نافع الفِهْري، وكان مقيماً ببَرْقَةَ وَزُوَيْلَةَ من وقت فتحها ايام عمرو بن العاصي، فأمدّه بعشرة آلاف، فسار اليها . وانضاف اليه من اسلم من البَرْبَرِ ودوّخ البلاد وبنى بالقَيْرَوَانِ، وانزل عساكر المسلمين، ثم استعمل معاوية على مصر وافريقيّة مولاه ابا المهاجر، فأساء عزل عقبة . وجاء عقبة الى الشام فاعتذر اليه معاوية ووعده بعمله، ومات معاوية فولاه يزيد سنة اثنتين وستين .

وذكر الواقدي ان عُقْبَةَ ولِيَ سنة اثنتين وستين واستعمل

ابا المُهَاجِرِ فولِيَ الامصار، فحبس عقبة وضيق عليه، وامره يزيد باطلاقه، فوفد عقبة فأعاده الى عمله. فحبس ابا المهاجر وخرج غازياً واثخن حتى قتله كُسَيْلَةَ كما يأتي في اخباره. وفي سنة احدى وخمسين ولّى زيادُ على خُراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خُلَيْدِ ابن عبدالله الحنفي. وفي سنة ثلاث وخمسين توفي زياد واستخلف على البصرة سُمْرَةَ بن جُنْدُبَ، وعلى الكوفة عبدالله بن خالد بن أسيد. ثم ولى الضحاك بن قيس سنة خمس بعدها.

وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد، واستخلفه ابنه عبدالله، ومات لشهرين. واستخلف خُلَيْدَ ابن يربوع الحنفيّ، وكان على صَفايَرُوز الدّيلِمِي من قبل معاوية، فمات سنة ثلاث وخمسين. وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص، وردّ اليها مروان بن الحكم، ثم عزله سنة سبعة وولى مكانه الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي سُفْيان. وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جُنْدُبَ، وولى مكانه عبدالله ابن عمر بن غَيلانَ، وولى على خراسان عبيدالله بن زياد، ثم ولاه سنة خمس بعدها على البصرة مكان غيلان. ثم ولى على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عُثْمانَ بن عفّان. وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضّحّاك بن قيس، واستعمل مكانه ابن أمّ الحكم وهي أخته، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفيّ، وطرده أهل الكوفة فولاه مصر. فردّه معاوية بن خديج، وولى مكانه

على الكوفة سنة تسعة وخمسين النُّعمانَ بن بشير ، وولى فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد . فقدَّم اليها قيس بن الهيثم السَّلَمِيّ فحبس أسلَمَ بن زُرْعَةَ ، فأغرمه ثلثمائة ألف درهم .

ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على النواحي من ذكرناه ، وعلى سجستان عَبَّادُ بن زياد ، وعلى كَرْمان شَرِيكُ بن الأعْوَرِ . وعزل يزيد لاوّل ولايته الوليد بن عُقْبَةَ عن المدينة والحجاز ، وولاها عُمَرَ بن سعيد الأشْدَق . ثم عزله سنة احدى وستين ، ورد الوليد بن عُقْبَةَ ، وولى على خراسان سالم بن زياد ، فبعث سالم اليها الحرث بن معاوية الحرثي ، وبعث أخاه يزيد الى سِجِسْتان ، وكان بها أخوهما عَبَّادُ فخرج عنها . وقاتل يزيد أهل كابُلَ فهزموه ، فبعث مسلم على سِجِستان طَلْحَةَ الطَّلَحات ، وهو طَلْحَةُ ابن عبدالله بن خَلَفٍ الخُزاعِيّ فبقي سنة ، وبعث سنة اثنتين وستين عُقْبَةَ بن نافع الى أفريقيّة ، فحبس أبا المهاجر واستخلف على القَيْرَوان زهير بن قيس البَلَوي كما نذكر في أخباره .

وتوفي في هذه السنة مُسْلِمَةُ بن مُخَلَّدٍ الأنصَارِيّ أمير مصر . ثم هلك يزيد سنة أربع وستين ، واستخلف على أهل العراق عبيد الله بن زياد . وولى أهل البصرة عليهم عبدالله بن الحرث بن نوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ويلقب ببه ، وهرب ابن زياد الى الشام . وجاء الى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير ، وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفَرُّخانُ ، فبعث عليهم محمد بن

عُمَيْر بن عَطَارِدَ بن حاجب فهزموه، فبعث عَتَّاب بن ورقاء فهزمهم.

ثم بويع مروان وسار الى مصر فملكها من يد عبد الرحمن بن جَحْدَم القُرَشِيّ داعية ابن الزُبَيْر وولى عليها عمر بن سعيد. ثم بعثه للقاء مُصْعَب بن الزبير، لما بعثه أخوه عبدالله الى الشام، وولى على مصر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها والياً الى ان هلك لسنة خمسة وثمانين، فولى عبد الملك عليها ابنه عبدالله بن عبد الملك.

وخلع أهل خراسان بعد يزيد سالم بن زياد، واستخلف المُهَلَّبَ ابن ابي صُفْرَةَ، ثم ولى مسلم عبدالله بن حازم، فاستبدّ بخراسان الى حين. ثم أخرج أهل الكوفة عَمْرَ بن حُرَيْث خليفة بن زياد، وبايعوا لابن الزبير، وقدم المختار بن ابي عبيد أميراً على الكوفة من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد، وامتنع شُرَيْحٌ من القضاء أيام الفتنة (١) واستعمل ابن الزبير على المدينة أخاه مُصْعَباً سنة خمس وستين مكان أخيه عبدالله، وثار بنو تميم بخراسان على عبدالله بن حازمٍ فغلبه عليها بكير بن وَشّاح. وغلب المختار على ابن مُطِيعٍ عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين.

ثم مات مروان سنة خمس وستين، ووَلِيَ عبد الملك. وولّى

---

(١) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٧ ص ٦٦: «وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيد بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وعلى قضائها سعد بن نمران، وأبي شريح أن يقضي فيها. وقال فيما ذكر عنه: «أنا لا اقضي في الفتنة». وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم».

ابن الزبير أخاه مصعباً على البصرة، وولى مكانه بالمدينة جابر بن الأسود بن عَوْفٍ الزُّهريّ. ثم ملك عبد العزيز العراق سنة احدى وسبعين، واستعمل على البصرة خالد بن عبدالله بن أَسِيدٍ، وعلى الكوفة أخاه بِشرَ بن مروان، وكان على خراسان عبدالله ابن حازم بدعوة ابن الزبير، فقام بكير بن وشاح التميمي بدعوة عبد الملك وقتله، وولاه عبد الملك خراسان. وكان على المدينة طَلْحَةَ بن عبدالله بن عَوْفٍ بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الأسوَد، فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان، فغلبه عليها. ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، وانفرد عبد الملك بالخلافة، وولّى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمداً. وعزل خالد بن عبدالله عن البصرة، وضمها الى أخيه بشر، فسار اليها واستخلف على الكوفة عمر بن حُرَيث. وولى على الحجاز واليمن واليمامة الحَجّاجَ ابن يوسف، وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير. وعزل طارقاً عن المدينة وسار من جنده.

وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا ادريس الخَوْلاني، وأمر بشر أخاه ان يبعث المُهَلَّبَ بن ابي صُفْرَةَ لحرب الازارِقَةِ. وعزل عن خراسان بكير بن وشّاح، وولى مكانه أُمَيَّةَ بن عبدالله بن خالد بن أُسَيْد، فبعث أمية ابنه عبدالله على سِجِستان. وكان على افريقيّةَ زُهَير بن قيس البَلَوي، فقتله البربر سنة تسع وستين. وشُغِلَ عبد الملك بفتنة ابن الزبير، فلما فرغ منها بعث الى افريقية

سنة اربع وسبعين حسان بن النُعمان القَيْسَانيّ في عساكر لم يرَ مثلها، فأثخن فيها وافترقت جموع الروم والبربر. وقتل الكاهنة كما يذكر في أخبار افريقية.

ثم ولى عبد الملك سنة خمس وسبعين الحجاج بن يوسف على العراق فقط، وولى على السند سعيد بن أسْلَم بن زُرْعَةَ، وقتل في حروبها، وكان امر الخوارج. وفي سنة ست وسبعين ولى على المدينة ابان بن عثمان، وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح. وعلى قضاء البصرة زُرَارَةُ بن ابي أوْفَى بعد هشام بن هُبَيْرَةَ، وعلى قضاء المدينة عبدالله بن قُشَيْر بن مَخْرَمَةَ. ثم كانت حروب الخوارج كما نذكر في اخبارهم. وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمَيَّةَ ابن عبدالله عن خراسان وسجستانَ وضمهما الى الحجاج بن يوسف، فبعث الحجاج على خراسان المُهَلَّبَ بن ابي صُفْرَةَ، وعلى سجستان عبدالله بن ابي بَكْرَةَ، وولى على قضاء البصرة موسى بن أنَس، واستعفى شُرَيْحُ بن الحرث من القضاء بالكوفة، فولى مكانه ابا بُرْدَةَ بن ابي موسى، ثم ولى على قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذَيْنَةَ. وخرج عبد الرحمن بن الأشْعَث، فملك سجستان وكرمان وفارس والبصرة، ثم قتل ورجعت الى حالها، وذلك سنة احدى وثمانين.

وفي سنة اثنتين وثمانين مات المهلب بن ابي صفرة، واستخلف ابنه يزيد على خراسان، فأقرّه الحَجّاج. وفي هذه السنة عزل عبد

الملك ابان بن عثمان عن المدينة، وولى مكانه هشام بن اسماعيل المخزومي، فعزل هشام نوفل بن مساحق عن القضاء، وولى مكانه عمر بن خالد الزرقي. وبنى الحجّاج مدينة واسط. وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان، وولى مكانه هشام اخاه المفضل قليلاً، ثم ولي قتيبة بن مسلم وتوفي عبد الملك. وعزل الوليد لاوّل ولايته هشام بن اسماعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عبد العزيز، فولى على القضاء ابا بكر بن عمر بن حزم، وولى الحجاج على البصرة الجَرّاحَ بن عبدالله الحَكَمِيّ، وولى على قضائها عبدالله بن أذَيْنَةَ، وعلى قضاء الكوفة ابا بكر بن ابي موسى الأشعَريّ.

وفي سنة تسع وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عبدالله القسري، وكان على ثغر السند محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم ابن ابي عقيل الثقفيّ، وهو ابن عمّ الحجاج. ففتح السند وقتل ملكه. وكان على مصر عبدالله بن عبد الملك، ولاه عليها أبوه فقل ملكها. فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قُرّة بن شريك، وعزل خالداً عن الحجاز، وولى عمر بن عبد العزيز.

وفي سنة احدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية، وولى مكانه اخاه مسلمة بن عبد الملك، وكان على طَنْجَةَ في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لمولاه موسى بن نصير عامل الوليد بالقيروان، فأجاز البلاد والبحر الى بلاد

الاندلس، وافتتحها سنة اثنتين وتسعين كما يذكر في أخبارها. وفي سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولى مكانه خالد بن عبدالله على مكة، وعثمان بن حيان على المدينة.

ومات الحجاج سنة خمس وتسعين، ثم مات الوليد سنة ست وتسعين، وفيها قُتِلَ قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمَ لانتقاضه على سُلَيْمان، وولاها سليمان يزيد بن المهلب. وفيها مات قُرَّةُ بن شَرِيك (١) وكان على المدينة ابو بكر بن محمد بن عمر بن حزم، وعلى مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكوفة ابو بكر بن موسى، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أَذَيْنَةَ وفي سنة سبع وتسعين، عُزِل سليمان بن موسى بن نصير عن افريقيّة وولى مكانه محمد بن يزيد القُرَشِيّ حتى مات سليمان فعزل. واستعمل عُمَرُ مكانه اسماعيل بن عبدالله. وفي سنة ثمان وتسعين كان فتح طبرستان وجرجان ايام سليمان بن عبد الملك على يد يزيد بن المهلّب.

وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عبد العزيز على البصرة عَدِيّ بن أَرْطَاة الفَزارِيّ، وأمره بابقاء يزيد بن المهلب موثوقاً، فولى على القضاء الحسن بن ابي الحسن البصري، ثم أياسَ بن

---

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٣: «وفي هذه السنة مات قرة بن شريك العبسي أمير مصر في صفر، وقيل مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجاج».

معاوية، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطّاب . وولى على المدينة عبد العزيز بن أرطاة، وولى على خراسان الجَرّاح ابن عبدالله الحَكَميّ، ثم عُزِلَ سنة مائة . وولي عبد الرحمن بن نعيم القرشي، وولى على الجزيرة عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ الفزاري، وعلى افريقية اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم، وعلى الأَنْدَلُسِ السَمْحَ بن مالك الخَوْلاني .

ثم في سنة احدى ومائة عزل اسماعيل عن افريقية، وولاها يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجّاج، فلم يزل عليها الى ان قتل . وفي سنة اثنتين ومائة ولى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان، فولى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن ابي العاصي بن أمية، ويقال له سعيد خذينة . ثم استحيا من مسلمة في أمر الجرّاح فعزله، وولى مكانه ابن يزيد بن هبيرة . فجعل على قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى . وكان على مصر أسامة بن زيد، وليها بعد قرّة بن شريك، وولى ابن هبيرة على خراسان سعيداً الجُرَيْشيّ مكان حُذَيْفَةَ .

وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحّاك، وعزل عبد العزيز بن عبدالله بن خالد عن مكة وعن الطائف، وولى مكانه عبد الواحد بن عبدالله البصري .

وفي سنة أربع ومائة ولى يزيد على ارمينية الجَرّاحَ بن عبدالله

الحَكَمي، وعزل عبد الرحمن بن الضَحّاك عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته، وولى عليهما مكانه عبد الواحد البصري، وعزل ابن هُبيرةَ سعيداً الحريشي عن خراسان، وولى عليها مسلم ابن سعيد بن أَسْلَمْ بن زُرْعَةَ الكلابي. وولى على قضاء الكوفة الحُسَيْن بن حُسَيْن الكِنْدِيّ.

ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس، ووَلِيَ هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق، وولى مكانه خالد بن عبدالله القَسْرِيّ، واستعمل خالد على خراسان أخاه أسداً سنة سبع ومائة. وعزل مسلم بن سعيد وولى على البصرة عُقْبَةَ بن عبد الاعلى، وعلى قضائها ثُمَامَةَ بن عبدالله بن أنس. وولى على السِنْدِ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن. واستعمل هشام على الموصل الحُرّ بن يوسف، وعزل عبد الواحد البصري عن الحجاز، وولي مكانه ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي، واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجَمَحِيّ، ثم عزله واستقضى الصَلْتَ الكِنْدِيّ. وعزل الجرّاح بن عبدالله عن ارمينية وأَذْرَبِيْجان، وولى مكانه أخاه مُسْلِمَةَ، فولى عليها الحرث بن عمر الطائي.

وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر. وفي سنة تسع عزل خالد أخاه أسداً عن خراسان، وولى هشام عليها أشرسَ بن عبدالله السلمي، وأمره أن يكاتب خالداً بعد ان كان خالد ولى الحكم بن عَوَانَةَ الكَلْبِي مكان أخيه فلم يقرّ، فعزله هشام.

ومات في سنة تسع عامل القيروان بِشْرُ بن صَفْوَانَ، فولى هشام مكانه عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن بن الاغرّ السلمي، فعزل عبيدة يحيى بن سَلَمَةَ الكلبيّ عن الاندلس، واستعمل حُذَيْفَةَ بن الأَحْوَصِ الأشجعيّ. ثم عزل لستة أشهر، ووليها عُثمانُ بن أبي تسعة الخثعميّ. وفي سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والأحداث والشُرَطَ والقضاء بالبصرة لِبِلَالِ بن ابي بُرْدَةَ، وعزل ثُمَامَةَ عن القضاء. وفي سنة احدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرسَ بن عبدالله، وولى مكانه الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن بن الحرث بن خارِجَةَ بن سِنان ابن ابي حارثة المُرِّي، وولى على ارمينية الجرّاح بن عبدالله الحكمي، وعزل مسلمة. وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية، وعثمان بن أبي تسعة عن الاندلس، وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكناني.

وفي سنة اثنتي عشرة قتل الجرّاح بن عبدالله صاحب ارمينية، قتله التركمان فولى هشام مكانه سعيدًا الحَرَشِي، ومات الهيثم عامل الاندلس، وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبدالله الأشجعي شهرين، وبعده عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي من قبيل ابن عبد الرحمن السلمي عامل افريقية، وغزا افرنجة فاستشهد. فولى عبيدة مكانه عبد الملك بن قَطَنَ الفهريّ، وعزل عبيدة عن افريقية وولى مكانه عبيدالله بن الحَبْحَابِ، وكان على مصر فسار اليها.

وفي سنة أربع عشرة عزل هشام مسلمة عن ارمينية وولى مكانه مروان بن محمد بن مروان، وعزل ابراهيم بن هشام عن الحجاز، وولى مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومي. وفي سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجُنَيد بن عبد الرحمن المُرّي عن خراسان، وولى مكانه عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي. وفيها استعمل عبدالله بن الحَبْحَابِ على الاندلس عُقْبَةَ بن الحجّاج القيسي مكان عبد الملك بن قَطَن ففتح خليقيه. وفي سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبدالله عن خراسان وولى مكانه خالد ابن عبدالله القَسْرِيّ، فاستخلف خالد أخاه أسداً. وولى هشام على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحبحاب، وكان على مصر فسار اليها. واستخلف على مصر ولده. وولى على الاندلس عُقبَةَ ابن الحجاج، وعلى طنجة ابنه اسماعيل. وبعث حبيب بن ابي عبيدة بن عُقْبَةَ بن نافع غازياً الى المغرب، فبلغ السوس الاقصى وارض السودان وفتح وغنم. واغزاه الى صِقِلِّيَةَ سنة اثنتين وعشرين ومائة ففتح اكثرها. ثم استدعاه لفتنة مَيْسَرَةَ كما نذكره في اخبارهم.

وفي سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك ابن الحرث، وولى مكانه محمد بن هشام بن اسماعيل. وفي سنة عشرين مات اسد بن عبدالله الخُرَاسَانِيّ ووَلِيَ مكانه نصر بن

سيار . وعزل هشام خالداً القَسْرِيّ عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان ، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، استقدمه اليها من ولاية اليمن . فأقرّ نصر بن سيار على خراسان ، وكان على قضاء الكوفة ابن شِبْرِمَةَ وعلى قضاء البصرة عامر بن عُبَيدَةَ . وولى يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان ، واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى . وكان على قضاء البصرة اياس بن معاوية ابن قرّة ، فمات في هذه السنة . وفي سنة ثلاث وعشرين ، قتل كلثوم بن عَيَّاض الذي بعثه هشام لقتال البربر بالمغرب . وتوفي عُقْبَةَ بن الحجاج أمير الاندلس ، وقيل بل خلعوه . وولى مكانه عبد الملك بن قَطَن ولايته الثانية كما يذكر . وفي سنة أربع وعشرين ظهر أمر ابي مُسْلِمٍ بخراسان ، وتلقب بلخ[1] على الاندلس ، ثم مات . وكان سار اليها من فَلِّ كُلثومَ بن عَيَّاض لما قتله البربر بالمغرب . وولى هشام على الاندلس ابا الخَطَّارِ حُسامَ بن ضِرَار الكَلْبي ، فأمر حنظلة بن صَفوان ان يوليه فولاه . وكان ثعلبة بن خُزَامَةَ سلامة الجرابي قد ولوه بعد بلخ ، فعزله ابو الخطار .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفي على الحجاز فأسره . ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين ، فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر ، وولى مكانه

(١) كذا بالأصل وهو تصحيف، وفي الكامل لابن الأثير، ج ٤ ص ٢٥٠: «وقد حصروا بلج بن بشر العبسي».

منصور بن جُمهور، فبعث عامله على خراسان، فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له . ثم عزل يزيد منصور بن جمهور وولى مكانه على العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، وغلب حَنظَلَة على افريقية عبد الرحمن بن حبيب كما يذكر في خبرها . وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف، وولى مكانه عبد العزيز بن عمر بن عثمان، وغلب سنة سبع وعشرين عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على الكوفة، وولى مروان على الحجاز عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز، وعلى العراق النضر بن سعيد الحُرَيْشي . وامتنع ابن عمر من استلام العمل اليه، ووقعت الفتنة بينهم . ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر في اخبارهم . واستولى بنو العباس على خراسان .

وفي سنة تسع وعشرين ولى يوسف بن عبد الرحمن الفِهريَّ على الاندلس بعد ثَوَّابَةَ بن سَلاَمَةَ كما يأتي في اخبارهم . وولى مروان على الحجاز عبد الواحد (١) وعلى العراق يزيد بن عمر ابن هبيرة . وفي سنة ثلاثين ملك ابو مسلم خراسان، وهرب عنها نَصْرُ بن سَيَّار فمات بنواحي هَمَذَان سنة احدى وثلاثين . وجاء المُسَوِّدَةُ وعليهم قَحْطَبَةُ، فطلبوا ابن هُبَيْرَةَ على العراق وملكوه، وبايعوا خليفتهم ابا العباس السَفَّاح . ثم غلبوا مروان على الشام

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ٩ ص ٩٦: «وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان».

ومصر وقتلوه . وانقرض امر بني أُمَيَّةَ، وعاد الامر والخلافة لبني العباس . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده . وهذه اخبار بني أمية مخلصة[1] من كتاب ابي جعفر الطبري . ولنرجع الى اخبار الخوارج كما شرطنا في اخبارها بالذكر . والله المعين لا رب غيره .

الخوارج

الخبر عن الخوارج وذكر اوليتهم وتكرر خروجهم في الملة الإسلامية

قد تقدّم لنا خبر الَحكَمَيْنِ في حرب صفين، واعتزل الخوارج عليا منكرين للتحكيم مُكَفِّرين به، ولاطفهم في الرجوع عن ذلك، وناظرهم فيه بوجه الحق فَلَجُّوا وأَبَوْا إلا الحرب . وجعلوا شعارهم النداء بلا حَكَمَ إلا الله . وبايعوا عبدالله بن وَهْبِ الراسِبيّ . وقاتلهم عليٌّ بالنَّهْرَوَانِ[2]، فاستلحمهم أجمعين . ثم خرج من فلهم طائفة بالأَنْبَارِ، فبعث اليهم من استلحمهم . ثم طُوَيْفَةٌ أخرى مع هلال بن عَلِيَّةَ، فبعث معقل بن قيس فقتلهم . ثم أخرى ثالثة كذلك، ثم أخرى على المدائن كذلك، ثم أخرى بِشَهْرَزُورَ كذلك . وبعث شُرَيْح بن هاني فهزموه فجرح واستلحمهم أجمعين، واستأمن من بقي فأمنهم، وكانوا نحو خمسين .

وافترق شمل الخوارج، ثم اجتمع من وجدانهم الثلاثة الذين

(١) بمعنى الخلاصة.

(٢) ثلاث قرى بين واسط وبغداد.

توعدوا لقتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص . فقتل بالسهم عبد الرحمن بن ملجم عَلِياً رضي الله عنه وباء بإثمه ، وسلم الباقون . ثم اتفقت الجماعة على بيعة معاوية سنة احدى وأربعين ، واستقل معاوية بخلافة الاسلام . وقد كان فَرْوَةُ بن نَوْفَل الأَشْجَعِيّ اعتزل عَلِياً والحسن ، ونزل شهرزور وهو في خمسمائة من الخوارج . فلما بويع معاوية قال فروة لاصحابه : قد جاء الحق فجاهدوا واقبلوا ، فنزلوا النُخَيلَةَ عند الكوفة ، فاستنفر معاوية أهل الكوفة فخرجوا لقتالهم ، وسألوا أهل الكوفة ان يخلوا بينهم وبين معاوية فأبوا ، فاجتمعت أَشْجَعُ على فَرْوَةَ فوعظوه فلم يرجع فأخذوه قهراً وأدخلوه الكوفة. واستعمل الخوارج بعده عبدالله بن أبي الحُرَيْشِيّ من طيء. وقاتلوا أهل الكوفة ، فقاتلوا وابن ابي الحريشي معهم .

ثم اجتمعوا بعده على حوثرة بن وداع الأَسَدِيّ وقدموا الى النخيلة في مائة وخمسين ، ومعهم فلّ بن أبي الحريشي . وبعث معاوية الى حَوْثَرَةَ أباه ليردّه عن شأنه فأبى ، فبعث اليهم عبدالله ابن عوف في معسكر فقتله وقتل أصحابه ، الا خمسين دخلوا الكوفة وتفرّقوا فيها ، وذلك في جمادى الاخيرة سنة احدى وأربعين . وسار معاوية الى الشام وخلف المُغيرَةَ بن شُعْبَةَ ، فعاد فَرْوَةُ بن نوفل الأَشْجَعِيّ الى الخروج . فبعث اليه المغيرة خيلاً عليها ابن رَبعِي ، ويقال معقل بن قيس ، فلقيه بشهرزور فقتله . ثم بعث المغيرة الى شبيب بن أَبْجَرَ من قتله ، وكان من اصحاب

ابن ملجم . وهو الذي أتى معاوية يبشره بقتل عليّ، فخافه على نفسه وأمر بقتله . فتنكر بنواحي الكوفة الى ان بعث المغيرة من قتله .

ثم بلغ المغيرة ان بعضهم يريد الخروج، وذُكِرَ له مَعْنُ بن عبدالله المُحَارِبيّ فحبسه، ثم طالبه بالبيعة لمعاوية فأبى فقتله . ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب، فأخرج معه النساء . فبعث المغيرة من قتله واصحابه . ثم حكم ابو ليلى في المسجد بمشهد الناس، وخرج في اثنين من الموالي، فأتبعه المغيرة معقل بن قيس الرياحي، فقتله بسور الكوفة اثنتين وأربعين . ثم خرج على ابن عامر في البصرة سَهْمُ بن غالب الهُجَيْميّ في سبعين رجلًا منهم الخطيم، وهو يزيد بن مالك الباهليّ، ونزلوا بين الجسرين والبصرة . ومرّ بهم بعض الصحابة منقلباً من الغزو فقتلوه وقتلوا ابنه وابن اخيه، وقالوا هؤلاء كفرة . وخرج اليهم ابن عامر فقتل منهم عدّة وامن باقيهم .

ولما أتى زياد البصرة سنة خمس واربعين، هرب منهم الخطيم الى الاهواز، وجمع ورجع الى البصرة فافترق عنه أصحابه، فاختفى وطلب الامان من زياد فلم يؤمنه، ثم دُلَّ عليه فقتله وصلبه بداره . وقيل بل قتله عبدالله بعد زياد سنة اربع وخمسين.

ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المُسْتَوْرِدِ بن عُلَّفَةَ التَيْميّ من تيم الرباب، وعلى حيان بن ظَبْيان السَلَمِيّ، وعلى مَعاذ بن جوَيْن

الطائي ، وكلهم من فَلِّ النهروان الذين ارتثوا في القتلى ، ودخلوا الكوفة بعد مقتل عليّ ، واجتمعوا في اربعمائة في منزل حَيَّانَ بن ضَبْيَان، وتشاوروا في الخروج ، وتدافعوا الامارة . ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه في جمادى الاخيرة . وكبسهم المغيرة في منزلهم ، فسجن حيان وأفلت المستورد ، فنزل الحيرة ، واختلف اليه الخوارج . وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدّد الخوارج ، فقام اليه معقل بن قيس فقال : ليكفك كل رئيس قومه .

وجاء صَعْصَعَةُ بن صوحان الى عبد القيس ، وكان عالماً بمنزلهم عند سليم بن مخدوج العَبْدِيّ الا أنه لا يسلم عشيرته ، فخرجوا ولحقوا بالصَرَاةِ في ثلثمائة فجهز اليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، وجعل معظمهم من شيعة عليّ ، وخرج معقل في الشيعة ، وجاء الخوارج ليعبروا النهر الى المدائن فنعهم عاملها سمال بن عبد العَبْسِيّ ودعاهم الى الطاعة على الامان فأبوا ، فساروا الى المذارِ . وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الأعوَرِ الحارثيّ في ثلاثة آلاف من الشيعة ، وجاء معقل بن قيس الى المدائن وقد ساروا الى المذار ، فقدم بين يديه أبا الرُواع الشاكِرِيّ في ثلثمائة ، وسار ولحقهم أبو الرواع بالمذار فقاتلهم .

ثم لحقه معقل بن قيس متقدِّماً أصحابه عند المساء ، فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبية ، وجاء الخبر الى الخوارج بنهوض شريك بن الاعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين.

وأصبح معقل واجتمع بشريك ، وبعث أبا الرواع في أتباعهم في ستمائة ، فلحقهم بجرجان فقاتلهم فهزمهم الى ساباط وهو في اتباعهم. ورأى المستورد أن هؤلاء مع ابي الرواع حماة أصحاب معقل ، فتسرب عنهم الى معقل وأبو الرواع في اتباعه . ولما لحق بمعقل قاتلهم قتالاً ، وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقي كثيراً من أصحاب معقل منهزمين فردّهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المستورد معقلاً ، طعنه بالرمح فانفذه ، وتقدّم معقل والرمح فيه الى المستورد ، فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعاً . وأخذ الراية عمر بن محرز بن شهاب التَميميّ بعهد معقل بذلك . ثم حمل الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم الا خمسة أو ستة .

وعند ابن الكلبي ان المستورد من تيم من بني رَبَاحَ . خرج بالبصرة أيام زياد قَرِيبُ الأزدي ، وزَحَافُ الطائي ابنا الخالة ، وعلى البصرة سُمَرَةُ بن جُنْدُبَ وقتلوا بعض بني ضَبَّةَ ، فخرج عليهم شبان من بني علي وبني راسب فرموهم بالنبل ، وقتل قريب وجاء عبدالله بن أوس الطائي برأسه ، واشتد زياد في امر الخوارج وسمرة وقتلوا منهم خلقاً . ثم خرج سنة اثنتين وخمسين على زياد ابن حِراش العِجْلِيّ في ثلثمائة بالسواد فبعث اليهم زياد سعد بن حذيفة في خيل فقتلوهم ، وخرج أيضاً أصحاب المستورد حيان ابن ضَبْيَان ومَعَاذ من طيء ، فبعث اليهما من قتلهما وأصحابهما . وقيل بل استأمنوا وافترقوا .

ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلاً من الخوارج من عبد القيس، وبايعوا طواف بن (١) على أن يفتكوا بابن زياد، وكان سبب ذلك أنّ ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة، وحملهم على قتل بعضهم بعضاً وخلى سبيل القاتلين ففعلوا وأطلقهم، وكان منهم طواف. ثم ندموا وعرضوا على اولياء المقتولين القود والدية فأبوا، وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى: ثم إنّ رَبَّكَ للذين هاجروا من بعدما فُتِنوا الآية، فاجتمعوا للخروج كما قلنا. وسعى بهم الى ابن زياد، فاستعجلوا الخروج وقتلوا رجلاً ومضوا الى الجَلْحَاء كما قلنا. فندب ابن زياد الشُرَطَ والمحاربة فقاتلوهم. فانهزم الشرط أوّلاً ثم كثرهم الناس فقتلوا عن آخرهم، واشتد ابن زياد على الخوارج، وقتل منهم جماعة كثيرة، منهم عُرْوَةُ بن أُدَيَةَ أخو مِرداس وأدية أمهما، وأبوهما جرير بن تميم.

وكان وقف على ابن زياد يوماً يعظه فقال: أتبنون بكل ريع آية؟ تعبثون الآيات. فظن ابن زياد أنّ معه غيره، فأخذه وقطعه وقتل ابنيه. وكان أخوه مرداس من عظمائهم وعبادهم، وممن شهد النهروان بالاستعراض. ويحرم خروج النساء، ولا يرى بقتال من لا يقاتله. وكانت امرأته من العابدات من بني يَرْبوع وأخذها ابن زياد فقطعها. وألح ابن زياد في طلب الخوارج

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٢٥٤: «طواف بن غلاف».

وقتلهم، وخلى سبيل مرداس من بينهم لما وصف له من عبادته، ثم خاف فخرج الى الأهواز . وكان يأخذ مال المسلمين اذا مرّ به، فيعطي منه أصحابه ويرد الباقي .

وبعث ابن زياد اليهم أسلم بن زُرْعَةَ الكِلابي في ألفي رجل، ودعاهم الى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلوهم، فهزموا أسلم وأصحابه. فسرح اليهم ابن زياد عَبَّادَ بن عَلْقَمَةَ المازِني ولحقهم بتوج وهم يصلون، فقتلهم أجمعين ما بين راكع وساجد لم يتغيروا عن حالهم. ورجع الى البصرة برأس أبي بلال مرداس، فرصده عُبَيْدَةُ ابن هلال في ثلاثة نفر عند قصر الامارة ليستفتيه فقتلوه، واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم . وكان على البصرة عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ، فأمره زياد بتتبع الخوارج الى أن تقدّم فحبسهم، وأخذ الكفلاء على بعضهم، وأتى بعروة بن أدية فقال : أنا كفيلك وأطلقه .

ولما جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين، وطالب ابن ابي بكرة بعروة بن أدية، فبحث عنه حتى ظفر به، وجاء به الى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين . ثم مات يزيد واستفحل أمر ابن الزبير بمكة، وكان الخوارج لما اشتدّ عليهم ابن زياد بعد قتل ابي بلال مرداس أشار عليهم نافع بن الأزرق منهم باللحاق بابن الزبير، لجهاد عساكر يزيد، لما ساروا اليه قالوا : وان لم يكن على رأينا داحضاً عن البيت، وقاموا يقاتلون معه

فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عن رأي ابن الزبير فيهم، وجاؤوه يرمون من عثمان ويتبرّؤون منه فصرّح بمخالفتهم. وقال بعد خطبة طويلة أثنى فيها على الشَيْخَيْنِ وعــليٍّ وعثمان، واعتذر عنه فيما يزعمون وقال: أشهدكم ومن حضرني أني وليّ لابن عفان وعدوّ لاعدائه، قالوا: فبرىء الله منك! قال بل برىء الله منكم! فافترقوا عنه.

وأقبل نافع بن الأزرق الحَنْظَلِيّ، وعبدالله بن صفّار السعدي، وعبدالله بن اباض وحَنْظَلَةُ بن بَيْهس، وبنو الماخور: عبدالله وعبيد الله والزُبَيْرِ من بني سَليط بن يَرْبُوع وكلهم من تميم، حتى اتوا البصرة. وانطلق ابو طالوت عن بني بكر بن وائل، وابو فـديك عبدالله بن نور بن قيس بن ثَعْلَبَةَ وعَطِيَّةُ بن الأَسْوَد اليَشْكُرِيّ الى اليمامة، فوثبوا بها مع ابي طالوت. ثم تركوه ومالوا عنه الى نجدة بن عامر الحَنَفِيّ.

ومن هنا افترقت الخوارج على اربع فرق: الأَزَارِقَةِ اصحاب نافع بن الازرق الحنفي، وكان رأيه البراءة مـن سائر المسلمين وتكفيرهم، والاستعراض وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفاراً. والفرقة الثانية النَجْدِيَّةِ وهم بخلاف الازارقة في ذلك كله. والفرقــة الثالثة الأَبَاضِيَّةِ اصحاب عبدالله بن أباض المُرّي، وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، فلا ينتهون الى الرأي الاول، ولا يقفون عند الثاني، ولا يحرّمون

مناكحة المسلمين ولا موارثتهم، ولا المنافقين فيهم، وهم عندهم كالمنافقين، وقول هؤلاء أقرب الى السنة . ومن هؤلاء البَيْهَسِيَّة أصحاب أبي بَيْهَس هَيْصَم بن جابر الضُبَعِيّ . والفرقة الرابعة الصُفْرِيَّة وهم موافقون للاباضية إلا في العقدة، فان الاباضية أشد على العقدة منهم .

وربما اختلفت هذه الآراء من بعد ذلك، واختلف في تسمية الصفرية، فقيل نسبوا الى ابن صَفَّارٍ وقيل اصفروا بما نهكتهم العبادة . وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع . وفي أصل اختلافهم هذا مكاتبات بين نافع بن الازرق وأبي بيهس وعبدالله بن اباض ذكرها المبرد في كتاب الكامل فلينظر هناك .

ولما جاء نافع الى نواحي البصرة سنة أربع وستين، فأقام بالاهواز يعترض الناس، وكان على البصرة عبدالله بن الحرث بن نَوْفَل بن الحرث بن عبد المُطَّلِب، فسرح اليه مسلم عبس بن كُرَيْز بن ربيعة من أهل البصرة بإشارة الأحنف بن قيس، فدافعه عن نواحي البصرة وقاتله بالاهواز، وعلى ميمنة مسلم الحجاج ابن باب الحِمْيَري، وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغُدانِي . وعلى ميمنة ابن الازرق عُبَيْدَةُ بن هلال، وعلى ميسرته الزبير بن الماخور التميمي . فقتل مسلم، ثم قتل نافع، وأمّرَ أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب، والخوارج عبدالله بن الماخور ، ثم قتل الحجاج

وعبدالله، فأمر أهل البصرة ربيعة بن الأَخزَم، والخوارج عبيد الله بن الماخور . ثم اقتتلوا حتى امسوا، وجاء الى الخوارج مدد فحملوا على اهل البصرة فهزموهم . وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر، فقاتل وردّهم على الاعقاب ونزل الاهواز .

ثم عزل عن البصرة عبدالله بن الحرث، وبعث ابن الزبير عليها الحرث القبّاع بن ابي ربيعة، فزحف الخوارج الى البصرة وأشار الأحنف بن قيس بتولية المُهَلّبِ حروبهم، وقد كان ابن الزبير ولاه خراسان، فكتبوا لابن الزبير بذلك فأجاب . واشترطوا للمسلم ما سأل من ولاية ما غلب عليه، والاعانة بالاموال، فاختار من الجند اثني عشر ألفاً، وسار اليهم فدفعهم عن الجسر . وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه في قتال الخوارج، فردّهم الحرث الى المهلب . وركب حارثة البحر يريد البصرة فغرق في النهر . وسار المهلب وعلى مقدمته ابنه المُغيرَةُ فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الأهواز الى مادَرَ . ونزل المهلب بسولاف، وقاتله الخوارج وصدقوا الحملة، فكشفوا أصحاب المهلب . ثم ترك من الغد قتالهم وقطع دُجَيْل ونزل العُقَيْل، ثم ارتحل فنزل قريباً منهم، وخندق عليه وأذكى العيون والحرس .

وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور في بعض الليالي ليُبيّتوا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين . وخرج اليهم المهلب من الغد في تعبية، والازد وتميم في ميمنته، وبكر وعبد

القيس في ميسرته، وأهل العالية في القلب. وعلى ميمنة الخوارج عبيدة بن هلال اليَشْكُرِيّ، وعلى ميسرتهم الزبير بن الماخور، واقتتلوا ونزل الصبر. ثم شدّوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم، وسبق المنهزمين الى ربوة ونادى فيهم، فاجتمع له ثلاثة آلاف اكثرهم من الازد، فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج، واشتدّ قتالهم ورموهم بالحجارة، وقتل عبدالله بن الماخور وكثير منهم وانكفؤا راجعين الى كرمان وناحية أصبهان منهزمين، واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور، وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميراً على البصرة وعزل المهلب.

وأما نَجْدَةُ وهو نجدة بن عامر بن عبدالله بن سَيَّار بن مُفَرِّج الحَنَفِيّ، وكان مع نافع بن الازرق. فلما افترقوا سار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه، وهو من بكر بن وائل، وتابعه نجدة ونهب الحصارمَ بلد بني حنيفة، وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف، فقسمها في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين. واعترض عيراً من البحرين جاءت لابن الزبير، فأخذها وجاء بها الى أبي طالوت، فقسمها بين أصحابه. ثم رأى الخوارج ان نجدة خير لهم من أبي طالوت، فخالفوه وبايعوا نجدة. وسار الى بني كعب بن ربيعة فهزمهم وأثخن فيهم، ورجع نجدة الى اليمامة في ثلاثة آلاف، ثم سار الى البحرين سنة سبع وستين، فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته. وسالمته الأزد والتقوا بالقَطِيف،

فانهزمت عبد القيس، وأثخن فيهم نجدة وأصحابه، وأرسل سرية الى الخط فظفروا بأهله . ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث عبدالله بن عمر الليثي الاعور في عشرين ألفاً، ونجدة بالمطيف فقاتلوهم، وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم . وبعث عطية بن الاسود الحنفي من الخوارج الى عُمانَ، وبها عَبّادُ ابن عبدالله شيخ كبير، فقاتله عطية فقتله، وأقام أشهراً وسار عنها . واستخلف عليها بعض الخوارج، فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيداً وسليمان ابني عباد .

ثم خالف عَطِيَّةُ نَجْدَةَ وجاء الى عُمانَ، فامتنعت منه . فركب البحر الى كَرْمانَ، وأرسل اليه المُهَلَّبُ جيشاً فهرب الى سجستان، ثم الى السِنْدِ، فقتله خيل المهلب بقَنْدَابيل . ثم بعث نجدة المعرفين الى البوادي بعد هزيمة ابن عُمَير، فقاتلوا بني تميم بكاظِمَةَ وأعانهم أهل طُوَيْلِع، فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهاً . ثم سار الى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخاليفها . ثم بعث أبا فديك الى حضرموت، فأخذ الصدقة منهم . وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل، وقيل في ألفين، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما .

ثم سار نجدة الى المدينة وتأهبوا لقتاله، فرجع الى الطائف وأصاب بنتاً لعبدالله بن عمر بن عثمان، فضمها اليه . وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال : قد أعتقت نصيبي منها . قالوا فزوّجها،

قال هي أملك بنفسها، وقد كرهت الزواج . ولما قرب من الطائف جاءه عاصِمُ بن عُرْوَةَ بن مسعود فبايعه عن قومه، وولى عليهم الخازَنْقَ ، وعلى يَبَانَةَ والسَّراةِ . وولى على ما يلي نجران سعد الطلائع، ورجع الى البحرين، وقطع الميرة عن الحَرَمَيْنِ . وكتب اليه ابن عباس أو ثُمَامَة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاها لهم، وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة .

ثم اختلف اليه أصحابه لان أبا سنانَ حَيِيَّ بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية، فانتهره نجدة وقال : انما علينا أن نحكم بالظاهر . وأغضبه عَطِيَّةُ في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البرّ على سرية البحر في الغنيمة، فشتمه نجدة فغضب . وسأله في درء الحدّ في الخمر عن رجل من شجعانهم، فأبى . وكاتبه عبد الملك في الطاعة على أن يوليه اليمامة، ويهدر لهم ما أصاب من الدماء . فاتهموه في هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه، وفارقه عطية الى عمان . ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبدالله بن ثور احد بني قيس بن ثَعْلَبَةَ . واستخفى نجدة، وألح أبو فديك في طلبه، وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر . ثم نذر به فذهب الى اخواله من تميم، وأجمع المسير الى عبدالملك، فعلم به أبو فديك، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه . وسخط قتله جماعة من أصحاب

أبي فديك، واعتمده مُسْلِمُ بن جُبَيْر فطعنه اثنتي عشرة طعنة، وقتل مسلم لوقته، وحمل أبو فديك الى منزله .

ثم جاء مصعب الى البصرة سنة ثمان وستين والياً على العراقين عن أخيه، وكان المهلب في حرب الازارقة فأراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية، ليكون بينه وبين عبد الملك . فاستقدمه من فارس وولاه، وولى على فارس وحرب الأزارقة عمر ابن عبدالله بن مَعْمَر . وكان الخوارج قد ولوا عليهم بعد قتل عبدالله بن الماخور سنة خمس وستين أخاه الزبير، فجاؤوا به الى إصطَخْر، وقدم عمر ابنه عبيدالله اليهم فقتلوه، ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل منهم سبعون . وفلق قطري بن الفُجاءة، وشتر صالح ابن مخراق، وساروا الى نيسابور فقاتلهم عمر بها وهزمهم، فقصدوا أصبَهانَ فاستحموا بها . ثم أقبلوا الى فارس وتجنبوا عسكر عمر، ومروا على ساجور ثم أرَّجانَ، فأتوا الاهواز قاصدين العراق . وأغذَّ عمر السير في اثرهم، وعسكر مصعب عند الجسر . فسار الزبير بالخوارج، فقطع أرض صَرْصَر، وشنّ الغارة على أهل المدائن يقتلون الوِلْدانَ، والرجال ويبقرون بطون الحبالى .

وهرب صاحب المدائن عنها، وانتهت جماعة منهم الى الكرخ، فقاتلهم أبو بكر بن مخنف فقتلوه، وخرج أمير الكوفة وهو الحرث ابن أبي ربيعة القَبَّاع حتى انتهى الى الصراة، ومعه ابراهيم بن الأشتَرِ، وشبيب بن رَبْعي، وأسماء بن خارِجَة، ويزيد بن الحرث،

ومحمد بن عمير، وأشاروا عليه بعقد الجسر والعبور اليهم، فانهزموا الى المدائن . وأمر الحرث عبد الرحمن ابن مخنف باتباعهم في ستة آلاف الى حدود أرض الكوفة، فانتهوا الى الريّ وعليها يزيد بن الحرث بن دويم الشَّيْباني، وما والاهم عليه أهل الري، فهزموه وقتلوه . ثم انحطوا الى اصبهان وبها عِتابُ بن وَرْقاء، فحاصروه أشهراً، وكان يقاتلهم على باب المدينة .

ثم دعا الى الاستماتة في قتالهم، فخرجوا وقاتلوهم، وانهزمت الخوارج، وقتل الزبير واحتووا على معسكرهم . ثم بايع الخوارج قطري بن الفَجَاءةِ المازِني ويكنى أبا نُعامَةَ، وارتحل بهم الى كرمان حتى استجمعوا فرجعوا الى أصبهان فامتنعت، فأتوا الاهواز وقاموا . وبعث مصعب الى المهلب فرده الى قتال الخوارج، وولى على الموصل والجزيرة ابراهيم بن الاشتر، وجاء المهلب فانتجعت الناس من البصرة، وسار الى الخوارج فلقيهم بسولاف . واقتتلوا ثمانية أشهر، وبعث مصعب الى عتاب بن ورقاء الرياحي عامل اصبهان بقتال أهل الريّ بما فعله في ابن دُوَيْم، فسار اليهم وعليهم الفَرُّخانُ فقاتلهم وافتتحها عنوة وقلاعها وعاث في نواحيها .

خبر ابن الحر ومقتله

كان عُبَيْدُ الله بن الْحُرِّ الْجُعْفِي من خيار قومه صلاحاً وفضلاً، ولما قتل عثمان حزن عليه، وكان مع معاوية على عليّ، وكانت له زوجة بالكوفة فتزوّجت لطول مغيبه . فأقبل من الشام وخاصم

زوجها الى علي، فمدّد[1] عليه شهوده صفين. فقال: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال لا. وردّ اليه امرأته. فرجع الى الشام وجاء الى الكوفة بعد مقتل علي، ولقي اخوانه وتفاوضوا في النكير على عليّ ومعاوية. ولما قتل الحسين تغيب على مَلْحَمَتِهِ، وسأل عنه ابن زياد فلم يره. ثم لقيه فأساء عذله، وعرض له بالكون مع عدوّه، فأنكر وخرج مغضباً. وراجع ابن زياد رأيه فيه فطلبه فلم يجده، فبعث عنه فامتنع وقال: أبلغوه اني لا آتيه طائعاً أبداً. وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي، فاجتمع اليه أصحابه، وخرج الى المدائن. ومضى لمصارع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم، ولما مات يزيد ووقعت الفتنة اجتمع اليه أصحابه، وخرج بنواحي المدائن، ولم يعترض للقتل ولا للمال، انما كان يأخذ مال السلطان متى لقيه، فيأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويردّ الباقي، ويأخذ لصاحب المال بما أخذ.

وحبس المختار امرأته بالكوفة، وجاء فأخرجها من الحبس، وأخرج كل من فيه. وأراد المختار أن يسطو به، فمنعه ابراهيم ابن الاشتر الى الموصل لقتال ابن زياد. ثم فارقه ولم يشهد معه، وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله. ثم أغرى به مصعب فحبسه، وشفع فيه رجال من وجوه مَذْحِج فشفعهم وأطلقه، وأتى اليه الناس يهنؤنه. فصرّح بأن أحداً لا يستحق بعد الاربعة، ولا

(١) كذا. ولعلها: ندد.

يحلّ ان يعقد لهم بيعة في أعناقنا ، فليس لهم علينا من الفضل ما يستحقون به ذلك ، وكلهم عاصٍ مخالف ، قوي الدنيا ضعيف الآخرة ، ونحن أصحاب الايام مع فارس ، ثم لا يعرف حقنا وفضلنا ، واني قد اظهرت لهم العداوة .

وخرج للحرب فأغار ، فبعث اليه مصعب سيف بن هاني المرادي يعرض عليه الطاعة على ان يعطيه قطعة من بلاد فارس ، فأبى فسرح اليه الأَبْرَدَ بن قَرْوَةَ الرِياحي في عسكر ، فهزمه عبيد الله ، فبعث اليه حُرَيث بن زيد فهزمه فقتله ، فبعث اليه الحجاج بن حارِثَةَ الخَثْعَمِيّ ومسلم بن عمرو فقاتلهما بنهر صرصر وهزمهما ، فأرسل اليه مصعب بالامان والولاية فلم يقبل . واتى الى فرس فهرب دِهْقانُها بالمال ، وتبعه ابن الحرّ الى عين التمر وعليه بَسْطامُ بن مَصْقَلَة بن هُبَيْرَةَ الشَيْباني ، فقاتل عبيد الله . ووافاهم الحجاج بن حارثة فهزمهما عبيد الله وأسرهما ، وأخذ المال الذي مع الدهقان .

واقام بتكريت ليجبي الخراج ، فسرّح مصعب لقتاله الابرد ابن قَرْوَةَ الرياحي ، والجون بن كعب الهمداني في ألف وامدّهم المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمائة ، وقاتلهم عبيد الله يومين في ثلثمائة . ثم تحاجزوا وقال لاصحابه اني سائر بكم الى عبد الملك فتجهزوا ! ثم قال : اني خائف أن اموت ولم اذعر مُصْعَباً ، وقصد الكوفة وجاءته العساكر من كل جهة . ولم يزل يهزمهم ويقتل

منهم بنواحي الكوفة والمدائن. واقام يغير بالسواد ويجبي الخراج. ثم لحق بعبد الملك فأكرمه وأجلسه معه على سريره، وأعطاه مائة ألف درهم، وقسم في اصحابه الاعطيات، وسأل من عبد الملك ان يوجه معه عسكراً لقتال مصعب فقال: سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وانا ممدّك بالرجال، فسار نحو الكوفة ونزل بناحية الأنبار، واذن لاصحابه في اتيان الكوفة ليخبروا اصحابه بقدومه. وبعث الحرث بن ابي ربيعة اليه جيشاً كثيفاً، فقاتلهم وتفرّق عنه اصحابه، واثخنه الجراح فخاض البحر الى سفينة فركبها حتى توسط الفرات، فأشرفت خيالة على السفينة وتبادروا به، فقام يمشي في البحر فتعلقوا به فألقى نفسه في الماء مع بعضهم فغرقوه.

حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج

ولما استقرّ عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبدالله، وكان المهلب يحارب الأزارِقةَ، فولاه على خراج الاهواز. وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الى قتال الخوارج، ومعه مُقاتِلُ بن مُسْمِعٍ، وأتت الخوارج من ناحية كرمان الى دار بُجُرْدَ، وبعث قَطَرِيّ بن الفُجاءَةِ صالح بن مِخْرَاق في تسعمائة، فاستقبل عبد العزيز ليلاً على غير تعبية فانهزم. وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عبد العزيز، فقتلها الخوارج.

وتغير عبد العزيز الى رامَهُرْمُز . وكتب خالد بالخبر الى عبد الملك فكتب اليه (١) على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج، وأمره بأن يسرح المهلب بحربهم . وكتب الى بشر بالكوفة بامداده بخمسة آلاف مع من يرضاه، فاذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا الى الريّ فكانوا هنالك مُسَلَّحَةً، فانفذ بشرُ العسكر وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، وكتب له عهده على الريّ، وخرج خالد بأهل البصرة، ومعه المهلب واجتمعوا بالأهواز . وجاءت الأزارقة فأحرقوا السفن . ومرّ المهلب بعبد الرحمن بن الاشعث وأمره أن يخندق عليه، وأقاموا كذلك عشرين ليلة . ثم زحف الخوارج بالناس، فهال الخوارج كثرتهم وانصرفوا .

وبعث خالد داود بن قَحْذَم في آثارهم، وانصرف الى البصرة، وكتب بالخبر الى عبد الملك . فكتب الى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة الى فارس ويلحقوا بداود بن قحذم في طلب الازارقة . فبعث بهم بشر بن عتاب، ولحقوا بداود واتبعوا الخوارج حتى اصابهم الجهد، ورجع عامتهم مشاة الى الاهواز .

---

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٠ : «فكتب خالد إلى عبد الملك يخبره بذلك، فكتب إليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فأخبرني أنه عامل على الأهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج».

ثم خرج أبو فديك من بني قيس بن ثعلبة، فغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي كما مرّ. وهزم خالداً فكتب الى عبد الملك بذلك، وأمر عبد الملك عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرَ أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير لقتال ابي فديك. فانتدب معه عشرة آلاف، وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة في ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه، وهو في القلب. وانتهوا الى البحرين، واصطفوا للقتال، وحملوا على أبي فديك وأصحابه، فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا الا المغيرة بن المهلب وجماعة وعبد الرحمن وفرسان الناس، فانهم مالوا الى اهل الكوفة بالميمنة ورجع أهل الميسرة. وحمل اهل الميمنة على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة، وذلك سنة ثلاث وسبعين.

ثم ولى عبد الملك أخاه بشراً على البصرة، فسار اليها، وأمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة، وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد، ويتركه ورأيه في الحرب، ويمدّه بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة. فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قُبَيْصَةَ، وشق على بشر ولاية المهلب من عبد الملك وأوغرت صدره. فبعث على عسكر الكوفة عبد

الرحمن ابن مخنف، وأغراه بالمهلب في ترك مشورته، وتنغصه . وسار المهلب الى رَامَهُرْمُزَ وبها الخوارج، وأقبل ابن مخنف في أهل الكوفة، فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران . ثم أتاهم نبأ بشر بن مروان، وانه استخلف خالد بن عبدالله بن خالد على البصرة، وخليفته على الكوفة عُمَرُ بن حُرَيْثَ، فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الاهواز، وكتب اليهم خالد بن عبدالله يتهدّدهم فلم يلتفتوا اليه . وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة، وكتب اليهم عمر بن حريث بالنكير والعود الى المهلب، ومنعهم الدخول فدخلوا ليلاً الى بيوتهم .

ثم قدم الحجاج أميراً على العراقين سنة خمس وسبعين، فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها : ولقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم الى مصركم عاصين مخالفين، وأيم الله لا أجد أحداً متخلفاً عن عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه، وأنهب داره . ثم دعا العرفاء وقال : ألحقوا الناس بالمهلب وأتوني بالبراءة بموافاتهم، ولا تغلقنّ أبواب الجسر . ووجد عمر بن ضابيء من المتخلفين، وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله . فأخرج جند المهلب وازدحموا على الجسر، وجاء العرفاء الى المهلب براهرمز فأخذوا كتابه بموافاة الناس، وأمرهم الحجاج بمناهضة الخوارج، فقاتلوهم شيئاً ثم ازاحوا الى كازِرونَ، وسار المهلب وابن مخنف فنزلوا بهم . وخندق المهلب ولم يخندق ابن مخنف، وبيتهم الخوارج فوجدوا المهلب حذراً، فمالوا الى ابن مخنف

فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل . وفي حديث أهل الكوفة انهم لما ناهضوا الخوارج مالوا الى المهلب واضطرّوه الى معسكره، وأمدّه عبد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خفّ من الجند. فال اليه الخوارج، فنزل ونزل معه القراء وواحد وسبعون من أصحابه فقتلوا، وجاء المهلب من الغد فدفنه وصلى عليه، وكتب بالخبر الى الحجاج، فبعث على معسكره عتاب بن ورقاء وامره بطاعة المهلب، فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء، وعاتبه المهلب يوماً ورفع اليه القضيب، فردّه ابنه المغيرة عن ذلك . وكتب عتاب يشكو المهلب الى الحجاج ويسأله العود، وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلب .

حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج

ثم خرج صالحُ بن مَسْرَحٍ التَمِيميّ من بني امرىء القيس بن زَيدِ مَناةَ وكان يرى رأي الصُفرِيّةِ ، وكان عابداً ومسكنه ارض الموصل والجزيرة ، وله اصحاب يقرئهم القرآن والفقه . وكان يأتي الكوفة ويلقى أصحابه ، ويعدّ ما يحتاج اليه . فطلبه الحجاج فترك الكوفة ، وجاء الى اصحابه بالموصل ، ودار فدعاهم الى الخروج وحث الناس عليه . وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشَيْبانيّ من رؤسهم يحثه على مثل ذلك . فكتب اليه : اني في انتظارك فاقدم. فقدم شبيب في نفر من اصحابه منهم أخوه المَصَّاد ، والمحلل بن وائل اليَشكُرِيّ ولقيه بدارا ، واجمع صالح الخروج . وبعث الى

أصحابه وخرجوا في صفر سنة ست وسبعين . وأمر بالدعاء قبل القتال وخَيَّرَ في الدماء والاموال . وعرضت لهم دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة، فأخذوها وحملوا عليها اصحابهم .

وبلغ محمد بن مروان وهو امير الجزيرة خروجهم، فسرّح اليهم عديّ بن عدي الكِنْدِيّ في ألف، فسار من حَرّان، وكان ناسكاً فكره حروبهم، وبعث اليهم بالخروج، فحبسوا الرسول . فساروا اليه فطلعوا عليه وهو يصلي الضحى، وشبيب في الميمنة، وسويد ابن سليم في الميسرة . وركب عدي على غير تعبية فانهزم، واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا الى آمد . وسرّح محمد بن مروان خالد بن حُرّ السَلَمِيّ في ألف وخمسمائة، والحرث بن جَعْوَنَةَ العامريّ في مثلها وقال : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه .

وبعث صالح شبيباً الى الحرث، وتوجه هو نحو خالد وقاتلوهم أشدّ القتال . واعتصم اصحاب محمد بخندقهم، فسارت الخوارج عنهم، وقطعوا ارض الجزيرة والموصل الى الدسكرة . فسرّح اليهم الحَجّاج الحَرْثَ بن عُمَيْرَةَ بن ذي الشِمارِ في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فلقيهم على تخم ما بين الموصل وصَرْصَر، والخوارج في تسعين رجلاً . فانهزم سويد بن سليم، وقتل صالح، وصرع شبيب . ثم وقف على صالح قتيلاً فنادى بالمسلمين فلاذوا به، ودخلوا حصناً هنالك، وهم سبعون . وعاث الحرث بهم وأحرق عليهم الباب، ورجع حتى يصبحهم من الغداة . فقال لهم شبيب بايعوا من شئتم من

أصحابكم واخرجوا بنا اليهم . فبايعوه واطفؤا النار بالماء في اللبود، وخرجوا اليه فبيتوا، وسرّح الحرث فحملوا على اصحابه وانهزموا نحو المدائن، وحوى شبيب عسكرهم .

وسار شبيب الى أرض الموصل فلقي سَلاَمَةَ بن سِنانٍ التميمي من تميم شيبان، اوخاه فضالة من أكابر الخوارج، وكان خرج قبل صالح في ثمانية عشر رجلاً، ونزل على ماء لبني عَنَزَةَ فقتلوهم وأتوا برؤسهم الى عبد الملك يتقرّبون له بهم . فلما دعا شبيب سلامة الى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسير بهم الى عنزة . فيثأر منهم باخيه، فقبل شرطه . وسار الى عنزة فأثخن فيهم، وجعل يقتل الحِلّةَ بعد الحلة . ثم اقبل شبيب الى داران في نحو سبعين رجلاً ففرّت منهم طائفة من بني شيبان نحو ثلاثة آلاف، فنزلوا ديراً خراباً وامتنعوا منه وسار في بعض حاجاته، واستخلف اخاه مضادَ بن يزيد بجماعة من بني شيبَان في أموالهم مقيمين، فقتل منهم ثلاثين شيخاً، فيهم حَوثَرَةُ بن أسَد . وأشرف بنو شيبان على مضاد وأصحابه، وسألوا الامان ليخرجوا اليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا وقبلوا، ونزلوا اليهم واجتمعوا بهم . وجاء شبيب فاستصوب فعلهم . وسار بطائفة نحو أذرَبيْجَانَ .

وكان الحجاج قد بعث سُفيَان بن أبي العالِيَةَ الخَثعَميَّ الى طَبَرَستان يحاصرها في ألف فارس، وكتب اليه الحجاج أن يرجع . فصالح أهل طبرستان، ورجع فأقام بالدسكرة يطلب المدد . وبعث

الحجاج أيضاً الى الحرث بن عميرة الهَمْدَانِيّ قاتل صالح أن يأتيه بجيش الكوفة والمدائن، والى سَوْرَةَ بن أَبْجَر التميمي في خيل المناظر. ويعجل سفيان في طلب شبيب، فلحقه بخانقين، فاستطردهم وأكمن كميناً لهم مع أخيه، واتبعوه في سفح الجبل فخرج عليهم الكمين فانهزموا بغير قتال، وثبت سفيان وقاتل. ثم حمل شبيب فانكشف ونجا الى بابل مهرود، وكتب الى الحجاج بالخبر وبوصول العساكر إلّا سورة بن أبجر. فكتب الحجاج الى سورة يتهدّده ويأمره أن يتخذ من المدائن خمسمائة فارس، ويسير الى شبيب فسار. وانتهى شبيب الى المدائن ثم الى المندوان، فترحم على أصحابه هنالك. وبيتهم سورة هنالك وهم حذرون فلم يصب منهم الغرة. ورجع نحو المدائن وشبيب في اتباعه.

وخرج ابن ابي العَصْفى عامل المدائن فقاتلهم، وهرب كثير من جنده الى الكوفة، ومضى شبيب الى تكريت. ووصل سورة الى الكوفة بالفلّ، فحبسه الحجاج ثم أطلقه. وسرّح عثمان ابن سعيد بن شَرْحبيل الكِنْدي ويلقب الجزل، في أربعة آلاف ليس فيهم من المنهزمين أحد، وساروا لحرب شبيب وأصحابه. وقدم بين يديه عِياض بن أبي لينة الكِنْدِي وجعلوا يتبعون شبيباً من رستاق الى رستاق وهو على غير تعبية، والجزل على التعبية، ويخندق على نفسه متى نزل. وطال ذلك على شبيب، وكان في مائة وستين، فقسمه على أربع فرق وثبت الجزل ومشايخه فلم

يصب منهم فرجع عنهم . ثم صبحهم ثلثية فلم يظهر منهم بشيء .

وسار الجزل في التبعية كما كان وشبيب يسير في ارض الخوارج وغيرها يكسب الخراج . وكتب الحجاج الى الجزل ينكر عليه البطء ، ويأمره بالمناهضة . وبعث سعيد بن المُجالِدِيّ على جيش الجزل فجاءهم بالمُنْدُوَان ووبخهم وعَجَّزَهُم . وجاءهم الخبر بانّ شبيباً قد دخل قَطِيطِيا والدِّهقان يصلح لهم الغداء ، فنهض سعيد في الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صفّ بهم خارج الخندق . وجاء سعيد الى قطيطيا وعلم به شبيب ، فأكل وتوضأ وصلى . وخرج فحمل على سعيد واصحابه مستعرضاً فانهزموا وثبت سعيد فقتله وسار في اتباعهم الى الجزل ، فقاتلهم الجزل حتى وقع بين القتلى جريحاً . وكتب الى الحجاج بالخبر واقام بالمدائن . وانتهى شبيب الى الكرخ وعبر دجلة اليه ، وارسل الى سوق بغداد فأتاهم في يوم سوقهم ، واشترى منه حاجاته ، وسار الى الكوفة .

فلما قرب منها بعث الحجاج سويد بن عبد الرحمن السَّعْدي في ألفي رجل ، فساروا الى شبيب . وأمر عثمان بن قَطَنَ فعسكر في السَّبْخَةِ . وخالفه شبيب الى أهل السبخة فقاتلوه . وجاء سويد في آثاره فمضى نحو الحيرة وسُوَيْدُ في اتباعه . ثم رحل من الحيرة وجاء كتاب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه . فمضى في اتبائه وشبيب يغير في طريقه . وأخذ على القطقطانة ، ثم على قصر بني مقاتل ، ثم على الأَنبارِ ثم ارتفع على أدنى أذربيجان . ولما أبعد

سار الحجاج الى البصرة، واستعمل على الكوفة عُرْوَةَ بن الْمُغِيرَةَ ابن شُعْبَةَ، فجاءه كتاب دهقان بابل مهرود يخبره بقصد شبيب الكوفة، فبعث بالكتاب الى الحجاج .

وأقبل شبيب حتى نزل عَقَرْقوبا، ونزل وسار منها يسابق الحجاج الى الكوفة . وطوى الحجاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر ووصل شبيب عند المغرب . فأراح وطعموا، ثم ركبوا ودخلوا الى السوق . وضرب شبيب القصر بعموده . ثم اقتحموا المسجد الاعظم فقتلوا فيه من الصالحين، ومروا بدار صاحب الشرطة فدعوه الى الامير ونكرهم، فقتلوا غلامه . ومرّوا بمسجد بني ذُهْلٍ فقتلوا ذَهْلَ بن الحرث، وكان يطيل الصلاة فيه . ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النضر بن القَعْقاعِ بن شَوْر الذُهلي، وكان ممن أقبل مع الحجاج من البصرة، فتخلف عنه . فلما رآه قال : السلام عليك أيها الامير ! فقال له شبيب : قل أمير المؤمنين ويلك، فقالها . وأراد شبيب أن يلقنه للقرابة بينهما . وكان النضر ناحية بيت هانئ بن قُبَيْصَةَ الشَيْباني، فقال له يا نضر لا حكم الا لله، ففطن بهم وقال : انا لله وانا اليه راجعون، وشدّ عليه اصحاب شبيب فقتلوه .

ونادى منادي الحجاج بالكوفة يا خيل الله اركبي وهو بباب القصر، وكان أوّل من أتاه عثمان بن قطن بن عبدالله بن الحسين ذي القصة . ثم جاء الناس من كل جانب، فبعث الحجاج

خالد بن الأَسَدِيّ وزائدة بن قُدامة الثَّقَفِيّ وأبا الضُرَيْس مولى بني تميم، وعبد الاعلى بن عبدالله بن عامر، وزياد بن عبدالله العَتَكِي في ألفين ألفين وقال: ان كان حرب فأميركم زائدة بن قدامة. وبعث معهم محمد بن موسى بن طَلْحَةَ بن عبيدالله من سجستان، وكان عبد الملك قد ولاه عليها، وأمر الحجاج أن يجهزه ويبعثه في آلاف من الجنود الى عمله، فجهزه وحدث أمر شبيب. فقال له الحجاج تجاهد ويظهر اسمك ثم تمضي الى عملك، فساروا جميعاً ونزلوا أسفل الفرات.

وأخذ شبيب نحو القادِسِيَّةِ وجَرَّدَ الحجاج ألفاً وثمانمائة من نقاوة الجند مع ذُخرِ بن قيس، وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه، وان ذهب فاتركه. فأدركه بالسِلْحَيْنِ، وعطف عليه شبيب، فقاتل ذخر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحاً. وانهزم أصحابه يظنون أنه قتل. ثم أفاق من برد السَحَرِ، فدخل قرية وسار الى الكوفة. ثم قصد شبيب واعوانه وهم على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة، فقال: ان هزمناهم فليس دون الحجاج والكوفة مانع.

وانتهى اليهم وقد تعبأوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن عمر العتكي، وعلى الميسرة بشر بن غالب الاسدي، وكل أمير بمكانه. وعبى شبيب أصحابه ثلاثة كتائب، فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمر فانكشفوا، وثبت زياد قليلاً ثم حمل الثانية فانهزموا، وانهزم جريحاً عند المساء. ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبدالله

ابن عامر فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر، وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند الغروب، فقاتلوه وصبر لهم . ثم حمل مَضَادُ أخو شبيب على بِشْرِ بن غالب في الميسرة فصبر ونزل في خمسين رجلًا فقاتلوه حتى قتلوا، وحملت الخوارج على ابي الضُرَيْسِ مولى بني تميم فهزموه حتى انتهى الى أَعْيُنَ، ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموهما الى زائدَةَ بن قدامة . فلما انتهوا اليه نادى نزال وقاتلهم الى السَحَرِ، ثم حمل شبيب عليه فقتله وقتل اصحابه، ودخل ابو الضريس مع الفَلِّ الى الجَوْسَقِ بازائهم .

ورفع الخوارج عنهم السيف ودعوهم الى البَيْعَةِ لشَبيب عند الفجر فبايعوه، وكان فيمن بايعه ابو بُرْدَةَ وبقي محمد بن موسى لم ينهزم، فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذن وصلى، ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى، وقاتل محمد حتى قتل . وأخذ الخوارج ما في العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيباً فلم يبق منهم أحد، وجاء شبيب الى الجوسق الذي فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه، فأقام يوماً عليهم وسار عنهم، وأراده أصحابه على الكوفة وازاءهم خوخى فتركها وخرج على نفر .

وسمع الحَجّاج بذلك فظنّ أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة وأكثر السواد لما فهاله ذلك وبعث عثمان بن قَطن أميرًا على المدائن وخوخى والانبار، وعزل عنها عبدالله بن أبي عِصفير . وقيل في مقتل محمد بن موسي غير هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن

عبدالله بن معمر قتال أبي فديك، فزوّجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك، فولاه سِجِسْتَانَ فرّ بالكوفة وقيل للحجاج ان جاء الى هذا أحد ممن تطلبه منعك منه، فمره بقتال شبيب في طريقه لعل الله يريحك منه، ففعل الحجاج وعدل محمد الى قتال شبيب، وبعث اليه شبيب بدهاء الحجاج وخديعته اياه وأن يعدل عنه فأبي الا شبيباً فبارزه وقتله شبيب، ولما انهزم الامراء وقتل موسى بن محمد ابن طلحة دعا الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث، وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان، فسار لذلك . ثم كتب اليه والى أصحابه يتهدّدهم ان انهزموا ومرّ ابن الاشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته، فوصّاه وحذّره وحمله على فرسه وكانت لا تجارى . وسار شبيب على دقوقا وشهرزور، وابن الاشعث في اتباعه الى أن وقف على أرض الموصل، وأقام يقاتله أهلها .

فكتب اليه الحجاج : أما بعد فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه، فانما السلطان سلطان امير المؤمنين والجند جنده . فجعل ابن الاشعث يتبعه وشبيب يقصد به الارض الخشنة الغليظة، واذا دنا منه رجع يبيته فيجده على حذرة حتى اتعب الجيش وأحفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل، ليس بينه وبين سواد إلّا نهر حولايا في (١) دادان الاعلى من أرض

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥٢ : ثم أقبل إلى البت ـ وهي؛=

خوخى . ونزل عبد الرحمن في عواقيل النهر وكانت أيام النحر، وطلب شبيب الموادعة فيها فأجابه قصداً للمطاولة . وكتب عثمان ابن قطن بذلك الى الحجاج فنكر، وبعث الى عثمان بن قطن بامارة العسكر وأمره بالمسير، وعزل عبد الرحمن بن الاشعث . وبعث على المدائن مُطَرِّفَ بن المُغيرَةِ مكان ابن قطن، وقدم ابن قطن على عسكر الكوفة عَشِيَّةَ يوم التَرْوِيَةِ وناداهم الى الحرب فاستمهلوه وأنزله عبد الرحمن بن الاشعث .

واصبحوا الى القتال ثالث يومهم على تعبية، وفي الميمنة خالد ابن نهيك بن قيس، وفي الميسرة عقيل بن شدّاد السلولي وابن قطن في الرجّالة، وعبر اليهم شبيب في مائة وثلاثين رجلاً فوقف في الميمنة واخوه مضاد في القلب وسويد بن سُلَيم في الميسرة، وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا، ونزل عقيل ابن شدّاد فقاتل حتى قتل، وقتل معه مالك بن عبدالله الهَمَدَانِيّ . وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها، وقاتل خالد بن نهيك، فجاء شبيب من ورائه فقتله، وتقدّم عثمان الى مضاد في القلب فاشتدّ القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليهم سويد ابن سليم ومضاد من القلب حتى احاطوا به فقتلوه . وانهزمت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الاشعث، فأتاه ابن ابي شَيْبَةَ

= من قرى الموصل ـ ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا حولايا وهو في راذان الأعلى من أرض جوخى .

الجُعْفِيّ وهو على بغلة فأردفه ونادى في الناس باللحاق بدير ابي مريم.

ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه، ولحق ابن الاشعث بالكوفة فاختفى حتى أمّنه الحجاج . ومضى شبيب الى ماه نهراذان فأقام فيه فصل الصيف، فلحق به من كان للحجاج عليه تبعة . ثم أقبل الى المدائن في ثمانمائة رجل، وعليها مطرف بن المغيرة . وبلغ الخبر الى الحجاج فقام في الناس وتسخط وتوعد. فقال زُهْرَةُ بن حُوَيَّةَ وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام الا معتمداً . أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم؟ فاستنفر الناس جميعاً وابعث عليهم رجلا شجاعاً مجرّباً، يرى الفرار عاراً والصبر مجداً وكرماً . فقال الحجاج أنت ذلك الرجل ! فقال انما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس، ولا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضَعُفَ بَصَري، ولكن أكون مع أمير وأشير عليه . فقال له جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله أول أمرك وآخره .

ثم قال للناس سيروا فتجهّزوا بأجمعكم، فتجهزوا وكتب الحَجّاج الى عبد الملك بأن شبيباً شارف المدائن يريد الكوفة، وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم، ويستمدّه من جند الشام، فبعث اليه عبد الملك سفيان بن الأَبْرَدِ الكَلْبِيّ في أربعة آلاف، وحبيب بن عبد الرحمن الحَكَمِيّ في ألفين، وذلك سنة ست وسبعين .

وكتب الحجاج الى عِتاب بن وَرْقاء الرياحيّ يستقدمه من عند المُهلّب، وقد وقع بينهما كما مرّ فقدم عتاب وولاه على الجيش، فشكر زهرة بن حوية له وقال رميتهم بحجرهم، والله لا يرجع اليك حتى يظفر او يقتل. وبعث الحجاج الى جند الشام يحذرهم البيات ويوصيهم الاحتياط، وأن يأتوا على عين التمر. وعسكر عتاب بجماع أعين، ثم قطع شبيب دِجْلَةَ الى المدائن، وبعث اليه مطرف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر في دعوتهم، فرجا منه وبعث اليه بغيث بن سويد في جماعة مكثوا عنده أربعاً ولم يرجعوا من مطرف بشيء، ونزل عتاب الصَرَاةَ وخرج مطرف الى الجبال خوفاً أن يصل خبره مع شبيب الى الحجاج.

فخلا لهم الجوّ، وجاء مضادّ الى المدائن فعقد الجسر ونزل عتاب سوق حَكَم في خمسين ألفاً. وسار شبيب بأصحابه في ألف رجل، فصلى الظهر بساباط وأشرف على عسكر عتاب عند المغرب، وقد تخلف عنه أربعمائة من اصحابه، فصلى المغرب وعبى اصحابه ستمائة سويد بن سليم في مائتين في الميسرة، والمحلل بن وائل في مائتين في الميمنة، وهو في مائتين في القلب. وكان على ميمنة عتاب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد، وعلى ميسرته نعيم بن عليم، وعلى الرجّالة حَنْظَلَةُ بن الحرث اليَرْبُوعِيّ وهو ابن عمه، وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة

ثم حرّض الناس طويلا وجلس في القلب ومعه زهرة بن مرثد،

وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، وابو بكر بن محمد بن ابي جَهْمٍ العَدوِيّ. واقبل شبيب حين اضاء القمر بين العِشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانفضّوا وثبت قُبَيْصَةُ بن والق وعبيد بن الجليس ونعيم بن عليم على رايتهم حتى قتلوا. ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على محمد بن سليم في الميمنة في تميم وهَمْدان. واشتدّ القتال وخالط شبيب القلب، وانفضوا وتركوا عتاباً وفرّ بن الاشعث في ناس كثيرين، وقتل عتاب بن ورقاء وركب زُهْرَةُ بن حُوَيَّةَ فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر الثعلبي من الخوارج، ووطأته الخيل فقتله الفضل بن عامر الشيبانيّ منهم، ووقف عليه شبيب. وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا اتتوجع لرجل كافر؟ فقال اعرف قديمه.

ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما في العسكر، واتاه اخوه من المدائن واقام يومين. ثم سار نحو الكوفة، ولحق سفيان بن الابرد وعسكر الشام بالحجاج، فاستغنى بهم عن اهل الكوفة واشتدّ بهم وخطب، فوبخ اهل الكوفة وعجزهم. وجاء شبيب فنزل حمام اعين، فسرّح الحجاجُ اليه الحرث بن معاوية الثقفيّ في نحو ألف من الشُرَطِ لم يشهدوا يوم عتاب، فبادر اليه شبيب فقتله، وانهزم اصحابه الى الكوفة واخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك، وجاء شبيب فنزل السَبْخَةَ ظاهر الكوفة، وبنى بها مسجداً وسرح الحجاج

مولاه ابا الورد في غلمان لقتاله، فحمل عليه شبيب وقتله يظنه الحجاج. ثم اخرج اليه مولاه طهمان كذلك فقتله، فركب الحجاج في اهل الشام وجعل سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على افواه السِكَكِ. وقعد على كُرسِيّهِ ونادى في اهل الشام وحرّضهم، فغضوا الابصار وجثوا على الركب وشرّعوا الرماح.

واقبل شبيب في ثلاثة كراديس معه ومع سويد بن سليم، ومع المُحَلّلِ بن وائل. وحمل سويد وبيّتوا وطاعنوه حتى انصرف. وقدّم الحجاج كرسيه وحمل المحلل ثانية فكذلك، وقدّم الحجاج كرسيه فثبتوا له والحقوه بأصحابه وسرب شبيب سويد بن سليم الى اهل السكك، وكان عليها عُروَةُ بن المُغيرَةَ بن شُعبَةَ، فلم يطق دفاعه. ثم حمل شبيب فطاعنوه وردّوه، وانتهى الحجاج الى مسجده وصعده وملك العَرَصَةَ، وقال له خالد بن عتاب ائذن لي في قتالهم فأني موتور فأذن له فجاءهم من ورائهم وقتل اخا شبيب وغزالة امرأته، وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهزموا. وتخلف شبيب ردأ لهم، فأمر الحجاج اصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس.

ثم سرّح حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذره بياته، فانتهى في اثره الى الأنبار، وقد افترق عن شبيب كثير من اصحابه للأمان الذي نادى الحجاج به، فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده ارباعاً وتواصوا

بالاستماتة، فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة . فما زالت قدم انسان عن موضعها الى آخر الليل . ثم نزل شبيب واصحابه واشتدّ القتال وكثر القتلى، وسقطت الايدي وفقئت الاعين. وقتل من اصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن اهل الشام نحو مائة . وادركهم الاعياء والفشل جميعاً. فانصرف شبيب بأصحابه وقطع دجلة ومرّ في ارض خوخي . ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الاهواز وفارس الى كرمان ليريح بها .

وقد قيل في هذه الحرب غير هذا، وهو ان الحجاج بعث اليه أمراء واحداً بعد واحد فقتلهم، وكان منهم أعين صاحب حمام أعين، وكانت غزالة امرأة شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وآل عمران . فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلًا وأوفت بنذرها ثم قاتلهم الناس وخرجوا . وقام الحجاج في الناس يستثيرهم، وبرز اليه قتيبة وعذله في بعث الرعاع ينهزمون ويموت قائدهم، والرأي أن تخرج بنفسك فتحالمه، فخرج من البلد الى السَّبْخَةِ وبها شبيب، واختفى مكانه عن القوم ونصب ابا الورد مولاه تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله . ثم حمل على خالد بن عتاب في الميسرة ثم على مطرف بن ناجية في الميمنة فكشفها .

ونزل عند ذلك الحجاج وأصحابه، وجلس على عباءة ومعه عَنْبَسَةُ بن سعيد . وبينما هم على ذلك اذ اختلف الخوارج وقال مصقلة بن مهلهل الضَّبّي لشبيب : ما تقول في صالح بن سرح؟

قال برئت منه فبري، مصقلة منه وفارقه، وشعر الحجاج باختلافهم فسرح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم في عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها الى الحجاج، فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله وجاء به فغسله ودفنه، وانصرف الخوارج وتبعهم خالد . وقتل مضاد أخو شبيب، ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى وسار شبيب الى كرمان، وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمدُّه، فبعث اليه سفيان بن الأبْرَدِ الكَلْبِي في العساكر، فانفق فيهم المال وسرّحه بعد انصراف الخوارج بشهرين، وكتب الى عامل البصرة، وهو الحَكَمُ بن أيوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة الى سفيان، فبعثهم مع زياد بن عمر العتكي فلحقه (١) انقضاء الحرب .

وكان شبيب بعد أن استَجَمَّ بكرمان أقبل راجعاً ، فلقي سفيان بالاهواز فعبر اليه جسر دُجَيل، وزحف في ثلاثة كراديس فقاتلهم أشدّ قتال وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة، وسفيان وأهل الشام مستميتون يزحفون زحفاً حتي اضطرّ الخوارج الى الجسر، فنزل شبيب في مائة من أصحابه وقاتل الى المساء، حتى اذا جاء الليل انصرف وجاء الى الجسر فقدم أصحابه وهو على اثرهم . فلما مرّ بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ٧ ص ٢٥٦ : فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب.

حرف السفينة فسقط في الماء وغرق وهو يقول: وكان أمرُ الله مفعولاً، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم. وجاء صاحب الجسر الى سفيان وهو يريد الانصراف بأصحابه، فقال ان رجلاً من الخوارج سقط، فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ومرّوا وتركوا عسكرهم، فكبّر سفيان وأصحابه وركب الى الجسر وبعث الى عسكرهم فحوى ما فيه، وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شبيباً من النهر ودفنوه.

خروج المطرف بن المغيرة بن شعبة

لما وَلِيَ الحَجَّاجُ الكوفة وقدمها وجد بني المغيرة صلحاء أشرافاً، فاستعمل عُرْوَةَ على الكوفة ومُطرِفاً على المدائن، وحمزة على همذان، فكانوا أحسن العُمَّال سيرةً وأشدّهم على المريب. ولما جاء شبيب الى المدائن نزل نهر شير، ومُطَرِّف بمدينة الابواب، فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب ان يرسل اليه من يعرض عليه الدعوة، فبعث اليه رجلاً من أصحابه فقالوا: نحن ندعوا الى كتاب الله وسنة رسوله وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتبسط بالجزية فقال مطرف دعوتم الى حق (١) جوراً ظاهراً وانا لكم متابع فبايعوني على قتال هؤلاء الظَّلَمَةِ باحداثهم، وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة وعلى الشورى

(١) هنا بياض في الأصل، وفي الطبري ج ٧ ص ٢٦٠: ما دعوتم إلا إلى حق ولا نقمتم إلا جوراً ظاهراً.

كما تركها عمر بن الخطاب حتى يولّي المسلمون من يرضونه، فان العرب اذا علمت أن المراد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم، فقالوا لا نجيبك الى هذا .

وأقاموا أربعة أيام يتناظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده، ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب، وأن رأيه خلع عبد الملك والحجاج فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه لن والله يخفى على الحجاج شيء مما وقع، ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن الى الجبال، ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه الى الخلع والدعاء الى الكتاب والسنة، وأن يكون الامر شورى فرجع عنه بعض الى الحجاج منهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف، وسار مطرّف ومرّ بحلوان وبها سويد بن عبد الرحمن السعدي مع الاكراد فاعترضوه، فأوقع مطرف بهم وأثخن في الاكراد ومال عن همذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمدّه بمال وسلاح فأمدّه سرًّا .

وسار الى قم وقاشان فبعث عماله في نواحيها وفزع اليه من كل جانب، فجاءه سويد بن سرحان الثقفيّ وبكير بن هارون النَخَعي من الري في نحو مائة رجل . وكان على الري عَدِيّ بن زياد الأياديّ، وعلى أصبهان البرّاء بن قُبَيْصَةَ فكتب الى الحجاج بالخبر، واستمدّه فأمدّه بالرجال وكتب الى عَدِيّ بالريّ أن يجتمع

مع البراء عـلى حرب مطرف، فاجتمعوا في ستة آلاف وعَدِي أميرهم . وكتب الحجاج الى قيس بن سعد البَجَلي وهو على شرطة حمزة بهمذان، بأن يقبض على حمزة ويتولى مكانه، فجاءه في جمع من عِجْل وربيعة واقرأه كتاب الحجاج فقال سمعاً وطاعةً وقبض قيس عليه وأودعه السجن . وسار عَدِيّ والبراء نحو مطرف فقاتلوه، وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه . وكان صاحب الراية، وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبدالله بن عفيف الازدي وكان ناسكاً صالحاً، وكان الذي تولى قتل مطرف عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزارِيّ . وبعث عَدِيٌّ أهل البلاء الى الحجّاج وأمّر بكير بن هارون وسويد بن سرحان، وكان الحجّاج يقول مطرف ليس بولد للمغيرة وانما هو ابن مصقلة الحر، لان أكثر الخوارج كانوا من ربيعة ولم يكن فيهم من قيس .

اخبار الازارقة

قد تقدّم لنا مقام المهلب في قتال الازارقة على سابور بعد مسير عتاب عنه الى الحجاج، وانه أقام في قتالهم سنة . وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضاقت حالهم فتأخروا الى كرمان، وتبعهم المهلب ونزل خَيْرَرَفْتَ مدينة كرمان، وقاتلهم حتى أزالهم عنها . وبعث الحجاج العمال على نواحيها وكتب اليه عبد الملك بتسويغ (١) للمهلب معونة له على الحرب، وبعث

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٦٤: فكتب إليه عبد الملك أمره أن يترك بيد المهلب فسا، ودارا بجرد، وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب.

الحجاج الى المهلب البراء بن قُبَيْصَةَ يستحثه لقتال الخوارج، فسار وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتدّ قتاله، وجاء البراء من الليل فتعجب لقتاله وانصرف الى الحجاج وأنهى غدر المهلب، وقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء. ثم وقع الاختلاف بينهم فقيل في سببه ان المقعطر الضَّبّي، وكان عاملاً لقَطَرِيّ على بعض نواحي كرمان قتل بعض الخوارج، فطلبوا القود منه فمنعه قَطَرِيٌّ وقال: تأوّل فأخطأ، وهو من ذوي السابقة، فاختلفوا وقيل بل كان رجل في عسكرهم يصنع النصول مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فكتب المهلب كتاباً مع رجل وامرأة أن يلتقيه في عسكرهم، وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت اليك ألف درهم. فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله، فأنكر عليه عبد ربه الكبير واختلفوا.

وقيل بعث المهلب نصرانياً وأمره بالسجُود لقطري، فقتله بعض الخوارج وولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قَطَرِيّاً فبقي في نحو الخمسين منهم، وأقاموا يقتتلون شهراً، ثم لحق قطريٌّ بطبرستان وأقام عبد ربه بكرمان، وقاتلهم المهلب وحاصرهم بجيرفت. ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحريمهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم. ثم دخل جيرفت وسار في اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ، فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيوا وكف عنهم. ثم استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يئس من نفسه. ثم نصره الله عليهم

وهزمهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير، ولم ينج منهم الا القليل .

وبعث المهلب المبشر الى الحجاج فأخبره وسأله عن بني المهلب فأثنى عليهم واحداً واحداً. قال فأيهم كان أنجد؟ قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المُهَلَّبِ يشكره ويأمره أن يُوَلِّيَ على كرمان من يراه وينزل حامية ويقدُم عليه، فولى عليها ابنه يزيد، وقدم على الحجاج فاحتفل لقدومه وأجلسه الى جانبه وقال: يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب. وسرَّحَ سُفْيَانَ ابن الأَبْرَدِ الكَلْبِيَّ في جيش عظيم نحو طَبَرَسْتَانَ لطلب قَطَرِيَّ وعُبَيْدَةَ بن هلال ومن معهم من الخوارج. والتقوا هنالك باسحاق ابن محمد بن الاشعث في أهل الكوفة، واجتمعا على طلبهم فلقوهم في شِعْب من شِعَابِ طبرستان وقاتلوهم فافترقوا عن قَطَرِيّ ووقع عن دابته فتَدَهْدَهَ الى أسفل الشعب، ومرّ به علج فاستقاه على أن يعطيه سلاحه. فعمد الى أعلى الشعب وحدّر عليه حَجَراً من فوق الشِعْب فأصابه في رأسه فأوهنه، ونادى بالناس فجاء في أوّلهم نفر من أهل الكوفة فقتلوه (١) منهم سَوْرَةُ بن أبجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والسَّياح بن محمد بن الاشعث، وحمل رأسه أبو الجهم الى اسحق بن محمد، فبعث به الى الحجاج،

---

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٦٨: فجاء إليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه، منهم سورة الخ.

وبعثه الحجاج الى عبد الملك .

وركب سُفيانُ فأحاط بالخوارج وحاصرهم حتى أكلوا دوابهم، ثم خرجوا اليه واستماتوا فقتلهم أجمعين، وبعث برؤوسهم الى الحجّاج ودخل دنباوند وطبرستان، فكان هناك حتى عزله الحجّاج قبل دير الجَماجِم قال بعض العلماء : وانقرضت الازارقة بعد قطري وعُبَيْدَةَ آخر رؤسائهم وأوّل رؤسائهم نافع بن الازرق، واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة الى أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة .

خروج سودب

خرج سَوْدَب [١] هذا أيام عُمَرَ بن عبد العزيز على رأس المائة، واسمه بَسْطَام وهو من بني يَشْكُر . فخرج في مائتي رجل وسار في خوخى، وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب . فكتب اليه عِمرانُ ان لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه اليهم الجند مع صليب حازم، فبعث عبد الحميد ابن جرير بن عبدالله البَجَليّ في ألفين فأقام بازائه لا يحرّكه . وكتب عمر الى سودب : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله وكنت أولى بذلك مني، فهلمّ إليّ أناظرك فان كان الحق معنا دخلت مع الناس، وان كان الحق معك نظرنا في أمرك . فبعث اليه عاصماً الحَبَشيّ مولى بني شيبان ورجلاً من بني يشكر فقدما عليه بخاصر

(١) دعي في الكامل لابن الأثير: شوذب، ج ٤ ص ١٥٥.

فسألها : ما أخرجكم وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم ما نقمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر مشورة من الناس أم غُلِبْتَ عليه ؟ قال عمر ما سألته وما غلبت عليه . وعهد اليّ رجل قبلي فقمت ولم ينكر أحد، ومذهبكم الرضا لكل من عدل، وان أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم .

قالا فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فتبرّأ منهم والعنهم . فقال عمر : أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها، وان الله لم يشرع اللعن . وقد قال ابراهيم : ومن عَصاني فانّك غَفورٌ رحيمٌ . وقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقْتَدِه . وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذماً، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون، أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق، فكيف ألعن أنا أهل بيتي وهم مُصَلّون صائمون ولم يكفروا بظلمهم ! لانّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الايمان والشريعة، فمن عمل بها قبل منه، ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحدّ .

فقالا : فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الى التوحيد والاقرار بما نزل عليه . فقال عمر ليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم . قال عاصم : فابرأ منهم وردّ أحكامهم قال عمر : أتعلمان أن ابا بكر سبى اهل الردّة وانّ عمر ردّها بالفِدْيَة ولم يبرأ من ابي بكر، وأنتم لا تبرؤن من واحد منهما . قال : فأهل

النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتتلوا ولا استعرضوا، وخرج أهل البصرة فقتلوا عبدالله بن خَبّاب وجارية حاملًا ولم يتبرّأ من لم يُقتَل ممن قُتِل واستعرض، ولا أنتم تتبرّؤون من واحد منهما، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم؟ ولا يسعني أنا البراءة من أهل بيتي والدين واحد. فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردّوا المقبول، وقد أمّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الاسلام وعصم ماله ودمه، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الاديان وتحرّمون دماءهم وأموالهم.

فقال اليَشْكُرِيّ: من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ثم صيّرها بعده الى رجل غير مأمون، أتراه أدّى الحق الذي لزمه؟ فكيف تسلّم هذا الامر بعدك الى يزيد مع علمك انه لا يعدل فيه. فقال انما ولاه غيري والمسلمون أولى بذلك بعدي. قال فهو حق ممن فعله وولاه، قال أنظراني ثلاثاً. ثم جاءه عاصم فرجع عن رأي الخوارج، وقال له اليشكري اعرض عليهم ما قلت واسمع حجّتهم. وأقام عاصم عند عمر، وأمر له بالعطاء، وتوفي عمر لايام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل.

ولما مات عمر كتب عبد الحميد الى محمد بن جرير بمناجزة سودب قبل ان يصل اليهم خبر عمر، فقالت الخوارج ما خالف هؤلاء ميعادهم الا وقد مات الرجل الصالح. واقتتلوا فانهزم محمد ابن جرير واتبعه الخوارج الى الكوفة، ورجعوا وقدم على سودب

صاحباه وأخبراه بموت عمر، وسرّح يزيد تميم بن الحباب في ألفين فهزمه اصحابه، ثم بعث اليهم الشُجَاعَ بن وادع في ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن قتل منهم هدبة ابن عم سودب، وبقي الخوارج بمكانهم . وجاء مُسْلَمَةُ الى الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو الحُرَيْشِيّ في عسكرٍ آلاف، فاستماتت الخوارج و كشفوا العساكر مراراً ثم حملوا عليهم فطحنوهم طحناً .

وقتل سودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد، وضعف أمر الخوارج الى ظهور[1] أيام هشام سنة عشرين ومائة بُهْلولُ بن بِشْر ابن شيبان وبلغت كنارة[2] . وكان لما عزم على الخوارج حج ولقي بمكة من كان على رأيه، فأبعدوا الى قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمّروا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم بأنهم قدموا من عند هشام . ومرّوا بقرية كان بهلول ابتاع منها خلّا فوجده خمراً وأبى البائع من ردّه، واستعدى عليه عامل القرية فقال : الخمر خير منك ومن قومك، فقتلوه وأظهروا أمرهم، وقصدوا خالداً القِسرِيّ بواسط، وتعللوا عليه بأنه يهدم المساجد ويبني الكنائس ويولي المجرّد على المسلمين .

وجاء الخبر الى خالد فتوجّه من واسط الى الحيرة وكان بها جند من بني العين نحو ستمائة بعثوا مدداً لعامل الهند، فبعثهم

(١) كذا بالأصل والأصح: إلى أن ظهر أيام هشام.

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٣١ : بهلول بن بشر الملقب «كثاره» وهو من الموصل من شيبان.

خالد مع مقدّمهم لقتال بهلول وأصحابه، وضم اليهم مائتين من الشُرَطِ والتقوا على الفرات، فقتل مقدمهم وانهزموا الى الكوفة. وبعث خالد عابداً الشيباني من بني حوشب بن يزيد بن رُوَيم فلقيه بين الموصل والكوفة، فهزمهم الى الكوفة وارتحل يريد الموصل، ثم بدا له وسار يريد هشاماً بالشام، وبعث خالد جنداً من العراق وعامل الجزيرة جنداً وبعث هشام جنداً فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكحيل وهم في عشرين ألفاً وبهلول في سبعين، فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول. وسأله أصحابه العهد فعَهِدَ الى دعامة الشيباني ثم الى عُمَرَ اليشكري من بعده. ومات بهلول من ليلته وهرب دعامة وتركهم، ثم خرج عمر اليشكري فلم يلبث ان قتل.

ثم خرج على خالد بعد ذلك بسنتين النَفَريُّ صاحب الأشهب، وبهذا كان يعرف، فبعث اليه السِمْطَ بن مُسْلِم البَجَلي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج، ولقيهم عبيد اهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.

ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى، فوجّه اليه خالد جنداً فقتلوا أصحابه وأثخن بالجراح، وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل. وكان يسامره بالليل وسعى بخالد الى هشام، وأنه أخذ حرورياً يستحق القتل فجعله سميراً، فكتب اليه هشام بقتله فقتله.

ثم خرج بعد ذلك الصحارى بن شبيب بالفَرِيقيّة فضى وندم

خالد فطلبه فلم يرجع، وأتي جبل وبها نفر من اللات بن ثعلبة فأخبرهم وقال انما أردت التوصل اليه لاقتله بفلانٍ من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبرا . ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه اليهم خالد جنداً فلقوهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحارى وأصحابه أجمعون .

ورُدّ أمر الخوارج بعد ذلك مرّة فلما وقعت الفتن ايام هشام بالعراق والشام وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفرتوثا سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأي الحرورية ، وخرج بَسْطامُ البَهَسِيُّ في مثل عدّتهم من ربيعة وكان مخالفاً لرأيه، فبعث اليه سعيد بن بهدل قائده الخَيْبَرِيّ في مائة وخمسين فبيّتهم وقتل بسطاماً ومن معه، ولم ينج منهم الا أربعة عشر رجلاً . ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فمات هنالك، واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه السراة وأتى أرض الموصل وشهرزور . واجتمع اليه من الصُفْرِيّةِ أربعة آلاف أو يزيدون .

وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحَرَيشِيّ وعزل به عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، فامتنع عبدالله بالحيرة وسار اليه النضر وتحاربا أشهراً . وكانت الصفرية مع النضر عصبة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قَيْسِيّة وكانت اليَمَنِيّةُ مع ابن عمر عصبيّةً لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري، فلما علم الضحاك

والخوارج باختلافهم أقبل الى العراق سنة سبع وعشرين وزحف اليهم فتراسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة، وكل واحد منهما يصلي بأصحابه وابن عمر أمير على الناس . وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك، فسلك الناس الى واسط منهم النَضْرُ بن سعيد الحُرَيْشِيّ ومنصور بن جمهور واسماعيل اخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه .

فلحق ابن عمر بواسط ، واستولى الضحاك على الكوفة ، وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر . ثم زحف اليهما الضحاك فاتفقا وقاتلا حتى ضرستهما الحرب، ولحق منصور بن جمهور بالضحاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه، وخرج اليهم وصلى خلف الضحاك وبايعه .

وكان معه سليمان بن هشام وصل اليه هارباً من حمص لما انتقض بها وعليه . . . عليها مروان فلحق بابن عمر وبايع معه الضحاك وصار معه وحرّضها على مروان . . . انما لحق بالضحّاك وهو يحاصر نُصَيْرًا وتزوّج أخت شيبان الحروري . فرجع الضحاك الى الكوفة وسار منها الى الموصل بعد عشرين شهراً من حصار واسط، بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطرن أم أكه مـن بني شيبان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ الخبر الى مروان وهو يحاصر حمص فكتب الى ابنه عبدالله

أن يسير الى ... يمانع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس والضحاك في مائة ألف وحاصره بنصيبين . ثم سار مروان بن محمد اليه فالتقيا عند كفريوثا من نواحي ماردين فقاتله عامّة يومه الى الليل وترجل الضحاك في نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعثر على الضحاك في القتلى فبعث مروان برأسه الى (١) الجزيرة وأصبح الخوارج فبايعوا الخيبري قائد

(١) هنا أربع بياضات بالأصل كما ترى، وأن الكلام الذي بين البياضات مشحون بالأغلاط لذلك نقلنا ما ورد في تاريخ الطبري ج ٩ ص ٧٧: فذكر هشام عن أبي مخنف أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مروان بكفرتوثا من أرض الجزيرة فقتل الضحاك يوم التقوا. وأبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال: فيما حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحاك، لما قتل عطية التغلبي صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بقنطرة السليحين، وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط وجّه مكانه من أصحابه رجلاً يقال له مطاعن، واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك على أن يدخل في طاعته. فدخل وصلى خلفه وانصرف إلى الكوفة. وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط. ودخل الضحاك الكوفة، وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها، فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهراً حتى انتهى إليها، وعليها يومئذ عامل لمروان وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة، يقال له القطران بن أكمه. ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك، وقاتلهم القطران في عدّة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا. واستولى الضحاك على الموصل وكورها، وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها. فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نصيبين يشغل الضحاك عن توسط الجزيرة فشخص عبد الله إلى نصيبين في جماعة روابطه وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية، وخلف نجران قائداً في ألف أو نحو ذلك. وسار الضحاك من الموصل إلى عبد=

الضحاك، وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا الى خيامه فقطعوا أطنابهم وجلس الخبيري على فرشه والجانبان ثابتان، وعلى الميمنة عبدالله بن مروان وعلى الميسرة اسحق بن مسلم العقيلي فلما انكشفت قلة الخوارج أحاطوا بهم في مُخَيَّم مروان فقتلوهم جميعاً والخبيري معهم ورجع مروان من نحو ستة أميال. واستبيح الخوارج.

=الله بنصيبين فقاتله فلم يكن له قوّة لكثرة من مع الضحاك، فهو فيما بلغنا عشرون ومائة ألف.

وأقام الضحاك على نصيبين محاصراً لها ووجّه قائدين من قواده حتى وردا الرقة فقاتلهم من بها من خيل مروان وهم نحو من خمسمائة فارس. ووجه مروان حين بلغه نزولهم خيله فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً وثلاثين رجلاً، فقطعهم مروان حين قدم الرقة ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغز من أرض كفرتوثا فقاتله يومه ذلك. فلما كان عند المساء ترجّل الضحاك وترجّل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف، وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه وأحدقت بهم خيول مروان، فألحوا عليهم حتى قتلوهم عند العتمة. وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك إلى عسكرهم، ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قتل فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل. وجاءهم بعض من عاينه حين ترجّل فأخبرهم بخبره ومقتله فبكوه وناحوا عليه. وخرج عبد الملك بن بشر التغلبيّ القائد الذي كان وجّهه في عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان، ودخل عليه فاعلمه أن الضحاك قتل. فأرسل معه رسلاً من حرسه معهم النيران والشمع إلى موضع المعركة، فقلبا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة، فكبّر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحاك أنهم قد علموا بذلك وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة فطيف به فيها. وقيل: أن الخيبريّ والضحّاك إنما قتلا سنة ١٢٩.

وانصرف الخوارج وبايعوا شيبان الحروري وهو شَيْبانُ بن عبد العزيز اليَشْكُرِيّ ويكّنى أبا الدلفاء . وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أياماً، وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا الى الموصل باشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقيّ دجلة وعقدوا الجسور، واتبعهم مروان فقاتلهم لتسعة أشهر، وقتل من الطائفتين خلق كثير . وأُسِر ابن أخٍ لسليمان بن هشام اسمه أُمَيّةُ بن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه . وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ وهو بقرقيسية يأمره بالسير الى العراق وولاه عليها، وعلى الكوفة يومئذ الْمُثَنّى بن عِمْرَان العائذي من قريش خليفة للخوارج، فلقي ابن هبيرة بعين التمر، فاقتتلوا وانهزمت الخوارج . ثم تجمّعوا له بالنُخَيْلَةِ ظاهر الكوفة فهزمهم، ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان اليهم عُبَيْدَةَ بن سِوار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة، وقتل عبيدة واستباح عسكرهم واستولى على العراق .

وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فمضى الى الماهين وغلب عليها وعلى الجبل جميعاً، وسار ابن هبيرة الى واسط فحبس ابن عمر، وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الاهواز، فبعث ابن هبيرة اليه نُباتَةَ بن حَنْظَلَةَ وبعث هو داود بن حاتم والتقيا على دجلة فانهزم داود وقتل . وكتب مروان الى ابن هبيرة أن يبعث اليه عامر بن ضَبَابَةَ الْمُزنِيّ فبعثه في ثمانية آلاف وبعث شيبان

لاعتراضه الجَوْنَ بن كِلاب الخارجي في جمع فانهزم عامر وتحصّن بالسند، وجعل مروان يمدّه بالجنود، وكان منصور بن جمهور بالجبل يمدّ شيبان بالاموال . ثم كثرت جموع عامر فخرج الى الجون والخوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصداً الخوارج بالموصل، فارتحل شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان، فرّ على الجبل وخرج على بيضاء فارس، وبها يومئذ عامر ابن عبدالله بن حَطْوَبَةَ بن جعفر في جموع كثيرة .

فسار ابن معاوية الى كَرْمان وقاتله عامر فهزمه ولحق بهراة، وسار عامر بمن معه فلقي شيبان والخوارج بجيرفت فهزمهم واستباح عسكرهم، ومضى شيبان الى سِجِسْتان فهلك بها سنة ثلاثين ومائة. وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل شهراً . ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعامر بن صراة في اتباعه، ثم سار شيبان الى جزيرة ابن كاوان وأقام بها .

ولما وَلِيَ السفّاح بعث حارثة بن خُزَيْمة لحرب الخوارج هنالك لموجَدَةٍ وجدها عليه، فأشير عليه ببعثه لذلك . فسار في عسكر الى البصرة وركب السفن الى جزيرة ابن كاوان، وبعث فُضَالَةَ ابن نعيم النَهْشَلِيّ في خمسائة، فانهزم شيبان الى عمان وقاتل هناك، وقتله جَلَنْدي بن مسعود بن جعفر بن جلندي ومن معه سنة أربع وثلاثين . وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه الى الهند بعد مسير شيبان الى جزيرة ابن كاوان، حتى اذا بويع السفاح

قدم عليه وأنشده سديف البيتين المعروفين وهما :

لَا يَغُرَّنْكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ إِنَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيًّا
فَضَعِ السَّيْفَ وَارْفَعِ الصَّوْتَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيًّا

فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان الى الموصل الى منزله بحرّان، فلم يزل بها حتى سار الى الزاب . ومضى شيبان بعد سَلَمَةَ الى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر ابن سَيَّار والكرماني والحرث بن شُرَيح، وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسيّة فكان له من الحوادث معهم ما ذكرناه، واجتمع مع عليّ بن الكرماني على قتال نصر بن سيّار. فلما صالح الكرماني أبا مسلم كما مرّ وفارق شيبان تنحّى شيبان عن مرو لعلمه أنه لا يقاومه، ثم هرب نصر بن سيار الى سرخس، واستقام أمر أبي مسلم بخراسان فأرسل الى شيبان يدعوه الى البيعة ويأذنه بالحرب، واستجاش بالكرماني فأبى . فسار الى سرخس واجتمع اليه الكثير من بكر بن وائل، وأرسل اليه أبو مسلم في الموادعة فحبس الرسل فكتب أبو مسلم الى بَسّام بن ابراهيم مولى بني ليث بالمسير الى شيبان فسار اليه فهزمه وقتل في عدّة من بكر بن وائل، ويقال ان خزيمة بن حازم حضر مع بسام في ذلك .

خبر أبي حمزة وطالب بالحق

كان اسم ابي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البَصْري وكان من الخوارج الاباضية، وكان يوافي مكة كل موسم

يدعو الى خلاف مروان، وجاء عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له انطلق معي فاني مطاع في قومي . فانطلق معه الى حضرموت وبايعه على الخلافة . وبعثه عبدالله سنة تسع وعشرين مع بَلْخ بن عُقْبَة الأزديّ في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف، وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فطلبهم في الموادعة حتى ينقضي الموسم .

وأقام للناس حَجَّهم ونزل بمنى، وبعث الى أبي حمزة عبيدالله ابن حسن بن الحسن، ومحمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وعبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم . فكشَّرَ في وجه العَلَوِيّ والعُثْمَانِيّ وانبسط الى البكريّ والعمريّ وقال لهما ما خرجنا الا بسيرة أبويكما، فقال له عبيد الله بن حسن ما جئنا للتفضيل بين آبائنا، وانما جئنا برسالة من الامير وربيعة يخبرك بها .

ثم أحكموا معه الموادعة الى مدتها ونفر عبد الواحد في النفر الاول فمضى الى المدينة وضرب على اهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة وبعث عليهم عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن عثمان، فانتهوا الى قديد . وجاءتهم رسل أبي حمزة يسألونهم التجافي عن حربهم، وان يُخَلُّوا بينهم وبين عدوّهم . فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب، فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من

الغياض فأثخنوا فيهم، وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قريش . وبلغ الخبر الى عبد الواحد فلحق بالشام . ودخل أبو حمزة المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته ووعظ، وذكر وردّ مقالات من عابهم وسفه رأيهم وأحسن السيرة في أهل المدينة واستمالهم حتى سمعوه يقول : من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر، وأقام ثلاثة أشهر ثم ودّعهم وسار نحو الشام .

وكان مروان قد سرّح اليهم عبد الملك بن محمد بن عطية بن هوازن في أربعة آلاف ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن، فلقي ابا حمزة في وادي القرى، فانهزمت الخوارج وقتل ابو حمزة ولحق فلّهم بالمدينة . وسار عطية في أثرهم الى المدينة فأقام بها شهراً . ثم سار الى اليمن، واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة، وعلى مكة رجلاً من اهل الشام. وبلغ عبدالله طالب الحق مسيره اليه وهو بصنعاء فخرج للقائه واقتتلوا وقتل طالب الحق، وسار ابن عطيّة الى صنعاء وملكها وجاء كتاب مروان باقامة الحج بالناس فسار في اثني عشر رجلاً ومعه اربعون ألف دينار وخلف ثقله بصنعاء، ونزل الجرف فاعترضه ابن حماية المرادي في جمع وقال له ولاصحابه : أنتم لصوص فاستظهروا بعهد مروان فكذبوه، وقاتلهم فقتلوه . وركد ريح الخوارج من يومئذ الى ان ظهرت الدولة العباسيّة وبويع المنصور بعد السفاح .

فخرج سنة سبع وثلاثين بالجزيرة مُلَبّدُ بن حَرْمَلَة الشيبانيّ فسارت اليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمهم وقاد منهم . ثم

سار اليه يزيد بن حاتم المهلبي ومُهلّل بن صفوان مولى المنصور، ثم نزار من قواد خراسان، ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحداً بعد واحد، وقتل منهم . ثم سار اليه حميد ابن قحطبة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصن حميد منه، فبعث المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن اخا عبد الجبار في الجيوش ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبّد وقاتلهم ثم خرج الكمين فانهزم عبد العزيز وقتل عامّة أصحابه، فبعث المنصور حازمُ بن خزيمة في ثمانية آلاف من اهل خراسان فسار الى الموصل وعبر اليه الملبد دجلة فقاتله فانهزم اهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازم، وترجل حازم وأصحابه، وترّجل ملبد كذلك .

وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالنّبل واشتد القتال وتراحفت الميمنة والميسرة ورشقوهم فقتل ملبد في ثمانمائة ممن ترجل معه وثلثمائة قبل ان يترجل وتبعهم فُضالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين . ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحي الموصل حسّان بن مُخالد بن مالك بن الأجدَع الهَمداني أخو مسروق . وكان على الموصل الصُقْرُ بن نجدةَ وليَها بعد حرب ابن عبدالله فسار اليهم فهزموه الى الدجلة . وسارَ حسّان الى العمال ثم الى البحر ، وركب الى السند وقاتل، وكاتب الخوارج بعُمَان يدعوهم ويستأذنهم في اللحاق بهم فأبوا، وعاد الى الموصل فخرج اليه الصقر بن الحسن بن صالح بن جنادة الهمداني وهلال،

فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن، فاتهمه بعض اصحابه بالعَصَبِيَّةِ وفارقوه. وقد كان حسان أمّه من الخوارج وخاله حفص بن أشتم من فقهائهم. ولما بلغ المنصور خروجه قال خارجيٌّ من همذان فقيل له انه ابن اخت حفص بن أشتم قال من هناك وانما أنكر المنصور ذلك لان عامّة همذان شيعة.

وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل، فانهم عاهدوه على أنهم ان خرجوا فقد فلت ديارهم وأموالهم، وأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى بن شبْرَمَة واستفتاهم فتلطّفوا له في العفو، فأشار الى أبي حنيفة فقال: اباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت امرأة فزوّجها بغير عقد شرعي، فكف عن أهل الموصل.

ثم خرج أيام المهديّ بخراسان يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرّةِ واجتمع بشَرْكس، فبعث اليه المهدي يزيد بن مَزْيَد الشيباني ابن اخي معن فاقتتلوا قتالاً شديداً وأسره يزيد وبُعِثَ به الى المهدي موثقاً، وحمل من النهروانِ على بعير وحوّل وجهه الى ذنبه كذلك، فدخلوا الى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا.

وكان حَروباً متعوّداً فغلب علىَ بوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان، وكان على بوشنج مُصعب بن زُرَيق جدّ طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفارياني وقبض معه.

ثم خرج معه أيام المهدي بالجزيرة حمزة بن مالك الخُزاعي سنة تسع وستين وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوي أمره، ثم

اغتاله بعض أصحابه فقتله .

ثم خرج آخر أيام المهديّ بأرض الموصل خارجيّ من بني تميم اسمه ياسين يميل الى مقالة صالح بن مُسَرِّح، فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة، فبعث اليها المهدي القائد أبا هريرة محمد بن فروخ وهريمة بن أعْيُن مولى بني ضُبّة فحارباه حتى قتل في عدّة من أصحابه وانهزم الباقون . ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بني تَغْلِب وقتل ابراهيم بن خالد بن خُزَيْمَة بنصيبين، ثم دخل أرمينية وحاصر خلاط عشرين يوماً وافتدوا بثلاثين ألفاً، ثم سار إلى أذْرَبِيجان ثم الى حُلوان وأرض السواد، وعبر الى غرب دجلة وعاث في أرض الجزيرة فبعث اليه الرشيد يزيد بن مَزْيَد بن زائدة الشيبانيّ وهو ابن أخي معن في العساكر فكث يقاتله، وكانت البرامِكَةُ منحرفةً عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برجم وائل . فكتب اليه الرشيد يتهدده فناجزه يزيد الحرب في رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالًا شديدًا، فقتل الوليد وجيء برأسه . ثم أصبحت أخته مستلئمة للحرب فخرج اليها يزيد وضربها على رأسها بالرمح وقال لها اعدي فقد فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت وهي تقول في رثائه الابيات المشهورة التي منها :

أيا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مورِقاً كَأنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابن طَرِيفِ

فَتًى لَا يُحِبُّ الزاد إلّا من التقى   ولا المالَ إلّا من قَناً وسُيوفِ

وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام، فلم يخرج بعد ذلك الا شُذاذ متفرّقون يستلحمهم الولاة بالنواحي، إلّا ما كان من خوارج البربر بافريقية فان دعوة الخارجيّة فشت فيهم من لدن مسيرة الظُفْريّ سنة ثلاث وعشرين ومائة . ثم فشت دعوة الاباضِيّةِ والصُفْريّةِ منهم في هَوارَةَ ولِمايَة ونَفْزَةَ ومَغيلَة وفي مَغراوَة وبني يَفرن من زَناتَةَ حسبما يذكر في أخبار البربر، لبني رستم من الخوارج بالمغرب دولة في تاهَرْت من الغرب الاوسط نذكرها في أخبار البربر أيضاً . ثم سار بافريقية منهم على دولة العُبَيْدِيّين خلفاء القَيْروانِ أبو يزيد بن مخلدٍ المَغْرَبِيّ وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها في موضعها .

ثم لم يزل أمرهم في تناقص الى أن اضمحلّت ديانتهم وافترقت جماعتهم، وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أوّل الأمر . ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باقٍ لهذا العهد في قصور ربع وواديه، وفي مَغْرَاوَةَ من شعوب زناتة يسمون الراهِبِيّةُ نسبةً الى عبدالله بن وَهْبٍ الراهبي، أول من بويع منهم أيام عليّ بن أبي طالب . وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السُنّةِ والجماعة . وكذلك في جبال طرابلس، وزناتة أثر باق من تلك النِحْلَةِ يدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل ذلك . وتطير الينا هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدات

من كلامهم في فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه مباينةً لمناحي السُّنَّةِ وطرقها بالكلية، إلّا أنها ضاربة بسهم في اجادة التأليف والترتيب، وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة .

وكان بنواحي البَحْرَيْنِ وعُمان الى بلاد حَضْرَمَوْتَ وشرقي اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة، الى أن خرج عليّ بن مهديّ من خَوْلان باليمن ودعا الى هذه النِحْلَةِ . وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن، واستلحم بني الصُلَيْحيّ القائمين بدعوة العُبَيْدِيّين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن، واستولوا أيضاً على زبيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح ومولى ابن زياد كما نذكر ذلك كله في أخبارهم ان شاء الله سبحانه وتعالى، فلتصفّح في أماكنها . ويقال : إنّ باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت والله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء .

الدولة الإسلامية بعد افتراق الخلافة

لم يزل أمر الاسلام جميعاً دولةً واحدةً أيام الخلفاء الاربعة وبني أُمَيَّةَ من بعدهم لاجتماع عَصَبِيَّةِ العرب . ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة وهم الدعاة لاهل البيت، فغلب دعاة بني العبّاس على الامر واستقلوا بخلافة المُلْكِ، ولحق الفَلُّ من بني أُمية بالاندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العبّاس، وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين

لافتراق عصبية العرب. ثم ظهر دعاة اهل البيت بالمغرب والعراق من العلَوية ونازعوا خلفاء بني العباس واستولوا على القاصيَة من النواحي كالادارسة بالمغرب الاقصى والعُبَيْدِيّين بالقَيرَوَان ومِصر والقرامِطَة بالبحرين والدواعي بطبرستان والدّيْلَم والأُطروش فيها من بعده. وانقسمت دولة الاسلام بذلك دُوَّلا متفرّقة نذكرها واحدة بعد واحدة. ونبدأ منها أوّلا بذكر الشيعة ومبادي دولهم وكيف انساقت الى العباسِيّة، ومن بعدهم الى آخر دولهم. ثم نرجع الى دولة بني أُمَيّة بالاندلس. ثم نرجع الى دولة الدعاة للدولة العباسية في النواحي من العرب والعجم كما ذكرناه في برنامج الكتاب والله الموفق الصواب.

مبدأ دولة الشيعة

اعلم ان مبدأ هذه الدولة ان اهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون انهم أحقّ بالامر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش. وفي الصحيح أن العبّاس قال لعليّ في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك، وان كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال له عليّ ان مَنَعَنَاهَا لا يُعطيناها الناس بعده. وفي الصحيح أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا

بعده ابداً، فاختلفوا عنده في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب. وكان ابن عباس يقول: ان الرزيّة كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم، حتى لقد ذهب كثير من الشيعة الى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أوصى في مرضه ذلك لعليّ، ولم يصحّ ذلك من وجه يعوّل عليه. وقد انكرت هذه الوصية عائشة وكفى بإنكارها. وبقي ذلك معروفاً من اهل البيت وأشياعهم.

وفيما نقله أهل الآثار، ان عمر قال يوماً لابن العبّاس: إنّ قومكم يعني قريشاً ما ارادوا ان يجمعوا لكم، يعني بني هاشم، بين النبوّة والخلافة فتحموا عليهم، وأنّ ابن عباس نكر ذلك، وطلب من عمر اذنه في الكلام فتكلم بما عصب له. وظهر من محاورتهما انهم كانوا يعلمون ان في نفوس اهل البيت شيئاً من أمر الخلافة والعدول عنهم بها. وفي قصة الشورى: ان جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به الى سواه تأفقوا من ذلك وأسفوا له: مثل الزبير ومعه عمّار ابن ياسر والمقداد بن الأسوَدِ وغيرهم. إلا ان القوم لرسوخ قدمهم في الدين، وحرصهم على الالفة، لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف.

ثم لما فشا التنكير على عثمان، والطعنُ في الآفاق، كان عبدالله ابن سبا ويعرف بابن السوداء، من اشد الناس خوضاً في التشنيع

لعليّ بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول اليه عن عليّ، وانه ولي بغير حق، فأخرجه عبدالله بن عامر من البصرة، ولحق بمصر . فاجتمع اليه جماعة من امثاله جنحوا الى الغُلوّ في ذلك، وانتحال المذاهب الفاسدة فيه : مثل خالد بن مُلجِمَ وسوذان ابن حمدان وكِنَانة بن بِشْر وغيرهم .

ثم كانت بيعة عليٍ وفتنة الجمل وصفين، وانحراف الخوارج عنه بما انكروا عليه من التحكيم في الدين . وتمحضت شيعته للاستماتة معه في حرب معاوية مع عليّ، وبويع ابنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية، فسخط ذلك شيعة عليٍ منه، واقاموا يتناجون في السرّ باستحقاق اهل البيت والميل اليهم، وسخطوا من الحسن ما كان منه، وكتبوا الى الحسين بالدعاء له فامتنع، وأوعدهم الى هلاك معاوية . فساروا الى محمد بن الحنفية وبايعوه في السرّ على طلب الخلافة متى امكنه، وولّى على كل بلدٍ رجلاً، واقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسته من غربهم، ويقتلع الداء اذا تعيّنَ له منهم، كما فعل بِحجْرِ بن عَدِيّ واصحابه، ويروض من شماس اهل البيت ويسامحهم في دعوى تقدمهم واستحقاقهم . ولا يهيج احداً منهم بالتثريب عليه في ذلك .

الى أن مات ووَلِيَ يزيد، وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف، فكانت من أشنع الوقائع في الاسلام . عظمت بها الشحناء، وتوغل الشيعة في شأنهم، وعظم النكير والطعن على

من تولى ذلك أو قعد عنه. ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين، وانهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا ورأوا أن لا كفارة في ذلك إلّا الاستماتة دون ثاره، وسمّوا أنفسهم التوّابين. وخرجوا لذلك يقدمهم سُلَيْمَانُ بن صُرَد الخُزاعِي، ومعه جماعة من خيار أصحاب عليّ. وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام، وجمع وزوينج[1] قاصد العراق، فزحفوا اليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا في خبره، وذلك سنة خمس وستين. ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدّمناه في خبره، وفشا التعصب لاهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحقّ، واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالامر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سراً ورسخ الملك لبني أمية.

وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها، مع تعدّد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الامامة من الكتاب الاول. ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء امام المعتزلة في وقته، وكان واصل متردّداً في اصابة عليّ في حرب صفين والجمل فنقل ذلك عنه. وكان أخوه محمد الباقر يعذله في الاخذ عمن يرى سخطيّة

(١) كذا في الأصل وهي عبارة مبهمة وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٣٥: «وكان مروان قد سير ابن زياد إلى الجزيرة ثم إذا فرغ منها سار إلى العراق» وفي ص ٣٤١: «وكان قد بلغهم أفعال عبيد الله بن زياد من الشام في جنود كثيرة».

جدّه، وكان زيد أيضاً مع قوّله بافضلية عليّ على أصحابه يرى ان بيعة الشيخين صحيحة، وأن اقامة المفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة، ويرى انهما لم يظلما علياً.

ثم دعته الحال الى الخروج بالكوفة سنة احدى وعشرين ومائة، واجتمع له عامّة الشيعة، ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يثني على الشيخين، وأنهما لم يظلما علياً. وقالوا لم يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسموا الرافضة من أجل ذلك. ثم قاتل يوسف بن عمر فقتله يوسف وبعث برأسه الى هشام، وصلب شلوه بالكناسة، ولحق ابنه يحيي بخراسان فأقام بها. ثم دعته شيعته الى الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين، وسرح اليه نصر بن سيار العساكر مع سالم بن أحور المازني فقتلوه، وبعث برأسه الى الوليد وصلب شلوه بالجوزجان، وانقرض شأن الزيدية. وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم والدعاء لهم في النواحي يدعون على الاحجال[1] للرضا من آل محمد، ولا يصرحون بمن يدعون له حذراً عليه من أهل الدولة. وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت، وكانوا يرون أن الامر بعد محمد بن الحَنَفِيَّةِ لابنه أبي هشام عبدالله. وكان كثيرًا ما يفدو على سليمان بن عبد الملك، فمرّ في بعض أسفاره محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بمنزله بالحيمة

(١) الأحجال: جمع حجل. وهو القيد أو البياض أي يحملون الراية البيضاء بدل الراية العباسية السوداء.

من أعمال البلقاء، فنزل عليه وأدركه المرض عنده، فمات وأوصى له بالامر. وقد كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أن الامر صائر الى ولده محمد بن عليّ هذا، فلما مات قصدت الشيعة محمد بن عليّ وبايعوه سرّاً، وبعث الدعاة منهم الى الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز، واجابه عامّة أهل خراسان. وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك. وتوفي محمد سنة أربع وعشرين، وعهد لابنه ابراهيم وأوصى الدعاة بذلك، وكانوا يسمونه الامام. ثم بعث أبو مسلم الى أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره، فهلك وكتب اليهم بولايته. ثم قبض مروان بن محمد على ابراهيم الامام وحبسه بحراسان، فهلك هنالك لسنة. وملك أبو مسلم خراسان وزحف الى العراق، فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل، وغلبوا بني أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم.

دولة بني العباس

الخبر عن بني العباس من دول الإسلام في هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وانشاء دولتهم والإلمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه، وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية، وهم القائلون بامامة محمد بن عليّ بن الحنفية بعد عليّ، ثم بعده الى ابنه أبي هشام عبدالله. ثم بعده الى محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس بوصيته كما ذكرنا. ثم بعده الى ابنه ابراهيم

الامام ابن محمد، ثم بعده الى أخيه أبي العباس السفاح، وهو عبدالله ابن الحارثيّةِ . هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانيّة، ويسمون أيضاً الخِرَماقِيّةِ نسبة الى أبي مسلم لانه كان يلقب بخرماق. ولبني العباس ايضاً شيعة يسمون الراوندية من أهل خراسان، يزعمون أن أحق الناس بالامامة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم هو العبّاس لانه وارثه وعاصبه، لقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . وان الناس منعوه من ذلك وظلموه الى ان ردّه الله الى ولده، ويذهبون الى البراءة من الشيخين وعثمان، ويجيزون بيعة عليّ لانّ العباس قال له يا ابن أخي هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان . ولقول داود بن عليّ –عمّ الخليفة العباسيّ– على منبر الكوفة يوم بويع السفاح : يا أهل الكوفة انه لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عليّ بن ابي طالب، وهذا القائم فيكم، يعني السَّفّاح .

دولة السّفّاح

قد تقدم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبي مسلم، ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق، ثم بيعة السفاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ثم قتل مروان ابن محمد وانقراض الدولة الاموية . ثم خرج بعض أشياعهم وقوادهم وانتقضوا على أبي العباس السفاح، وكان أول من انتقض حبيب

ابن مُرَّةَ المُرّي من قواد مروان، وكان بحولان والبلقاء، خاف على نفسه وقومه فخلع وبيض، ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسية في ذلك . وتابعته قيس ومن يليهم والسفاح يومئذ بالحيرة، بلغه أن أبا الوردِ مَجْزأَةَ بن الكَوْثَر بن زُفَر ابن الحَرْث الكِلَابيّ انتقض بقنسرين، وكان من قواد مروان . ولما انهزم مروان وقدم عليه عبدالله بن عليّ بايعه ودخل في دعوة العبّاسيّةِ، وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعوره، فعبث بهم وبنسائهم القائد الذي جاءهم من قبل عبدالله بن عليّ . وشكوا ذلك الى أبي الورد، فقتل القائد، وخلع معه أهل قنسرين، وكاتبوا أهل حمص في الخلاف، وقدّموا عليهم أبا محمد عبدالله بن يزيد بن معاوية، وقالوا هو السُفيانيّ الذي يذكر .

ولما بلغ ذلك عبدالله بن عليّ، وادع حبيب بن مرّة، وسار الى ابي الورد بقنسرين، ومرّ بدمشق، فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن رَبعي الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله، وسار الى حمص، فبلغه أن أهل دمشق خلعوا وبيّضوا، وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقةَ الأزدي . وأنهم هزموا أبا غانم وعسكره، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما خلف عندهم، فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفياني وأبي الورد، وقدّم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف، فكشف ورجع الى أخيه عبدالله منهزماً . فزحف عبدالله في جماعة القواد، ولقيهم بمرج

الأحزم وهم في أربعين ألفاً، فانهزموا وثبت أبو الورد في خمسمائة من قومه، فقتلوا جميعاً .

وهرب أبو محمد الى تُدْمُرَ، وراجع أهل قنسرين طاعة العبّاسيّة، ورجع عبدالله بن علي الى قتال أهل دمشق ومن معهم . فهرب عثمان بن سُرَاقَةَ، ودخل أهل دمشق في الدعوة، وبايعوا لعبدِالله ابن عليّ . ولم يزل أبو محمد السفياني بأرض الحجاز مُتَغَيِّباً الى أيام المنصور، فقتله زياد بن عبدالله الحارثي عامل الحجاز يومئذ، وبعث برأسه الى المنصور مع ابنين له أسيرين فأطلقهما المنصور .

ثم خلع أهل الجزيرة وبيضوا، وكان السفاح قد بعث اليهم ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب من قواده، وأنزلهم بحرّان، وكان اسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان على ارمينية. فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها، واجتمع اليه أهل الجزيرة، وحاصروا موسى بن كعب بحران شهرين، فبعث السفاح أخاه أبا جعفر اليهم، وكان محاصراً لابن هُبَيْرَةَ بواسط، فسار لقتال اسحاق ابن مسلم، ومرّ بقرقيسيا والرقّـة وأهلها قد خلعوا وبيضوا . وسار نحو حران، فأجفل اسحاق بن مسلم عنها، ودخل الرها، وبعث أخاه بكّار بن مسلم الى قبائل ربيعة بنواحي ماردين، ورئيسهم يومئذٍ بَرْمَكَةُ من الحروريّة، فصمد اليهم أبو جعفر فهزمهم وقتل برمكة في المعركة، وانصرف بكار الى اخيه اسحاق، فخلفه بالرها، وسار الى شِمْشَاطَ بمعظم عسكره . وجاء عبدالله بن عليّ

فحاصره، ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر وهو يقول : لا أخلع البيعة من عُنُقِي حتى اتيقن موت صاحبها . ثم تيقن موت مروان، فطلب الأمان، واستأذنوا السفاح، فأمرهم بتأمينه، وخرج اسحاق الى أبي جعفر فكان من آثر أصحابه . واستقام أهل الجزيرة والشام، وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل عليها حتى استخلف ..

حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله

ثم تقدم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة امام الحسن بن قَحْطَبَةَ وتَحَصُّنِهِ بواسط ، وكان جُوثَرَةُ وبعض اصحابه اشاروا عليه بعد الهزيمة باللحاق بالكوفة فأبى . وأشار عليه يحي بن حُصَين باللحاق بمروان وخوفه عاقبة الحصار، فأبى خشيةً على نفسه من مروان واعتصم بواسط . وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة في العسكر لحصاره، وعلى ميمنته ابنه داود، فانهزم اهل الشام واضطرّوا الى دِجْلَةَ، وغرق منهم كثير . ثم تحاجزوا ودخل ابن هبيرة المدينة، وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك، ومكثوا أياماً لا يقتتلون الا رمياً . وبلغ ابن هبيرة أن أبا أُمَيَّةَ الثَّعْلَبِيّ قد سوّدَ فحبسه ، فغضبت لذلك ربيعةُ ومعنُ بن زائدة، وحبسوا ثلاثة نفر من فزارة رهناً في أبي أمية . واعتزل معن وعبد الله ابن عبد الرحمن بن بشير العجلي فيمن معها، فخلى ابن هبيرة سبيل ابي امية وصالحهم وعادوا الى اتفاقهم .

ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سجستانَ ابو نصر مالك بن الهيثم، فأوفد غَيْلَانَ بن عبدالله الُخزاعيّ على السفاح يخبره بقدوم ابي نصر، وكان غيلان واجداً على الحسن، فرغب من السفاح ان يبعث عليهم رجلًا من أهل بيته. فبعث اخاه ابا جعفر، وكتب الى الحسن: العسكر لك، والقواد قوادك، ولكن احببت ان يكون اخي حاضراً فأحسن طاعته ومؤازرته.

وقدم ابو جعفر فأنزله الحسن في خيمته، وجعل على حرسه عثمان بن نهيك. ثم تقدم مالك بن الهيثم لقتال اهل الشام، وابن هبيرة. فخرجوا لقتاله واكمنوا معن بن زائدة وابا يحيى الجرافي. ثم استطردوا لابن الهيثم وانهزموا للخنادق. فخرج عليهم معن وابو يحيى فقاتلوهم الى الليل، وتحاجزوا واقاموا بعد ذلك اياماً. ثم خرج اهل واسط مع معن ومحمد بن نباتة، فهزمهم أصحاب الحسن الى دجلة، فتساقطوا فيها. وجاء مالك بن الهيثم فوجد ابنه قتيلًا في المعركة، فحمل على اهل واسط حتى ادخلهم المدينة. وكان مالك يملأ السفن حطباً ويضرمها ناراً فتحرق ما تمرّ به، فيأمر ابن هبيرة بأن تجر بالكلاليب، ومكثوا كذلك أحد عشر شهراً.

وجاء اسماعيل بن عبدالله القسري الى ابن هبيرة بقتل مروان، وفشلت اليمانية عن القتال معهم، وتبعهم الفزاريّة فلم يقاتل معه الا الصعاليك. وبعث ابن هبيرة الى محمد بن عبدالله بن الحسن

المثنى بأن يبايع له، فأبطأ عنه جوابه وكاتب السفاح اليمانية من اصحاب ابن هبيرة، واطمعهم. فخرج اليه زياد بن صالح وزياد ابن عبيد الله الحرثيان، ووعدا ابن هبيرة ان يصلحا له جهة السفاح، ولم يفعلا. وتردد الشعراء بين ابي جعفر وابن هبيرة في الصلح، وان يكتب له كتاب امان على ما اختاره ابن هبيرة، وشاور فيه العلماء اربعين يوماً حتى رضيه وأنفذه الى ابى جعفر، فانفذه الى السفاح وأمر بامضائه، وكان لا يقطع أمراً دون ابي مسلم. فكتب اليه يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الامان الى ابي جعفر في الف وثلثمائة، فلقيه الحاجب سلام ابن سليم، فأنزله واجلسه على وسادة، واطاف بحجرة ابي جعفر عشرة آلاف من اهل خراسان.

ثم أذن لابن هبيرة فدخل على المنصور وحادثه، وخرج عنه ومكث يأتيه يوماً ويغبّه يوماً. ثم اغرى ابا جعفر اصحابه بأنه يأتي في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيهتز له العسكر. فأمر ابو جعفر ان يأتي في حاشيته فقط. فكان يأتي في ثلاثين ثم آخراً في ثلاثة. ثم الحّ السفاح على ابي جعفر في قتله وهو يراجعه للامان الذي كتب له، حتى كتب اليه السفاح: والله لتقتلنه أو لابعثنّ من يخرجه من حجرتك فيقتله. فبعث أبو جعفر الى وجوه القيسيّةِ والمضريّةِ وقد أعدّ لهم ابن نهيك في مائة من الخراسانيّةِ في بعض حجره.

وجاء القوم في اثنين وعشرين رجلاً يقدمهم محمد بن نباتة وجُوَيْرَةُ بن سُهَيل، فدعاهم سلام الحاجب رجلين رجلين، وعثمان ابن نهيك يقيدهما الى ان استكملهم، وبعث ابو جعفر لحازم بن خزيمة والهيثم بن شعبةَ في مائة الى ابن هبيرة، فقالوا نريد حمل المال، فدلهم حاجبه على الخزائن. فأقاموا عندها الرجال، وأقبلوا نحوه، فقام حاجبه في وجوههم. فضربه الهيثم فصرعه، وقاتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه. ثم قتل ابن هبيرة آخراً وحملت رؤوسهم الى أبي جعفر. ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك أبي بِشر، وخالد بن مُسْلِمَةَ المخزومي، وعمر بن ذُرّ، فهرب الحكم وأمّن أبو جعفر خالداً، فلم يجز السفاح أمانه، وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فأمّنهُ.

مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير

قد تقدّم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبي العباس السفاح، واتهام الشيعة في أمره، وتغير السفاح عليه وهو بِمَكْوَةِ أعين ظاهر الكوفة. ثم تحوّل الى مدينة الهاشميّةِ ونزل قصرها وهو يتنكر لابي مسلمة، وكتب الى ابي مسلم ببغيته وبرأيه فيه، فكتب اليه أبو مسلم بقتله. وقال له داود بن عليّ لا تفعل فيحتج بها أبو مسلم عليك، والذين معك أصحابه وهم له أطوع. ولكن اكتب اليه يبعث من يقتله، ففعل. وبعث أبو مسلم مَرّادَ بن أنس الضبّي فقتله. فلما قدم نادى السفاح بالرضا عن

أبي مسلمة، ودعا به وخلع عليه . ثم دخل عنده ليلة أخرى، فسهر عامة ليله ثم انصرف الى منزله، فاعترضه مرّار بن أنس وأصحابه فقتلوه، وقالوا قتله الخوارج . وصلى عليه من الغد يحيى اخو السفاح، وكان يسمى وزير آل محمد، وأبو مسلم أمير آل محمد . وبلغ الخبر الى أبي مسلم، وسرح سليمان بن كُثَيِّر بالنكير لذلك فقتله أبو مسلم، وبعث على فارس محمد بن الاشعث وأمره ان يقتل ابن ابي مسلمة ففعل .

عمال السفاح

ولما استقام الامر للسفاح ولى على الكوفة والسواد عمه داود ابن علي، ثم عزله وولاه على الحجاز واليمن واليمامة، وولى مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد . ثم توفي داود سنة ثلاث وثلاثين، فولى مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيدالله بن عبيد (١) وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيدالله ابن عبد . . . وولى السفاح على البصرة سفيان بن معاوية المُهَلّبيّ، ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن علي، وأضاف اليه كور دِجْلَةَ والبَحْرَيْنِ وعُمان . ووَلّى عمه اسماعيل بن عليّ الاهواز، وعمه عبدالله ابن عليّ على الشام، وأبا عون عبد الملك بن يزيد على مصر . وأبا

(١) هنا بياضان بالأصل، وفي الطبري ج ٩ ص ١٤٧ : «وفيها مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول، وكانت ولايته فيما ذكر محمد بن عمر ثلاثة أشهر، واستخلف داود بن علي حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى. ولما بلغت أبا العباس وفاته وجه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان على اليمن».

مسلم على خراسان، وبرمك على ديوان الخراج . وولى عمه عيسى ابن عليّ على فارس، فسبقه اليها محمد بن الاشعث من قبل أبي مسلم. فلما قدم عليه عيسى همّ محمد بقتله، وقال أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره . ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبراً ما عاش، ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد، فوفى عيسى بذلك بقية عمره .

واستعمل بعده على فارس عمه اسماعيل بن عليّ ، واستعمل على الموصل محمد بن صَول، فطرده أهلها وقالوا : بل علينا تولى خثعم، وكانوا منحرفين عن بني العباس، فاستعمل السفّاحُ عليهم أخاه يحيى وبعثه في اثني عشر ألفاً، فنزل قصر الامارة وقتل منهم اثني عشر رجلاً، فثاروا به وحمل السلاح، فنودي فيهم بالامان لمن دخل المسجد الجامع، فتسايل الناس اليه، وقد أقام الرجال على أبوابه، فقتلوا كل من دخل . يقال قتل احد عشر ألفاً ممن لبث، وما لا يحصى من غيرهم . وسمع صياح النساء بالليل، فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان، واستباحهم ثلاثة أيام .

وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعاثوا في النساء . وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف، فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له : ألست من بني هاشم؟ ألست ابن عمّ الرسول؟ أما تعلم أن المؤمنات المسلمات ينكحهنّ الزنوج؟ فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للعطاء، وأمر بهم فقتلوا

عن آخرهم. وبلغ السفاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله، وولى مكانه اسماعيل بن علي، وولى يحيى مكان اسماعيل بالأَهوَازِ وفارس. وملك الروم مَلَطْيَةَ وقاليقيلا. وفي سنة ثلاث وثلاثين أقبل قُسْطَنْطِينُ ملك الروم فحصر ملطية، والفتن يومئذ بالجزيرة، وعاملها يومئذ موسى بن كعب بن أسان. فلم يزل حاصرهم حتى نزلوا على الامان، وانتقلوا الى بلاد الجزيرة، وحملوا ما قدروا عليه. وخرب الروم ملطية، وساروا عنها الى مرج الحصى، وأرسل قسطنطين العساكر الى قاليقيلا من نواحي ماردين مع قائده كوشان الارمني، فحصرها وداخل بعض الأرمن من أهل المدينة فنقبوا له السور، فاقتحم البلد من ذلك النقب واستباحها.

الثوار بالنواحي(1)

كان الْمُثَنّى بن يزيد بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ قد ولّاه أبو عليّ اليامة، فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليامة، فبعث اليه زياد بن عبيد المدن بالعساكر من المدينة مع ابراهيم بن حَبّان السَلَمِيّ، فقتله وقتل أصحابه، وذلك سنة ثلاث وثلاثين. وفيها خرج شريك ابن شيخ أسحاراً على أبي مسلم، ونقض أفعاله، واجتمع اليه أكثر من ثلاثين ألفاً، فبعث اليه أبو مسلم زياد بن صالح الْخُزاعيّ فقاتله وقتله. وفيها توجه أبو داود وخالد بن ابراهيم الى الختل، فتحصن ملكهم ابن السبيل منها، ومنعه الدهاقين، فحاصره أبو

(١) المراد بالثوار الخارجون عن الطاعة المحاربون للخليفة ـ من خط الشيخ العطار اهـ.

داود حتى جهد الحصار، فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفرغانة . ثم سار منها الى بلد الصين، وأخذ أبو داود من ظفر به في الحصن فبعث بهم الى أبي مسلم .

وفيها الفتنة بين أخشيد فَرْغَانَة وملك الشاش، واستمدّ الأخشيد ملك الصين فأمدّه بمائة ألف مقاتل، وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين، فلم يعرض له ولا لقومه بسوء . وبعث ابو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم، فلقيهم على نهر الطَرّار، فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسر نحواً من عشرين ألفاً، ولحق بهم بالصين، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين . ثم انتقض بسام بن ابراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السَفّاح وجماعة على رأيه سرّاً الى المدائن، فبعث السفاح في أثرهم خازِمَ بن خُزَيمةَ فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم، وبلغ ماه وانصرف، فمرّ بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المُدانِ في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم .

وقيل له : ان المغيرة من أصحاب بَسّام عندهم، فسألهم عنه فقالوا : مرّ بنا مجتازاً، فهدّدهم ان لم يأخذه، فأغلظوا له في القول فقتلهم أجمعين، ونهب أموالهم، وهدم دورهم، وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيدالله الحَرْثيّ على السَفّاح وشكوا اليه ما فعل بهم فهمّ بقتله . وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم ابن عَطِيّة فدخلا على السفاح، وذَكّراه سابِقَةَ الشيعة وطاعتهم،

وانهم آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم، فان كان لا بدّ من قتله فابعثه لوجه من الوجوه، فان قتل هو الذي تريد، وان ظفر فلك . بعثه الى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عُمان، مع شَيْبانَ بن عبد العزيز اليَشْكُرِي، فبعث معه سبعمائة رجل، فحملهم سليمان بن عليّ من البصرة في السفن، وقد انضمّ اليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدّة من بني تميم من البصرة، فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان قدّم حازم فَضَلَةَ بن نعيم المَنْشَلِيّ في خمسمائة الى شيبان، فانهزم هو وأصحابه وكانوا صُفْرِيَّةً، وركبوا الى عُمان فقاتلهم الجَلَنْدِيّ في الأَباضِيَّةِ، فقتل شيبان ومن معه كما مرّ، وشيبان هذا غير شيبان بن سَلَمَةَ الذي قتل بخراسان، فربما يشتبهان .

ثم ركب خازم البحر الى ساحل عُمان، فنزل وقاتل الجَلَنْدِيَ أياماً، أمر خازم اصحابه في آخرها ان يجعلوا على اطراف أَسِنَّتِهِمْ المشاقة، ويدوروها بالنفط، ويشعلوها بالنيران، ويرموها في بيوت القوم، وكانت من خشب . فلما اضطرمت فيها النار شغلوا بأهليهم واولادهم عن القتل، فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم . وقتل الجلندي وعشرة آلاف، فبعث خازم برؤوسهم الى البصرة فبعثها سليمان الى السفاح فندم اه .

ثم غزا خالد بن ابراهيم أهل كشّ، فقتل الأخشيد ملكها وهو مطيع واستباحهم، وأخذ من الاواني الصينيَّةِ المنقوشة المذهَّبَةِ،

ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وظرفه ما لم ير مثله، وحمله الى ابي مسلم بسمرقند. وقتل عدّةً من دهاقين كش، ومَلّكَ طاران أخا الاخشيد على كش. ورجع ابو مسلم الى مروَ بعد ان فتك في الصُغْدِ وبخارى، وأمر ببناء سور سمرقند. واستخلف زياد ابن صالح على بخارى وسمرقند، ورجع أبو داود الى بلخ. ثم بلغ السفاح انتقاض منصور ابن جمهور بالسند، فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب، واستخلف مكانه على الشرطة المسيَّب بن زهير.

وسار موسى لقتال ابن جمهور، فلقيه بتخوم الهند وهو في نحو اثني عشر ألفاً، فانهزم ومات عطشاً في الرمال. ورحل عامله على السند بعياله وثقلته، فدخل بهم بلاد الخَزَر. ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر، فسار أبو مسلم اليه من مرو، وبعث ابو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ ليمنعها من زياد، فلما وصل اليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه، فبعث مكانه عيسى بن ماهان فسمع قتلة نصر فقتلهم. وسار أبو مسلم فانتهى الى آمد ومعه سباع بن النعمان الأزدي، وكان السفاح قد دس معه الى زياد بن صالح الازدي ان ينتهز فرصة في أبي مسلم فيقتله. ونمى الخبر الى ابي مسلم فحبس سباعاً بآمد، وسار عنها وأمر عامله بقتله. ولقيه قواد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً، فدخل أبو مسلم بخارى، ونجا زياد الى دهقان

هناك فقتله وحمل رأسه الى أبي مسلم . وكتب أبو مسلم الى أبي داود فقتله، وكان قد شغل بأهل الطالقان، فرجع الى كش، وبعث عيسى بن ماهان الى بسّام فلم يظفر منها بشيء، وبعث الى بعض اصحاب أبي مسلم يعيب أبا داود عيسى، فضربه وحبسه . ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه، ورجع أبو مسلم الى مرو .

حج أبي جعفر وأبي مسلم

وفي سنة ست وثلاثين استأذن ابو مسلم السفاح في القدوم عليه للحج، وكان منذ ولي خراسان لم يفارقها، فأذن له في القدوم مع خمسمائة من الجند، فكتب اليه أبو مسلم اني قد عاديت الناس ولست آمن على نفسي فاذن له في ألف، وقال ان طريق مكة لا تحتمل العسكر، فسار في ثمانية آلاف فرّقهم ما بين نيسابور والريّ، وخلف أمواله وخزائنه بالريّ وقدم في ألف وخرج القواد بأمر السفاح لتلقيه، فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه . واستأذن في الحج فأذن له، وقال : لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم . فأنزله بقرية وكان قد كتب الى ابي جعفر ان أبا مسلم استأذنني في الحج وأذنت له، وهو يريد ولاية الموسم، فاسألني انت في الحج، فلا تطمع ان يتقدمك، وأذن له فقدم الانبار . وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً من حيث بعث السفاح أبا جعفر الى خراسان ليأخذ البيعة له ولابي جعفر من بعده، ويولي أبا مسلم على خواسان، فاستخلى

أبو مسلم بأبي جعفر . فلما قدم ألآنَ ابو جعفر السفاح بقتله، وأذن له فيه، ثم ندم وكفه عن ذلك، وسار أبو جعفر الى الحج ومعه ابو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكي .

موت السفاح وبيعة المنصور

كان أبو العباس السفاح قد تحول من الحيرة الى الأنبارِ في ذي الحجة سنة اربع وثلاثين ، فأقام بها سنتين ثم توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه ، ولاربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويع ، وصلى عليه عمه عيسى ودفن بالانبار . وكان وزيره ابو الجهم بن عطيّة، وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لاخيه ابي جعفر، ومن بعده لعيسى ابن اخيهما موسى، وجعل العهد في ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم اهل بيته ودفعه الى عيسى . ولما توفي السفاح، وكان ابو جعفر بمكة، فأخذ البيعة على الناس عيسى ابن موسى، وكتب اليه بالخبر فجزع واستدعى أبا مسلم وكان متأخراً عنه، فاقرأه الكتاب فبكى واسترجع، وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال اخاف شرّ عبدالله بن عليّ فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان، وهم أطوع لي منه فسري عنه . وبايع له أبو مسلم والناس، وأقبلا حتى قدما الكوفة . ويقال ان أبا مسلم كان متقدّماً على ابي جعفر فان الخبر قد أتاه قبله ، فكتب أبو مسلم اليه يعزيه ويهنيه بالخلافة، وبعد يومين كتب له ببيعته . وقدم ابو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين،

وسار منها الى الانبار، فسلم اليه عيسى بيوت الاموال والدواوين واستقام امر ابي جعفر .

انتقاض عبد الله بن علي وهزيمته

كان عبدالله بن عليّ قدم على السفاح قبل موته، فبعثه الى الصائفة في جنود أهل الشام وخراسان، فانتهى الى دلوك ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفاح، وأخذ البيعة لابي جعفر وله من بعده كما عهد به السفاح، فجمع عبدالله الناس، وقرأ عليهم الكتاب، وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يبعث الجنود الى حرّان تكاسل بنو أبيه عنها، فقال لهم : من انتدب منكم فهو وليّ عهدي فلم ينتدب غيري، وشهد له أبو غانم الطائيّ وخفاف المروزي وغيرهما من القواد وبايعوه، وفيهم حميد بن حكيم ابن قحطبة وغيره من خراسان والشام والجزيرة . ثم سار عبدالله حتى نزل حَرّان وحاصر مقاتل بن حكيم العكي أربعين يوماً، وخشي من أهل خراسان فقتل منهم جماعة، وولّى حميد بن قحطبة على حلب، وكتب معه الى عاملها زُفَر بن عاصم بقتله، فقرأ الكتاب في طريقه وسار الى العراق .

وجاء ابو جعفر من الحج، فبعث أبا مسلم لقتال عبدالله، ولحقه حميد بن قحطبة نازعاً عن عبدالله، فسار معه، وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخُزاعيّ. ولما بلغ عبدالله خبر اقباله وهو على حران بذل الأمان لمقاتل بن حكيم ومن معه، وملك حران.

ثم بعث مقاتلًا بكتابه الى عُثمان بن عبد الأعلى، فلما قرأ الكتاب قتله وحبس ابنيه، حتى اذا هزم عبدالله قتلهما. وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان ان يأتي عبدالله بن علي ليمكر به، فجاء وقال: اني سمعت السفاح يقول: الخليفة بعدي عمي عبدالله، فشعر بمكيدته وقتله، وهو جدّ ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب.

ثم اقبل عبدالله بن علي حتى نزل نَصِيبين وخندق عليه، وقدم ابو مسلم فيمن معه. وكان المنصور قد كتب الى الحسن ابن قحطبة عامله على ارمينية بان يوافي أبا مسلم. فقدم عليه الموصل، وسار معه. ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين، وكتب الى عبدالله اني قد وليت الشام ولم أومر بقتالك، فقال أهل الشام لعبد الله سر بنا الى الشام لنمنع نساءنا وابناءنا. فقال لهم عبدالله: ما يريد الا قتالنا وانما قصد المكر بنا فأبوا إلّا الشام، فارتحل بهم إلى الشام، ونزل ابو مسلم في موضع معسكره، وغوّر ما حوله من المياه، فوقف اصحاب عبدالله بكّار بن مسلم العُقَيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسَدي، وعلى الخيل عبد الصمد بن عليّ أخو عبدالله وعلى ميمنة ابي مسلم الحسن بن قحطبة، وعلى ميسرته خازم بن خُزيمَة، فاقتتلوا شهراً.

ثم حمل أصحاب عبدالله على عسكر أبي مسلم فأزالوهم عن مواضعهم، وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلًا. ثم

حمل عليهم ثانية فأزالوا صَفَّهم . ثم نادى منادي ابي مسلم في اهل خراسان فتراجعوا . وكان يجلس اذا لقي الناس على عريش ينظر منه الى الحَوْمَةِ ، فان رأى خللًا أرسل بسدّه . فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا . فلما كان يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين اقتتلوا ، وأمر ابو مسلم الحسن بن قحطبة ان يضمّ الى الميسرة وينزل في الميمنة حماة اصحابه ، فانضمّ اهل الشام من الميسرة الى الميمنة كما امرهم ، وأمرَ ابو مسلم اهل القلب فحطموهم وركبهم أصحاب ابي مسلم .

فانهزم اصحاب عبد الله فقال لابن سراقة . ما ترى ؟ قال الصبر الى ان تموت ، فالفرار فيكم بمثلك قبيح . قال بل آتي العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم . وكتب بذلك الى المنصور ، ومضى عبدالله وعبد الصمد . فقدم عبد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى ، وأمنه المنصور . وقيل بل أقام بالرصافة حتى قدمها جهور بن مروان العجلي في خيول أرسلها المنصور ، فبعث به موثقاً مع أبي الخطيب ، فاطلقه المنصور . واما عبدالله فقدم البصرة ، وأقام عند اخيه سليمان متوارياً حتى طلبه واشخص اليه . ثم ان ابا مسلم أمّن الناس بعد الهزيمة وأمر

بالكف عنهم (١) كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه، ويتقدّم بالاحسان للوفود واصلاح الطريق والمياه، وكان الذكر له، وكان الاعراب يقولون: هذا المكذوب عليه. ولما صدروا عن الموسم، تقدّم أبو مسلم، ولقيه الخبر بوفاة السفاح، فبعث الى أبي جعفر يعزيه، ولم يهنّه بالخلافة، ولا رجع اليه ولا أقام ينتظره. فغضب أبو جعفر وكتب اليه وأغلظ في العتاب، فكتب يهنّئه بالخلافة ويقدم الى (٢) فدعا عيسى بن موسى الى أن يبايع له، فأبى وقدِم أبو جعفر، وقد خلع عبيدالله بن علي، فسرّح أبا مسلم لقتاله، فهزمه كما مرّ وجمع الغنائم من عسكره. فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب لجمعها، فغضب أبو مسلم وقال: أنا أعين على الدعاء فكيف أخون الأموال، وهمّ بقتل الخصيب ثم خلى عنه.

وخشي المنصور أن يمضي الى خراسان، فكتب اليه بولاية مصر والشام، فازداد نفاراً وخرج من الجزيرة يريد خراسان، وسار المنصور الى المدائن وكتب اليه يستقدمه، فأجابه بالامتناع والمسك بالطاعة عن بعد، والتهديد بالخلع ان طلب منه سوى ذلك، فكتب اليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط، وانه لا يحسن طاعة. وبعث

(١) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٩ ص ١٥٩: «وأمر بالكف عنهم، ويقال بل استأمن لعبد الصمد بن علي بن إسماعيل بن علي».

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٠: «كتب إليه يهنئه بالخلافة، وتقدم أبو مسلم فأتى الأنبار فدعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له».

اليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه، وقيل بل كتب اليه أبو مسلم يعرّض له بالخلع، وانه قد تاب الى الله مما جناه من القيام بدعوتهم، وأخذ أبو مسلم طريق حُلوان، وأمر المنصور عمه عيسى ومشيخة بني هاشم بالكتاب على أبي مسلم يحرّضونه على التمسك بالطاعة، ويحذرونه عاقبة البغي، ويأمرونه بالمراجعة .

وبعث الكتب مع مولاه أبي حميد المَرْوَذُوذِي وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه، فاذا يئس يخبره بقسم أمير المؤمنين لاوكلت أمرك الى غيري، ولو خضت البحر خضته وراءك ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك وأموت . فأوصل أبو حميد الكتب وتلطف له في القول ما شاء، واحتج عليه بما كان منه في التحريض على طاعتهم، فاستشار أبو مسلم مالك بن الهيثم فأبى له من الاصغاء الى هذا القول وقال : والله لئن أتيته ليقتلنك . ثم بعث الى نَيْزَكَ صاحب الري يستشيره، فأبى له من ذلك وأشار عليه بنزول الريّ وخراسان من ورائه، فيكون أمكن لسلطانه . فأجاب أبا حميد بالامتناع، فلما يئس منه أبلغه مقالة المنصور، فوجم طويلاً ورعب من ذلك القول وأكبره . وكان المنصور قد كتب الى عامل أبي مسلم بخراسان يرعبه في الانحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سرًّا، وكتب الى أبي مسلم يحذره الخلاف والمعصية، فزاده ذلك رعباً وقال لأبي حميد قبل انصرافه : قد كنت عزمت على المضيّ الى خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا اسحاق

الى أمير المؤمنين يأتيني برايته فاني أثق به .

ولما قدم أبو اسحاق تلقاه بنو هاشم واهل الدولة بكل ما يجب، وداخله المنصور في صرف ابي مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها، فرجع اليه وأشار عليه بلقاء المنصور، فاعتزم على ذلك . واستخلف مالك بن الهيثم على عسكره بِحُلوانَ، وسار فقدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخشي أبو أيُّوب وزير المنصور أن يحدث منه عند قدومه فتك، فدعا بعض اخوانه، وأشار عليه بأن يأتي أبا مسلم ويتوسل به الى المنصور في ولاية كَسْكَر ليصيب فيها مالاً عظيماً ، وأن يشرك أخاه في ذلك، فان أمير المؤمنين عازم أن يوليه ما يوري به ويريح نفسه . واستأذن له المنصور في لقاء أبي مسلم فأذن له، فلقي أبا مسلم وتوسل اليه وأخبره الخبر، فطابت نفسه وذهب عنه الحزن . ولما قرب أمر الناس بتلقيه، ثم دخل على المنصور فقبل يده وانصرف ليريح ليلته، ودعا المنصور من الغد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس، منهم شبيب بن رواح، وابن حنيفة حرب بن قيس، وأجلسهم خلف الرواق، وأمرهم بقتل أبي مسلم اذا صفق بيديه .

واستدعى أبا مسلم، فلما دخل سأله عن سيفين أصابهما لعمه عبدالله بن علي، وكان متقلداً بأحدهما، فقال هذا أحدهما ! فقال أرني ! فانتضاه أبو مسلم وناوله اياه، فأخذ يقلبه بيده ويهزه . ثم وضعه تحت فراشه وأقبل يعاتبه، فقال : كتبت الى السفاح تنهاه

عن المواتّ كأنك تعلمه ! قال ظننت انه لا يحلّ، ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت انكم معدن العلم .

قال : فتوركك عني بطريق مكة ! قال كرهت مزاحمتك على الماء ! قال فامتناعك من الرجوع اليّ حين بلغك موت السفاح أو الاقامة حتى ألحقك ! قال طلبت الرفق بالناس والمبادرة الى الكوفة ! قال فجارية عبدالله بن عليّ أردت أن تتخذها لنفسك ! قال لا انما وكلت بها من يحفظها .

قال : فمُرَاغَمَتُكَ ومسيرك الى خراسان ! قال خشيت منك، فقلت آتي خُراسانيّ وأكتب بعذري فأذهب ما في نفسك مني ! قال فالمال الذي جمعته بحَرّان ! قال أنفقته في الجند تقوية لكم . قال ألست الكاتب اليّ تبدأ بنفسك وتخطب آسِيَةَ بنت عليّ وتزعم أنك ابن سَلِيطِ بن عبدالله بن عَبّاس ؟ لقد ارتقيت لا أمّ لك مرتقىً صعباً .

ثم قال له : وما الذي دعاك الى قتل سُلَيمانَ بن كُثَيّر، مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا، من قبل أن ندخلك في هذا الامر ؟ قال : أراد الخلافة فقتلته . ثم قال أبو مسلم : كيف يقال هذا بعد بلائي وما كان مني ؟ قال يا ابن الخبيثة لو كانت أمة مكانك لاغنت، انما ذلك بدولتنا وريحنا . وأكب أبو مسلم يقبل يده ويعتذر، فازداد المنصور غضباً . ثم قال أبو مسلم دع هذا ! فقد أصبحت لا أخاف الا الله . فشتمه المنصور وصفق بيديه، فخرج

الحرس . وضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه. فقال استبقني لعدوّك ! فقال لا أبقاني الله اذاً وأي عدوّ أعدى منك، وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين .

وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس، وقال الامير قائل عند أمير المؤمنين فانصرفوا، وأمر لهم بالجوائز، وأعطى اسحاق مائة ألف . ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه، وأخذ في الثناء على طاعته وبلائه، وذكر رأي الامام ابراهيم فيه . فقال المنصور : والله ما اعلم على وجه الارض عدوًّا أعدى لكم منه، هوذا في البساط . فاسترجع عيسى، فأنكر عليه المنصور وقال : وهل كان لكم ملك معه؟ ثم دعا جعفر بن حَنْظَلَةَ واستشاره في أمر أبي مسلم، فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله ! ثم نظر اليه قتيلاً، فقال له يا أمير المؤمنين عدّ خلافتك من هذا اليوم . ثم دعا أبا اسحاق عن متابعة أبي مسلم، وقال تكلم بما أردت، وأخرجه قتيلاً . فسجد أبو اسحاق ثم رفع رأسه يقول : الحمد لله ! أميت هو؟ والله ما جئته قطّ إلّا تكفّنْتُ وتحَنّطْت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه . فرحمه وقال له استقبل طاعتك، واحمد الله الذي أراحك .

وكتب المنصور بعد قتل أبي مسلم الى أبي نصر بن الهيثم على لسان أبي مسلم يأمره بحمل أثقاله، وقد كان أبو مسلم أوصاه

إن جاءك كتاب بخاتمي تاماً فاعلم اني لم أكتبه، فلما رآه كذلك فطن وانحدر الى همذان يريد خراسان، فكتب له المنصور بولاية شهرزور، وكتب الى زُهَير بن التركي بهَمَذان بحبسه . فمرّ أبو نصر بهمذان وخادعه زهير ودعاه الى طعامه وحبسه . وجاء كتاب العهد بِشَهْرَزورَ لابي نصر، فأطلقه زهير، ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله، فقال جاءني كتاب عهده فخليت سبيله .

وقدم أبو نصر على المنصور فعذله في اشارته على أبي مسلم بخراسان، فقال نعم استنصحني فنصحت له . وإن استنصحني أمير المؤمنين نصحت وشكرت، واستعمله على الموصل . وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبي مسلم وانتهم وافترق أصحابه، وخرج منهم بخراسان رجل اسمه سنباد ويسمى فيروز أصبهبذ، وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبي مسلم، وغلب على نيسابور والري، وأخذ خزائن أبي مسلم التي خلفها بالريّ حين شخص الى السفاح . وسبي الحرم ونهب الأموال، ولم يعرض الى التجار . وكان يظهر أنه قاصد الى الكعبة يهدمها، فسرّح اليه المنصور جهور بن مَرّار العِجْلي والتقوا على طرق المفازة بين همذان والريّ، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من ستين ألفاً، وسبى ذراريهم ونساءهم .

ولحق سِنْبادُ بطَبَرَسْتَانَ، فقتله بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه . وكتب الى المنصور بذلك، فكتب اليه المنصور في الاموال فأنكرها، فسرّح اليه الجنود فهرب الى الديلم . ثم ان جهور بن

مرّار لما حوى ما في عسكر سنباد، ولم يبعث به خاف من المنصور، فخلع واعتصم بالريّ فسرّح اليه محمد بن الاشعث في الجيوش، فخرج من الريّ الى أصبهان فملكها، وملك محمد الريّ . ثم اقتتلوا وانهزم جمهور فلحق بأذربيجان، وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين .

حبس عبدالله بن علي

كان عبدالله بن عليّ بعد هزيمته امام أبي مسلم لحق بالبصرة، ونزل على أخيه سليمان . ثم ان المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين، فاختفى عبدالله وأصحابه، فكتب المنصور الى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبدالله وقوّاده ومواليه، واشخاصهم الى المنصور منهما فشخصوا . ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبدالله، واستأذناه له فشغلهما بالحديث، وأمر بحبسه في مكان قد هيء له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبدالله، فعلما انه قد حبس وان ذمّتهما قد أخفرت، فرجعا الى المنصور فحبسا عنه . وتوزع أصحاب عبدالله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم الى أبي داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها . ولم يزل عبدالله محبوساً حتى عهد المنصور الى المهدي سنة تسع وأربعين، وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدي، ودفع اليه عبدالله وأمره بقتله، وخرج حاجاً . وسارّ عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عبدالله بن علي فقال : لا تفعل فانه يقتلك به، وان طلبه منك فلا تردّه اليه

سراً، فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يحرّضهم على الشفاعة في أخيهم عبدالله فشفعهم، وقال لعيسى : جئنا به ! فقال قتلته كما أمرتني. فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم، فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الامر، فجاء به وقال هوذا حيّ سويّ، فجعله المنصور في بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات .

وقعة الراوندية

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان، ومن أتباع أبي مسلم، يقولون بالتناسخ والحلول، وانّ روح آدمَ في عُثمانَ بن نَهيك، وان الله حلّ في المَنصُورِ وجبريل في الهَيثَمِ بن معاوية . فحبس المنصور نحواً من مائتين منهم، فغضب الباقون، واجتمعوا وحملوا بينهم نعشاً كأنهم في جنازة، وجاؤا الى السجن، فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم، وحملوا على الناس في ستمائة رجل . وقصدوا قصر المنصور، وخرج المنصور من القصر ماشياً . وجاء مَعْنُ بن زائِدَةَ الشيبانيّ وكان مُستَخفِياً من المنصور لقتاله مع ابن هُبَيرَةَ، وقد اشتدّ طلب المنصور له، فحضر عنده هذا اليوم مُتَلَثِّماً، وترجل وأبلى . ثم جاء الى المنصور ولجام بغلته في يد الربيع حاجبه، وقال : تنح ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت وأعظم، فنازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية . ثم سأله فانتسب فامنه واصطنعه .

وجاء أبو نصر مالك ابن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال : أنا اليوم بوّاب ثم قاتلهم أهل السوق، وفتح باب المدينة، ودخل الناس وحمل عليهم خازِمُ بن خُزَيْمَةَ والهَيْثَمُ بن شُعْبَةَ حتى قتلوهم عن آخرهم . وأصاب عثمان بن نهيك في الحومة سهمٌ فمات منه بعد أيام، وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى، ثم بعده أبا العباس الطوسي، وذلك كله بالهاشمية . ثم أحضر مَعْناً ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمه عيسى، فقال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت الى الحومة وَجِلاً حتى رأيت شدّتك، فحملني ذلك على ما رأيت مني، وقيل انه كان مختفياً عند أبي الخصيب حاجب المنصور، وانه جاء يوم الراوَنْدِيَّةِ، فاستأذن أبو الخصيب وشاوره المنصور في أمرهم، فأشار ببث المال في الناس، وأبى المنصور الا الركوب اليهم بنفسه، فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا، ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاّهُ على اليمن .

انتقاض خراسان ومسير المهدي اليها

كان السَّفّاح قد وَلّى على خُراسانَ أبا داود خالد بن ابراهيم الذهلي، بعد انتقاض بَسّام بن ابراهيم ومهلكه . فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بَكُشْماهن وجاؤا الى منزله، فاشرف عليهم ليلاً من السطح، فزلت قدمه فسقط ومات ليومه . وكان عصام صاحب شرطته، فقام بالامر بعده . ثم ولى المنصور على خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن، فقدم عليها وحبس جماعة من

القوّاد اتهمهم بالدعاء للعلوية منهم مُجاشِعُ بن حُرَيث الأنصاريّ عامل بُخارى، وأبو المغرة خالد بن كُثَيِّر مولى بني تميم عامل قَهَستانَ، والحُرَيشُ بن محمد الذهلي ابن عم أبي داود في آخرين .

ثم قتل هؤلاء وألحّ على عمال أبي داود في استخراج المال، وانتهت الشكوى الى المنصور بذلك، فقال لابي أيوب انما يريد بفناء شيعتنا الخلع، فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم، فاذا فارقوه بعثت اليه من شئت، واستمكن منه . فكتب اليه بذلك فأجاب بأن الترك قد جاشت، وان فرّقت الجنود خشيت على خراسان . فقال له أبو أيوب اكتب اليه بأنك ممدّه بالجيوش، وابعث معها من شئت يستمكن منه، فأجاب عبد الجبار بأن خراسان مغلبة في عامها، ولا تحتمل زيادة العسكر . فقال له أبو يوسف هذا خلع فعاجله . فبعث ابنه المهدي، فسار ونزل الري .

وقدم خازم بن خُزَيمة لحرب عبد الجَبّار، فقاتلوه فانهزم وجاء الى مقطنة وتوارى فيها . فعبر اليه المُحَشَّرُ بن مُزاحِم من أهل مَرْوِ الروذِ، وجاء به الى خازم، فحمله على بعير وعليه جبة صوف، ووجهه الى عجز البعير، وحمله الى المنصور في ولده وأصحابه . فبسط اليهم العذاب حتى استخرج الاموال، ثم قطع يديه ورجليه وقتله . وذلك سنة اثنتين وأربعين ، وبعث بوُلدِه الى دَهْلَك فعزلهم بها،

وأقام المهدي بخراسان، حتى رجع الى العراق سنة تسع وأربعين (١)

وفي سنة اثنتين واربعين انتقض عيينة بن موسى بن كعب بالسند، وكان عاملاً عليها من بعد ابيه، وكان ابوه يستخلف المسيَّب بن زُهَير على الشُّرَطِ، فخشي المسيب ان حضر عُيَيْنَةُ عند المنصور أن يوليــه على الشرط، فحذره المنصور وحرّضه على الخلاف فخلع الطاعة. وسار المنصور الى البصرة وسرّح من هنالك عُمَرَ بن حَفص بن أبي صَفوَةَ العَتَــكِيّ لحرب عيينة، وولاه على السند والهند، فورد السند وغلب عليها. وفي هذه السنة انتقض الأَصبَهبَذ بطَبَرستَان، وقتل من كان في ارضــه من المسلمين، فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب، وخازم بن خزيمة، وروح بن حاتم في العساكر فحاصروه في حصنه مدّة، ثم تحيّلوا ففتح لهم الحصن من داخله، وقتلوا المقاتلة، وسبى الذرية، وكــان مع الاصبهبذ سم فشربه فمات.

أمر بني العباس

بنو هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا اليه، وتشاوروا فيمن يعقدون له الخلافة، فاتفقوا على محمد بن عبدالله ابن الحسن المُثَنَّى بن عليّ، وكان يقال انّ المنصور ممن بايعه تلك الليلة. ولما حج أيام أخيه السفاح سنة ست وثلاثين تغيب عنه

---

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٧: «وأمر بتسيير ولده إلى دهلك - وهي جزيرة باليمن - فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا».

محمد وأخوه ابراهيم، ولم يحضرا عنده مع بني هاشم. وسأل عنهما فقال له زياد بن عبيدالله الحرثي انا آتيك بهما، وكان بمكة، فردّه المنصور إلى المدينة. ثم استخلف المنصور وطفق يسأل عن محمد ويختص بني هاشم بالسؤال سرًّا، فكلهم يقول انك ظهرت على طلبه لهذا الامر، فخافك على نفسه، ويُحسِن العذر عنه إلا الحسن بن زيد ابن الحسن بن علي، فانه قال له والله ما آمن وثوبه عليك، فانه لا ينام عنك. فكان موسى بن عبدالله بن حسن يقول بعد هذا: اللهمّ اطلب الحسن بن زيد بدمائنا. ثم ان المنصور حج سنة (١) وألح على عبدالله بن حسن في احضار ابنه محمد، فاستشار عبدالله سليمان بن علي في احضاره فقال له: لو كان عافياً عفى عن عمه، فاستمرّ عبدالله على الكتمان، وبث المنصور العيون بين الاعراب في طلبه بسائر بوادي الحجاز ومياهها. ثم كتب كتاباً على لسان الشيعة الى محمد بالطاعة والمسارعة، وبعثه مع بعض عيونه الى عبدالله، وبعث معه بالمال والالطاف كأنه من عندهم.

وكان للمنصور كاتب على سرّه يتشيع، فكتب الى عبدالله ابن حسن بالخبر، وكان محمد بجهينة، وألحّ عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليدفع اليه كتاب الشيعة. فقال له اذهب الى عليّ بن

(١) هنا أيضاً بياض بالأصل، وأن المنصور حج سنة أربعين ومائة، كما في الكامل ج ٤ ص ٣٧٢. وفي الطبري ج ٩ ص ١٨٠ ذكر حج المنصور في حوادث سنة أربع وأربعين ومائة.

الحسن المدعو بالأغر يوصلك اليه في جبل جُهَيْنَة، فذهب وأوصله اليه. ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور، وبعثوا أبا هَبَّار الى محمد وعليّ بن حسن يحذرهما الرجل، فجاء أبو هبار الى علي ابن حسن وأخبره، ثم سار الى محمد، فوجد العين عنده جالساً مع أصحابه، فخلا به وأخبره. فقال وما الرأي؟ قال تقتله! قال لا أقارف دم مسلم. قال تقيده وتحمله معك! قال لا آمن عليه لكثرة الخوف والاعجال. قال فتودعه عند بعض أهلك من جهينة! قال هذه اذن. ورجع فلم يجد الرجل، ولحق بالمدينة.

ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر، وسمى اسم ابي هَبَّار وكنيته، وقال معه وبر. فطلب أبو جعفر وبراً المُرّيّ، فسأله عن أمر محمد فأنكره، وحلف فضربه وحبسه. ثم دعا عُقْبَةَ بن سالم الأزدي، وبعثه متنكراً بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان، الى عبدالله بن حسن ليظهر على أمره، فجاءه بالكتاب فانتهره، وقال: لا أعرف هؤلاء القوم. فلم يزل يتردّد اليه حتى قبله وأنس به، وسأله عقبة الجواب فقال لا أكتب لاحد، ولكن أقرئهم مني سلاماً، واعلمهم ان ابنيّ خارجان لوقت كذا.

فرجع عقبة الى المنصور فأنشأ الحج، فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبدالله الى جنبه، ثم دعا بالغداء فاصابوا منه. ثم قال لعبدالله بن حسن قد أعطيتني العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطاناً، فقال وأنا على ذلك. فلحظ المنصور

عُقْبَةَ بن سالم، فوقف بين عبدالله حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الاقالة فلم يفعل، وأمر بحبسه. وكان محمد يتردد في النواحي، وجاء الى البصرة فنزل في بني راهب، وقيل في بني مرّة بن عبيد، وبلغ الخبر الى المنصور، فجاء الى البصرة، وقد خرج عنها محمد، فلقي المنصور عمر بن عبيد فقال له: يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا؟ فقال لا! فانصرف واشتدّ الخوف على محمد وابراهيم، وساق الى عدن، ثم الى السند، ثم الى الكوفة، ثم الى المدينة. وكان المنصور حج سنة أربعين، وحج محمد وابراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبى محمد من ذلك. ثم طلب المنصور عبدالله باحضار ولديه، وعنفه وهمّ به، فضمنه زياد عامل المدينة.

وانصرف المنصور، وقدم محمد المدينة قدمة، فتلطف له زياد وأعطاه الأمان له. ثم قال له: الحق بأيّ بلاد شئت. وسمع المنصور فبعث أبا الأزهر الى المدينة في جمادى سنة احدى وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب، ويقبض زياداً وأصحابه. فسار بهم فحبسهم المنصور، وخلف زياد ببيت المال ثمانين الف دينار. ثم استعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبدالله القسري، وأمره بطلب محمد، وانفاق المال في ذلك. فكثرت نفقته واستبطأه المنصور واستشار في عزله، فأشار عليه يزيد بن أَسِيد السَلَمي من أصحابه باستعمال رباح بن عُثمان بن حَسَّان المُزَني، فبعثه أميراً على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين، وأطلق يده في محمد

ابن خالد القسري .

فقدم المدينة وتهدّد عبدالله بن حسن في احضار ابنيه . وقال له عبدالله يومئذ انك لتريق المذبوح فيها كما تذبح الشاة، فاستشعر ذلك ووجد، فقال له حاجبه أبو البختري : ان هذا ما اطلع على الغيب . فقال ويلك ! والله ما قال الا ما سمع، فكان كذلك . ثم حبس رياح محمد بن خالد وضربه وجدّ في طلب محمد، فأُخبِرَ انه في شِعْبَانِ رَضْوى من أعمال يَنْبُعَ وهو جبل جُهَيْنَةَ، فبعث عامله في طلبه فأفلت منه . ثم ان رياح بن مُرّةَ حبس بني حسن وقيّدهم وهم : عبدالله بن حسن بن الحسن، واخوته حسن وابراهيم وجعفر، وابنه موسى بن عبدالله، وبنو أخيه داود واسماعيل واسحاق بنو ابراهيم بن الحسن، ولم يحضر معهم أخوه علي العائد . ثم حضر من الغد عند رياح، وقال جئتك لتحبسني مع قومي فحبسه، وكتب اليه المنصور أن يحبس معهم محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة . وكان أخا عبدالله لأمّه، أمّها فاطمة بنت الحسين .

وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبدالله بن حسن، بعثه أبوه الى مصر يدعو له، فأخذه وبعث به الى المنصور، فلم يزل في حبسه . وسمى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبي المولى وأبا جبير، فضربهما المنصور وحبسهما . وقيل عبدالله حبس أولا وحده، وطال حبسه . فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم

ثم حج المنصور سنة أربع واربعين، فلما قدم مكة بعث اليهم وهم في السجن محمد بن عِمْرَانَ بن ابراهيم بن طلحة ومالك بن انس يسألهم ان يرفعوا اليه محمداً وابراهيم ابني عبدالله، فطلب عبدالله الاذن في لقائه، فقال المنصور لا والله حتى يأتيني به وبابنيه، وكان محسناً مقبولاً لا يكلم احداً الا اجابه الى رأيه .

ثم ان المنصور قضى حجه وخرج الى الرَّبَذَةِ، وجاء رباح ليودعه فأمر بأشخاص بني حسن ومن معهم الى العراق، فأخرجهم في القيود والاغلال، وأردفهم في محامل بغير وطء، وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويبكي . وجاء محمد وابراهيم مع ابيهما عبدالله يسايرانه مستترين بزيّ الاعراب ويستأذنانه في الخروج فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما، وان منعتما ان تعيشا كريمين فلا تمنعا ان تموتا كريمين، وانتهوا الى الزبدية . واحضر العثماني الديقا عند المنصور فضربه مائة وخمسين سوطاً بعد ملاحاة جرت بينهما اغضبت المنصور. ويقال ان رباحاً أغرى المنصور به، وقال له ان اهل الشام شيعته ولا يتخلف عنه منهم احد .

ثم كتب ابو عَوْن عامل خراسان الى المنصور، بأنّ اهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عبدالله واحذر منهم . فأمر المنصور بقتل العُثمانيّ، وبعث برأسه الى خُراسانَ، وبعث من يحلف انه رأس محمد بن عبدالله، وانّ امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم المنصور بهم الكوفة، وحبسهم بقصر ابن

هُبَيْرَةَ . يقال انه قتل محمد بن ابراهيم بن حسن منهم على اسطوانة وهو حي فمات، ثم بعده عبدالله بن حسن ثم علي بن حسن، ويقال ان المنصور امر بهم فقتلوا، ولم ينج منهم الا سليمان وعبدالله ابنا داود، واسحاق واسماعيل ابنا ابراهيم بن حسن، وجعفر بن حسن والله اعلم .

ظهور محمد المهدي ومقتله

ولما سار المنصور الى العراق، وحمل معه بني حسن، رجع رياح الى المدينة والحّ في طلب محمد وهو مختف يتنقل في اختفائه من مكان الى مكان، وقد ارهقه الطلب حتى تدلى في بئر . فتدلى فغمس في مائها، وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع، ودلّ عليه رياح بالمداد، فركب في طلبه فاختفى عنه ولم يره . ولما اشتد عليه الطلب، اجمع الخروج واغراه اصحابه بذلك . وجاء الخبر الى رياح بأنه الليلة خارج، فأحضر العباس بن عبدالله بن الحرث بن العباس، ومحمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضي المدينة وغيرهما وقال لهم : امير المؤمنين يطلب محمداً شرق الارض وغربها، وهو بين أظهركم . والله لئن خرج ليقتلنّكم اجمعين . وامر القاضي باحضار عشيرة بني زُهرَةَ فجاؤوا في جمع كثير، واجلسهم بالباب .

ثم أحضر نفراً مـن العلويين فيهم جَعْفَرُ بن محمد بن الحُسَيْن وحسين بن علي بن حسين بن علي، ورجال من قريش، فيهم اسماعيل ابن أيوب بن سَلَمَةَ بن عبدالله بن الوليـد بن المغيرة، وابنه

خالد، وبينما هم عنده اذ سمعوا التكبير، وقيل قد خرج محمد فقال له ابن مسلم ابن عقبة[1] : أعطني اضرب أعناق هؤلاء، فأبى، وأقبل من المداد في مائة وخمسين رجلاً، وقصد السجن، فأخرج محمد بن خالد بن عبدالله القسري، وابن أخيه النذير بن يزيد ومن كان معهم، وجعل على الرَّجالة خَوات بن جُبَيْر، وأتى دار الامارة وهو ينادي بالكف عن القتل. فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رَباحَ وأخيه عباس وابن مسلم بن عقبة فحبسهم، ثم خرج الى المسجد وخطب الناس، وذكر المنصور بما نقمه عليه، ووعد الناس واستنصر بهم . واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله المخزومي، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الداراوَرْدِي، وعلى الشُرَطِ أبا القَلَمَسِ عثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ .

وأرسل الى محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه، فوعده بالبصرة، وسار الى مكة، ولم يتخلف عن محمد من وجوه الناس الا نفر قليل : منهم الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن

---

(١) هنا بياض بالأصل ويستدل أن المؤلف أراد أن يذكر هنا اسم ابن مسلم بن عقبة ثم ترك مكانه بياضاً. ولدى مراجعة الطبري والكامل لابن الأثير تبين أنهما ذكرا هذا الرجل: «ابن مسلم بن عقبة» ولم يذكرا اسمه.

حرام، وعبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد، وأبو سلمة ابن عبيدالله بن عبدالله بن عمر، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير. واستفتى أهل المدينة مالكاً في الخروج مع محمد وقالوا: في أعناقنا بيعة المنصور. فقال: انما بايعتم مكرهين. فتشاوع الناس الى محمد، ولزم مالك بيته، وارسل محمد الى اسماعيل بن عبدالله بن جعفر يدعوه الى بيعته، وكان شيخاً كبيراً فقال: أنت والله وابن أخي مقتول فكيف أبايعك؟ فرجع الناس عنه قليلاً، وأسرع بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر الى محمد، فجاءت جمادة أختهم الى عمها اسماعيل وقالت: يا عم ان مقالتك ثبطت الناس عن محمد واخوتي معه فأخشى أن يقتلوا فردّها. فيقال انها عَدَتْ عليه فقتلته، ثم حبس محمد بن خالد القسري بعد أن أطلقه واتهمه بالكتاب الى المنصور، فلم يزل في حبسه.

ولما استوى أمر محمد، ركب رجل من آل أُوَيس بن أبي سَرْح اسمه الحسين بن صخر، وجاء الى المنصور في تسع فخبره الخبر، فقال أنت رأيته؟ قال نعم! وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم تتابع الخبر، وأشفق المنصور من أمره، واستشار أهل بيته ودولته. وبعث الى عمه عبدالله وهو محبوس يستشيره، فأشار عليه بأن يقصد الكوفة، فانهم شيعة لاهل البيت، فيملك عليهم أمرهم، ويحفها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج، ويستدعي سالم ابن قُتَيْبَةَ من الريّ فيتحَشَّدَ معه كافة أهل الشام ويبعثه،

وأن يبعث العطاء في الناس .

فخرج المنصور الى الكوفة، ومعه عبدالله بن الربيع بن عبدالله بن عبد المدان . ولما قدم الكوفة أرسل الى يزيد بن يحيى، وكان السفّاح يشاوره، فأشار عليه بأن يشحن الاهواز بالجنود، وأشار عليه جعفر بن حَنْظَلَةَ البَهْرانيّ بأن يبعث الجند الى البصرة . فلما ظهر ابراهيم بتلك الناحية تبين وجه اشارتهما . وقال المنصور لجعفر : كيف خفت البصرة؟ قال : لان أهل المدينة ليسوا أهل حرب حسبهم أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء الطالبيين، ولم يبق الا البصرة .

ثم ان المنصور كتب الى محمد المهدي كتاب أمان، فأجابه عنه بالردّ والتعريض بأمور في الانساب والاحوال، فأجابه المنصور عن كتابه بمثل ذلك، وانتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغي الاعراض عنه، مع أنهما صحيحان مرويان نقلهما الطَبَريُّ في كتاب الكامل، فمن اراد الوقوف فليلتمسها في أماكنها . ثم ان محمد المهدي استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وعلى اليمن القاسم بن اسحاق، وعلى الشام موسى بن عبدالله . فسار محمد بن الحسن الى مكة، والقاسم معه، ولقيهما السَريّ بن عبدالله عامل مكة ببطن أذاخر، فانهزم وملك محمد مكة، حتى استنفره المهدي لقتال عيسى بن موسى، فنفر هو والقاسم ابن عبيدالله .

وبلغهما قتل محمد بنواحي قديد، فلحق محمد بابراهيم، فكان معه بالبصرة . واختفى القاسم بالمدينة، حتى أخذت له الامان امرأة عيسى، وهي بنت عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر . وأما موسى بن عبدالله فسار الى الشام فلم يقبلوا منه، فرجع الى المدينة . ثم لحق بالبصرة مختفياً، وعثر عليه محمد بن سليمان بن علي، وعلى ابنه عبدالله، وبعث بهما الى المنصور، فضربهما وحبسهما . ثم بعث المنصور عيسى بن موسى الى المدينة لقتال محمد فسار في الجنود ومعه محمد بن أبي العباس بن السفاح، وكَثِيرِ بن حُصَيْن العَبْدِيّ وحميد بن قَحْطَبَةَ وهوازُمُرْدُ وغيرهم، فقال له : ان ظفرت فأغمد سيفك وابذل الامان، وان تغيب فخذ أهل المدينة فانهم يعرفون مذاهبه، ومن لقيك من آل أبي طالب فعرفني به، ومن لم يلقك فاقبض ماله .

وكان جَعْفَرُ الصادِقُ فيمن تغيب، فقبض ماله . ويقال انه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك، فقال قبضه مَهْدِيُكُم . ولما وصل عيسى الى فَيْدَ، كتب الى نفر من أهل المدينة ليستدعيهم، منهم : عبد العزيز بن المُطَّلِبِ المَخْزومِيّ، وعبيدالله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحِيّ، وعبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب . فخرج اليه عبدالله هو وأخوه عمر، وأبو عقيل محمد بن عبدالله ابن محمد بن عقيل، واستشار المهدي اصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها، فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه

وسلم، وحفر الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب، ونزل عيسى الاعوص، وكان محمد قد منع الناس من الخروج فخيرهم، فخرج كثير منهم بأهلهم الى الجبال، وبقي في شرذمة يسيرة ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغَلَمّسِ بردّهم فأعجزوه، ونزل عيسى على أربعة أميال من المدينة، وبعث عسكراً الى طريق مكة يعترضون محمداً ان انهزم الى مكة، وأرسل الى المهدي بالامان والدعاء الى الكتاب والسنة، ويحذره عاقبة البغي. فقال: انما أنا رجل فررت من القتل. ثم نزل عيسى بالجرف لاثنتي عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين فقام يومين، ثم وقف على مسلم ونادى بالامان لاهل المدينة، وأن يخلوا بينه وبين صاحبه فشتموه، فانصرف وعاد من الغد، وقد فرّق القواد من سائر جهات المدينة وبرز محمد في أصحابه ورايته مع عُثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وشعارهم أحد أحد.

وطلب أبو الغلمش من أصحابه البراز فبرز اليه أخو أسد فقتله، ثم آخر فقتلوا، وقال أنا ابن الفاروق. وأبلى محمد المهدي يومئذ بلاءً عظيماً، وقتل بيده سبعين رجلًا. ثم أمر عيسى بن موسى حميد بن قَحْطَبَةَ فتقدَّم في مائة من الرجال الى حائط دون الخندق فهدمه، وأجازوا الخندق وقاتلوا من وراءه، وصابرهم أصحاب محمد الى العصر. ثم أمر عيسى أصحابه فرموا الخندق بالحقائب، ونصبوا عليها الابواب، وجازت الخيل واقتتلوا، وانصرف محمد

فاغتسل وتحنّط . ثم رجع فقال : اترك أهل المدينة والله لا أفعل أو اقتل، وانت مني في سعة، فمشى قليلًا معه . ثم رجع وافترق عنه جل اصحابه، وبقي في ثلثمائة او نحوها . فقال له بعض اصحابه نحن اليوم في عدة اهل بدر، وطفق عيسى بن حصين من اصحابه يناشده في اللحاق بالبصرة او غيرها، فيقول والله لا تبتلون بي مرّتين .

ثم جمع بين الظهر والعصر ، ومضى فاحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعهم . وجاء الى السجن وقتل رياح بن عثمان وأخاه عبّاساً ، وابن مسلم بن عقبة ، وتوثق محمد بن القِسْريّ بالأبواب فلم يصلوا اليه . ورجع ابن حصين الى محمد فقاتل معه ، وتقدّم محمد الى بطن سَلَع، ومعه بنو شُجاع من الخمس . فعرقبوا دوابهم ، وكسروا جفون سيوفهم ، واستماتوا وهزموا أصحاب عيسى مرّتين أو ثلاثة . وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل ، وانحدروا منه الى المدينة . ورفع بعض نسوة الى العباس خاراً لها اسود على منارة المسجد . فلما رآه أصحاب محمد وهم يقاتلون هربوا ، وفتح بنو غَفّار طريقاً لاصحاب عيسى ، فجاؤوا من وراء أصحاب محمد .

ونادى حميد بن قحطبة للبراز فأبى ، ونادى ابن حُصَيْن بالأمان فلم يصغ اليه ، وكثرت فيه الجراح . ثم قتل وقاتل محمد على شلوه فهدّ الناس عنه هداً حتى ضرب ، فسقط لركبته وطعنه ابن قحطبة في صدره. ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه الى المنصور

مع محمد بن الكرام عبدالله بن علي بن عبدالله بن جعفر، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن، وارسل معه رؤوس بني شُجاع، وكان قتل محمد منتصف رمضان. وأرسل عيسى الألْوِيَةَ فنصبت بالمدينة للامان، وصلب محمد وأصحابه ما بين ثَنِيَّةِ الوداع والمدينة، واستأذنت زينب أخته في دفنه بالبقيع، وقطع المنصور الميرة في البحر عن المدينة، حتى أذن فيها المهدي بعده، وكان مع المهدي سيف عليّ ذو الفقار، فأعطاه يومئذ رجلًا من التُّجّارِ في دين كان له عليه.

فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، أخذه منه وأعطاه من دينه. ثم أخذه منه المهدي، وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة، وكان معه من مشاهير بني هاشم أخو موسى وحمزة بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن الحسين، وحسين وعلي ابنا زيد بن علي. وكان المنصور يقول عجباً خرجا عليّ ونحن أخذنا بثأر أبيهما. وكان معه عليّ وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن، وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية [1] بن عبدالله ابن جعفر، والقاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر والمُرَجّى علي ابن جعفر بن اسحاق بن عليّ بن عبدالله بن جعفر وأبوه علي مع المنصور، ومن غير بني هاشم محمد بن عبدالله بن عمر بن سعيد ابن العاص، ومحمد بن عَجْلان وعبدالله بن عُمَرَ بن حفص بن

(١) كذا. ولعلها: صالح بن.

عاصم، وأبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة، أخذ أسيراً فضرب وحبس في سجن المدينة، فلم يزل محبوساً الى أن نازل السودان بالمدينة على عبدالله بن الربيع الحارثي، وفرّ عنها الى بطن نخل، وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور.

فخرج ابن أبي سَبْرَةَ مقيّداً وأتى المسجد، وبعث الى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما، وبعثوا الى السودان وردّوهم عما كانوا فيه، فرجعوا ولم يصلّ الناس يومئذ جمعة. ووقف الأَصْبَغ بن أبي سُفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز لصلاة العشاء، ونادى أُصلّي بالناس على طاعة أمير المؤمنين وصلى. ثم أصبح ابن أبي سبرة وردّ من العبيد ما نهبوه، ورجع ابن الربيع من بطن نخل، وقطع رؤساء (١) العبيد.

وكان مع محمد ابن عبدالله أيضاً عبد الواحد بن أبي عون مولى الازد، وعبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ، وعبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيّ، وعبد الحميد بن جعفر، وعبدالله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع وبنوه تسعة، وعيسى وعثمان ابنا خضير. وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لما أخذ بالبصرة، وعبد العزيز بن ابراهيم ابن عبدالله بن مطيع، وعلي بن المطلب بن عبدالله بن حَنْطَب،

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٥ ص ١٤: «ورجع ابن الربيع من بطن نخل، فقطع يد وثيق ويعقل وغيرهما».

وابراهيم بن جعفر بن مُصْعَب بن الزُبَيْر، وهشام بن عُمَيْرَة بن الوليد بن (1) بن عبد الجبار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم .

شأن ابراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله

كان ابراهيم بن عبدالله أخو المهدي محمد قد اشتدّ الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين، وكان ابراهيم يتنقل في النواحي بفارس وبكرمان والجبل والحجاز واليمن والشام، وحضر مرّة مائدة المنصور بالموصل، وجاء أخرى الى بغداد حين خطها المنصور مع النظّار على قنطرة الفرات حين شدّها، وطلبه فغاص في الناس فلم يوجد، ووضع عليه الرصد بكل مكان. ودخل بيت سُفيَان بن حَيَّان العَمى وكان معروفاً بصحبته، فتحيل على خلاصه بأن أتى المنصور وقال: أنا آتيك بابراهيم، فاحملني وغلامي على البريد، وابعث معي الجند ففعل. وجاء بالجند الى البيت، وأركب معه ابراهيم في زيّ غلامه، وذهب بالجند الى البصرة، ولم يزل يفرّقهم على البيوت ويدخلها موهماً أنه يفتشه، حتى بقي وحده فاختفى .

وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه، وكان قدم قبل ذلك الاهواز، فطلبه محمد بن حُصَيْن، واختفى منه عند

---

(1) هنا أيضاً بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ١٢: «وهشام بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار».

الحسن بن حبيب، ولقي من ذلك غياً . ثم قدم ابراهيم البصرة سنة خمس وأربعين، بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحيى بن زياد بن حيّان النَبطي، وأنزله بداره في بني ليث . فدعا الناس الى بيعة أخيه، وكان أوّل من بايعه نُمَيْلَةُ بن مُرّةَ العَبْسِيّ، وعبدالله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمر بن سلمة الهُجَيْمِيّ، وعبدالله ابن حَيّ بن حُصَيْن الرَقاشِيّ، وبثوا دعوته في الناس، واجتمع لهم كثير من الفقهاء وأهـل العلم . وأحصى ديوانه أربعة آلاف، واشتهر أمره .

ثم حوّلوه الى وسط البصرة . ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر وليقرب من الناس، وولاه سفيان امير البصرة على امره . وكتب اليـه اخوه محمد يأمره بالظهور، وكان المنصور بظاهر، وارسل من القواد مدد السفيان على ابراهيم ان ظهر . ثم انّ ابراهيم خرج أوّل رمضان من سنة خمس واربعين، وصلى الصبح في الجامع، وجاء دار الامارة بابن سفيان وحبسه وحبس القواد معه، وجاء جعفر ومحمد ابنا سليمان بن عليّ في ستمائة رجل . وارسل ابراهيم اليهما المضاء بن القاسم الجَزَرِي في خمسين رجلاً فهزمهما الى باب زينب بنت سليمان بن علي، واليها ينسب الزَيْنَبِيُّونَ من بني العباس . فنادى بالامان واخذ من بيت المال ألفي ألف درهم، وفرض لكل رجل من اصحابه خمسين.

ثم ارسل المغيرة على الأهواز في مائة رجل، فغلب عليها

محمد بن الحُصَين وهو في أربعة آلاف . وأرسل عمر بن شدّاد الى فارس وبها اسماعيل وعبد الصمد ابنا علي ، فتحصنا في دارنجُرْد، وملك عُمَرُ نواحيها ، فأرسل هارون بن شمس العِجْلي في سبعة عشر ألفاً الى واسط ، فغلب عليها هارون بن حميد الأيادي وملكها . وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسماعيل في خمسة آلاف ، وقيل في عشرين . فاقتتلوا أياماً ثم تهادنوا حتى يروا مآل الأميرين المنصور وابراهيم . ثم جاء نعي محمد الى اخيه ابراهيم قبل الفطر ، فصلى يوم العيد وأخبرهم ، فازدادوا حنقاً على المنصور . ونفر في حربه وعسكر من الغد، واستخلف على البصرة غَيْلَةَ وابنه حسناً معه ، وأشار عليه أصحابه من اهل البصرة بالمقام ، وارسال الجنود وإمدادهم واحداً بعد واحد . واشار اهل الكوفة باللحوق اليها لانّ الناس في انتظارك ، ولو رأوك ما توانوا عنك ، فسار .

وكتب المنصور الى عيسى بن موسى باسراع العَوْدِ والى مسلم بن قُتَيْبَةَ بالريّ ، والى سالم بقصد ابراهيم ، وضم اليه غيرهما من القواد . وكتب الى المهدي بانفاذ خُزَيْمَةَ بن خازم الأهواز وفارس والمدائن وواسط والسواد ، والى جانبه اهل الكوفة في مائة ألف يتربصون به. ثم رمى كل ناحية بحجرها ، وأقام خمسين يوماً على مصلاه ، ويجلس ولم ينزع عنه جبته ولا قميصه وقد توسخا ، ويلبس السواد اذا ظهر للناس ، وينزعه اذا دخل بيته . وأهديت له من المدينة امرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن

طلحة بن عبيدالله، وأمة الكريم بنت عبدالله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بها. وقال: ليست هذه أيام نساء حتى انظر رأس ابراهيم إليّ او رأسي له.

وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب ابراهيم في خمسة عشر ألفاً، وعلى مقدمته حميد بن قَحْطَبَة في ثلاثة آلاف وسار ابراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزلا بازاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة. وارسل اليه مُسْلِم بن قتيبة بأن يخندق على نفسه او يخالف عيسى الى المنصور فهو في حف من الجنون، ويكون أسهل عليك. فعرض ذلك ابراهيم على اصحابه فقالوا: نحن هارون وابو جعفر في ايدينا فأسمع ذلك رسول سالم فرجع، ثم تصافوا للقتال. واشار عليه بعض اصحابه ان يجعلهم كراديس، ليكون اثبت، والصف اذا انهزم بعضه تداعى سائره، فأبى ابراهيم الا الصف صف اهل الاسلام، ووافقه بقية اصحابه.

ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قحطبة، وانهزم معه الناس، وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة. فقال لهم حميد لا طاعة في الهزيمة. ولم يبق مع عيسى الا فل قليل، فثبت واستمات. وبينما هو كذلك اذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان بن عليّ، وجاء من وراء ابراهيم وأصحابه، فانعطفوا لقتالهم واتبعهم أصحاب عيسى. ورجع المنهزمون من أصحابه باجمعهم، اعترضهم امامهم فلا يطيقون

مخافة ولا وثوبة، فانهزم أصحاب ابراهيم وثبت هو في ستمائة أو أربعمائة من أصحابه وحميد يقاتله . ثم أصابه سهم بنحره، فأنزلوه واجتمعوا عليه . وقال حميد : شدّوا على تلك الجماعة فأحصروهم عن ابراهيم، وقطعوا رأسه وجاؤا به الى عيسى، فسجد وبعثه الى المنصور، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين . ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى وقال : والله اني كنت لهذا كارهاً ولكني ابتليت بك وابتليت بي، ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا، ومنهم من يثلب ابراهيم مرضاة للمنصور، حتى دخل جعفر بن حنظلة النهراني فسلم ثم قال : عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرّط فيه من حقك، فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكناه بابي خالد واستدناه .

بناء مدينة بغداد

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية، ولانه كان يكره أهل الكوفة، ولا يأمن على نفسه منهم . فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم، وجمع من كان هنالك من البطارقة، فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحرّ والبرد والمطر والوحل والهوام، واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها . وقالوا تجيئك الميرة في السفن من الشام والرَّقّةِ ومِصْرَ وَالْمَغْرِبِ الى الصَّرَاتِ . ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة، ومن أرمينية

وما اتصل بها في تامر حتى يتصل بالزاب . وأنت بين انهار كالخنادق لا تعبر الا على القناطر والجسور . واذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع، وانت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل، قريب من البرّ والبحر والجبل .

فشرع المنصور في عمارتها . وكتب الى الشام والجبل[1] والكوفة وواسط والبصرة في الصُنّاعِ والفَعَلَةِ، واختار من ذوي الفضل والعدالة والفِقْهِ والامانة والمعرفة بالهندسة، فأحضرهم لذلك . منهم الحجاج بن أرطاة، وابو حنيفة الفقيه . وامر بخطها بالرماد، فشكلت ابوابها وفضلانها وطاقاتها ونواحيها، وجعل على الرماد حب القطن . فاضرم ناراً ثم نظر اليها وهي تشتعل، فعرف رسمها وأمر ان تحفر الاسس على ذلك الرسم . ووكل بها اربعة من القواد يتولى كل واحد منهم ناحية . ووكل ابا حنيفة بعدّ الآجر واللبن . وكان اراده على القضاء والمظالم فأبى . فحلف ان لا يقلع عنه حتى يعمل له عملاً، فكان هذا . وامر المنصور ان يكون عرض اساس القصر من اسفله خمسين ذراعاً ومن اعلاه عشرين، وجعل في البناء القصب والخشب، ووضع بيده اول لبنة وقال : بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(١) هي بلاد طبرستان فإنها تسمى بلاد الجبل وبلاد الديلم ا هـ ـ من خط الشيخ العطار.

ثم قال ابنوا على بركة الله، فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهديّ، فقطع البناء وسار الى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه، ورجع من مدينة ابن هُبَيْرَةَ الى بغداد واستمرّ في بنائها، واستشار خالد بن بَرْمَك في نقض المدائن والايوان. فقال لا أرى ذلك لانه من آثار الاسلام (١) وفتوح العرب، وفيه مُصَلّى عليّ بن أبي طالب، فاتهمه بمحبة العجم، وأمر بنقض القصر الابيض، فاذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه. فقال خالد: لا أرى اقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم، فاعرض عنه ونقل الابواب الى بغداد من واسط ومن الشام ومن الكوفة، وجعل المدينة مدوّرة، وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حدّ سواء.

وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين، والداخل أعلى من الخارج. ووضع الحجاج بن أرطاة قبلة المسجد، وكان وزن اللبنة التي يبني بها مائة رطل وسبعة عشر رطلاً وطولها ذراع في ذراع، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقواد تشرع أبوابها الى رحبة الجامع، وكانت الاسواق داخل المدينة فأخرجهم الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها، وجعل الطرُقَ أربعين ذراعاً، وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر

(١) قوله لأنه من آثار الإسلام الخ، هو في الحقيقة من بناء الأكاسرة وآثارهم بحسب الإنشاء، ومعنى كونه من آثار الإسلام أنه دل على أن الإسلام أباد هذه الدولة التي بنت هذا البناء وملكوا ملكهم وأذلوهم ا هـ ـ من خط الشيخ العطار.

والاسواق والفصلان والخنادق والابواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم. وكان الاستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط، والروز كاري بحبتين، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلا بما بقي عنده، وأخذه حتى أخذ من خالد ابن الصلت منهم خمسة عشر درهماً بعد أن حبسه عليها.

العهد للمهدي وخلع عيسى بن موسى

كان السفّاح قد عهد الى عيسى بن موسى بن علي وولاه على الكوفة فلم يزل عليها، فلما كبر المهدي أراد المنصور أبوه أن يقدّمه في العهد على عيسى، وكان يكرمه في جلوسه فيجلس عن يمينه والمهدي عن يساره، فكلّمه في التأخر عن المهدي في العهد فقال يا أمير المؤمنين كيف بالايمان التي عليّ وعلى المسلمين وأبى من ذلك، فتغيّر له المنصور وباعده بعض الشيء. وصار يأذن للمهديّ قبله ولعمه عيسى بن عليّ وعبد الصمد. ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهديّ واستمرّ المنصور على التنكّر له وعزله عن الكوفة لثلاث عشرة سنةً من ولايته، وولى مكانه محمد بن سليمان بن علي، ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهديّ بالعهد، وجعل عيسى من بعده. ويقال انه أعطاه احد عشر ألف ألف درهم، ووضع الجند في الطرقات لاذاه واشهاد[1] خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالخلع تركت جميعها لانها لا تليق بالمنصور وعدالته

(١) لعلها: وأشهد.

المقطوع بها فلا يصح من تلك الاخبار شيء .

خروج استادسيس

كان رجل ادّعى النبوّة في جهات خراسان فاجتمع اليه نحو ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هَراةَ وباذغيس وسِجِسْتان، وسار اليه الأَخْثَمُ عامل مرو الروذ في العساكر، فقاتل الاخثم وعامة أصحابه، وتتابع القواد في لقائه فهزمهم . وبعث المنصورُ وهو بالبِرْدَانِ خازِمَ بن خُزَيْمَةَ الى المهديّ في اثني عشر ألفاً، فولاه المهدي حربه فزحف اليه في عشرين ألفاً . وجعل على ميمنته الهَيْثَم بن شُعْبَةَ ابن ظهير، وعلى ميسرته نهار بن حِصنٍ السَّعْدِيّ، وفي مقدّمته بكّار ابن مسلم العُقَيْلي، ودفع لواءه للزبرقان. ثم راوغهم في المزاحفة وجاء الى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب، وأتى أصحاب أُسْتَادَسِيس بالفؤس والمواعيل ليطموا الخندق، فبدؤا بالباب الذي يلي بكار بن مسلم، فقاتلهم بكار وأصحابه حتى ردّوهم عن بابهم . فأقبلوا على باب خازم وتقدّم منهم الحُرَيْش من أهل سجستان، فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكار ويأتي العدوّ من خلفهم، وكانوا متوقعين قدوم أبي عون وعُمَرَ بن مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ وخرج خازم على الحُرَيْش واشتدّ قتاله معهم . وبدت أعلام الهيثم من ورائهم، فكبّر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم، ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمرّ فيهم القتل، فقتل سبعون ألفاً وأسر أربعة عشر، وتحصّن استادسيس على حكم أبي عون، فحكم بأن يوثق هو

وبنوه ويعتق الباقون، وكتب الى المهدي بذلك فكتب المهدي الى المنصور . ويقال ان استادسيس أبو مَراجِلَ أمّ المأمون وابنه غالب خال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل .

ولاية هشام بن عمر الثعلبي على السند

كان علي السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عُثمان بن قُبَيْصَة ابن أبي صُفْرَة ويلقب هزار مرد ـ يعني ألف رجل ـ ولما كان من أمر المهدي ما قدمناه بعث ابنه عبدالله الاشتر الى البصرة ليدعو له، فسار من هنالك الى عمر بن حفص وكان يتشيّع فأهدى له خيلاً ليتمكن بها من لقائه . ثم دعاه فأجاب وبايع له وأنزله عنده مختفياً ودعا القواد وأهل البلد فأجابوا فمزق الاعلام، وهيأ لبسة من البياض يخطب فيها، وهو في ذلك اذ فجاءه الخبر بقتل المهدي، فدخل على ابنه أشتر وعزّاه . فقال له الله الله في دمي فأشار عليه باللحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة كان يعظم جهة النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان معروفاً بالوفاء، فأرسل اليه بعد أن عاهده عليه، واستقر عند ذلك الملك .

وتسلل اليه جماعة من الزَّيْدِيَّةِ نحواً من أربعمائة، وبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب الى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السند وعرض له يوماً هشام بن عمر الثعلبي وهو راكب، ثم اتبعه الى بيته وعرض عليه أخته فقال للربيع : لو كانت لي حاجة في النكاح لقبلت فجزاك الله خيراً، وقد وليتك السند فتجهز لها،

وأمره أن يحارب ملك السند ويسلم اليه الاشتر ففعل، وأقام المنصور يستحثه . ثم خرجت خارجة بالسند فبعث هشام أخاه سفيحاً لحسم الداء عنها فمر بنواحي ذلك الملك، فوجد الأشتر يتنزه في شاطيء مهران في عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قُتل وقتل أصحابه جميعاً. وكتب هشام بذلك الى المنصور فشكره وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته . وبعث بسراري عبدالله الأشتر ومعه ولد منه اسمه عبدالله بعث بهم المنصور الى المدينة وأسلمه الى أهله . ولما وَلّى هشام بن عمر على السند وعزل عمر بن حفص عنها . ثم حدث فتق بافريقية بعثه الى سدّه كما سيأتي في أخبارها .

بناء الرصافة للمهدي

ولما رجع المهديُّ من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وحملهم وكذلك المنصور . ثم شغب عليهم الجند فأشار عليهم قُثَمُ بن العبّاس ابن عُبَيْدِالله بن العباس بأن يفرّق بينهم ويستكفيه في ذلك، وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسله والعباس وأمير المؤمنين أي الحيين من أشرف اليمن أم مضر؟ فقال : مُضَرُ كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله، فغضب اليمن اذ لم يذكر لها فضلاً، ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنعت مضر وقطعوا الذي كبحها،

فتشاجر الحيّان وتعصبت لليمن ربيعة والخراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق، وقال قثم للمنصور اضرب كل واحدة بالاخرى وسير لابنك المهدي فلل أثير له بجنده فيتناظرون في أهل مدينتك، فقبل رأيه وأمر صالحاً صاحب المصلّى ببناء الرصافة للمهدي .

مقتل معن بن زائدة

كان المنصور قد ولّى على سجستان معن بن زائدة الشَيْبَانِيّ وأرسل الى رَتْبيل في الضريبة التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الثمن، فغضب معن وسار الى الرجح على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد، ففتحها وسبى أهلها وقتلهم، ومضى رتبيل الى عزمه، وانصرف معن الى بَسْتَ فشتى بها . ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وفتكوا به في بيته . وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدّت على اهل البلاد وطأته، فتحيّل بعضهم بأن كتب المنصور على لسانه كتاباً يتضجّرُ من كتب المهدي اليه ويسأله أن يعفى من معاملته، فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهديّ كتابه وعزله وحبسه، ثم شفع فيه شخص الى مدينة السلام فلم يزل مجفُوّاً حتى بعث الى يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد .

العمال على النواحي أيام السفاح والمنصور

كان السفّاح قد ولّى عند بيعته على الكوفة عمه داود بن علي، وجعل على حجابته عبد الله بن بَسّام وعلى شُرطَتِه موسى بن كعب، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك، وبعث عمه عبد الله

قتال مروان مع أبي عون بن يزيد بن قَحْطَبَة تقدمة . وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العبّاس الى المدائن، وكان أحمد بن قَحطَبه تقدمة، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عُروَةَ بن عَمّار بن ياسر الى الاهواز مدداً لبسّام بن ابراهيم . ودفع ولاية خُراسان الى أبي مسلم، فولى أبو مسلم عليها إياداً وخالد بن ابراهيم، وبعث عمه عبدالله في مقدّمته لحرب مروان أخاه صالحاً ومعه أبو عون بن يزيد، فلما ظفر وانصرف ترك أبا عون يزيد بمصر واستقل عبد الله بولاية الشام .

وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذرَبَيْجَان، فولى على ارمينية يزيد بن أسَد وعلى أذربيجان محمد بن صَوْل ونزل الجزيرة . وكان أبو مسلم ولّى على فارس محمد بن الأشعث حين قتل أبا مَسْلَمَةَ الخلّال، فبعث السفّاح عليها عيسى فنعه محمد ابن الأشعث واستخلفه على الولاية، فبعث عليها عمه اسماعيل . وولّى على الكوفة ابن أخيه موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية المُهَلَّبيّ وعلى السند منصور بن جُمْهور ونقل عمه داود الى ولاية الحجاز واليمن واليمامة . ثم ولّى على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبَحْرَيْن وعُمان . وتوفي داود بن عليّ سنة ثلاث وثلاثين، فولّى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المُدان، وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وهو عمّ محمد بن يزيد .

وفيها بعث محمد بن الأشعث الى افريقية ففتحها . وفي سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشُرْطَةِ موسى بن كعب لقتال منصور ابن جمهور، وولاه مكانه على السند، فاستخلف مكانه على الشرطة المُسَيَّبَ بن زُهَيْر. وتوفي عامل اليمن محمد بن يزيد فولّى مكانه عليّ ابن الربيع بن عُبَيْدالله الحارثي . ولما استخلف المنصور وانتقض عبـدالله بن عليّ وأبو مسلم ولى على خراسان أبا داود خالد بن ابراهيم وعلى مصر صالح بن عليّ وعلى الشام عبدالله بن عليّ .

ثم هلك خالد بن ابراهيم سنة أربعين فولى مكانه عبد الجبار ابن عبدالرحمن فانتقض لسنة من ولايتـه ، فبعث المنصور ابنه المهدي على خراسان وفي مقدمته خازِمُ بن خُزَيْمة فظفر بعبد الجبّار. وتوفي سليمان عامـل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية ، ومات موسى بن كعب بالسِنْدِ وولى مكانه ابنه عُيَيْنَة فانتقض ، فبعث المنصور مكانـه عمر بن حفص بن أبي صُفْرَة . وولى على مصر في هذه السنة حميد بن قَحْطَبَة ، وولى على الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسيد، وعزل عمه اسماعيل عن الموصل وولى مكانه مالك بن الهَيْثَم الخُزاعيّ.

وفي سنة ست وأربعين عزل الهيثم بن معاوية وولى على مكة والطائف مكانه السري بن عبدالله بن الحرث بن العباس نقله اليها من اليامة ، وولى مكانه من اليمن قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس ، وعزل حميد بن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوفل بن

الفرات . ثم عزله وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قَبِيْصَة بن المُهَلَّب ابن أبي صُفْرَة . وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبدالله القسري، ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله وولى مكانه رباح بن عثمان المُزني . ولما قتله أصحاب محمد المهدي ولى مكانه عبدالله بن الربيع الحارثيّ .

ولما قُتِلَ ابراهيم أخو المهدي سنة خمس وأربعين ولى المنصور على البصرة سالم بن قُتَيْبَةَ الباهِليّ، وولى على الموصل ابنه جعفراً مكان مالك بن الهيثم، وبعث معه حرب بن عبدالله من أكابر قوّاده، ثم عزل سالم بن قتيبة عن البصرة سنة ست وأربعين وولى مكانه محمد بن سليمان، وعزل عبدالله بن الربيع عن المدينة وولى مكانه جعفر بن سليمان، وعزل السري بن عبدالله عن مَكّة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن علي، وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لما سخطه بسبب العهد، وولى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد بن السفّاح، فاستعفاه ورجع الى بغداد فمات واستخلف بها عقبة بن سالم فاقرّه، وولى على المدينة جعفر بن سليمان، وولى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك لافساد الأكراد في نواحيها، وعزل سنة تسع وأربعين عمه عبد الصمد عن مكة وولى مكانه محمد بن ابراهيم .

وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة وولى مكانه الحسن بن زيد بن الحسن . وفي سنة احدى وخمسين عزل عمر بن

حفص عن السند وولى مكانه هشام بن عمرو الثعلبيّ، وولى عمر بن حفص على افريقية. ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مدداً له، وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد. وفي هذه السنة قتل معن بن زائدة بسجستان كما تقدّم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد، فأقره المنصور ثم عزله. وفي هذه السنة سار عُقْبَةُ بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة، فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العَدوي واستقصره المنصور باطلاق اسراهم، فعزله وولى جابر بن مومة الكلابيّ، ثم عزله وولّى مكانه عبد الملك بن طيبان النُمَيْرِيّ، ثم عزله وولى الهَيثَم ابن معاوية العكي.

وفيها ولى على مكة والطائف محمد بن ابراهيم الامام، ثم عزله وولى مكانه ابراهيم ابن اخيه يحيى بن محمد، وولى على الموصل اسماعيل بن خالد بن عبدالله القسريّ. ومات أَسيد بن عبدالله أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قَحْطَبَة. وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبيدالله ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستقضى شريك بن عبدالله النَخَعِي، وكان على اليمن يزيد بن منصور.

وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العباس وأغرمه مالاً، وولّى مكانه موسى بن كعب الخَثْعَمِيّ، وكان سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد منه، ولم يزل ساخطاً على العباس حتى غضب على عمه اسماعيل، فشفع فيه اخوته عمومة المنصور. فقال عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين شفعوا في أخيهم

وأنت ساخط على أخيك العباس منذ كذا، ولم يكلّمك فيه أحد منهم فرضي عنه .

وفي سنة خمس وخمسين عزل محمد بن سليمان عن الكوفة وولى مكانه عُمَر بن زُهَير الضَّبِّي أخا المُسَيَّب صاحب الشرطة، وكان من أسباب عزله أنه حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن ابن زائدة على الزَّنْدَقَةِ، وكتب اليه ان يتبيّن أمره، فقتله قبل وصول الكتاب . فغضب عليه المنصور وقال : لقد هممت أن أقيده به، وعزل عنه عيسى في أمره لانه الذي كان أشار بولايته . وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن علي، وكان على الاهواز وفارس عمارة بن حمزة .

وفي سنة سبع وخمسين ولّى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة فأنفذ اليها ابنه تميماً، ومات سِوار بن عبدالله قاضي البصرة فولى مكانه عبيدالله بن الحسن بن الحُصَيْن العَنْبَرِي . وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاه مطراً، وعزل هشام بن عمر عن السند وولى مكانه معبد بن الخليل .

وفي سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر ابنه المهدي أن يسير الى الرَّقَّةِ مورياً بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان المنصور قد ألزم خالد بن بَرْمَك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله في احضارها ثلاثاً والا قتله، فبعث ابنه يحيى الى عمارة بن حمزة ومبارك التركي،

وصالح صاحب المُصَلّى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم قال يحيى: فكلهم بعث إلّا أنّ منهم من منعني الدخول ومنهم من يجيبني بالردّ الا عمارة بن حمزة فانه أذن لي ووجهه الى الحائط ولم يُقبِل عليّ وسلمت فردّ خفيفاً وسأل كيف خالد فعرّفته واستقرضته فقال: ان أمكنني شيء يأتيك فانصرفت عنه.

ثم أنفذ المال فجمعناه في يومين وتعذرت ثلثمائة ألف. وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها، وسخط موسى بن كعب، فأشار عليه المُسَيَّبُ بن زُهير بخالد بن برمك فقال: كيف يصلح بعدما فعلنا؟ فقال أنا ضامنه فصفح له عما بقي عليه وعقد له على الموصل، ولأبنه يحيى على أذربيجان. وسارا مع المهدي فعزل موسى بن كعب وولاهما.

قال يحيى: وبعثني خالد الى عمارة بقرضه وكان مائة ألف فقال لي أكنت لابيك صديقاً قم عني لاقت، ولم يزل خالد على الموصل الى وفاة المنصور. وفي هذه السنة عزل المنصور المسيب ابن زهير عن شرطَتِهِ وحبسه مقيَّداً لانه ضرب أبانَ بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله، وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة. وولى المنصور على فارس نَصْرَ بن حربِ بن عبدالله. ثم على الشرطة ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبّار، وعلى قضائها عبدالله ابن محمد بن صفوان. ثم شفع المهديّ في المسيب وأعاده الى شرطته.

الصَّوائِف

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قُسْطَنْطِينُ ملك الروم الى مَلَطْيَةَ ونواحيها فنازل حصن بلخ، واستنجدوا أهل مَلَطْيَةَ فأمدّوهم بثمانمائة مقاتل، فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة، وعاملها موسى بن كعب بخراسان، فسلّموا البلد على الأمان لِقُسْطَنْطِين. ودخلوا الى الجزيرة وخرّب الروم ملطية ثم ساروا الى قاليقلا ففتحوها. وفي هذه السنة سار أبو داود وخالد ابن ابراهيم الى الختن[1] فدخلها فلم تمتنع عليه، وتحصن منه السبيل[2] ملكهم وحاصره مدّة، ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة.

ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى بلد الصين، وفيها بعث صالح ابن عليّ بن فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب. وفي سنة خمس وثلاثين غزا عبد الرحمن بن حبيب عامل افريقية جزيرة صِقِلِّيَةَ فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله. ثم سفل[3]

(١ و٢) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤٢: «وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حبيش بن الشبل ملكها بل تحصن منه هو وأناس من الدهاقين».

وفي الطبري ج ٩ ص ١٤٨: «وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوخش إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حنش بن السبل ملكها وأتاه أناس من دهاقين الختل فتحصنوا معه».

(٣) كذا بالأصل ومقتضى السياق: شغل.

ولاة افريقية بفتن البربر، فأمن أهل صقلية وعمّر الحصون والمعاقل، وجعلوا الاساطيل تطوف بصقلية للحراسة، وربما صادفوا تجار المسلمين في البحر فأخذوهم. وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ مَلَطْيَةَ عَنوَةً وهدم سورها وعفا عن أهلها. فغزا العباس بن محمد الصائفة ومعه عمّاه صالح وعيسى، وبنى ما خرّبه الروم من سور ملطية اثناء ثورة الروم، ورد اليها أهلها وأنزل بها الجند، ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل في أرضهم، ودخل جعفر بن حنظلة البَهْرانيّ من درب ملطية.

وفي سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم في اسرى قاليقلا وغيرهم. ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عبد الوهّاب ابن ابراهيم الامام ومعه الحسن بن قَحْطَبَةَ، وسار اليهم قُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الروم في مائة ألف، فبلغ جيحان، وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع، ولم تكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين، لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن. وفي سنة ست وأربعين، خرج الترك والخزر من باب الابواب وانتهوا الى ارمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا.

وفي سنة سبع وأربعين أغار أَستَرْخان الخوارَزميّ في جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى، ودخل تفليس، فعاث فيها. وكان حرب بن عبدالله مقيماً بالموصل في الفين من الجند لمكان الخوارزمي بالجزيرة، فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى،

فانهزموا وقتل حرب في كثير من المسلمين . وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبدالله الخثعمي من أهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحرث [1]. وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا . ومات محمد بن الاشعث في طريقه في سنة احدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر .

ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زُفَرُ بن عاصم الهِلاليّ . وفي سنة خمس بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدّي الجزية، وغزا بالصائفة يزيد بن أُسَيْد السَلَمِيّ وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحرثي ولقي العدوّ فاقتتلوا ثم تحاجزوا .

وفاة المنصور وبيعة المهدي

وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذي الحجة، وكان قد أوصى المهديّ عند وداعه فقال : لم أدع شيئاً الا تقدّمت اليك فيه، وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها، وله سَفَطٌ فيه دفاتر علمه

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٢ : وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمي الذي يقال له مالك ـ الصوائف (وهو من أهل فلسطين) بلاد الروم، فغنم غنائم كثيرة ثم قفل فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة نزل بها ثلاثاً وباع الغنائم .

وعليه قفل لا يفتحه غيره . فقال للمهديّ : انظر الى هذا السَفَطِ فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، فان أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير، فان أصبت فيه ما تريد والا ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة . فان ثقل عليك فالكرّاسة الصغيرة فانك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل .

فانظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها، وقد جمعت فيها من الاموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذريّة ومصلحة البيوت . فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل . واوصيك بأهل بيتك وان تُظهِرَ كرامتهم وتحسن اليهم وتقدّمهم وتوطىء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزّهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل . واوصيك بأهل خراسان خيراً فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك، وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم، وان تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وَوُلْدِهِ وما أظنك تفعل . واياك ان تبني مدينه الشرقيّة فانك لا تتمّ بناءها وأظنك ستفعل . واياك ان تستعين برجل من بني سُلَيْمٍ وأظنك ستفعل . واياك أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل .

وقيل قال له اني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد يحس في نفسي أن أموت في ذي الحجة في هذه السنة وانما

حدٌّ في الحج على ذلك . فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجاً ومخرجاً ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . يا بني احفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمّته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك، واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحدود فان فيها صلاحك في الآجل وصلاحك في العاجل ولا تعتد فيها فتبور، فان الله تعالى لو علم ان شيئاً أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لامر به في كتابه .

واعلم ان من شدّة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الارض فساداً مع ما ادّخر له من العذاب الاليم فقال : إنّما جزاءُ الذين يُحاربونَ اللهَ ورَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَساداً الآية . فالسلطان يا بنيّ حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم فاحفظه وحصِّنْهُ وذبّ عنه، وأوقع بالملحدين واقمع المارقين منه، وقابل الخارجين عنه بالعقاب، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تشطط فانّ ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء، واعف عن الفيء فليس بك اليه حاجة مع ما أخلفه لك . وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والاثرَةِ والتبذير لأموال الرعيّة، واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمِّن السبيل وسكّن العامة، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعدّ الاموال واخزنها، واياك والتبذير

فان النوائب غير مأمونة وهي من شِيَم الزمان . وأعدّ الاكراع والرجال والجند ما استطعت .

وإياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتداول الامور وتضيع، وخذ في احكام الامور النازلات في أوقاتها أوّلاً، أوّلاً، واجتهد وشمّر فيها وأعدّ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حسن الظنّ وأسيء الظنّ بعملك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقّظ وتفقّد من يبيت على بابك وسهّل اذنك للناس وانظر في أمر النزاع اليك وكِلْ بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير ساهية . ولا تنم فان أباك لم ينم منذ ولِيَ الخلافَةَ ولا دخل عينيه الغمض إلّا وقلبه مُستَيقِظ . هذه وصيّتي اليك، والله خليفتي عليك .

ثم ودّعه وسار الى الكوفة فأحرم منها قارِناً ، وساق الهَدْيَ وأشعره وقلده لايام خلت من ذي القعدة . ولما سار منازل عرض له وجعه الذي مات به . ثم اشتدّ فجعل يقول للربيع — وكان عديله — بادر بي الى حرم ربيّ هارباً من ذنوبي ، فلما وصل بئر ميمون مات سحر السادس من ذي الحجة لم يحضر إلا خدمه والربيع مولاه . فكتموا الأمر ثم غدا أهل بيته على عادتهم، فدعا عيسى بن عليّ العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد ثم الاكابر وذوي الأنساب ثم عامّتهم . فبايعهم الربيع للمهديّ، ثم بايع القوّاد وعامّة الناس . وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان

الى مكة فبايعا الناس للمهديّ بين الرُكن والمقام وجهّزوه الى قبره، وصلى عليه عيسى بن موسى، وقيل ابراهيم بن يحيى. ودفن في مقبرة المعلاة وذلك لاثنتين وعشرين سنة من خلافته.

وذكر عليّ بن محمد النَوْفليّ عن أبيه، وهو من أهل البصرة وكان يختلف الى المنصور تلك الايام قال: جئت من مكة صبيحة موته الى العسكر فاذا موسى بن المهديّ عند عمود السُرادِق، والقاسم بن المنصور في ناحية فعلمت انه قد مات.

ثم أقبل الحسن بن زيد العلوي والناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همس البكاء. ثم خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الأقبيَة وعلى رأسه التراب وهو يستغيث، وقام القاسم فشق ثيابه، ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأه على الناس وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبدالله المنصور أمير المؤمنين، الى من خلف من بني هاشم وشيعة من أهل خراسان وعامة المسلمين، ثم بكى وبكى الناس ثم قال: البكاء امامكم فانصتوا رحمكم الله! ثم قرأ: أمّا بعد فاني كتبت كتابي هذا وأنا حيٌّ في آخر يومٍ من أيام الدنيا اقرأ عليكم السلام، وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يُلبِسَكُمْ شِيَعاً ولا يُذيقَ بعضكم بأس بعض.

ثم أخذ في وصيتهم للمهدي وحثهم على الوفاء بعهده. ثم تناول الحسن بن زيد وقال: قم فبايع: فبايع موسى بن المهدي لابيه،

ثم بايع الناس الاوّل فالاوّل . ثم دخل بنو هاشم وهو في أكفانه مكشوف الرأس لمكان الاحرام، فحملوه على ثلاثة أميال من مكـة فدفنوه . وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أبى من الشيعة، فقال له عليّ بن عيسى بن ماهان : والله لتبايعنّ وإلّا ضربنا عنقك . ثم بعث موسى بن المهدي والربيع بالخبر والبُرْدَة والقضيب وخاتم الخلافة الى المهدي وخرجوا من مكة.

ولما وصل الخبر الى المهديّ منتصف ذي الحجة اجتمع اليه أهل بغداد وبايعوه، وكان أوّل ما فعله المهديّ حين بويع أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلّا من كان في دمٍ أو مال أو ممن يسعى بالفساد، وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن .

فلما أطلق ساء ظن ابراهيم وبعث الى من يثق به بحفر سرب يفضي الى محبسه، وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء الى ابن علاثَةَ القاضي وأوصله الى أبي عبيد الله الوزير ليوصله الى المهديّ فأوصله واستخلاه فلم يحدِّثه حتى قام الوزير والقاضي وأخبره بتحقيق الحال، فأمره بتحويل الحسن، ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به . وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال أعطِه الامان وأنا أُحضِره وأَحضَرَه. ثم طلب من المهديّ أن يجعل له السبيل في رفع أمور الناس وراء بابه اليه فأذن له وكان يدخل كلما أراد، ويرفع اليه النصائح في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وترويح العذاب وفكاك

الاسرى والمحبوسين ، والقضاء عن الغارمين والصدقة على المتعففين، فحظي بذلك وتقدّمت منزلته وسقطت منزلة أبي عبدالله ، ووصله المهدي بمائة ألف وكتب له التوقيع بالاخاء في الله .

ظهور المقنع ومهلكه

كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيماً وهاشمياً، وكان يقول بالتناسخ وأن الله خلق آدم فتحوّل في صورته ثم في صورة نوح ، ثم الى أبي مسلم ثم الى هاشم وهو المقنع . فظهر بخراسان وادّعى الالٰهيّة واتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه فسمّي المقنّع، وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثاره ، وتبعه خلق عظيم من الناس وكانوا يسجدون له . وتحصن بقلعة بَسّام من رساتيق كَشّ وكان قد ظهر ببُخارى والصُغْدِ جماعة من المُبَيِّضَةِ فأجتمعوا معه على الخلاف ، وأعانهم كفّار الاتراك وأغاروا على المسلمين من ناحيتهم، وحاربهم أبو النعمان والجُنَيْدُ ولَيْثُ بن نصر بن سَيّار ، فقتلوا أخاه محمد بن نصر وحسّان ابن اخيه تميم .

وأنفذ المهديّ اليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال المبيضة، فقاتلوهم أربعة أشهر في بعض حصون بخارى وملكوه عَنْوَةً فقتل منهم سبعمائة ، ولحق فلّهم بالمقنّع وجبريل في اتباعهم . ثم بعث المهدي أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله ، فبعث معاذ بن مسلم في جماعة القوّاد والعساكر ، وعلى مقدّمته سعيد الحرشي ، وأتاه عُقْبَةُ بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب

المقنّع فهزموهم، ولحق فلّهم بالمقنّع في بسّام فتحصنوا بها . وجاء معاذ فنازلهم وفسد ما بينه وبين الْحُرَيْشِيّ، فكتب الحريشي الى المهديّ بالسعاية في معاذ، ويضمن الكفاية ان أفرد بالحرب، فأجابه المهديّ الى ذلك وانفرد بحرب المقنع وأمدّه معاذ بابنه وجاؤا بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الامان سرّاً فأمّنهم وخرج اليه ثلاثون ألفاً وبقي معه زهاء ألفين، وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه واهله . فيقال سقاهم السُمّ، ويقال بل احرقهم واحرق نفسه بالنار، ودخلوا القلعة وبعث الحريشي برأس المقنع الى المهدي فوصل اليه بحلب سنة ثلاث وتسعين .

الولاة أيام المهدي

وعزل المهديّ سنة تسع وخمسين عمه اسماعيل عن الكوفة وولى عليها اسحق بن الصبَّاح الكِنْدِيّ ثم الاشعي، وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحيّ وعزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة، وعُبَيدَالله بن الحسن عن الصلاة وولّى مكانهما عبدالملك بن أيوب بن طيبان الفُهيريّ . ثم جعل الاحداث الى عمارة بن حمزة فولاها للسَّوْدِ بن عبدالله الباهِلِيّ . وعزل قثم بن العبّاس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح، وعزل مطراً مولى المنصور عن مصر وولى مكانه أبا ضُمْرَة محمد بن سليمان . وعزل عبد الصّمد ابن عليّ عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبدالله الكُثَيْرِيّ ثم عزله وولى عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان، ثم عزله

وولي مكانه زُفَرَ بن عاصم الهلاليّ .

وتوفي معبد بن الخليل عامل السند فولى مكانه رَوْح بن حاتم باشارة وزيره أبي عبدالله، وتوفي حميد بن قحطبة بخراسان فولى عليها مكانه ابا عون عبد الملك بن يزيد ثم سَخَّطه سنة ستين فعزله، وولى معاذ بن مسلم . وولى على سجستان حمزة بن يحيى، وعلى سَمَرْقَنْدَ جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصنها . وكان على اليمن رجاء بن روح، وولى على قضاء الكوفة شريك (١) . وولى على فارس والاهواز ودجلة قاضي البصرة عبيدالله بن الحسن، ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان . وولى على السند بسطام ابن عمر، وولى على اليمامة بشر بن المنذر .

وفي سنة احدى وتسعين ولى على السند محمد بن الاشعث، واستقضى عافية القاضي مع ابن عِلاثة بالرصافة، وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة وولى مكانه عبد الصمد بن علي، وولى عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان السروري على الموصل وبسطام بن عمر الثعلبي على أذربيجان وعزله عن السند.

وتوفي نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة، فولى مكانه حمزة بن مالك وكان الابان بن صَدَقة كاتباً للرشيد فصرفه وجعله مع الهادي وجعل هو مع هارون يحيى بن خالد، وعزل محمد بن

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٥٤ : وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى خراجها ثابت بن موسى، وعلى قضائها شريك.

سليمان أبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سليمان بن رجاء . وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى احداثها اسحاق بن منصور. وفي سنة ست وستين عزل علي بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبدالله بن سليمان، وعزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولى مكانه عيسى بن لقمان، ثم عزله لاشهر وولى مكانه مولاه واضحاً، ثم عزله وولى مكانه يحيى الْحُرَشِيّ وكان على طبرستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج، وعلى جرجان مَهْلِيل بن صفوان، ووضع ديوان الارمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه .

العهد للهادي وخلع عيسى

كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهدي خاضوا في خلع عيسى ابن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي، وفي ذلك الى المهدي فسرّ به واستقدم عيسى بن موسى من منزله بالرَّحَبَة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوم . فاستعمل المهدي على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالاضرار فلم يجد سبيلًا الى ذلك . وكان عيسى لا يدخل الكوفة الا يوم جمعة أو عيد . وبعث اليه المهدي يتهدّده فلم يجب، ثم بعث عمه العباس يستقدمه فلم يحضر . فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه اليه، وقدم على عسكر المهدي وأقام أياماً يختلف اليه ولا يكلم بشيء . حضر الدار يوماً وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه، فثاروا به وأغلق الباب الذي كان خلفه فكسروه، وأظهر المهدي النكير عليهم فلم يرجعوا

الا ان كاشفه أكابر أهل بيته وأشدّهم محمد بن سليمان، واعتذر بالايمان التي عليه . فأحضر المهديّ القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن عِلاثة ومُسْلِم بن خالد الزنجي فأفتوه بمخارج الأيمان، وخلع نفسه وأعطاه المهدي عشرة آلاف درهم وضياعاً بالزاب وكسكر، وبايع لابنه موسى الهادي بالعهد. ثم جلس المهديّ من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج الى الجامع وعيسى معه، فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادي ودعاهم اليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع .

فتح باربد من السند

وبعث المهدي سنة تسع وخمسين عبد الملك بن شهاب المِسْمَعي في جمع كثير من الجند والمقطوعة الى بلاد الهند، فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند، وفتحوا باربد فافتتحوها عَنْوَةً ولجأ أهلها الى البدّ فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام الى أن يطيب الريح، فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم ابراهيم بن صبيح. ثم ركبوا البحر الى فارس، فلما انتهوا الى ساحل حَران عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم .

حج المهدي

وفي سنة ستين حجّ المهديّ واستخلف على بغداد ابنه الهادي وخاله يزيد بن منصور، واستصحب ابنه هارون وجماعةً من أهل بيته، وكان معه الوزير يعقوبُ بن داود، فجاء في مكة بالحسن

ابن ابراهيم الذي ضمنه على الامان فوصله المهديّ وأقطعه. ولما وصل الى مكة اهتمّ بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها. وكانت فيها كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين، وقسم مالاً عظيماً هنالك في مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم، ووصل اليه من مصر ثلثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائة ألف دينار، ففرّق ذلك كله. وفرّق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسّع المسجد، ونقل خمسمائة من الانصار الى العراق جعلهم في حَرَسه وأقطع لهم وأجرى الارزاق. ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور، من القادِسيّة الى زُبَالَة. وأمر باتخاذ المصانع في كل منها منهل، وبتحديد الاميال وحفر الآبار، وولّى على ذلك يقطين بن موسى. وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المنابر الى مقدار منبر النبيّ صلى الله عليه وسلم. وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد يقطين، فدخلت فيه دور كثيرة، ولم يزل البناء فيهما الى وفاة المهدي.

نكبة الوزير أبي عبد الله

كان أبو عبدالله الاشعري قد اتصل بالمهديّ أيام أبيه المنصور، فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه الى خُراسان وعظمت به بطانة المهديّ فأكثروا فيه السعاية وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه. فكتب المنصور

الى المهديّ بالوصاة به وأن لا يقبل فيه السعاية. ولما مات المنصور وقام الربيع ببيعة المهديّ وقدموا الى بغداد جاء الربيع الى باب أبي عبدالله قبل المهدي وقبل أهله، فعذله ابنه الفضل على ذلك فقال هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله بغير ما كنا نعامله، وإيّاك ان تذكر ما كنا نصنع في حقه او تمّن بذلك في نفسك. فلما وقف ببابه أمهله طويلاً من المغرب الى العشاء. ثم أذن له فدخل عليه وهو متكيء فلم يجلس ولا اقبل عليه.

وشرع الربيع يذكر امر البيعة فكفّه وقال: قد بلغنا أمركم: فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعذل فيما فعل بأن لم يكن الصواب. فقال له: ليس الصواب الا ما عملته، ولكن والله لانفقنّ مالي وجاهي في مكروهه، وجدّ في السعاية فيه فلم يجد طريقاً اليها لاحتياطه في امر دينه وأعماله. فأتاه من قبل ابنه محمد، ودسّ الى المهدي بعرضه لحرمه وانه زنديق، حتى اذا استحكمت التهمة فيه أحضره المهدي في غيبة من أبيه ثم قال له: اقرأ! فلم يحسن فقال لابيه: ألم تقل ان ابنك يقرأ القرآن؟ فقال فارقني منذ سنين وقد نسي، فأمر به المهدي فقتل. واستوحش من ابي عبدالله وساءت منزلته الى ان كان من امره ما نذكره، وعزله عن ديوان الرسائل وردّه الى الربيع، وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهديّ وعظم شأنه وأنفذ عهده الى جميع الآفاق بوضع الامناء ليعقوب، وكان لا ينفذ كتاب المهدي حتى يكتب

يعقوب الى يمينه بانفاذ ذلك .

ظهور دعوة العباسية بالأندلس وانقطاعها

وفي سنة احدى وستين اجاز عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرِيّ من افريقية الى الاندلس داعيةً لبني العباس ونزل بساحل مرسية، وكاتب سليمان بن يَقْطِنَ عامل سَرَقَسْطَةَ في طاعة المهديّ فلم يجبه. وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد الى تدبير . وسار اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس وأحرق السفن في البحر تضييقاً على ابن حبيب في النجاة، فاعتصم بجبل منيع بنواحي بَلَنْسِيَةَ فبذل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه اليه، فأعطاه الف دينار وذلك سنة اثنتين وستين . وهمّ عبد الرحمن صاحب الاندلس أمر ذلك لغزو الشام من الاندلس على العُدْوَةِ الشمالِيَّةِ لأخذ ثاره، فعصى عليه سليمان بن يقطن والحسين ابن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصاري في سرقسطة فشغلوه عما اعتزم عليه من ذلك .

غزو المهدي

تجهز المهديّ سنة ثلاث وستين لغزو الروم، وجمع الاجناد من خراسان ومن الآفاق، وتوفي عمه عيسى بن عليّ آخر جمادى الاخيرة بعسكره، وسار من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي واستصحب هارون ومرّ في طريقه بالجزيرة والموصل، فعزل عبد الصمد بن عليّ وحبسه ثم أطلقه سنة ست وستين . ولما جاز ببني

مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ذكره عمه العباس بما فعله مسلمة مع جدّهم محمد بن عليّ، وكان أعطاه مرّة في اجتيازه عليه ألف دينار، فأحضر المهدي وُلْدَ مسلمة ومواليه وأعطاهم عشرين ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق، وعبر الفرات الى حلب، فأقام بها وبعث ابنه هارون للغزو وأجاز معه الدروب الى جيحان مشيّعاً، وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن برمك، وكان اليه أمر العسكر والنفقات وحاصروا حصن سمالو أربعين يوماً ثم فتحوه بالأمان، وفتحوا بعده فتوحاتٍ كثيرة، وعادوا الى المهدي وقد أثخن في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم. ثم قفل الى بغداد ومرّ ببيت المقدس وصلى في مسجده ورجع الى بغداد.

العهد لهارون

وفي سنة ست وستين أخذ المهدي البيعة لابنه هارون بعد أخيه الهادي ولقبه الرشيد.

نكبة الوزير يعقوب بن داود

كان أبو داود بن طُهْمان كاتباً لنَصْرِ بن سيّار هو واخوته، وكان شيعياً وعلى رأي الزيدِيّة. ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكاتبه بأخبار نصر فأقصاه نصر، فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمنه في نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نصر، وأقام بعد ذلك عاطلاً. ونشأ له وُلد أهل أدب وعلم،

وصحبوا اولاد الحسن . وكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله فورثوا ذلك عنه، ولما قتل ابراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعَلِيّاً مع الحسن بن ابراهيم حتى توفي ، وأطلقهما المهديّ بعده مع من أطلق . وداخله المهديّ في أمر الحسن لما فرّ من الحبس فكان ذلك سبباً لوُصْلَته [1] بالمهديّ حتى استوزره، فجمع الزيدِيّة وولاهم شرقاً وغرباً، وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهديّ يقبل سعايتهم حتى يروا أنها قد تمكنت ، فاذا غدا عليه تبسم وسأله .

وكان المهديّ مشتهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك وفيما يناسبه ويتغلّب برضاه ، وسامره في بعض الليالي وجاء ليركب دابّته وقد نام الغلام، فلما ركب نفرت الدابة من قَعْقَعَةِ ردائه فسقط ورَمَحته فانكسر ، فانقطع عن المهدي وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحُبس وحبس عُمّاله وأصحابه . ويقال بل دفع اليه عِلَوِيّاً ليقتله فأطلقه ، ونُمِيَ ذلك الى المهديّ فأرسل من أحضره ، وقال ليعقوب ابن العلوي ؟ فقال قتلته ، فأخرجه اليه حتى رآه . ثم حبس في المطبق ودلّي في بئر فيه . وبقي أيام المهدي والهادي ثم أخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له . وقيل في سبب تغيّره انه كان ينهى المهديّ عن شرب اصحابه النبيذ عنده ، ويكثر عليه في ذلك ويقول : أبعد الصلوات الخمس في

(١) بمعنى الاتصال.

المسجد الجامع يُشْرَبُ عندكَ النبيذ ! لا والله لا على هذا استوزرتني ولا عليه صَحِبْتُك .

مسير الهادي الى جرجان

وفي سنة سبع وستين عصى وتداهرمن وشروين ملكا طبرستان [١] من الديلم ، فبعث المهديّ ولي عهده موسى الهادي ، وجعل على جنده محمد بن حميد، وعلى حجابته نفيعاً مولى المنصور، وعلى حرسه عيسى بن ماهان، وعلى رسائله أبان بن صدقة . وتوفي ابان بن صدقة فبعث المهديّ مكانه أبا خالد الأَجرَد فسار المهديّ وبعث الجنود في مقدّمته وأمّر عليهم يزيد، فحاصرهما حتى استقاما. وعزل المهديّ يحيى الحرشيّ عن طَبَرَستان وما كان اليه، وولى مكانه عمر بن العلاء، وولى على جرجان فراشة مولاه . ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحرشي في أربعين ألفاً الى طبرستان .

العمال بالنواحي

وفي سنة ثلاث وستين ولّى المهدي ابنه هارون على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية، وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى، وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك . وعزل زُفَرَ بن عاصم عن الجزيرة وولى مكانه عبدالله بن صالح، وعزل مَعاذ بن مسلم عن خراسان وولى مكانه المُسَيَّب بن زُهَيرِ الضَّبّي، وعزل يحيى الحَرَشِي

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٦٩ : في هذه السنة سار موسى الهادي إلى جرجان في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد بمثله لمحاربة ونداد هرمز وشرو بن صاحبي طبرستان.

عن أصبهان وولى مكانه الحَكَم بن سعيد، وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان وولى مكانه عمر بن العلاء، ومُهَلْهِلَ بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد . وكان على الحجاز واليمامة جعفر ابن سليمان، وعلى الكوفة اسحاق بن الصباح، وعلى البحرين والبصرة وفارس والاهواز محمد بن سليمان، فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود .

وكان على السِنْدِ محمد بن الأشعث . وفي سنة خمس وستين عزل خلف بن عبدالله عن الريّ وولاها عيسى مولى جعفر، وولى على البصرة رَوْحَ بن حاتم، وعلى البَحْرَيْنِ وعُمَانَ والأَهوَاز وفارس وكرمان النُعْمان مولى المهديّ . وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولى مكانه أحمد بن اسماعيل . وفي سنة ست وستين عزل عبيدالله ابن حسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق بن عِمْرَان بن حُصَيْن فاستعفى أهل البصرة منه . وولى المهديّ على قضائه أبا يوسف حين سار الى جرجان . واضطربت في هذه السنة خراسان على المسيب بن زُهَيْر فولاها أبا العباس الفضل ابن سليمان الطوسيّ وأضاف اليه سجستان، فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج . وولى على المدينة ابراهيم ابن عمه، وعزل منصور ابن يزيد عن اليمن وولى مكانه عبدالله بن سليمان الرّبْعي .

وكان على مصر ابراهيم بن صالح، وتوفي في هذه السنة عيسى ابن موسى بالكوفة وهي سنة سبع وستين . وعزل المهدي يحيى

الحريشي عن طبرستان والرويان وما كان اليه، وولاه عمر بن العلاء وولى على جرجان فراشة مولاه . وحجّ بالناس ابراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج، فولّى مكانه اسحاق بن موسى بن عليّ وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثيّ وعلى اليمامة عبدالله بن مُصعَب الزُبَيريّ وعلى البصرة محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التميمي وعلى الموصل أحمد ابن اسماعيل الهاشمي . وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد في بادية البصرة من الأعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة .

الصوائف

وفي سنة تسع وخمسين أغزى المهدي عمّه العباس بالصائفة وعلى مقدّمته الحسن الوصيف، فبلغوا أَهرَةَ وفتحوا مدينة أُوْهَرَةَ ورجعوا سالمين ولم يصب من المسلمين أحد . وفي سنة احدى وستين غزا بالصائفة ثُمامَةُ بن الوليد فنزل دابِق وجاشت الروم مع ميخاييل في ثمانين ألفاً، ونزل عَمقَ مَرْعَش فقتل وسبى وغنم، وحاصر مرعش وقتل من المسلمين عدداً وانصرف الى جيحان، فكان عيسى بن علي مرابطاً بحصن مرعش، فعظم ذلك على المهديّ وتجهّز لغزو الروم . وخرجت الروم سنة اثنتين وستين الى الحرث فهدموا أسوارهـا . وغزا بالصائفة الحسن بن قَحطَبَةَ في ثمانين ألفاً من المُرتَزِقَة فبلغ جهة أَذرَرَ كَبَه، وأكثر التحريق والتخريق ولم يفتح حِصناً ولا لقي

جمعاً ورجع بالناس سالماً .

وغزا يزيد بن أُسَيْد السُلَمِيّ من ناحية قاليقلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون . ثم غزا المهدي بنفسه سنة ثلاث وستين كما مرّ . ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخَطّاب مـن درب الحرث فخرج اليه ميخاييل وطارد الارمني البطريقان في تسعين الفاً فخام عن لقائهم، ورجع بالناس فغضب عليه المهديّ وهمّ بقتله فشفع فيه وحبسه . وفي سنة خمس وستين بعث المَهْدِيُّ ابنه هارون بالصائفة وبعث معه الربيع، فتوغل في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا من القواميس، فبارزه يزيد بن مزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمشق[1] صاحب المسالح، فحمل لهم مائتي ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم، وسار الرشيد بعساكره وكانت نحواً من مائة ألف، فبلغ خليج قُسْطَنْطِينِيّة وعلى الروم يومئذ غُسْطَة امرأة إليون كافلةً لابنها منه صغيراً، فجرى الصلح على الفدية وأن تُقِيمَ له الأَدِلّاء والاسواق في الطريق لان مدخله كان ضيقاً مخوفاً فأجابت لذلك . وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة، ومدة الصلح ثلاث سنين.

وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس، وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون الفاً ومن الاسرى الفان . ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان

(١) كذا بالأصل وهو الدمستق كما في كتب التاريخ .

وستين ولم يستكملوا مدته، بقي منها أربعة أشهر . وكان على الجزيرة وقنسرين علي بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البَطَّال في عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا .

وفاة المهدي وبيعة الهادي

وفي سنة تسع وستين اعتزم المهدي على خلع ابنه موسى الهادي من العهد، والبيعة للرشيد به، وتقديمه على الهادي، وكان بجرجان فبعث اليه بذلك فاستقدمه، فضرب الرسول وامتنع . فسار اليه المهدي، فلما بلغ ماسَبْذان توفي هنالك . يقال مسموماً من بعض جواريه، ويقال سمّت احداهما الاخرى في كمثرى، فغلط وأكلها ، ويقال حاز صيداً فدخل وراءه الى خربة فدق الباب ظهره . وكان موته في المحرّم، وصلّى عليه ابنه الرشيد، وبويع ابنه موسى الهادي لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طَبَرَستان .

وكان الرشيد لما توفي المهدي والعسكر بماسبذان نادى في الناس بالعطاء تسكيناً، وقسم فيهم مائتين مائتين، فلما استوفوها تنادوا بالرجوع الى بغداد وتشايعوا اليها واستيقنوا موت المهدي، فأتوا باب الربيع وأحرقوه، وطالبوا بالارزاق ونقبوا السجون . وقدم الرشيد بغداد في اثرهم، فبعثت الخيزران الى الربيع، فامتنع يحيى خوفاً من غيرة الهادي، وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا، وكتب الهادي الى الربيع يتهدّده، فاستشار يحيى

في أمره وكان يثق بودّه، فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل، ورضي الهادي عنه، وأخذت البيعة ببغداد للهادي .

وكتب الرشيد بذلك الى الآفاق، وبعث نصيراً الوصيف الى الهادي بجرجان، فركب البريد الى بغداد فقدمها في عشرين يوماً . فاستوزر الربيع، وهلك لمدّة قليلة من وزارته . واشتد الهادي في طلب الزنادقة وقتلهم، وكان منهم علّي بن يقطين ويعقوب بن الفضل من وُلدِ ربيعة بن الحرث بن عبد المُطّلب، كان قد أقرّ بالزندقة عند المهدي الا أنه كان مُقْسِماً أن لا يقتل هاشِمِياً فحبسه وأوصى الهادي بقتله وبقتل وُلدِ عَمِّهم داودَ بن علي فقتلهما .

وأما عماله فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عُبَيْدِالله ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعلى مكة والطائف عبدالله بن قثم، وعلى اليمن ابراهيم بن مسلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سُوَيْد القائد الخراساني، وعلى عُمان الحسن بن سليم الحواري، وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى، وعلى البصرة ابن سليمان، وعلى جرجان الحجّاج مولى الهادي، وعلى قومس زياد بن حسّان، وعلى طبرستان والرّويان صالح بن عُمَيرَة مولى (١) وعلى

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٣٢: صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي وعلى أصبهان طيفور مولى الهادي.

الموصل هاشم بن سعيد بن خالد، وعزله الهادي لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن علي .

وأمّا الصائفة فغزا بها في هذه السنة وهي سنة تسع وستين معيوب [1] بن يحيى، وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم الى الحرث فهرب الوالي ودخلها الروم وعاثوا فيهـا، فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب، وبلغ مدينة استة وغنم وسبى وعاد.

ظهور الحسين المقتول بفتح [2]

وهو الحسين بن علي بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط ، كان الهادي قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مرّ فأخذ يوماً ، الحسن بن المهدي بن محمد بن عبدالله بن الحسين الملقب أبا الزفت ومسلم بن جندب الهُذَلي الشاعر وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم، فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم ، وجاء الحسين اليه فشفع فيهم وقال : ليس عليهم حدّ فانّ أهل العراق لا يرون به بأساً وليس من الحد أن تطيفهم فحبسهم. ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبدالله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس .

وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضاً ويعرضون، فغاب

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٦: معيوف بن يحيى، وكـذا في الطبري ج ١٠ ص ٣٢.

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٤: المقتول بفخ، وفي الكامل ج ٥ ص ٧٤: وهو المقتول بفخ عند مكة.

الحسن عن العرض يومين، فطلب به الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله كافليه وأغلظ لهما، فحلف يحيى انه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به. وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم، وضرب يحيى على العمري في باب داره بالسيف، واقتحموا المسجد فصلوا الصبح، وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنّة رسوله. وجاء خالد اليزيدي في مائتين من الجند والعمري وابن اسحاق الأزرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد، واجتمع يحيى وادريس بن عبدالله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس.

وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفاً، واجتمعت شيعة بني العباس من الغد وقاتلوهم الى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا. ثم قدم مبارك التركيّ من الغد حاجاً فقاتل مع العباسية الى منتصف النهار وافترقوا، وواعدهم مبارك الرواح الى القتال، واستغفلهم وركب رواحله راجعاً واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا. ويقال إنّ مباركاً دسّ الى الحسين بذلك تجافياً عن أذيّة أهل البيت وطلب أن يأخذ له عذراً في ذلك بالبيات، فبيته الحسين واستطرد له راجعاً. وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحداً وعشرين يوما آخر ذي القعدة، ولما بلغها نادى في الناس بعتق من أتى اليه من العبيد

فاجتمع اليه جماعة .

وكان قد حج تلك السنة رجال من بني العباس منهم سليمان ابن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعبّاس بن محمد بن علي وموسى واسماعيل أبناء عيسى بن موسى ، ولما بلغ خبر الحسين الى الهادي كتب الى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذ بهم عن البصرة خوف الطريق ، فاجتمعوا بذي طُوى وقدموا مكة فحلُّوا من العمرة التي كانوا أحرموا بها ، وانضمّ اليهم من حجّ من شيعتهم ومواليهم وقوادهم، واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه الى مكة ولحقهم بذي طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشارة ، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروباً على قفاه وجبهته، وجمعت رؤس القتلى فكانت مائة ونيفاً وفيها رأس سليمان أخي المهديّ بن عبد الله ، واختلط المنهزمون بالحاج .

وجاء الحسن بن المهدي أبو الزفت فوقف خاف محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فأخذه موسى بن عيسى وقتله، وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادي لغضبه وقبض أمواله . وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب ، فبقي كذلك حتى مات الهادي ، وأفلت من المنهزمين ادريس بن عبدالله أخو

المهدي فأتى مصر وعلي بريدها، وأصبح مولى صالح بن المنصور [1] وكان يتشيّع لآل عليّ فحمله على البريد الى المغرب، ووقع بمدينة وَلِيلَةَ من أعمال طَنْجَةَ، واجتمع البربر على دعوته، وقتل الهادي وأصحابه بذلك وصلبه [2] وكان لادريس وابنه ادريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده.

حديث الهادي في خلع الرشيد

كان الهادي يبغض الرشيد بما كان المهدي أبوهما يؤثره، وكان رأى في منامه انه دفع اليهما قضيبين فأورق قضيب الهادي من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله، وتأوّل ذلك بقصر مدّة الهادي وطول مدّة الرشيد وحسنها. فلما ولي الهادي أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه، وفاوض في ذلك قواده، فأجابه يزيد ابن مَزْيَد وعلي بن عيسى وعبد الله بن مالك، وحرّضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به، ونهى الهادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس، وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادي بمداخلته، وبعث اليه وتهدده فحضر عنده مستميتاً وقال: يا أمير المومنين أنت أمرتني بخدمته من بعد المهدي! فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع، فقال يا أمير المؤمنين أنت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه، وان بايعت

(١ و ٢) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٦: فأتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان شيعياً لعلي، فحمله على البريد إلى أرض المغرب فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلة فاستجاب له من بها من البربر، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه.

بعده كان ذلك أوثق للبيعة، فصدّقه وسكت عنه.

وعاد أولئك الذين جفلوه [1] من القوّاد والشيعة فأغروه بيحيى، وانه الذي منع الرشيد من خلع نفسه، فحبسه الهادي فطلب الحضور للنصيحة، وقال له: يا أمير المؤمنين! أتظنّ الناس يسلّمون الخلافة لجعفر وهو صبيّ ويرضون به لصلاتهم وحَجّهم وغَزوهم وتأمن ان يسموا اليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك، والله لو لم يعقده المهدي لكان ينبغي أن تعقده أنت له حذراً من ذلك، واني أرى أن تعقده لاخيك، فاذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له، فقبل الهادي قوله وأطلقه. ولم يقنع القواد ذلك لانهم كانوا حذرين من الرشيد في ذلك، وضيّق عليه واستأذنه في الصيد فمضى الى قصر مقاتل، ونكره الهادي وأظهر خفاءه [2] وبسط الموالي والقواد فيه ألسنتهم.

وفاة الهادي وبيعة الرشيد

ثم خرج الهادي الى حديقة الموصل فرض واشتدّ مرضه هنالك، واستقدم العمّال شرقاً وغرباً. ولما ثقل تآمر القواد الذين بايعوا جعفراً في قتل يحيى بن خالد، ثم أمسكوا خوفاً من الهادي. ثم توفي الهادي في شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة، وقيل توفي بعد أن عاد من حديقة الموصل. ويقال: إنّ أمّه الخَيْزران وصّت

(١) من بعض معاني جفل: نفر. ولعل هذا المعنى هو المقصود هنا.
(٢) كذا. ولعلها جفاءه.

بعض الجواري عليه فقتلته لانها كانت أوّل خلافته تستبدُّ عليه بالامور فكف الناس واختلفت المواكب، ووجدَ الهادي لذلك فكلمته يوماً في حاجة فلم يجبها فقالت : قد ضمنتها لعبدالله بن مالك . فغضب الهادي وشتمه وحلف لاقضيتها فقامت مغضبة، فقال : مكانك وإلّا انتفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لئن بلغني أنّ أحداً من قوادي وخاصّتي وقف ببابك لأضربنّ عنقه ولأقبضن ماله، ما للمواكب تغدو وتروح عليك ! أمالكِ مِغزَلٌ يشغلك أو مصحف يُذَكِّرك أو بيت يصونك؟ اياك: اياك ! لا تفتحي بابك لمسلم ولا ذميّ، فانصرفت وهي لا تعقل .

ثم قال لاصحابه : أيكم يحبُّ ان يتحدّث الرجال بخبر أمّه، ويقال فعلت أمّ فلان وصنعت ؟ فقالوا لا نحبّ ذلك . قال فما بالكم تأتون أمّي فتتحدّثون معها ؟ فيقال إنه لما جدّ في خلع الرشيد خافت عليه منه، فلما ثقل مرضه وصت بعض الجواري فجلست على وجهه فمات، وصلى عليه الرشيد . وجاء هَرْثَمَةُ بن أَعْيَن الى الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة، وأحضر يحيي فاستوزره، وكتب الى الاطراف بالبيعة . وقيل : إنّ يحيى هو الذي جاءه واخرجه، فصلى على الهادى ودفنه (1) الى يحيى واعطاه خاتمه، وكان

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٨٢: وقيل لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم في فراشه فقال له: قم يا أمير المؤمنين: فقال: كم تروعني. إعجاباً منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي أن بلغه هذا؟ فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه، فبينما هو يكلمه إذ أتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله ـ وهو المأمون ـ ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادي بعيساباذ.

يحيى يصدر عن رأى الخيزران أمّ الرشيد.

وعزل لاوّل خلافته عمر بن عبد العزيز العُمَري عن المدينة وولى مكانه اسحاق بن سليمان، وتوفي يزيد بن حاتم عامل افريقية فولى مكانه رَوْحَ بن حاتم، ثم توفي فولى مكانه ابنه الفضل، ثم قتل فولّى هَرْثَمَةَ بن أعْيُن كما يذكر في أخبار افريقية. وأفرد الثغور كلّها عن الجزيرة وقِنّسرين وجعلها عِمالَةً واحدةً وسمّاها العواصم، وأمره بعِمارَةِ طرسوس ونزلها الناس. وحج لاوّل خلافته وقسم في الحرمين مالاً كثيراً.

وأغزى بالصائفة سليمان بن عبدالله البكائي، وكان على مكة والطائف عبدالله بن قُثَم، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البحرين والبصرة واليمامة وعُمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان ابن علي، وعلى خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي، ثم عزله وولّى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث. فسار الى خراسان وبعث ابنه العباس الى كابل فافتتحها وافتتح سابها وغنم ما كان فيها. ثم استقدمه الرشيد فعزله، وولى مكانه ابنه العباس، وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولى مكانه اسحاق بن محمد بن فروح، فبعث اليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره الى بغداد وقتله، وولى مكانه (١) وكان على ارمينية يزيد

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٥٠: «وفيها قتل هارون أبا هريرة محمد بن فروخ، وكان على الجزيرة، فوجه إليه هارون أبا حنيفة حرب بن قيس فقدم به عليه مدينة =

ابن مزيد بن زائدة ابن أخي معن فعزله وولى مكانه أخاه عبدالله ابن المهدي .

وولّى سنة احدى وسبعين على صدقات بني تغلب روح بن صالح الهمداني، فوقع بينه وبين تغلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه في جماعة من أصحابه . وتوفي سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والي البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد، وانه يحدّث نفسه بالخلافة؟ وانّ أمواله كلها فيء من أموال المسلمين ، فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها ، وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب ، وأحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار . ولم يكن الا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد بأقراره انها فيء . وتوفي سنة أربع وسبعين والي الرشيد اسحاق بن سليمان على السند ومكران، واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه . وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زُبَيْدَة ولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى، وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاها خاله الغِطْريف بن عطاء الكِندِيّ .

=السلام فضرب عنقه في قصر الخلد». وفي الكامل ج ٥ ص ٨٤: «وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن الموصل واستعمل عليها إسحاق بن محمد». وفي ص ٨٥، ذكر عبارة الطبري المذكورة أعلاه.

خبر يحيى بن عبد الله في الديلم

وفي سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبدالله بن حسن أخو المهدي بالديلم واشتدّت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الأمصار، فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً وولاه جرجان وطَبَرِسْتان والري وما اليها، ووصل معه الأموال. فسار ونزل بالطالقان وكاتب يحيى وحذّره وبسط أمله، وكتب الى صاحب الديلم في تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم، فأجاب يحيى على الامان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجِلَّةِ بني هاشم ومشايخهم عن عبدالصمد منهم، فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف. وقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده. ثم انّ الرشيد حبس يحيى الى ان هلك في حبسه.

ولاية جعفر بن يحيى مصر

كان موسى بن عيسى قد ولاه الرشيد مصر، فبلغه أنه عازم على الخلع فردّ أمرها الى جعفر بن يحيى، وأمره باحضار عُمَرَ بن مَهْران وان يوليه عليها، وكان أحول مشوّه الخلق خامل البزّة يُرْدِفُ غلامه خلفه. فلما ذكرت له الولاية قال على شرطِيَّة أن يكون أمري بيدي اذا صلحت البلاد انصرفت فأجابه الى ذلك. وسار الى مصر وأتى مجلس موسى فجلس في أخريات الناس، حتى اذا افترقوا رفع الكتاب الى موسى فقرأه وقال : متى يقدم أبو

حفص ؟ فقال أنا أبو حفص ! فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال : أليس لي مُلكُ مِصرَ ، ثم سلّم له العمل . فتقدّم عُمَرُ الى كاتبه أن لا يقبل من الهديّة الا ما يدخل في الكيس ، فبعث الناس بهداياهم وكانوا يمطلون بالخراج . فلما حضر النجم الاوّل والثاني وشكوا الضيق في الثالث احضر الهدايا وحسبها لاربابها واستوفى خراج مصر ورجع الى بغداد .

الفتنة بدمشق

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المُضَريّةِ واليمانيّةِ، ورأس المضرية أبو الهَيْدام عامِرُ بن عَمارَةَ من وُلْدِ خارِجَةَ بن سنان ابن أبي حارِثَة المُرّي ، وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليمانيّة أنّ اليمانيّة قتلوا منهم رجلاً فأجتمعوا لثاره ، وكان على دمشق عبد الصمد بن علي ، فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضرية فقتلوا منهم ثلثمائة او ضعفها ، فاستجاشوا بقبائل قُضاعَةَ وسُلَيمٍ فلم ينجدوهم وانجدتهم قيس، وساروا معهم الى البلقاء فقتلوا من اليمانيّة ثمانمائة وطال الحرب بينهم . وعزل عبد الصَمَدِ عن دِمَشْقَ وولى مكانه ابراهيم بن صالح بن عليّ . ثم اصلحوا بعد سنين ووفد ابراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانيّة فوقع في قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر استخلف ابراهيم على دمشق ابنه اسحاق ، فحبس جماعة من قيس وضربهم .

ثم وثبت غسّان برجل من وُلدِ قيس بن العبسي فقتلوه، واستنجد أخوه بالدواقيل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفراً . ثم وثبت اليمانيّة بكُلَيبِ بن عُمَرَ بن الجُنَيدِ بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوهم، فجاءت أمّ الغلام سابّة الى ابي الهيدام، فقال انظريني حتى ترفع دماؤنا الى الامير، فان نظر فيها والا فأمير المؤمنين ينظر فيها . وبلغ ذلك اسحاق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له . ثم قتل بعض الدواقيل رجلًا من اليمانيّة، وقتلت اليمانيّة رجلًا من سُلَيم ونهبوا جيران محارب، وركب ابو الهيدام معهم الى اسحاق فوعده بالنظر لهم، وبعث الى اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا الى باب الجابية، فخرج اليهم ابو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفتق السجون .

ثم اجتمعت اليمانيّة واستنجدوا كلباً وغيرهم فاستمدّوهم، واستجاش ابو الهيدام المُضَرِيَّةَ فجاؤه وهو يقاتل اليمانيّة عند باب توما فهزمهم أربع مرّات . ثم أمره اسحاق بالكف، وبعث الى اليمانية يخبرهم بغرّته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم، ثم هزمهم أخرى على باب توما . ثم جمعت اليمانية أهل الاردنّ والجولان من كلبٍ وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل اسحاق من دلّهم على مكمنه وأمرهم بالعبور الى المدينة، فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا . ولما كان مستهل صفر جمع اسحاق الجنود عند قصر الحجّاج، وجاء أصحاب الهيدام

من أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق، ثم سألوا الامان من أبي الهيدام فأمنهم وسكن الناس.

وفرّق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه اسحاق وسلط عليه العذافر السَّكْسَكِي مع الجنود فقاتلهم، فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثاً. ثم انّ اسحاق قاتله في الثالثة والجند في اثني عشر ألفاً ومعهم اليمانية، فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه. ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لابي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأحرقوا قرى ودياراً لليمانيَّةِ في الغوطة، ثم توادعوا سبعين يوماً أو نحوها. وقدم السندي في الجنود من قبل الرشيد، وأغزته[1] اليمانية بأبي الهيدام فبعث هو اليه بالطاعة، فأقبل السندي الى دمشق، واسحاق بدار الحجاج، وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج اليهم أبو الهيدام ألفاً، وأحجم القائد عنهم ورجع الى السندي فصالح أبا الهيدام وأمّن أهل دمشق.

وسار أبو الهيدام الى حوران، وأقام السندي بدمشق ثلاثاً. وقدم موسى بن عيسى والياً عليها، فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبده فانهزموا، وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى. ثم بعث اليه موسى فسار اليه في رمضان سنة سبع وسبعين، وقيل انّ سبب الفتنة بدمشق أنّ

(١) كذا. ولعلها: وأغرته.

عامل الرشيد بسجستان قتل أخاه الهيدام فخرج هو بالشام وجمع الجموع . ثم بعث الرشيد أخاً له ليأتيه به فتحيَّل حتى قبض عليه وشدَّه وثاقاً وأتى به الى الرشيد فمنّ عليه وأطلقه . وبعث جعفر ابن يحيى سنة ثمانين الى الشام من اجل هذه الفتن والعصبية ، فسكَّنَ الثائِرَةَ وأمَّنَ البلاد وعاد .

فتنة الموصل ومصر

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سُفيان الأَزْدِيّ على خُراسان ، وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العبَّاس الهاشميّ وقيل عبد الملك بن صالح ، فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل ، وجبي الخراج وبقي العامل معه مغلباً الى ان سار الرشيد الى الموصل وهدم سورها ولحق العطاف بأرمينية ثم بالرقّ فاتخذها وطناً . وفي سنة ثمان وسبعين ثارت الحوفيَّة بمصر ، وهم من قيس وقضاعة على عاملها اسحاق بن سليمان وقاتلوه . وكتب الرشيد الى هَرْثَمَةَ بن أَعْيُنٍ وكان بِفِلَسْطِين فسار اليهم وأذعنوا بالطاعة ، وولي على مصر ثم عزله لشهر ، وولى عبدالملك بن صالح عليها .

كان على خراسان أيام المهدي والهادي أبو الفضل العبَّاس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولى على خراسان جعفر بن محمد بن الأشعث الخُزاعي ، فأبوه من النقباء من أهل مِصر ، وقدم ابنه العبَّاس سنة ثلاث وسبعين ، ثم قدم فغزا طخارَسْتان ، وبعث ابنه العباس الى كابل في الجنود وافتتح سابهار ورجع الى مرو . ثم سار

الى العراق سنة ثلاث في رمضان، وكان الامين في حجره قبل ان يجعله في حجر الفضل بن يحيى .

ثم ولى الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها فولى خالداً الغطريف بن عطاء الكِندي سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان، فقدم خليفة داود بن يزيد وبعث عامل سجستان . وخرج في أيامه حُصَيْن الخارجي من موالي قيس بن ثَعْلَبَةَ من أهل أوق، وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش اليه فهزمهم حسين وقتل منهم وسار الى باذغيس وبوشنج وهراة، فبعث اليه الغطريف اثني عشر ألفاً من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقاً، ولم يزل في نواحي خراسان الى ان قتل سنة سبع وسبعين .

وسار الفضل الى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين، ثم ولى الرشيد على خُراسان عليّ بن عيسى بن ماهان وقدم اليه يحيى (١) فأقام بها عشرين سنة . وخرج عليه في ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج، وكان على هراة عَمْرَوَيْه بن يزيد الأزدي فنهض اليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه في الزحام، فبعث عليّ بن

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٦٨ : «وفيها شخص الرشيد من مدينة السلام مريداً الرقة على طريق الموصل، فلما نزل البردان ولى عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة».

عيسى ابنه الحسن في عشرة آلاف ففض حربه فعزله، وبعث ابنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمدّه بالعساكر وردّه فهزم حمزة وقتل أصحابه، ونجا الى قهستان في أربعين. وأثخن عيسى في الخوارج بارِقٍ وجُوَيْنَ وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفاً.

وخلف عبدالله بن العباس النسيقي بِزَرَنْج فجبى الاموال وسار بها ومعه الصُغْدُ، ولقيه حمزة فهزموه وقتلوا عامّة أصحابه. وسار حمزة في القرى فقتل وسبى، وكان علي قد استعمل طاهر ابن الحسين على بوشنج فخرج الى حمزة وقصد قرية ففرّ الخوارج وهم الذين يرون التحكم [1] ولا يقاتلون، والمُحَكِّمَةُ هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم الا الله. فكتب القعد الى حمزة بالكف وواعدهم، ثم انتقض وعاث في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب عليّ حروب كثيرة.

ثم ولّى الرشيد سنة اثنتين وثمانين ابنه عبدالله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون، وولاه على خراسان وما يتصل بها الى هَمَذان، واستقدم عيسى بن عليّ من خراسان وردّها اليه من قبل المأمون. وخرج عليه بِنسا أبو الخَصيب وَهْبُ بن عبد الله النسائي، وعاث في نواحي خُراسان ثم طلب الامان فأمّنه. ثم بلغه أنّ حمزة الخارجي عاث بنواحي باذغيس فقصده وقتل من أصحابه نحواً من عشرة

(١) كذا بالأصل والصحيح: التحكيم.

آلاف وبلغ كل من وراء غزنة. ثم غدر أبو الخصيب ثانية وغلب أبيورد ونساوطوس ونيسابور، وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد الى سرخس، ثم نهض اليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نسا وسبي أهله.

ثم نُمِيَ الى الرشيد سنة تسع وثمانين أنّ عليّ بن عيسى مُجمِعٌ على الخلاف وانه قد أساء السيرة في خُراسان وعنّفهم، وكتب اليه كبراء أهلها يشكون بذلك، فسار الرشيد الى الري فأهدى له الهدايا الكثيرة والاموال والجميع من معه من أهل بيته ووُلْدِه وكتّابه وقوّاده. وتبين للرشيد من مناصحته خلاف ما أنتهى اليه. فردّه الى خراسان، وولى على الريّ وَطَبَرَسْتان ودَنْباوَنْد وقَوْمِس وهَمَذان وبعث عليّ ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر اخوته، وانتقض على عليّ بن عيسى رافِعُ بن اللَيْث بن نصر بن سيّار بسمرقند، وطالت حروبه معه، وهلك في بعضها ابنه عيسى.

ثم انّ الرشيد نقم على عليّ بن عيسى أموراً منها استخفافه بالناس واهانته أعيانهم، ودخل عليه يوماً الحسين بن مُصْعب والد طاهر فأغلظ له في القول وأفحش في السب والتهديد، وفعل مثل ذلك بهشام بن . . . [1] فأمّا الحُسَيْنُ فلحق بالرشيد شاكياً ومستجيراً وأمّا هشام فلزم بيته وادّعى انه بعلة الفالج حتى عزل

(١) هنا بياض بالأصل ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن هشام هذا.

عليّ . وكان مما نقم عليه أيضاً أنه لما قتل ابنه عيسى في حرب رافع بن الليث أخبر بعض جواريه انه دفن في بستانه ببلخ ثلاثين ألف دينار، وتحدثت الجواري بذلك فشاع في الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال، وكان يشكو الى الرشيد بقلة المال ويزعم أنه باع حُلِيّ نسائه .

فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هَرْثَمَة بن أَعْيُن وقال له ولّيتك خُراسان وكتب له بخطِّه وقال له اكتم أمرك وامض كانك مدد، وبعث معه رجاء الخادم فسار الى نيسابور وولى أصحابه فيها، ثم سار الى مرو ولقي عليّ بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وبعث الى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث اليه بعليّ بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء، وخرج هرثمة الى ما وراء النهر وحاصر رافع ابن الليث بسمرقند الى أن استأمن فأمّنه، وأقام هرثمة بسمرقند وكان قدم مرو سنة ثلاث وتسعين .

ايداع كتاب العهد

وفي سنة ست وثمانين حجّ الرشيد وسار من الانبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الامين وعبد الله المأمون والقاسم، وكان قد ولى الامين العهد وولاه العراق والشام الى آخر الغرب . وولى المأمون العهد بعده وضم اليه من هَمَذان الى آخر المشرق وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه واثباته

للمامون . وجعل في حجر عبد الملك صالح وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم .

ومرّ بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية : عطاء منه ومن الامين ومن المأمون، فبلغ ألف الف دينار وخمسمائة ألف دينار . ثم سار الى مكة فأعطى مثلها ، وأحضر الفقهاء والقضاة والقواد وكتب كتاباً أشهد فيه على الامين بالوفاء للمأمون ، وآخر على المأمون بالوفاء للامين، وعلق الكتابين في الكعبة وجدّد عليها العهود هنالك.

ولما شخص الى طَبَرَستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أنّ جميع ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع للمأمون، وجدّد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدّد له البيعة على الامين.

البرامكة

أخبار البرامكة ونكبتهم

قد تقدّم لنا أن خالد بن برمك كان من كبار الشيعة، وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام، وولاه المنصور على الموصل وعلى أذرَبيجان، وولى ابنه يحيى على أرمينية، ووكله المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادي أراده على الخلع، وتولية العهد ابنه وحبسه الهادي لذلك . فلما ولي الرشيد استوزر يحيى وفوّض اليه أمور مُلكِهِ وكان أوّلاً يصدر عن رأي

الخيزران أم الرشيد، ثم استبدّ بالدولة . ولما ماتت وكان بيتهم مشهوراً بالرجال من العمومة والقرابة، وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظّ من تقريب السلطان واستخلاصه .

وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمّه الرشيد وأرضعته الخيزران، وكان يخاطب يحيى يا أبت، واستوزر الفضل وجعفراً وولى جعفراً على مصر وعلى خراسان وبعثه الى الشام عندما وقعت الفتنة بين المُضَرِيّة واليمانيّة فسكّن الامور، ورجع وولى الفضل أيضاً على مِصْرَ وعلى خراسان وبعثه لاستنزال يحيى بن عبدالله العلويّ من الديلم . ودفع المأمون لما ولّاه العهد الى كفالة جعفر بن يحيى، فحسنت آثارهم في ذلك كلّه، ثم عظم سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة، وكثرت السعاية فيهم . وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم، يقال بسبب انه دفع اليه يحيى بن عبدالله لما استنزله أخوه الفضل من الديلم وجعل حبسه عنده، فاطلقه استبداداً على السلطان ودالّة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك الى الرشيد فسأله فصدّقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه، وكثرت السعاية فيهم فتنكر لهم الرشيد .

ودخل عليه يوماً يحيى بن خالد بغير اذن فنكر ذلك منه، وخاطب به طبيبه جبريل بن بختيشوع منصرفاً به من مواجهته وكان حاضراً، فقال يحيى هو عادتي يا أمير المؤمنين، واذ قد نكرت مني

فسأكون في الطبقة التي تجعلني فيها ! فاستحيي هارون وقال ما أردت ما يكره . وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيي اذا دخل، فتقدّم لهم مسرور الخادم بالنهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه اذا أقبل، وأقاموا على ذلك زماناً . فلما حجّ الرشيد سنة سبعة وثمانين ورجع من حجه ونزل الانبار أرسل مسروراً الخادم في جماعة من الجند ليلاً فأحضر جعفراً بباب الفِسْطَاطِ، وأعلم الرشيد فقال ائتني برأسه، فطفق جعفر يتذلل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصا كانت في يده وتهدّده فخرج وأتاه برأسه، وحبس الفضل من ليلته وبعث من احتاط على منازل يحيى وولده وجميع موجودهم وحبسه في منزله .

وكتب من ليلته الى سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيقهم، وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على الجسر، وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيّق على يحيى ولا بنيه الفضل ومحمد وموسى . ثم تجرّدت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح ابن عليّ وكانوا أصدقاء له، فسعى فيه ابنه عبد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عنه الفضل بن الربيع ثم أحضره من الغداة وقرّعه ووبّخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه، فأحضر كاتبه شاهداً عليه فكذبه عبد الملك فأحضر ابنه عبد الرحمن فقال : هو مأمون معذور، أو عاق فاجر، فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضي الله فيك فانه الحكم بيني

وبينك . فقال عبد الملك : رضيت بالله حَكَماً وبأمير المؤمنين حاكماً فانه لا يؤثر هواه على رضا ربّه .

ثم أحضره الرشيد يوماً آخر فأرعد له وأبرق، وجعل عبد الملك يعدّد وسائله ومقاماته في طاعته ومناصحته، فقال له الرشيد لولا ابقائي على بني هاشم لقتلتك وردّه الى محبسه، وكلمه عبدالله بن مالك فيه وشهد له بنصحه فقال : أطلقه اذا قال أما في هذا القرب فلا ! ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنه حتى مات الرشيد وأطلقه الامين . وعظم حقده على البرامكة بسبب ذلك، فضيّق عليهم وبعث الى يحيي يلومه فيما ستر عنه من أمر عبد الملك . فقال يا أمير المؤمنين كيف يطلعني عبد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة، وهل اذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر من فعلك؟ أعيذك بالله ان تظن هذا الظنّ الا أنه كان رجلًا متجمّلًا يسرني أن يكون في بيتك مثله، فوليته ولا خصصته . فعاد اليه الرسول يقول ان لم تقرّ قتلت الفضل ابنك . فقال انت مسلّط علينا فافعل ما أردت .

وجذب الرسول الفضل واخرجه، فودّع اباه وسأله في الرضا عنه فقال : رضي الله عنك . وفرق بينهما ثلاثة ايام ولم يجد عندهما شيئاً فجمعهما واحتفظ[1] ابراهيم بن عثمان بن نهيك لقتل جعفر فكان يبكيه ويبكي قومه حزناً عليهم . ثم انتهى به الى طلب

(١) احتفظ : بمعنى احفظ : غضب.

الثأر بهم، فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادي واجعفراه واسيّداه والله لاثأرنّ بك ولاقتلنّ قاتلك، فجاء ابنه وحفص كان مولاه الى الرشيد فأطلعاه على أمره، فأحضر ابراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفرًا والاسف عليه، فبكى ابراهيم وقال: والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله فانتهره الرشيد وأقامه. ثم دخل عليه ابنه بعد ليالٍ قلائل فقتله، يقال بأمر الرشيد. وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة ولم يزل بها كذلك الى أن مات سنة تسعين ومائة، ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين. وكانت البرامكة من محاسن العالم، ودولتهم من اعظم الدول، وهم كانوا نكتة محاسن الملّة وعنوان دولتها.

الصوائف وفتوحاتها

كان الرشيد على ما نقله الطبري وغيره يغزو عاماً ويحجّ عاماً، ويصلي كلّ يوم مائة ركعة ويتصدّق بألف درهم، واذا حجّ حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم، واذا لم يحج أنفق على ثلثمائة حاج نفقة شائعة. وكان يتحذى بآثار المنصور إلّا في بذل المال فلم يُرَ خليفة قبله أبذل منه للمال. وكان اذا لم يغزُ غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقواده، فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبدالله البكائي، وقيل غزا بنفسه. وغزا بالصائفة سنة اثنتين وسبعين اسحاق بن سليمان بن عليّ فأثخن في بلاد الروم وغنم وسبى. وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح، وقيل أبوه

عبد الملك فبلغ في نكاية الروم ما شاء، وأصابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجند . ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق ابن عبد الحميد الثعلبي. وفي سنة ثمان وسبعين زُفر بن عاصم.

وغزا سنة احدى وثمانين بنفسه فافتتح حِصْنَ الصفْصاف واغزى عبد الملك بن صالح فبلغ أنقرة، وافتتح مطمورة . وكان الفداء بين المسلمين والروم، وهو أوّل فداء في دولة بني العباس، وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها وهو ابو سليمان فرج، فنزل المدامِس على اثني عشر فرسخاً، وحضر العلماء والاعيان وخلق من اهل الثغور وثلاثون ألفاً من الجند المرتزِقَة فحضروا هنالك وجاء الروم بالاسرى ففودي بهم من كان لهم من الاسرى، وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة . وغزا بالصائفة سنة اثنتين وثمانين عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح دقشوسوس مدينة أصحاب الكهف، وبلغهم أنّ الروم سلُوا مَلِكَهم قُسْطَنطين بن إليون وملّكوا أمّهُ رُني وتلقّب عَطَشة، فأثخنوا في البلاد ورجعوا .

وفي سنة ثلاث وثمانين حملت ابنة خاقان مَلِك الخُزرِ الى الفضل ابن يحيى فماتت ببردعة ورجع من كان معها فأخبروا أباها انها قتلت غيلة، فتجهّزَ الى بلاد الاسلام، وخرج من باب الابواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله . فولّى الرشيد يزيد بن مَزْيَد أمرَ أرمينية مضافة الى أذرَبيجان وأمره

بالنهوض اليهم، وأنزل خُزَيْمَةَ بن خازم بنَصِيبين رداً لهم . وقيل إنّ سبب خروجهم انّ سعيد بن مسلم قتل الْمُجَيْمَ السَّلَمِيَّ فدخل ابنه الى الخزر مستجيشاً بهم على سعيد، ودخلوا ارمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا .

وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قرباناً لله، وولاه العواصم . فأناخ على قُرّةَ ، وضيّق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الاشعث، فحاصر حصن سنان حتى جهد اهله، وفادى الروم بثلثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على ان يرحل عنهم فأجابهم وتمّ بينهم الصلح، ورحل عنهم . وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدّم ذكره، فخلعه الروم وملّكوا نيقفور وكان على ديوان خراجهم، ومات زيني بعد خمسة أشهر . ولما ملك نيقفور كتب الى الرشيد بما استفزه، فسار الى بلاد الروم غازياً . ونزل هِرَقْلَ واثخن في بلادهم حتى سأل نيقفور الصلح، ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب، وظنّ نيقفور انّ ذلك يمنعه من الرجوع فلم يمنعه، ورجع حتى أثخن في بلاده، ثم خرج من ارضهم .

وغزا بالصائفة سنة ثمان وثمانين ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفصاف، فخرج اليه نيقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحواً من اربعين ألفاً . وفي هذه السنة رابط القاسم ابن الرشيد أبَق . وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالريّ

كتب الامان لشروين أبي قارن ونندا هرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم، وبعث بالكتب مع حسين الخادم الى طبرستان، فقدم خستان وونندا هرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما . وضمن ونندا هرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجّه الهادي لهما وحاصرهما .

وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم الافودي، وفي سنة تسعين سار الرشيد الى بلاد الروم بسبب ما قدّمناه من غدر نيقفور، في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتَزِقةِ سوى الاتباع والمتطوّعَة ومن ليس له ذكر في الديوان . واستخلف المأمون بالرقّةِ وفوّض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك . فنزل على هِرَقْلَ فحاصرها ثلاثين يوماً وافتتحها وسبى اهلها وغنم ما فيها، وبعث داود بن عيسى ابن موسى في سبعين ألفاً غازياً في ارضهم، ففتح الله عليه وخرَّب ونهب ما شاء . وفتح شُراحيلُ بن معن بن زائدةَ حِصْنَ الصقالِبَة ودَيسَةَ . وافتتح يزيد بن مُخلِدٍ حصن الصفصاف وقونية . وأناخ عبدالله بن مالك على حصن ذي الكلاع .

واستعمل الرشيد حميد بن مَعْيُوب على الاساطيل ممن بسواحل الشام ومصر الى قبرس، فهزم وخرق وسبى من أهلها نحواً من سبعة عشر الفاً وجاء بهم الى الواقعة فبايعوا بها . وبلغ فداء أسْقُفِ قُبرس الفي دينار . ثم سار الرشيد الى حُلوانة فنزل بها

وحاصرها . ثم رحل عنها وخلّف عليها عُقْبَة بن جعفر . وبعث يقفور [١] بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن بطارقته كذلك . وبعث يقفور في جارية من بني هِرَقْلَةَ وكان خطبها ابنه فبعث بها اليه . ونقض في هذه السنة قبرس فغزاهم مَعْيُوبُ بن يحيى فأثخن فيهم وسباهم . ولما رجع الرشيد من غُزاتِهِ خرجت الروم الى عين زَرْبَةَ والكنيسة السوداء واغاروا ورجعوا، فاستنقذ اهل الْمَصِّيصَةِ ما حملوه من الغنائم .

(١) كـذا بالأصـل يقفور في جميـع صحائف هـذا الكتـاب، وهـو نيقفـور كـما في بقيـة كتب التاريخ .

تاريخ العلامة
ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثالث

٥

المجلد الثالث

القسم الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وفيها غزا يزيد بن مَخْلَدِ الهُبَيْرِيّ ارض الروم في عشرة آلاف، فأخذت الروم عليه المضايق، فانهزم وقتل في خمسين من اصحابه على مرحلتين من طرسوس. واستعمل الرشيد على الصائفة هَرْثَمَة ابن أَعْيَنٍ قبل ان يوليه خُراسان، وضمّ اليه ثلاثين الفاً من اهل خراسان واخرجه الى الصائفة، وسار بالعساكر الإسلاميَّة في اثره، ورتب بدرب الحرث[1] عبدالله بن مالك، وبمرعش سعيد بن مسلم ابن قُتَيْبَةَ. واغارت الروم عليه فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرّك من مكانه. وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مَزْيَدَ الى طرسوس، واقام هو بدرب الحرث، وامر قوّاده بهدم الكنائس في جميع الثغور. وأخذ أهل الذمّة بمخالفة زِيّ المسلمين في ملبوسهم. وأمر هَرْثَمَةَ ببناء هرطوس[2] وتولى ذلك فخرج الخادم بأمر الرشيد وبعث اليها جنداً من خراسان ثلاثة أيام، وأشخص اليهم ألفاً من أهل المصيصة وألفاً من انطاكية فتمّ بناؤها سنة اثنتين وتسعين.

---

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٢٧ : بدرب الحدث.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٢٧ : وأمر هرثمة ببناء طرطوس وتمصيرها.

وفي هذه السنة تحركت الخَرَميَّةُ بناحية أَذْرَبَيْجَان فبعث اليهم عبدالله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر، ووافاه بقرماسين فأمره بقتل الاسرى وبيع السَّبِيّ. وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخُزاعِيّ فافتتح مطمورة وكان الفداء على يديه بالبرذون. ثم كان الفداء الثاني وكان عدّة أسرى المسلمين فيه ألفين وخمسمائة.

الوِلاية على النّواحي

كان على افريقية مَزْيَدُ بن حاتم كما قدّمناه، ومات سنة احدى وسبعين بعد أن استخلف ابنه داود، فبعث الرشيد على افريقية أخاه رَوْحَ بن حاتم فاستقدمه من فِلَسْطين وبعثه الى افريقية. وعزل أبا هريرة محمد بن فروج عن الجزيرة وقتله وولى مكانه (١) وفي سنة ست وسبعين ولّى الرشيد على الموصل الحَكَمَ بن سليمان، وقد كان خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين وغنم وسار الى داريا وآمد وارزق وخلاط فقفل لذلك ورجع الى نَصِيبين فأتى الموصل وخرج اليه الفضل في عساكرها فهزمهم على الزاب. ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه. وفي سنة ست وسبعين مات روح بن حاتم بافريقية، واستخلف حبيب بن نصر المُهَلَّبي فسار الفضل الى الرشيد فولّاه على افريقية، وعاد اليها فاضطرب عليه

(١) بياض في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٨٥: «وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ ـ وكان على الجزيرة ـ فوجه إليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره إلى بغداد وقتله».

الخُراسانيّة من جند افريقية ولم يرضوه، فولى مكانه هَرثَمَة بن أعيَن وبعث في العساكر فسكن الاضطراب ورأى ما بافريقية من الاختلاف، فاستعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه، وقدم الى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه .

وفي هذه ولّى الفضل بن يحيى على مِصْرَ مكان أخيه جعفر مضافاً الى ما بيده من الريّ وسجستان وغيرهما، ثم عزله عن مصر وولى عليها اسحاق بن سليمان، فثارت به الحوفِيّة من مصر وهم جموع من قيس وقُضَاعَة فأمدّه بهرثمة بن أعين فأذعنوا، وولاه عليهم شهراً، ثم عزله، وولى عبد الملك بن صالح مكانه، وفيها فوّض أمر دولته الى يحيى بن خالد . وفي سنة ثمانين بعث جعفر بن يحيي الى الشام في القوّاد والعساكر ومعه السلاح والاموال والعصبيّة التي كانت بها فسكنت الفتنة ورجع فولاه خُراسان وسِجِسْتَان، فاستعمل عليها عيسى بن جعفر، وولى جعفر بن يحيى الحُرَس .

وقدم هرثمة بن أعين من افريقية فاستخلفه جعفر على الحَرَس وعزل الفضل بن يحيي عن طَبَرْسَتَان والرُّويان وولاها عبدالله بن خازم، وولى على الجزيرة سعيد بن مسلم، وولى على الموصل يحيى ابن سعد الحُرَيْشي فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية فانجلا أكثر أهل البلد، وعزله الرشيد وولّى عليها يحيى بن خالد . وفي سنة احدى وثمانين ولى على افريقية محمد بن مُقاتِل بن حكيم

العكيّ وكان أبوه من قوّاد الشيعة، ومحمد رضيع الرشيد وتلاده، فلما استعفى هرثمة ولاه مكانه، واضطربت عليه افريقية، وكان ابراهيم بن الاغلب بها والياً على الزاب، وكان جند افريقية يرجعون اليه، فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه، فكرهوا ولاية محمد بن مقاتل، وحملوا ابراهيم بن الاغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب ولاية افريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة الى والي افريقية، ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار. فاستشار الرشيد بطانته، فأشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب، وولاه الرشيد في محرّم سنة أربعة وثمانين، فضبط الامور وقبض على المؤمنين وبعث بهم الى الرشيد، فسكنت البلاد.

وابتنى مدينة بقرب القَيْرَوَان سمّاها العبّاسيّة وانتقل اليها بأهله وخاصّته وحشمه، وصار مُلْكُ افريقيّة في عقبه كما يذكر في أخبارها الى أن غلبهم عليها الشيعة العُبَيْدِيُّون. وكان يزيد بن مَزْيَدَ على أَذْرَبَيْجَان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينية مضافة اليها، وولى خُزَيْمَةَ بن خازم على نصيبين. وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حماداً البَرْبَرِيّ، وعلى السِنْدِ داود بن يزيد بن حاتم، وعلى الجبل يحيى الحُرَيْشِيّ، وعلى طَبَرَسْتَان مَهْرَوَيْة الزاي، وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين، فولى مكانه عبدالله بن سعيد الحريشي.

وفيها توفي يزيد بن زائدة الشَيْطَانِيّ ببردعة، وكان على أذربيجان وأرمينية فولى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم . وفي سنة تسع وثمانين سار الرشيد الى الريّ وولى على طبرستان والريّ ودنْبَاوَنْدوقوس وهَمَذان عبد الملك بن مالك . وفي سنة تسعين ولّى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم، وقد تقدّم لنا ولاية هرثمة على سليمان ونكبة علي بن عيسى . في سنة احدى وتسعين ظفر حماد البربري بهَيْصيم اليماني وجاء به الى الرشيد فقتله، وولى في هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان، وكان على مكة الفضل بن العباس أخي المنصور والسفاح .

خلع رافع بن الليث بما وراء النهر

كان رافِعُ بن نَصْرِ بن سَيَّار من عظماء الجند فيما وراء النهر، وكان يحيى بن الأشعث قد تزوّج ببعض النساء المشهورات الجمال، وتسرى عليها وأكثر ضِرارَها وتشوّقت الى التخلص منه، فدسّ اليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص منه وتحل للازواج ثم ترجع وتتوب، فكان وتزوّجها . وشكا يحيى ابن الاشعث الى الرشيد واطلعه على جلّ الامر، فكتب الى علي ابن عيسى أن يفرّق بينهما ويقيم الحدّ على رافع ويطوف به في سمرقند مُقَيّدًا على حمار ليكون عظة لغيره، ففعل ذلك ولم يحده رافع وحبس بسمرقند، فهرب من الحبس ولحق بعلي بن عيسى في بَلْخ فهمّ بضرب عنقه، فشفع فيه ابنه عيسى، فأمره بالانصراف

الى سمرقند، فرجع اليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين . فبعث عليٌّ لحربه ابنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتله، فخرج علي بن عيسى لقتله وسار من بلخ الى مرو مخافة عليها من رافع بن الليث .

ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على خُراسان، وكان مع رافع بن الليث جماعة من القوّاد، ففارقوه الى هرثمة . منهم عجيف بن عَنْبَسَةَ وغيره . وحاصر هرثمة رافع ابن الليث في سمرقند وضايقه، واستقدم طاهر بن الْحُسَيْن من خراسان فحضر عنده، وعاث حمزةُ الخارجيّ في نواحي خُراسان لخلائها من الجند، وحمل اليه عمّالُ هَراة وسِجِسْتَان الأَموال . ثم خرج عبد الرحمن الى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحوًا من عشرين ألفاً، وسار حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعه الى هراة، حتى كتب المأمون اليه وردّه عن ذلك .

وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة، وأسر بشرًا أخا رافع، وبعث به الى الرشيد وافتتح بُخارى . وكان الرشيد قد سار من الرَّقّةِ بعد مرجعه من الصائفة التي بنى فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع، وكان قد أصابه المرض . فاستخلف على الرَّقّة ابنه القاسم وضمّ اليه خُزَيْمَةَ بن خازم، وجاء الى بغداد . ثم سار منها الى خُراسان في شعبان سنة اثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه

الامين، وأمر المأمون بالمقام معه، فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد، وحذّره البقاء مع الامين فأسعفه الرشيد بذلك وسار معه .

وفاة الرّشيد وبيعة الأمين

ولما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتدّت عليه، فبعث ابنه المأمون الى مرو ومعه جماعة من القوّاد : عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن خُزَيْمَـةَ والعبّاس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسِدّي والحُرَيْشي ونعيم بن خازم . ثم سار الرشيد الى موسى واشتدّ به الوجع وضعف عن الحركة وثقل، فأرجف الناس بموته، وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال ردّوني . ووصل اليه وهو بطوس بشير أخو رافع أسيرًا، بعث به هَرْثَمَةُ بن أعْيَن فأحضره وقال : لو لم يبق من أجلي الا حركة شفتي بكلمة لقلت اقتلوه . ثم أمر قصّاباً ففصل أعضاءه، ثم أغمي عليه وافترق الناس .

ولما يئس من نفسه أمر بقبره فحفر في الدار التي كان فيها وأنزل فيه قوماً قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو في مِحَفَّةٍ على شفيره ينظر اليه وينادي واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن

الربيع واسماعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة أو تزيد، وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار .

ولما مات الرشيد بويع الامين في العسكر صبيحة يومه والمأمون يومئذ بمرو، وكتب حمويّة مولى المهدي صاحب البريد الى نائبه ببغداد، وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد وهنأه بالخلافة، فكان أوّل من فعل ذلك . وكتب صالح الى اخيه الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وبعث معه بالخاتم والبُرْدَةِ والقضيب، فانتقل الامين من قصره بالُخلدِ الى قصر الخلافة . وصلى بالناس الجُمُعَةَ وخطب ثم نعى الرشيد وعزّى نفسه والناس، وبايعته جملة أهله ووكّل سليمان بن المنصور، وهمّ[1] عمّ أبيه وأمه بأخذ البيعة على القوّاد وغيرهم، ووكل السِنْدِيّ بأخذ البيعة على الناس سواهم، وفرّق في الجند ببغداد رزق سنين . وقدمت أمه زبيدة من الرَقّةِ فلقيها الأمين بالأنبار في جمع من بغداد من الوجوه، وكان معها خزائن الرشيد، وكان قد كتب الى معسكر الرشيد وهو حيّ مع بكر بن المُعتَمِر لما اشتدّت علة الرشيد، والى المأمون بأخذ البيعة لهما وللمؤتمن أخيهما، والى أخيه صالح بالقدوم بالعسكر والخزائن والاموال برأي الفضل . والى الفضل بالاحتفاظ على ما معه من الحرم والاموال، وأقرّ كل واحد على عمله كصاحب

(١) كذا ولعلها وهو.

الشُرَطة والحَرَس والحِجابة .

وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها منه فجحدها فضربه وحبسه . ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها اليه، ولما قرؤا الكتاب تشاوروا في اللحاق بالامين، وارتحل الفضل بالناس لمواهم في وطنهم، وتركوا عهود المأمون . فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه، وهم عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قَحْطَبَةَ والعلاء مولى الرشيد، ـ وكان على حجابته ـ . والعباس بن المُسَيَّب بن زُهَير ـ وكان على شُرَطَتِهِ ـ وأيوب بن أبي سمير ـ وهو على كتابته ـ وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذو الرياستين الفضل بن سهل ـ وهو أخصهم به وأحظاهم عنده ـ فأشار بعضهم أن يركب في اثرهم ويردّهم، ومنعه الفضل من ذلك وقال : أخشى عليك منهم، ولكن تكتب وترسل رسولك اليهم تذكِّرهم البيعة والوفاء وتحذّرهم الحنث، فبعث سهل بن صاعد ونوفلا الخادم بكتابه اليهم بنيسابور، فقرأ الفضل كتابه وقال : أنا واحد من الجند .

وشدّ عبد الرحمن برجليه على سهل ليطعنه بالرمح وقال : لو كان صاحبك حاضراً لوضعته فيه، وسبّ المأمون وانصرفوا، ورجع سهل ونوفل بالخبر الى المأمون فقال له الفضل بن سهل هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان، وقد خرج بها المقنع وبعده يوسف البرّ فتضعضعت لهما الدولة ببغداد، وأنت رأيت عند خروج رافع

ابن الليث كيف كان الحال وأنت اليوم نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم فاصبر وأنا أضمن لك الخلافة، فقال المأمون: قد فعلت وجعلت الامر اليك فقال: ان عبدالله بن مالك والقوّاد انفع لك مني لشهرتهم وقوّتهم، وأنا خادم لمن يقوم بأمرك منهم حتى ترى رأيك.

وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون، فنهم من امتنع ومنهم من طرده، فرجع الى المأمون وأخبره فقال: قم أنت بالامر. وأشار عليه الفضل ان يبعث على الفقهاء ويدعوهم الى الحق والعمل به وإحياء السُّنّة ورد المظالم ويعقد على الصفوف، ففعل جميع ذلك، وأكرم القوّاد وكان يقول للتميمي نقيمك مقام موسى بن كعب، وللرَّبعيّ مكان أبي داود وخالد بن ابراهيم، ولليماني مكان قحطبة ومالك بن الهيثم، وكل هؤلاء نقباء الدولة.

ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا: ابن اختنا وابن عم نبيّنا، وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والريّ، وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظّمه. ثم ان الامين عزل لاول ولايته أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة، واستعمل عليها خُزيمة بن خازم وأقرّ المؤتمن على قِنّسرين والعواصم. وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد، وعلى حمص اسحاق ابن سليمان فخالف عليه أهل حمص، وانتقل عنهم الى سلمية، فعزله الامين وولى مكانه عبدالله بن سعيد الحرشيّ فقتل عدة

منهم وحبس عدة واضرم النار في نواحيها، وسألوا الامان فأجابهم. ثم انتقضوا فقتل عدة منهم، ثم ولي عليهم ابراهيم بن العباس.

أخبار رافع وملوك الروم

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هرثمةُ بن أعيَن سمرقند وملكها وقام بها، ومعه طاهر بن الحسين، فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوي بهم، ثم انصرفوا وضعف أمره، وبلغه الحسن سيرة المأمون فطلب الامان وحضر عند المأمون، فأكرمه. ثم قدم هرثمة على المأمون فولّاه الحرس، وأنكر الامين ذلك كله. وفي هذه السنة قتل نيقفور ملك الروم في حرب برجان لسبع سنين من ملكه، وملك بعده ابنه استبراق وكان جريحاً فمات لشهرين، وملك بعده صهره على اخته ميخاييل بن جرجيس، ووثب عليه الروم سنة أربع وتسعين بعد اثنتين من ملكه، فهرب وترهّب وولوا بعده إليوق القائد.

الفتنة بين الأمين والمأمون

ولما قدم الفضل بن الربيع على الامين ونكث عهد المأمون خشي غائلته، فأجمع قطع علائقه من الامور واغرى الامين بخلعه والبيعة للعهد لابنه موسى، ووافقه في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما ممن يخشى المأمون. وخالفهم خزيمة بن خازم وأخوه عبدالله، وناشدوا الامين في الكف عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث العهود فيطرقهم لنكث عهده. ولجّ الامين في ذلك وبلغه ان المأمون عزل العبّاس بن عبدالله بن مالك

عن الريّ، وانه ولى هرثمة بن أعين على الحرس، وانّ رافع بن الليث استأمن له فأمّنه وسار في جملته فكتب الى العمّال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن، فبلغ ذلك المأمون فأسقط اسم الامين من الطرد وقطع البريد عنه .

وأرسل الامين اليه العبّاس بن موسى بن عيسى، وخاله عيسى ابن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل، ومحمد بن عيسى ابن نهيك يطلب منه تقديم ابنه موسى عليه في العهد ويستقدمه. فلما قدموا على المأمون استشار كبراء خُراسان فقالوا : انما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان، فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه . واستعمل الفضل بن سهل العبّاس بن موسى ليكون عيناً لهم عند الامين ففعل، وكانت كتبه تأتيهم بالاخبار . ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان، وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكاتبه، فامتنع المأمون من ذلك وأوعد الى قعوده بالريّ ونواحيها يضبط الطرق وينقذها من غوائل الكتب والعيون، وهو مع ذلك يتخوّف عاقبة الخلاف .

وكان خاقان ملك التُّبَّتِ قد التوى عليه، وجيفونة فارق الطاعة، وملوك الترك منعوا الضريبة، فخشي المأمون ذلك، وحفظ عليه الامر بأن يولي خاقان وجيفونة بلادها ويوادع ملك كابل، ويترك الضريبة لملوك الترك الآخرين . وقال له بعد ذلك : ثم اضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال، فان ظفرت والّا لحقت

بخاقان مستجيراً فقبل اشارته وفعلها، وكتب الى الامين يخادعه بانه عامله على هذا الثغر الذي أمره الرشيد بلزومه، وان مقامه به اشدّ غناءً ويطلب اعفاءه من الشخوص اليه، فعلم الامين أنه لا يتابعه على مراده، فخلعه وبايع لولده في اوائل سنة خمس وتسعين، وسماه الناطق بالحق، وقطع ذكر المأمون والمؤتمن من المنابر، وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى، وعلى شرطته محمد ابن عيسى بن نهيك، وعلى حرسه أخوه عيسى، وعلى رسائله صاحب القتلى .

وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عبدالله ولقبه القائم بالحق، وأرسل الى الكعبة من جاء بكتابي العهد للامين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك، وسارت الكتب من ذلك الى المأمون ببغداد من عيونه بها، فقال المأمون: هذه أمور أخبر الرائي عنها وكفاني أنا ان اكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل الى جند الري بالاقوات والاحسان، وجمع اليهم من كان باطرافهم. ثم بعث على الريّ طاهر بن الحسين بن مَصعب بن زريق اسعد الخزاعي ابا العباس اميراً وضمّ اليه القواد والاجناد، فنزلها ووضع المسالح والمراصد، وبعث الامين عصمة بن حماد بن سالم الى همَذان في ألف رجل، وامره ان يقيم بهمذان ويبعث مقدّمته الى ساوة .

خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله

ثم جهز الأمين عليّ بن عيسى بن ماهان الى خُراسان لحرب المأمون، يقال دسّ بذلك الفضل بن سهل العين له عند الفضل ابن الربيع، فاشار به عليهم لما في نفوس اهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدّوا في حربه . ويقال حرّض اهل خراسان على الكتب الى ابن ماهان ومخادعته ان جاء . فأمره الامين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمذان وقمّ وأصبهان وسائر كور الجبل حرباً وخراجاً، وحكّمه في الخزائن وأعطاه الاموال، وجهز معه خمسين ألف فارس . وكتب الى أبي دُلَفِ القاسم بن عيسى بن ادريس العجليّ وهلال ابن عبدالله الحضرميّ في الانضمام، وركب الى باب زبيدةَ ليودّعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون ان يوصى به، وانه بمنزلة ابنها في الشفقة والموصلة، وناولته قيداً من فضّةٍ وقالت له : ان سار اليك فقيّده به مع المبالغة في البرّ والادب معه .

ثم سار عليّ بن عيسى من بغداد في شعبان، وركب الامين يشيّعه في القوّاد والجنود، ولم يرَ عسكر مثل عسكره . ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أنّ طاهراً بالريّ يعرض أصحابه، وهو مستعد للقتال . وكتب الى ملوك الديلم وطبرستان يعدهم ويمنّيهم، وأهدى لهم التيجان والأسورة على ان يقطعوا الطرق عن خُراسان فأجابوا ونزل أوّل بلاد الريّ، فأشار عليه اصحابه باذكاء العيون والطلائع والتحصن بالخندق فقال : مثل طاهر لا يستعد له، وهو

إمّا أن يتحصّن بالريّ فيثب اليه أهلها، وامّا أن يفرّ اذا قربت منه خيلنا. ولما كان من الريّ على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر في لقائه فقالوا الى التحصّن بالريّ فقال: أخاف أن يثب بنا أهلها. وخرج فعسكر على خمسة فراسخ منها في أقل من أربعة آلاف فارس.

وأشار عليه أحمد بن هشام كبير جند خُراسان أن ينادي بخلع الامين وبيعة المأمون لئلا يخادعه عليّ بن عيسى بطاعة الامين وانه عامله ففعل، وقال عليّ لاصحابه: بادِروهُمْ فانّهم قليل ولا يصبرون على حدِّ السيوف وطعن الرماح، وأحكم تعبية جنده، وقدّم بين يديه عشر رايات مع كل راية ألف رجل، وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوباً. وعبّى طاهر أصحابه كراديس وحرّضهم وأوصاهم، وهرب من أصحاب طاهر جماعة، فجلدهم عليّ وأهانهم، فأقصر الباقون وجدّوا في قتاله.

وأشار أحمد بن هشام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح ويذكر عليّ بن عيسى بها نكثه. ثم اشتدّ القتال وحملت ميمنة عليّ فانهزمت ميسرة طاهر، وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها، واعتمد طاهر القلب فهزموهم، ورجعت المجنبتان منهزمةً، وانتهت الهزيمة الى عليٍ وهو ينادي بأصحابه. فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه الى طاهر، وحُمِلَ شِلْوُهُ على خشبةٍ وأُلقي في بئر بأمر طاهر. وأعتق طاهرٌ جميع

غلمانه شكراً لله، وتمت الهزيمة. واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين واقفوهم فيها اثنتي عشرة مرّة يقتلونهم في كلها ويأسرونهم، حتى جنّ الليل بينهم.

ورجع طاهر الى الريّ، وكتب الى الفضل: كتابي الى أمير المؤمنين ورأس علي بين يديّ وخاتمه في اصبعي، وجنده متصرّفون تحت أمري والسلام. وورد الكتاب على البريد في ثلاثة أيام، فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالفتح، ودخل الناس فسلّموا عليه بالخلافة ووصل رأس عليّ بعدها بيومين وطيف به في خُراسان، ووصل الخبر الى الامين بقتل عليّ وهزيمة العسكر، فأحضر الفضل ابن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم، فقبض ما بيده من ضياعه وغِلّاته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وصّاه بها، وندم الامين على فعله، وسمت الجند والقوّاد في طلب الارزاق، فهمّ عبدالله بن حاتم بقتالهم فمنعه الامين وفرّق فيهم أموالاً.

مسير ابن جبلة الى طاهر ومقتله

ولما قتل عليّ بن عيسى بعث الامين عبد الرحمن بن الانباري في عشرين ألف فارس الى هَمَذَان، وولّاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خُراسان وأمدّه بالمال، فسار الى همذان وحصنها، وجاءه طاهر فبرز اليه ولقيه، فهزمه طاهر الى البلد. ثم خرج عبد الرحمن ثانيةً فانهزم الى المدينة، وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة

وطلب الامان من طاهر، وخرج من همذان . وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه، فجهز العسكر على همذان . وسار الى قزوين في ألف فارس، ففرّ عاملها وملكها . ثم ملك همذان وسائر أعمال الجبل، وأقام عبد الرحمن ابن جَبَلَة في أمانه. ثم أصاب منه بعض الايام غِرّة فركب وهجم عليه في عسكر، فقاتله طاهر أشدّ القتال، حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلهم بعبد الله وأحمد ابني الحُرَيْشِيّ في عسكر عظيم بعثهما الامين مدداً لعبد الرحمن، فانهزموا جميعاً الى بغداد . وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه الى حُلوان فخندق بها وجمع أصحابه .

بيعة المأمون

وأمر المأمون عندها بأن يُخطَبَ له على المنابر، ويخاطب بأمير المؤمنين، وعقد للفضل بن سهل على المشرق كلّه من جبل هَمَذان الى البيت طولاً، ومن بحر فارسَ الى بحر الدَيْلَمِ وجَرْجان عرضاً، وحمل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم . وعقد له لواء ذا شعبتين ولقّبه ذا الرياستين يعني الحرب والعلم، وحمل اللواء علي بن هشام، وحمل العلَم نعيم بن خازم، وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج .

ظهور السفياني

هو عليّ بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العَمَيْطِر لانه زعم أنها كنية الحِرْذَوْنِ فلقّبوه بها، وكانت أمّه نفيسة

بنت عبدالله بن العبّاس بن علي بن أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن شيخي صفّين يعني علياً ومعاوية. وكان من بقايا بني أمَيّة بالشام. وكان من أهل العلم والرواية، فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين. وأعانه الخطّاب بن وجه الفَلَس مولى بني أميّة، كان متغلِباً على صيدا، فملك دِمَشْقَ من يد سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كلب. وكتب الى محمد بن صالح بن بَيْهَس يدعوه ويتهدّده فأعرض عنه.

وقصد السُفْيَانِيّ القَيْسِيَّةَ فاستجاشوا بمحمد بن صالح، فجاءهم في ثلثمائة فارس من الصبات ومواليه. وبعث السفياني يزيد بن هشام للقائهم في اثني عشر ألفاً، فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم. ثم جمع جمعاً مع ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فانهزموا، وقتل القاسم وبعث برأسه الى الامين. ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولاه المُعْتَمِر فانهزموا، وقتل المعتمر فوهن أمر السفياني وطمعت فيه قيس. ثم ان ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نُمَير وأوصاهم ببيعة مَسْلَمَةَ بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة. وقال لهم: تولوه وكيدوا به السفياني فانكم لا تتقون بأهل بيته. وعاد ابن بيهس الى حوران، واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه، فقتل منهم وجمع مواليه. ودخل على السفياني فقيّده وحبس رؤساء بني أمية، وادنى القيسيّة وجعلهم

بطانةً . وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء الى دمشق وحاصرها وسلّمها له القيسيّة في محرّم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة والسفياني الى المزّة، وملك ابن بيهس دمشق الى أن قدم عبدالله بن طاهر دمشق وسار الى مصر، ثم عاد اليها فاحتمل ابن بيهس معه الى العراق ومات بها .

مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال

ولما قتل عبد الرحمن بن جَبَلَةَ أرسل الفضل بن الربيع الى أَسد بن يزيد بن مَزْيَد ودعاه لحرب طاهر بعد أن وَلِيَ الامين الخلافة، وشكر لاسدٍ فضل الطاعة والنصيحة وشدة البأس ويمن التقيّة. وطلب منه أرزاق الجند من المال لسنة، وألف فرس تحمل من معه بعد ازاحته عللهم بالاموال، وأن لا يطلب بحسبان ما يفتتح. فقال : قد أشططت ! ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين . ثم ركب ودخل على الامين فأمر بحبسه، وقيل إنّه طلب ولدي المأمون كانا عند أُمّهما ابنة الهادي ببغداد بحملهما معه، فان أطاعه المأمون وإلّا قتلهما .

فغضب الامين لذلك وحبسه، واستدعى عبدالله بن حميد ابن قَحْطَبَةَ فاشتطّ كذلك، فاستدعى أحمد بن مزيد واعتذر له عن حبس أسدٍ وبعثه لحرب طاهر، وامر الفضل بأن يجهّز له عشرين الف فارس، وشفع في أسد بن أخيه فأطلقه .

ثم سار وسار معه عبدالله بن حميد بن قحطبة في عشرين

الفاً اخرى وانتهوا الى حُلوان وأقاموا (١) وطاهر بموضعه ودس المرجفين في عسكرهم، بأن العطاء والمنع ببغداد، والجند يقبضون أرزاقهم . حتى مشى الجند بعضهم الى بعض، واختلفوا واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء . وتقدّم طاهر فنزل حُلوان وجاءه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلّم الى هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدّم الى الاهواز ففعل ذلك .

امر عبد الملك بن صالح وموته

قد تقدّم لنا حبس عبد الملك بن صالح الى ان مات الرشيد واخرجه الامين، ولما كان امر طاهر جاء عبد الملك الى الامين واشار عليه بان يقدّم اهل الشام لحربه، فهم اجرأ من أهل العراق وأعظم نكايةً في العدوّ، وضمن طاعتهم بذلك فولّاه الامين أهل الشام والجزيرة وقوّ له بالمال والرجال واستحثه . فسار الى الرقّةِ وكاتب أهل الشام فتسالموا اليه، فأكرمهم وخلع عليهم وكثرت جموعه . ثم مرض واشتدّ مرضه ووقعت فتنة في عسكره بين الخُراسانيّين وأهل الشام بسبب دابة أخذت لبعضهم في وقعة سليمان ابن ابي جعفر وعرفها عند بعض أهل الشام، فاقتتلوا وأرسل اليهم عبد الملك بالقتل فلم يقتلوا، وكثر القتل واظهر عبد الملك النُصْرَةَ للشامِيّين وانتقض الحُسَيْنُ بن عليّ للخراسانيّين، وتنادى الناس

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٠ : وأقام أحمد وعبد الله بخانقين وأقام طاهر بموضعه، ودس الجواسيس والعيون وكانوا يرجفون في عسكر أحمد وعبد الله .

بالرجوع الى بلادهم، فمضى اهل حمص وقبائل كلب، فانهزم اهل الشام وأقام عبد الملك بن صالح بالرَّقَّة، توفي بها .

خلع الأمين وإعادته

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن عليّ في الجند بالرحيل الى بغداد، وقدمها فلقيه القوّاد ووجوه الناس، ودخل منزله واستدعاه الامين من جوف الليل، فامتنع وأصبح، فوافى باب الجسر وأغراهم بخلع الامين، وحذّرهم من نكثه . ثم امرهم بعبور الجسر فعبروا، ولقيه أصحاب الامين فانهزموا . وذلك منتصف رجب سنة ست، وأخذ البيعة للمأمون من الغد . ووثب العبّاس بن عيسى بن موسى بالامين فأخرجه من قصر الخُلْدِ وحبسه بقصر المنصور ومعه أمّه زبيدة، فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد فنكر استبداد الحسين بخلع الامين وليس بذي منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم .

وقال أسد الحربي : قد ذهب أقوام بخلع الامين، فاذهبوا أنتم بفكه يا معشر الحَرْبِيَّةِ، فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا : ما قتل قوم خليفتهم إلّا سلّط الله عليهم السيف . ثم نهضوا الى الحسين وتبعهم أهل الارض فقاتلوه قتالًا شديداً وأسروه . ودخل أسدُ الحربي الى الامين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته، وأمرهم الامين بلبس السلاح، فانتهبه الغوغاء وجيء بالحسين اليه أسيراً،

فاعتذر اليه وأطلقهم، وأمر بجمع الجند والمسير الى طاهر، وخلع عليه ما وراء بابه. ووقف الناس يهنئونه بباب الجسر حتى اذا خفّ عنه الناس قطع الجسر وهرب، وركب الجند في طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤوا برأسه الى الامين، واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر.

استيلاء طاهر على البلاد

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير الى الاهواز قدم اليها الْحُسَيْنُ ابن عُمَرَ الرُّسْتَمِيّ، وسار في أثره وأتته عيونه بأنّ محمد بن يزيد بن حاتم قد توجّه من قبل الامين في جند ليحمي الاهواز من أصحاب طاهر، فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس ابن بُخارا أخذاه مدداً للرستمي. ثم أمدّهم بقريش بن شِبْل. ثم سار بنفسه حتى كان قريباً منهم، وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم، وقد أشار اليه أصحابه بالرجوع الى الاهواز والتحصّن بها حتى تأتيه قومه الأزد من البصرة، فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل باتّباعه قبل أن يتحصّن بالأهواز، فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد الى الاهواز، وجاء على أثره فاقتتلوا قتالاً شديداً. وفرّ أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا.

وملك طاهر الاهواز، وولّى على اليَمامَةِ والبَحْرَيْن وعُمان. ثم سار الى واسِط وبها السِندي بن يحيى الْحَرَشِيّ والهَيْثَمْ بن شُعْبَةَ خليفة خُزَيْمَةَ بن حازم، فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائداً من

قوّاده الى الكوفة وبها العباس بن الهادي، فخلع الامين وبايع للمأمون، وكتب بذلك الى طاهر، وكذلك فعل المنصور بن المهدي بالبصرة والمطّلب بن عبدالله بن مالك بالموصل، وأقرّهم طاهر على أعمالهم.

وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام بجرجايا.[1] ولما بلغ الخبر بذلك الى الامين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حمّاد البربري الى قصر ابن هبيرة فقاتلهم الحرث وداود قتالاً شديداً وهزموهم الى بغداد، وبعث الامين أيضاً الفضل بن موسى على الكوفة، فبعث اليه طاهر بن العلاء في جيش فلقيه في طريقه، فأراد مسالمته بطاعة المأمون كياداً، ثم قاتله فانهزم الى بغداد. ثم سار طاهر الى المدائن وعليها البرمكيّ، والمدد متصل له كل يوم، فقدم قريش بن شبل، فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكي في التعبية فكانت لا تتمّ له، فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، وملك طاهر المدائن ونواحيها، ثم نزل صَرْصَر وعقد بها جسراً.

بيعة الحجاز للمأمون

ولما أخذ الامين كتب العهد من مكة، وأمر داود بن عيسى وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض

(١) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ١٦٨: «ورحل طاهر حتى نزل طرنايا» وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤: «وأقام طاهر بجرجرايا».

العهد، وذكَّرهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لابنيه في المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم، وأن محمداً بدأ بالظلم والنكث، وخلع اخويه وبايع لطفل صغير رضيع، وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظلماً، ثم دعا الى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه، ونادى بذلك في شِعابِ مكة وخطبهم. وكتب الى ابنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله، وذلك في رجب سنة ست وتسعين. وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان الى المأمون، وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه، وأضاف اليه ولاية عَكّ. وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسيّر معه ابن أخيه العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم، ويزيد بن جرير بن مزيد بن خالد القَسْرِيّ في جند كثيف عاملاً على اليمن، ومرّوا بطاهر وهو محاصر بغداد، فأكرمهم وأقام يزيد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه.

حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الأمين

ولما اتصلت بالامين هذه الاحوال، وقتل الحسين بن علي بن عيسى، شمّر لحرب طاهر واستعدّ له. وعقد في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة (1) شتى، وأمّر عليهم علي بن محمد بن عيسى ابن نهيك، وأمرهم بالمسير الى هَرْثَمَةَ فساروا اليه والتقوا بنواحي النَّهْرَوان في رمضان، فانهزموا وأسر قائدهم عليّ بن محمد، فبعث

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٥: وفي هذه السنة ـ أي سنة ست وتسعين ومائة ـ عقد محمد الأمين في رجب وشعبان نحواً من أربعمائة لواء لقواد شتى.

به هرثمة الى المأمون وترك النهروان، وأقام طاهر بصرصر، والجيوش تتعاقب من قبل الامين فيهزمها . ثم بـذل الامين الاموال ليستفسدَ بها عساكرهم، فسار اليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف، ففرّق فيهم الاموال، وقوّد جماعةً من الحَرْبِيّة، ودسّ الى رؤساء الجند في عسكر طاهر ورغّبهم، فشغبوا على طاهر وسار كثير منهم الى الامين، وانضموا الى قواد الحربيّة وقوّاد بغداد وساروا الى صرصر . فعبّى أصحابه كراديس وحرّضهم ووعدهم .

ثم تقدّم فقاتلهم مَلِيًّا من النهار، وانهزم أصحاب الامين، وغنم أصحاب طاهر عسكرهم . ولما وصلوا الى الامين فرّق فيهم الاموال وقوّد منهم جماعةً ولم يعط المنهزمين شيئاً، ودس اليهم طاهر واستمالهم، فشغبوا على الامين . فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهائنهم على الطاعة، وأعطاهم الاموال . فسار فنزل باب الانبار بقوّاده وأصحابه، واستأمن اليه كثير من جند الامين، وثارت العامّة وفتقت السجون، ووثب الشُطّار على الأخيار . ونزل زُهَير بن مُسَيَّب الضَبّي من ناحية، ونصب المجانيق والعرادات، وحفر الخنادق . ونزل هَرثَمةُ بناحية أخرى وفعل مثل ذلك .

ونزل عُبَيدُالله بن الوَضّاح بالشماسيّةِ، ونزل طاهر بباب الانبار، فضيّق على الامين بمنزله ونفد ما كان بيد الامين من الاموال، وأمر ببيع ما في الخزائن من الامتعة . وضرب آنية الذهبِ والفضّةِ ليفرّقها في الجند، وأحرق الحديثة فمات بها خلق، وأستأمن سعيد

ابن مالك بن قادم الى طاهر فولاه الاسواق وشاطيء دجلة، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب، وأمدّه بالرجال والاموال. ووكل الامين بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور الى دجلة بعض قوّاده، فألحّ في احراق الدور والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك. وكثر الخراب ببغداد، وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من النواحي ويقاتل من لم يجبه، وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بني هاشم والقوّاد وعجز الأجناد عن القتال.

وقام به الباعة والعيّارون، وكانوا ينهبون أموال الناس. واستأمن اليه القائد الموكل بقصر صالح فأمّنه وسلّم اليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الاخيرة من سنة سبع. واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الامين. واجتمع العيّارون والباعة والاجناد وقاتلوا أصحاب طاهر في قصر صالح، وقتلوا منهم خلقاً، وكاتب طاهر القوّاد بالامان وبيعة المأمون، فأجابه بنو قَحْطَبَةَ كلهم ويحيى بن عليّ بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطائي وغيرهم. وفشل الامين وفوّض الامر الى محمد بن عيسى ابن نهيك والى الحسن الهرش، ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك الفتنة. وأجفل الناس من بغداد وافترقوا في البلاد.

ولما وقع بطاهر في قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع في هدم المباني وتخريبها، ثم قطع الميرة عنهم، وصرف السفن التي تحمل

فيها الى الفرات . فغلت الاسعار وضاق الحصار، واشتدّ كَلَبُ العيّارين فهزموا عُبَيْدَالله بن الوضّاح وغلبوه على الشماسية . وجاء هرثمة ليعينه فهزموه أيضاً وأسروه، ثم خلّصه أصحابه . وعقد طاهر جسراً فوق الشماسية وعبر اليهم وقتلهم أشدّ قتال فردّهم على أعقابهم، وقاتل منهم بشراً كثيرًا . وعاد ابن الوضّاح الى مركزه، وأحرق منازل الامين بالخَيْزَرانِيّةِ، وكانت النفقة فيها بلغت عشرين ألف درهم، وأيقن الامين بالهلاك، وفرّ منه عبدالله بن حازم بن خُزَيْمَةَ الى المدائن لانه اتهمه وحمل عليه السَفَلَة والغوغاء .

ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه، فخرج عن الامين وقصد الهرش ومن معه جزيرة العبّاس من نواحي بغداد، فقاتلهم بعض أصحاب طاهر وهزموهم، وغرق منهم خلق كثير . وضجر الامين وضعف أمره، وسار المؤتمن بن الرشيد الى المأمون فولّاه جرجان، وكاتب طاهر خُزَيْمَةَ بن حازم ومحمد بن علي بن موسى ابن ماهان وأدخلهما في خلع الامين فاجاباه، ووثبا آخر محرّم من سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة، وخلع الامين، وبعث الى هرثمة وكان بازائهما فسار اليهما من ناحيته، ودخل عسكر المهدي وملكه . وقدم طاهر من الغد الى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم وملكها عَنْوَةً ونادى بالامان، ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر الوضّاح، وأحاط بمدينة المنصور وقصر زُبَيْدَةَ وقصر الخُلْدِ من باب الجسر الى باب البصرة، وشاطىء الصراة الى مَصبّها في دجلة،

ونصب عليها المجانيق .

واعتصم الامين في أمّه ووُلدِهِ بمدينة المنصور ، واشتدّ عليه الحصار، وثبت معه حاتم بن الصقر والحُرَيْشي والافارقة . وافترق عامّة الجنود والخصيّان والجواري في الطرُق، وجاء محمد بن حاتم ابن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقي الى الامين وقالا له : بقي من خيلك سبعة آلاف فرس، نختار سبعة آلاف ونجعلهم عليها، ونخرج على بعض الابواب ولا يشعر بنا أحد، ونلحق بالجزيرة والشام فيكون ملك جديد، وربما مال اليك الناس ويحدث الله أمرًا . فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر، فكتب الى سليمان ابن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسِندي بن شاهك يتهدّدهم ان لم يصرفوه عن ذلك الرأي . فدخلوا على الامين وحذروه من ابن الصقر وابن الاغلب أن يجعل نفسه في أيديهم فيتقرّبوا به الى طاهر، وأشاروا عليه بطلب الامان على يد هرثمة بن أعين والخروج اليه، وخالفهم اليه ابن الصقر وابن الاغلب .

وقالوا له : اذا ملت الى الخوارج فطاهر خير لك من هَرْثَمة فأبى وتطيّر من طاهر، وأرسل الى هرثمة يستأمنه . فأجابه أنه يقاتل في امانة المأمون فمن دونه، وبلغ ذلك طاهرًا فعظم عليه أن يكون الفتح لهرثمة، واجتمع هو وقوّاده لهرثمة وقوّاده في منزل خُزَيْمَة بن حازم، وحضر سليمان والسِنْدِيّ وابن نهيك وأخبروا طاهراً انه لا يخرج اليه أبداً، وانه يخرج الى هرثمة ويدفع اليك الخاتَمَ

والقضيب والبُرْدَة وهو الخلافة فرضي .

ثم جاءه الهرش وأسرّ اليه انهم يخادعونه وانهم يحملونها مع الامين الى هرثمة، فغضب وأعدّ رجالًا حول قصور الامين . وبعث اليه هرثمة لخمس بقين من محرّم سنة ثمان وتسعين بأن يتربّص ليلة لانه رأى أولئك الرجال بالشطّ فقال : قد افترق عني الناس ولا يمكنني المقام لئلا يدخل عليّ طاهر فيقتلني . ثم ودّع ابنيه وبكى وخرج الى الشط، وركب حراقة هرثمة . وجعل هرثمة يقبّل يديه ورجليه وأمر بالحراقة ان تدفع، واذا باصحاب طاهر في الزواريق، فشدّوا عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشّاب فلم يرجعوا، ودخل الماء الى الحرّاقة فغرقت .

قال أحمد بن سالم صاحب المظالم : فسقط الامين وهرثمة وسقطنا، فتعلّق الملاح بشعر هرثمة وأخرجه، وشق الامين ثيابه . قال : وخرجت الى الشط فحملت الى طاهر فسألني عن نفسي فانتسبت، وعن الامين فقلت غرق، فحملت الى بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم مالاً فاديتهم به على نفسي . فبعد ساعة من الليل فتحوا عليّ الباب وادخلوا عليّ الامين عريان في سراويل وعمامة، وعلى كتفه خرقة فاسترجعت وبكيت . ثم عرفني فقال : ضُمّني اليك فإني أجد وحشة شديدة، فضممته وقلبه يخفق فقال : يا احمد ! ما فعل اخي فقلت حيّ . قال : قبّح الله بريدهم كان يقول قد مات، يريد بذلك العذر عن محاربته، فقلت : بل قبّح الله وزراءك

فقال : تراهم يفون لي بالامان ! قلت : نعم إن شاء الله.

ثم دخل محمد بن حميد الطاهري فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف، ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من العجم منتضين سيوفهم، فدافع عن نفسه قليلاً. ثم ذبحوه ومضوا برأسه الى طاهر، ثم جاؤا من السَحَرِ فأخذوا جثته. ونصب طاهر الرأس حتى رآه الناس، ثم بعث به الى المأمون مع ابن عمِّه محمد بن الحسن بن مُصْعَب، ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح. فلما رآه المأمون سجد.

ولما قتل الامين نادى طاهر بالامان، ودخل المدينة يوم الجمعة فصلّى بالناس وخطب للمأمون وذمّ الامين، ووكل بحفظ القصور الخلافِيَّةِ، وأخرج زُبَيْدَةَ أمّ الامين وابنيه موسى وعبد الله الى بلاد الزاب الاعلى. ثم أمر بحمل الولدين الى المأمون، وندم الجند على قتله. وطالبوا طاهراً بالاموال، فارتاب بجند بغداد وبجنده أنهم تواطؤا عليه، وثاروا به لخمس من قتل الامين. فهرب الى عَقَرْقوبا ومعه جماعة من القوّاد. ثم تعبّى لقتالهم فجاؤا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والاحداث فصفح عنهم وتوعدهم ان يعودوا لمثلها، وأعطاهم أربعة أشهر. واعتذر اليه مشيخة بغداد وحلفوا أنّهم لم يدخلوا الجند في شيء من ذلك، فقبل منهم ووضعت أهل الحرب أوزارها واستوسق[1] الامر للمأمون في سائر الاعمال والممالك.

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧١ : ووضعت الحرب أوزارها واستوثق الناس في المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد لخلافته.

ثم خرج الحسن الهرش في جماعة من السَفَلةِ واتّبعه كثير من بوادي الاعراب، ودعا الى الرِّضا من آل مُحَمَّدٍ، وأتى النيل فجبى الاموال ونهب القرى. وولّى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن، فقدم سنة تسعة وتسعين وفرق العمّال وولى طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب، وأمره أن يسير الى قتال نصر بن شبيب، وأمر هرثمة بالمسير الى خُراسان، وكان نصر بن شبيب من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر في كَيْسُوم شمالي حلب، وكان له ميل الى الامين. فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة، وغلب على ما جاوره من البلاد، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب، وعبر الى شرقي العراق، وحصر حَرّان.

وسأل منه شيعة الطالِبِيين أن يبايعوا لبعض آل عليّ لما رأوه من بني العبّاس ورجالهم وأهل دولتهم وقال: والله لا أبايع أولاد السوداوات، فيقول: إنّه خلقني ورزقني. قالوا: فبعض بني أمية قال: قد أدبر أمرهم والمُدْبِرُ لا يُقْبِل ولو سلم عليّ رجل مدبر لاعداني بادباره، وانما هواي في بني العبّاس، وانما حاربتهم لتقديمهم العجم على العرب. ولما سار اليه طاهر نزل الرَّقَّةَ وأقام بها وكتب اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه، وجاء الخبر الى طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحُسَيْن بن زُرَيْق بن مُصْعَب

بخراسان، وأنّ المأمون حضر جنازته. ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه.

وبعد قتل الامين كانت الوقعة بالموصل بين اليمانيّة والنزارية وكان عليّ بن الحسن الهَمَداني متغلّباً على الموصل فعسف بالنزاريّة، وسار عثمان بن نعيم البرجمي الى ديار مصر، وشكا الى أحيائهم واستنفرهم، فسار معه من مِضَرَ عشرون ألفاً وأرسل اليهم عليّ ابن الحسن بالرجوع الى ما يريدون، فأبى عثمان فخرج عليّ في أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى البلد.

ظهور ابن طباطبا العلوي

لما بعث المأمون الحَسَنَ بن سَهْلٍ الى العراق وولّاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والاعمال، تحدّث الناس أن الفضل ابن سهل غلب على المأمون واستبدّ عليه وحجبه عن أهل بيته وقواده، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة. وكان أبو السرايا السريّ بن منصور ويذكر انه من بني شيبان من ولد هانيء بن قُبَيْصَةَ بن هانيء بن مسعود، وقيل من بني تميم بالجزيرة، وطلب فعبر الى شرقي الفرات وأقام هنالك يُخيف السابلةَ ثم لحق بيزيد بن مزيد بأرمينية في ثلاثين فارساً فقوّده وقاتل معه الخرمية[1] وأسر منهم [illegible] أبا الشوك.

---

(١) كذا في الأصل وهي الخرمية، كما في ابن الأثير ج ٥ ص [illegible].

ومات يزيد بن مزيد فكان مع ابنه أسد، وعزل أسد فسار الى احمد بن مزيد . ولما بعث الامين احمد بن مزيد لحرب هرثمة بعثه طليعة الى عسكره، فاستماله هرثمة فمال اليه ولحق به وقصد بني شيبان مع الجزيرة، واستخرج لهم الارزاق من هرثمة واجتمع اليه أزيد من ألفي فارس . فلما قتل الامين تعصى هرثمة عن أرزاقهم فغضب واستأذن في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرّقها في أصحابه ومضى واوصاهم باتباعه، فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار الى عين التمر، فأخذوا عاملها وقسموا ماله، ولقوا عاملاً آخر بمال موفور على ثلاثة أنفار فاقتسموه .

وأرسل هرثمة عسكراً خلفه فهزمهم، ودخل البرية . ولحق به من تخلّف من أصحابه فكثر جمعه، وسار نحو دقوقا وعليها ابو ضِرْغَامَةُ في سبعمائة فارس، فخرج وقاتله فهزمه، ورجع الى القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الامان وأخذ أمواله . وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشَرَوِيّ مولى المنصور، فقتله وأخذ ما فيها وعاد اليها عند ادراك الغلال فافتتحها . ثم قصد الرقّة ومرّ بطَوْقِ ابن مالك الثعلبيّ فاستجاشه على قيس، فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيساً بعصبيّة ربيعة حتى انقادت قيس الى طوق .

وسار أبو السرايا الى الرقّة فلقي محمد بن ابراهيم بن اسماعيل ابن ابراهيم بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن عليّ، ويلقّب أبوه ابراهيم طباطبا فدعاه الى الخروج، وانفذ الى الكوفة فدخلاها

وبايعهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد، ونهب ابو السرايا قصر العباس بن موسى بن عيسى، وأخذ ما فيه من الاموال والجواهر مما لا يحصي، وذلك منتصف جمادى الاخيرة سنة تسعة وتسعين، وقيل انّ أبا السرايا مطله هرثمة بأرزاق أصحابه، فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا. ولما ملك الكوفة هرع اليه الناس والأعراب من النواحي فبايعوه، وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن بن سهل، فبعث اليه زهير بن المسيب الضبّي في عشرة آلاف، وخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره، وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتاً، فنصب أبو السرايا مكانه غلاماً من العلوية، وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه.

ورجع زُهَير الى قصر ابن هُبَيْرَةَ فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن خالد المَروزوذِي في أربعة آلاف، فلقيه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشاً الى البصرة وواسط، وولّى على البصرة العباس بن محمد بن عيسى ابن محمد الجعفري، وعلى مكة الحُسَيْنَ الأفطس بن الحسين بن عليٍ زين العابدين وجعل اليه الموسم. وعلى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى فارس اسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى الاهواز زيد بن موسى الصادق، فسار الى البصرة

وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن المثنّى الى المدائن، وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقيّ ففعل .

وكان بواسط عبدالله بن سعد الحرشي من قبل الحسن بن سهل، ففرّ امامهم وبعث الحسن بن سهل الى هَرْثَمَة يستدعيه لحرب ابي السرايا وكان قد سار الى خُراسان مغاضباً له فرجع بعد امتناع، وسار الى الكوفة في شعبان . وبعث الحسن الى المدائن وواسط عليّ بن أبي سعيد، وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه جيشاً الى المدائن فملكوها في رمضان . وتقدّم فنزل نهر صرصر، وعسكر هرثمة بازائه غدوة . وسار عليّ بن أبي سعيد في سؤال المدائن فحاصر بها أصحاب ابي السرايا ورجع هو من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة وهرثمة وأتباعه، ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز الى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بني العباس وشيعتهم فنهبوها وخرّبوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس، وكان على مكّة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ، فلما بلغه قدوم حسين الأفطس جمع شيعة بني العباس .

وكان مسرور الكبير قد حجّ في مائة فارس فتعبّى للحرب ودعا داود الى حربهم فقال : لا أستحلّ ذلك في الحرم وخرج الى العراق وتبعه مسرور . وكان حسين الافطس بسَرْفٍ يخاف دخول مكة فبلغه الخبر ان مكة قد خلت من بني العباس، فدخل في عشرة أنفس وطاف وسعى ووقف بعرفة ليلًا وأتمّ الحجّ . وأقام

هرثمة بنواحي الكوفة يحاصرها، واستدعى منصور بن المهدي وكاتب رؤساء الكوفة، وسار عليّ بن سعيد من المدائن الى واسط فملكها ثم توجه الى البصرة واشتدّ الحصار على ابي السرايا بالكوفة، فهرب عنها في ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد ابن جعفر بن محمد .

ودخلها هرثمة منتصف محرم فأقام بها يوماً وولى عليها غسّان صاحب الحرس بخراسان، وعاد وقصد أبو السرايا القادِسيَّةَ وسار منها الى السوس، ولقي بخراسان مالاً حُمِل من الاهواز فقسمه في أصحابه . وكان على الاهواز الحسن بن علي المأموني، فخرج اليه فقاتله فهزمه، وافترق أصحابه وجاء الى منزله برأس عين من جلولاء ومعه صاحبه محمد وغلامه أبو الشوك، فظفر بهم حمّاد الكندغوش وجاء بهم الى الحَسَنِ بن سَهْلٍ في النَّهْرَوَان، فقتل أبا السرايا وبعث برأسه الى المأمون وبصاحبه محمد معه، ونصب شلوه على جسر بغداد .

وسار عليّ بن أبي سعيد الى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يسمّى زَيْدَ النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم، فاستأمن اليه زيد فأمّنه وأخذه، وبعث الجيوش الى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويّين، وكان ابراهيم بن موسى بن جعفر بمكة، فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله ولّى وسار الى اليمن وبها اسحاق بن موسى بن عيسى فهرب

الى مكة، واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزّار لكثرة قتله وفتكه . ثم بعث رجلاً من وُلدِ عقيل بن أبي طالب الى مكّة ليحجّ بالناس، وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القوّاد فيهم حمدوية بن علي بن عيسى بن ماهان والياً على اليمن من قبل الحسن بن سهل فخام[1] العقيلي عن لقائهم، واعترض قافلة الكسوة فأخذها، ونهب أموال التجّار ودخل الحجاج الى مكة عراة، فبعث الجلودي من القوّاد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم، وتفقد أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها، وضرب الاسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم، وحج المعتصم بالناس .

بيعة محمد بن جعفر بمكة

هو محمّد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين ويُلقّبُ الديباجة، وكان عالماً زاهداً ويروي عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه . ولما ملك الحُسَيْنُ الأفطس مكّة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة، وتتبّع ودائع بني العبّاس وجعلها ذريعةً لاخذ أموال الناس فخرجوا من مكة . وقلع أصحابه شبابيك الحَرَم وقلع ما على الاساطين من الذهب، واستخرج ما كان في الكعبة من المال فقسمه في أصحابه، وساء أثره في الناس .

---

(١) بمعنى نكص وجبن. قال الشاعر:

إذ يتقون بي الاسنة لم أخم   عنها، ولكني تضايق مقدمي

فلما قتل أبو السرايا تنكّروا له فخشي على نفسه، فجاء الى محمد بن جعفر ليبايع له بالخلافة، فلم يزل به هو وابنه حسن واستعانا عليه بابنه عليٍ حتى بايعوه، ودعوه بأمير المؤمنين. واستبدّ عليه ابنه عليٌّ وابن الأفطَسِ بأسوأ مما كان قبل، وأفحشوا في الزنا واللواط واغتصاب النساء والصبيان، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يردّ اليهم ابن القاضي كان مغتصباً ببيت ابنه عليّ، فاستأمنهم حتى ركب الى بيت ابنه وسلم اليهم الغلام.

وجاء اسحاق بن موسى بن عيسى من اليمن، فاجتمع الناس وخندقوا مكة، وقاتلهم اسحاق وامتنعوا عليه، فسار نحو العراق ولقي الجند الذين بعثهم هرثمة الى مكة مع الجلودي ورجاء بن جميل، وهو ابن عم الحسين بن سهل. فرجع بهم وقاتل الطالبيين فهزمهم وافترقوا، واستأمن اليه محمد بن جعفر فأمّنه وملك مكة، وسار محمد بن جعفر الى الجَحْفَةِ ثم الى بلاد جُهَيْنَةَ فجمع وقاتل هارون بن المُسَيَّبِ والي المدينة، فانهزم محمد وفُقِئت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع الى موضعه. ولما انقضى الموسم استأمن الجلودي ورجاء بن جميل فأمّناه ودخل مكة، وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح انه حيّ، وخلع نفسه وسار الى الحسن والي المأمون بمرو، فلم يزل عنده الى ان سار المأمون الى العراق فمات بجرجان في طريقه.

مقتل هرثمة

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع، وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يُعَرِّجْ عليه، وسار على عقرقوبا الى النهروان قاصداً خراسان، ولقيته كتب المأمون متلاحقة ان يرجع الى الشام والحجاز، فأبى الا لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه. وكان قصد ان يُطلِعَ المأمون على حال الفضل بن سهل في طيّه الأخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك، وباستبداده عليه ومقامه بخراسان، وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون، والقى اليه أنه سلّط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معانداً سيء القالة، وان سومح في ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون وبقي في انتظاره ولما بلغ مرو قرع طبوله يسمعها لئلا يطوى خبره عن المأمون، وسأل المأمون عنها فقيل هرثمة أقبل يرعد ويبرق. فاستدعاه وقال هرثمة[1] مالأت العلويين وأبا السرايا ولو شئت اهلاكهم جميعاً لفعلت، فذهب يعتذر فلم يمهله، وأمر فريس[2] بطنه وشُدِخَ أنفه، وسحب الى السجن، ثم دس اليه من قتله.

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧٩ : فأمر المأمون بإدخاله، فلما دخل عليه قال له المأمون: مالأت أهل الكوفة العلويين الخ.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧٩ : فديس بطنه.

انتقاض بغداد على الحسن بن سهيل

ولما بلغ خبر هرثمة إلى العراق كتب الحسن بن سهل الى علي بن هشام والي بغداد من قبله ان يتعلل على الجند الحربيّة والبغداديين في أرزاقهم، لانه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة انهم عازمون على خلعه وطرد عماله، وولوا عليهم اسحاق بن الهادي خليفة المأمون . فلم يزل الحسين يتلطف اليهم ويكاتبهم حتى اختلفوا فأنزل علي بن هشام ومحمد ابن أبي خالد في أحد جانبيها، وزهير بن المسيب في الجانب الآخر وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه .

وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذه عليّ بن أبي سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل، فهرب من محبسه وخرج بناحية الانبار ومعه أخ لابي السرايا . ثم تلاشى أمره، وأخذوا (١) الى عليّ بن هشام . ثم جاء خبر هرثمة وقد انتقض محمد بن أبي خالد على عليّ بن هشام بما كان يستحق به، وغضب يوماً مع زهير بن المسيب فقنعه بالسوط، فسار الى الحربيّة ونصب لهم الحرب، وانهزم عليّ بن هشام الى صرصر . وقيل إنّ ابن هشام أقام الحدّ على عبدالله بن علي بن عيسى، فغضب الحربيّة وأخرجوه. واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه، فانهزم الى واسط أوّل سنة احدى ومائتين، والفضل بن الربيع وقد

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٨٠ : فبعثوا إليه فاتي به إلى علي بن هشام.

ظهر من اختفائه من لدن الامين . وجاء عيسى بن محمد بن ابي خالد من الرقّة من عند طاهر، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرّض للقائهم من أصحابه . وكان زهير بن المسيّب عاملًا للحسن على جوخي من السواد وكان يكاتب بغداد، فركب اليه محمد بن أبي خالد وأخذه أسيراً وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر .

ثم تقدم الى واسط وبعثه ابنه هارون الى النيل، فهزم نائب الحسن بها الى الكوفة فلحق بواسط، ورجع هارون الى ابيه وتقدّم نحو واسط فسار الحسن عنها . وأقام الفضل بن الربيع مختفياً بها واستأمن لمحمد وبعثه الى بغداد. وسار الى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده، وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن الى تمام الصلح، ثم لحقوا بجرجايا . ووجه محمد ابن ابنه هارون الى (1) فأقام بها . وسار محمد ابن ابنه أبو رتيل وهو جريح الى بغداد فمات بها ودفن في داره سراً ومحمد أبورتيل(2) الى زهير بن المسيب فقتله من ليلته . وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد، وبعث الى عيسى بن محمد بان يتولى حرب الحسن مكان

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٩ : ووجه محمد من دير العاقول ابنه هارون إلى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفي.

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٩ : وأقام محمد بجر جرايا فلما اشتدت به الجراحات خلف قواده في عسكره، وحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد، ومات محمد بن أبي خالد من ليلته من تلك الجراحات، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيب فأخرجه من حبسه فضرب عنقه.

أبيه، وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره الى هارون بالنيل فغلبوا وانتهبوها، ولحق هارون بالمدائن .

ثم اجتمع اهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى، فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافاً عن الحسن ابن سهل . وقيل ان الحسن لما ساعد اهل بغداد عيسى بن محمد ابن ابي خالد على حربه خام [1] عنه فلاطفه ووعده بالمصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية النواحي، فقبل وطلب خط المأمون بذلك، وكتب الى اهل بغداد : اني شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلاً من بني هاشم، فولوا المنصور بن المهدي ; وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا، مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً . وبعث منصور غسّان بن الفرج الى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسي من قوّاد الحسن بن سهل، وأخذ أسيراً ونزل النيل، فبعث منصور بن محمد يقطين في العساكر الى حميد، فلقيه حميد بكوثى فهزمه وقتل من أصحابه، ونهب ما حول كوثى ورجع الى النيل وأقام ابن يقطين بصرصر .

أمر المطوعة

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدّت أيدي الدعاوي [2] باذاية الناس

---

(١) خام: نكص وجبن. وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٤١: وقد قيل إن عيسى بن محمد بن أبي خالد لما اجتمع إليه أهل بغداد وساعدوه على حرب الحسن بن سهل رأى الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب وبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أي النواحي أحب.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٢ :

في اموالهم وافشى المناكير فيهم وتعذر ذلك، فخرجوا الى القرى فانتهبوها . واستعدى الناس أهل الامر فلم يغدوا عليهم، فتمشى الصلحاء من عمل ريظ [١] وكل بينهم، ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة الى خيارهم، فاعتزموا على مدافعتهم واشتدّ خالد المدريوش [٢] من اهل بغداد، فدعا جيرانه واهل محلته الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ان يغيروا على السلطان . فشدّ عـلى من كان عندهم من ادعار [٣] وحبسهم ورفعهم الى السلطان وتعدّى ذلك الى غير محلته .

ثم قام بعده سهل بن سلامة الانصاري من الحريشية [٤] من أهل خراسان ويكنى ابا حاتم فدعا الى مثل ذلك، والى العمل بالكتاب والسنة، وعلّق في عنقه مصحفاً وعبر [٥] على العامة وعلى اهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف . وبلغ خبرها

= وفي هـذه السنة تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان سبب ذلك أن فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديداً، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطريق الخ.

(١ و٢ و٣ و٤ و٥) كذا في الأصل، كلمات مغلوطة وعبارات مبهمة، وفي الكامل ج ٥ ص ١٨٣ : فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب، ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم؟ فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولعجزوا عن الذي يفعلونه . فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه إلى ذلك، فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه، وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم، وضرب من أخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم إلى السلطان، إلا أنه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيئاً. ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له: سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان - ويكنى أبا حاتم - فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة، وعلق مصحفاً في عنقه، وأمر أهل محلته ونهاهم، فقبلوا منه ودعا الناس جميعاً الشريف والوضيع، من بني هاشم وغيرهم فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد وأسواقها.

الى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن ابي خالد فنكروا ذلك، لان اكثر الدعار كانوا يشايعونهم على امرهم، فدخلوا بغداد بعد ان عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الامان له ولاهل بغداد، وانتظروا كتاب المأمون.ورضي أهل البلد بذلك، فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل.

العهد لعلي الرضا والبيعة لإبراهيم بن المهدي

ولما بلغ اهل بغداد أنّ المأمون قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الكاظم، ولقبه الرضا من آل محمد، وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة، وكتب بذلك الى الآفاق، وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمه بذلك في رمضان من سنة احدى ومائتين، وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبني هاشم بذلك، فأجاب بعض وامتنع بعض، وكبر عليهم إخراج الخلافة من بني العبّاس. وتولى كبر ذلك منصور وابراهيم ابنا المهديّ، وشايعهم عليه المطّلب بن عبدالله بن مالك والسِدّي ونصر الوصيف وصالح صاحب المُصَلّى ومنعوا[1] يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي ومن بعده لاسحاق بن الهادي.

ثم بايعوه في المحرم سنة اثنتين ومائتين ولقّبوه المبارك ووعد الجند بارزاق ستة أشهر، واستولى على الكوفة والسواد، وخرج

(١) كذا ولعلها: ووجهوا.

فعسكر بالمدائن، وولى بها على الجانب الغربيّ العبّاس بن الهادي، وعلى الجانب الشرقيّ اسحاق بن الهادي . وكان بقصر ابن هُبَيْرَة حميد بن عبد الحميد عاملاً للحسن بن سهل، ومعه القوّاد سعيد ابن الساحور وأبو البطّ وغسّان بن الفرج ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب، كانوا منحرفين عن حميد، فداخلوا ابراهيم بن الهادي في أن يملكوه في قصر ابن هبيرة وشعر بذلك الحسن بن سهل، فاستقدم حميداً وخلا لهم الجوّ منه، فبعث ابراهيم بن المهدي عيسى ابن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هُبَيْرَة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجواريه .

ثم عاد الى الكوفة فاستعمل عليها العبّاس بن موسى الكاظم وأمره أن يدعو لاخيه فامتنع غلاة الشيعة من اجابته وقالوا لا حاجة الينا بذكر المأمون وقعدوا عنه . وبعث ابراهيم بن المهدي من القوّاد سعيداً وأبا البط لقتاله، فسرّح اليهم العبّاس بن عمّه وهو عليّ بن محمد الديباجة فانهزم، ونزل سعيد وأبو البط الحيرة، ثم تقدّموا لقتال أهل الكوفة، وقاتلهم شيعة بني العباس ومواليهم . ثم سألوا الامان للعبّاس وخرجوا مـن داره . ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى، وبلغ الخبر الى سعيد بالحيرة بأن العباس قد نقض ورجع عن الامان، فركب وجاء الى الكوفة وقتل من ظفر به، ولقيه أهله فاعتذروا اليه بان هذا فعل الغوغاء، وانّ العبّاس باقٍ على عهده .

ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالامان، وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصبّاح الكِنْدِيّ، ثم عزلوه وولوا مكانه غسّان ابن الفرج فقتل أخا السرايا . ثم عزلوه وولوا الهول ابن أخي سعيد القائد، وقدم حميد بن عبد الحميد لحربهم بالكوفة، فهرب الهول وبعث ابراهيم بن المهدي بن عيسى بن محمد بن أبي خالد لحصار الحسن بواسط على طريق النيل .

وكان الحسن متحصِّناً بالمدينة، فسرح أصحابه لقتالهم فانهزموا وغنم عسكرهم، ورجع عيسى الى بغداد فقاتل سهل بن سلامة المطوّع حتى غلبه على منزله، فاختفى في غمار النظّار، وأخذوه بعد ليالٍ وأتوا به اسحاق فقال : كلّ ما كنت أدعو اليه باطل . فقالوا: اخرج فأعلم الناس بذلك! فخرج وقال : قد كنت ادعوكم الى الكتاب والسنة ولم أزل على ذلك، فضربوه وقيّدوه وبعثوا به الى ابراهيم المهدي فضربه وحبسه، وظهر أنه قتل في محبسه خفيةً لسنة من قيامه . ثم اطلقه فاختفى الى أن انقرض امر ابراهيم .

وزحف حميد بن عبد الحميد سنة ثلاث ومائتين الى قتال ابراهيم بن المهدي وأصحابه ، وكان عيسى بن محمد بن أبي خالد هو المتولي لقتالهم بأمر ابراهيم ، فداخلهم في الغدر بابراهيم، وصار يتعلّل عليه في المدافعة عنه ، ونمي ذلك الى ابراهيم بن هارون أخي عيسى فتنكّر له، ونادى عيسى في الناس بمسالمة حميد، فاستدعاه ابراهيم وعاتبه بذلك فأنكر واعتذر ، فأمر به فضرب ، وحبس

عدّة من قوّاده وأفلت العباس خليفته، فمشى بعض الناس الى بعض ووافقوا العبّاس على خلع ابراهيم وطردوا عامله من الجسر والكرخ . وثار الرعاع والشوغاء .

وكتب العبّاس الى حميد يستقدمه ليسلم اليه بغداد ونزل صرصر، وخرج اليه العبّاس والقوّاد وتواعدوا لخلع ابراهيم على ان يدفع لهم العطاء، وبلغ الخبر الى ابراهيم فأخرج عيسى واخوته وسأله قتال حميد فامتنع . ودخل حميد فصلّى الجمعة وخطب للمأمون وشرع في العطاء ثم قطعه عنهم، فغضب الجند . وعاود ابراهيم سؤال عيسى في قتال حميد ومدافعته، فقاتل قليلاً ثم استأسر لهم، وانفضّ العسكر راجعين الى ابراهيم .

وارتحل حميد فنزل في وسط المدينة وتسلّل أصحاب ابراهيم الى المدائن فملكوها، وقاتل بقيّتهم حميد، وكان الفضل بن الربيع مع ابراهيم فتحوّل الى حميد وكاتب المطلب بن عبدالله بن مالك بأن يسلّموه اليه . وكان سعيد بن الساجور والبط وغيرهم من القوّاد يكاتبون عليّ بن هشام بمثل ذلك ، ولما علم إبراهيم بما اجتمعوا عليه أقبل على مداراتهم الى ان جُنّ الليل ، ثم تسرب في البلد واختفى منتصف ذي الحجة من سنة ثلاث، وبلغ الخبر الى حميد وعلي بن هشام، فأقبلوا الى دار ابراهيم فلم يجدوه، وذلك لسنتين من بيعته . وأقام علي بن هشام على شرقي بغداد

وحميد على غربيها واظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو اليه فقربه حميد ووصله .

قدوم المأمون الى العراق

لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحَسَن بن سَهْلٍ ونفور الناس من استبداده واخيه على المأمون، ثم من العهد لعليٍّ الرضا ابن موسى الكاظم واخراج الخلافة من بني العباس، وكان الفضل ابن سهل يطوي ذلك عن المأمون ويبالغ في اخفائه حذراً من أن يتغيّر رأي المأمون فيه وفي اخيه . ولما جاء هرثمة للمأمون وعلم انه يخبره بذلك وانّ المأمون يثق بقوله احكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغيّر له فقتله ولم يصغ الى كلامه .

فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن، وتحدث القوّاد في عسكر المأمون بذلك ولم يقدروا على ابلاغه، فجاؤوا إلى عليّ الرضا وسألوه انهاء ذلك الى المأمون فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال، وانهم بايعوا ابراهيم بن المهدي فقال المأمون : انما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم ! فقال ليس كذلك : وانّ الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه، وانّ الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكاني وعهدك لي . فقال له المأمون : ومن يعلم هذا غيرك ؟ فقال : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قوّادك . فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا اليه ثم اخبروه بما أخبره به الرضا ، وانّ الناس بالعراق يتّهمونه بالرفض

لعهده لعلي الرضا، وان طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع الى الرقّة وضعف أمره، والبلاد تَفَتَّقت من كل جانب، وان لم يتدارك الامر ذهبت الخلافة منهم .

فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف علي خراسان غسان بن عبّاد وهو ابن عم الفضل بن سهل، وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع في عقاب أولئك القوّاد فلم يغنه . ولما نزل المأمون سُرَخسَ وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام وهربوا، وجعل المأمون جُعْلاً لمن جاء بهم، فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري . فلما حضروا عند المأمون قالوا له أنت أمرتنا بقتله ! وقيل بل اختلفوا في القول فقال بعضهم أمرنا بقتله ابن أخيه، وقال آخرون بل عبد العزيز بن عمران من القوّاد وعليّ وموسى، وغيرهم وأنكر آخرون . فأمر المأمون بقتلهم وقتل من أقرّوا عليه من القوّاد، وبعث الى الحسن بن سهل وسار الى العراق .

وجاءه الخبر بأنّ الحسن بن سهل أصابته الماليخوليا واختُلِطَ فبعث ديناراً مولاه ووكله بأمور العسكر، وكان ابراهيم بن المهدي وعيسى بالمدائن، وأبو البط وسعيد بالنيل والحرب متصلة بينهم . والمطّلب بن عبدالله بن مالك قد اعتلّ بالمدائن، فرجع الى بغداد وجعل يدعو الى المأمون سرًّا والى خلع ابراهيم، وأن يكون منصور بن المهدي خليفة للمأمون، وداخله في ذلك خزيمة ابن خازم وغيره من القوّاد . وكتب الى علي بن هشام وحميد

أن يتقدّما فنزل حميد نهر صرصر وعلي النهروان، وعاد ابراهيم ابن المهدي من المدائن الى بغداد منتصف صفر، وقبض على منصور وخزيمة ومنع المطلب مواليه، فامر ابراهيم بنهب داره ولم يظفر، ونزل حميد وعلي بن هشام المدائن وأقاما بها .

وزوّج المأمون في طريقه ابنته من عليّ الرضا، وبعث أخاه ابراهيم بن موسى الكاظم على الموسم، وولاه اليمن وكان به حَمْدَوَيْه بن عليّ بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه . ولما نزل المأمون مدينة طوس مات علي الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب اكله، وبعث المأمون الى الحسن بن سهل بذلك والى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده اليه وانه قد مات ويدعوهم الى الرجوع لطاعته . ثم سار الى جرجان وأقام بها أشهراً وعقد على جرجان لرجاء بن أبي الضحّاك قاعداً وراء النهر، ثم عزله سنة أربع وعقد لغسّان بن عبّاد من قرابة الفضل بن سهل على خُراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروبان ودهارير ثم عزله بطاهر كما نذكره .

ثم سار الى النهروان فلقيه أهل بيته وشيعته والقوّاد ووجوه الناس، وكان قد كتب الى طاهر ان يوافيه بها، فجاء من الرقّة ولقيه هنالك . وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربعة فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطيء دجلة، وبقي القوّاد في معسكر وانقطعت الفتن وبقي الشيعة يتكلمون في لبس الخضرة،

وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين ان يسأل حوائجه، فأول شيء سأل لبس السواد فأجابه، وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود، واستقامت الأمور [1] .

كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بين بني شامة وبني ثعلبة، وكان علي ابن الحسن الهَمَداني متغلّباً عليها في قومه، فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فامرهم بالخروج الى البريّة ففعلوا، وتبعهم بنو شامة في ألف رجل وحاصروهم بالقوجاء ومعهم بنو ثعلب، وبعث علي ومحمد اليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بني شامة وأسروا منهم ومن بني ثعلب، فجاء احمد بن عمر بن الخطاب الثعلبيّ الى عليّ فوادعه وسكنت الفتنة. ثم ان علي بن الحسين سطا بمن كان في الموصل من الأزد عسفاً في الحكم عليهم، وقال لهم يوماً الحقوا بعمان! فاجتمعت الازد الى السيّد بن أنس كبيرهم وقاتلوه.

وكان في تلك النواحي مهدي بن علوان من الخوارج، فأدخله عليّ بن الحسين وبايعه وصلّى بالناس، واشتدّت الحرب. ثم كانت اصراً [2] على عليّ واصحابه، وأخرجهم الازد عن البلد الى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا علياً وأخاه احمد في جماعة، ولجأ محمد الى بغداد وملك السيد بن أنس والازد الموصل، وخطب للمأمون. ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيّد بن انس فشكاه محمد بن الحسين

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٩٤: ومع ذلك لتسع بقين من صفر.
(٢) الأصر: الكسر.

ابن صالح واستعداه عليه بقتل أخويه وقومه، فقال نعم يا امير المؤمنين ! ادخلوا الخارجيّ بلدك وأقاموا على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماءهم .

ولاية طاهر على خراسان ووفاته

كان المأمون بعد وصوله الى العراق قد ولّى طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانبي بغداد والسواد، ودخل عليه يوماً في خلوته فأذن له بالجلوس وبكى ففداه . فقال المأمون : أبكي لامر ذكره ذلّ وستره حزن، ولن يخلو أحد من شَجَنٍ، وقضى طاهر حديثه وانصرف . وكان حسين الخادم حاضراً فدسّ اليه على يد كاتبه محمد بن هارون أن يسأل المأمون عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب، وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له : ان الثناء مني ليس برخيص، والمعروف عندي ليس بضائع فغيبي عن غير المأمون . فأجابه وركب الى المأمون وفاوضه في أمر خراسان، وانها يخشى عليها من الترك وانّ غسّان بن عبّاد ليس بكفء لها . فقال لقد فكرت في ذلك فمن ترى يصلح لها؟ قال طاهر بن الحسين: قال هو خالع : قال أنا ضامنه .

فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام الى اقصى عمل المشرق من حُلوان الى خُراسان، وعسكر من يومه خارج بغداد، وأقام شهراً تحمل اليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان . وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عبدالله، وكان ينوب

عن أبيه بالشرطة فحملها الى ابن عمه اسحاق بن ابراهيم بن مصعب، وخرج الى عمله ونزل الرقّة لقتال نصر بن شبث ثم سار طاهر الى خراسان آخر ذي القعدة سنة خمس ومائتين .

وقيل في سبب ولاية طاهر خراسان : ان عبد الرحمن المطوّع جمع جموعاً كثيرة بنيسابور لقتال الحرورية ولم يستأذن غسان بن عبّاد وهو الوالي على خراسان، فخشي أن يكون ذلك من المأمون فاضطرب، وتعصّب له الحسن بن سهل ، وخشي المأمون على خراسان فولّى طاهراً وسار الى خراسان فأقام بها الى سنة تسع، ثم اعتزم على الخلاف . وخطب يوماً فأمسك عن الدعاء للمأمون ودعا بصلاح الأمة، وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون بخلعه، فدعا بأحمد ابن ابي خالد فقال : أنت ضمنته فسر وأتني به . ثم جاء من الغد الخبر بموته، فقال المأمون للبريد ونمّ الحمد لله الذي قدّمه وأخرنا . وولى طلحة من قبله، وبعث اليه المأمون أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره، فعبر أحمد الى ما وراء النهر،وافتتح أشروسَنَة، وأسر كاووس ابن خالد احمد وابنه الفضل وبعث بهما الى المأمون، ووهب طلحة لاحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألف ألف ولكاتبته خمسمائة ألف درهم . ثم خالف الحسين بن الحسين بن مصعب بكرمان فسار اليه أحمد بن أبي خالد وأتى به الى المأمون فعفا عنه .

ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربته نصر بن شبث

وفي سنة ست ومائتين بلغ الخبر بوفاة يحيى بن معاذ عامل الجزيرة، وانه استخلف ابنه أحمد، فولى المأمون عبدالله بن طاهر مكانه وجعل له ما بين الرقّة ومصر، فأمره بحرب نصر بن شبث، وقيل ولّاه سنة خمس، وقيل سنة سبع. واستخلف على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه، وكتب اليه أبو طاهر كتاباً بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الاخلاق، وقد ذكرناه في مقدمة كتابنا. فسار عبدالله بن طاهر لذلك، وبعث الجيوش لحصار نصر بن شبث بكيسوم في نواحي جانب، ثم سار اليه بنفسه سنة تسع ومائتين وأخذ بمخنقه. وبعث اليه المأمون محمد بن جعفر العامري يدعوه الى الطاعة، فاجاب على شرط ان لا يحضر عنده.

فتوقف المأمون وقال: ما باله ينفر مني فقال أبو جعفر لما تقدم من ذنبه. فقال: فتراه أعظم ذنباً من الفضل ابن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الاموال والسلاح وذهب مع القوّاد الى اخي واسلمني وأفسد عليّ حتى كان ما كان، ومن عيسى بن أبي خالد وقد خالف عليّ ببلدي وأخرب داري وبايع لابراهيم دوني فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالّة يبقون بها، ونصر ليست له في دولتكم سابقة، وانما كان من جند بني أميّة، وأنا لا أجيب الى هذا الشرط.

ولجّ نصر في الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمّنه عبدالله ابن طاهر، وخرج اليه سنة عشرة وبعث به الى المأمون، وأخرب حصنَ كيسوم لخمس سنين من حصاره . ورجع عبدالله بن طاهر الى الرقّة . ثم قدم بغداد سنة احدى عشرة فتلقّاه العبّاس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس .

الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدي

كان ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ويعرف بابن عائشة ممن تولى كِبَرَ البيعة لابراهيم بن المهدي، ومعه ابراهيم بن الاغلب ومالك بن شاهين، وكانوا قد اختفوا عند قدوم المامون في نواحي بغداد . ولما وصل نصر بن شَبَث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج في ذلك اليوم، ثم غلبهم بعض الناس فاخذوا في صفر من سنة عشرة، ثم ضربوا حتى أقرّوا على من كان معهم في الامر فلم يعرض لهم المامون وحبسهم فضاق عليهم الحبس وأرادوا ان ينقبوه، فركب المامون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه . ثم أخذ في هذه السنة ابراهيم بن المهدي وهو متنقب في زيّ امرأة يمشي بين امرأتين، واستراب به بعض العسس وقال : أين تردن في هذا الوقت ؟ فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت في يده فازداد ريبة ورفعهنّ الى صاحب المسلحة، وجاء بهنّ الى صاحب الجسر فذهب بـه الى المأمون،

وأحضره والغل في عنقه والملحبة[١] على صدره ليراه بنو هاشم والناس . ثم حبسه عند أحمد بن أبي خالد ، ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصلح ، فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران ، وقيل إنّ ابراهيم لما أخذ حمل الى دار المعتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وانبه فيما كان منـه . واعتذر بمنظوم من الكلام ومنثور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول في كتب التاريخ فلا نطيل بنقله .

انتقاض مصر والاسكندرية

كان السريّ بن محمد بن الحكم والياً على مصر وتوفي سنة خمس ومائتين ، وبقي ابنه عبدالله ، فانتقض وخلع الطاعة وأنزل بالاسكندرية جالية من الاندلس أخرجهم الحكم بن هشام من رَبضي قرطبة وغرّبهم الى المشرق . ولما نزلوا بالاسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حَفص عمر البلوطي . وفشل عبد الله ابن طاهر عنهم بمحاربة نَصر بن شَبَث فلما فرغ منه ثار من الشام اليهم ، وقدّم قائداً من قوّاده ، ولقيه ابن السري وقاتله وأغذّ ابن طاهر المسير فلحقهم وهم في القتال ، وانهزم ابن السري الى مصر وحاصره عبدالله بن طاهر حتى نزل على الامان ، وذلك سنة عشرة . ثم بعث الى الجالية الذين ملكوا الاسكندرية بالحرب ، فسألوا الامان على أن يرتحلوا الى بعض الجزائر في بحر الروم مما

---

(١) الملحب : كل ما يقطع به .

يلي الاسكندرية ففعل . ونزلوا جزيرة اقريطِشَ واستوطنوها وأقامت في مملكة المسلمين من أعقابهم دهراً الى أن غلب عليها الافرنجة .

العمال بالنواحي

لما استقرّ المأمون ببغداد وسكن الهَيْجُ وذلك سنة أربع ولّى على الكوفة أخاه أبا عيسى، وعلى البصرة أخاه صالحاً، وعلى الحَرَمَيْنِ عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن العبّاس بن علي بن أبي طالب، وعلى الموصل السيّد بن أَنَس الازدي، وولى على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرَّقة، وكان الحسن بن سهل ولّاه عليها فقدم واستخلف ابنه عبد الله عليها . ثم ولاه المأمون سنة خمس خُراسان وأعمال المشرق كلّها، واستقدم ابنه عبدالله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه. وولى يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على ارمينية وأذربيجان ومحاربة بابك . ومات عامل مصر السري بن محمد بن الحَكَم فولّى ابنه عبيد الله مكانه.

ومات داود بن يزيد عامل السند فولّى بشر بن داود مكانه على أن يحمل ألف ألف درهم كل سنة، ثم مات يحيى بن معاذ سنة ست واستخلف ابنه أحمد فعزله المأمون وولّى عبدالله ابن طاهر وأضاف اليه مصر، وسيره لمحاربة نصر بن شَبَث وولّى عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزُّطّ سنة خمس، ثم عزله سنة ست

وولى داود بن منحور[1] مع أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وولى في سنة سبع محمد بن حفص على طَبَرْستان والرُّويان ودَنْبَاوَنْد. وفيها أوقع السيِّد بن أنس بجماعة من عرب بني شَيْبان ووديعة بما فشا من افسادهم في البلاد، فكبسهم بالدسكرة واستباحهم بالقتل والنهب.

وفي سنة تسع ولى صَدَقَة بن عليّ ويعرف بزُرَيْق على ارمينية وأَذْرَبَيْجَانَ وأمره بمحاربة بابُك، وقام بامره أحمد بن الجُنَيْد الاسكافي فاسره بابك، فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان. وكان على جبال طَبَرْسْتَانَ شَهْرَيارُ بن شِرْوين، فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور، فقتله مازيار بن قارن في حرب أسره فيها، وملك جبال طبرستان. وفي سنة احدى عشرة قتل زُرَيْقُ بن عليّ بن صدقة الازدي السيد بن أنس صاحب الموصل، وقد كان زريق تغلّب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاه المأمون عليها، فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج اليه أربعة آلاف، فاشتدّ القتال بينهم وقُتِلَ السيِّدُ في المعركة فغضب المامون لقتله، وولى محمد بن حميد الطوسي على الموصل وأمره بحرب زريق وبابك الخُرَّميّ فسار الى الموصل واستولى عليها سنة اثنتي عشرة.

ومات موسى بن حَفْصٍ عامل طبرستان فولى المامون مكانه ابنه، وولى حاجب بن صالح على الهند فوقعت بينه وبين بشر

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٠٤: داود بن ماسحور. وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٥٨: داود بن ماسجور.

ابن داود صاحب السند حرب، وانهزم بشر الى كرمان . ثم قتل محمد بن حميد الطوسي سنة أربع عشرة، قتله بابك الخرمي. وذلك انه لما فرغ من أمر المتغلّبين بالموصل سار الى بابك في العساكر الكاملة الحشد، وتجاوز اليه المضايق ووكل بحفظها حتى انتهى الى الجبل، فصعد وقد أكمن بابك الرجال في الشعراء(١).

فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكمائن، فانهزموا وثبت محمد بن حميد، حتى اذا لم يبق معه إلا رجل واحد فتسلل يطلب النجاة، فعثر في جماعة من الخَرْميّة يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه وقتلوه، وعظم ذلك على المامون . واستعمل عبدالله بن طاهر على خراسان لانه كان بلغه ان أخاه طلحة بن طاهر مات وقام عليّ أخوه مكانه خليفة لعبدالله، وعبدالله بالدينور يجهّز العساكر الى بابك، فولى على نيسابور محمد بن حميد، فكثر عيث الخوارج بخراسان فامره المامون بالمسير اليها، فسار ونزل نيسابور، وسال عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله لسكوتهم.

وفي سنة اثنتي عشرة خلع أحمد بن محمد العُمَري، يعرف بالاحمر العين باليمن، فولى المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم، وأخاه أبا اسحاق المعتصم على الشام ومصر، وسير عبدالله بن طاهر الى خُراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم . وبعث المُعتَصِمُ أبا عُمَيْرَةَ الباذغيسي عاملاً على مِصْرَ

(١) كذا في الأصل ولعله اسم مكان.

فوثب به جماعة من القَيْسيَّةِ واليمانيَّةِ فقتلوه سنة أربع عشرة، فسار المعتصم الى مصر فقاتلهم، وافتتح مصر وولى عليها واستقامت الامور . وفي سنة ثلاث عشرة ولى المأمون غسّان بن عبّاس على السِندِ لما بلغه خلاف بشر بن داود .

وفي سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دُلَف وكان بالكرخ من نواحي هَمَذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر، وقتل عيسى فعاد الى همذان، وراسله طاهر يدعوه الى البيعة فامتنع . وقال له ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ . فلما خرج المأمون الى الريّ أرسل اليه يدعوه فسار نحوه وجلّا بعد أن أغرى عليه أصحابه الامتناع . وفي سنة أربع عشرة قتل باليمن، وفيها ولّى المأمون عليّ بن هشام الجبل وقمّ وأصبهان وأذرَبيجان، وخلع أهل قم وكانوا سألوا الحُطَيطَةَ من خراجهم وهو ألف ألف درهم، لانّ المأمون لما جاء من العراق أقام بالريّ أياماً وخفف عنهم من الخراج، فطمع أهل قم في مثلها فأبى فامتنعوا من الاداء، فسرّح اليهم عليّ بن هشام وعجيف بن عَنبَسَةَ وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عِمْران وهدموا سورها وجبوها على سبعة آلاف ألف .

وفي سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفِهْريّ بمصر وقتل بعض عمال المعتصم، فسار المأمون الى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله، وقدم من برقة وأقام بمصر . وفيها غضب المأمون على عليّ

ابن هشام ووجه عجيفاً وأحمد بن هشام لقبض أمواله وسلاحه لما بلغه من عسفه وظلمه، وأراد قتل عجيف واللحاق ببابك فلم يقدر، وظفر به عجيف فجاء به الى المأمون فأمر بقتله، وطيف برأسه في الشام والعراق وخُراسان ومصر ثم أُلقيَ في البحر. وقدم غسّان بن عبّاد من السِنْد ومعه بِشرُ بن داود مستأمناً فولى على السند عِمْران بن موسى العَتَكي وهرب جعفر بن داود القُمّي الى قمّ فخلع، وكان محبوساً بمصر منذ عزله المامون عن قم، فهرب الآن وخلع فغلبه عليّ بن عيسى القُمّي وبعث به الى المامون فقتل.

الصوائف

وفي سنة مائتين قتل الروم ملكهم إليون لسبع سنين ونصف من ملكه، وأعادوا ميخاييل بن جرجِس المخلوع، وبقي عليهم تسع سنين. ثم مات سنة خمس عشرة، وملك ابنه توفل. وفتح عبدالله بن خرْدَاذبَه، والي طَبَرَسْتان البلاد والسَيْزَنَ من بلاد الدَيْلَم وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شِروين عنها وأشخص مازيار بن قارن الى المامون، وأسر ابا ليل ملك الديلم، وذلك سنة احدى ومائتين. وفيها ظهر بابك الخُرَّمي في الجاوِنْدانيّة أصحاب جاوِنْدان سهل، وتفسيره الدائم الباقي. وتفسير خرم فرح، وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس. وفي سنة أربع عشرة خرج ابو بلال الصابي الشاري، فسرّح اليه المامون ابنه العباس

في جماعة من القوّاد وقتلوه .

وفي سنة خمس عشرة دخل المامون بلاد الروم بالصائفة، وسار عن بغداد في المُحَرَّم واستخلف عليها اسحاق بن ابراهيم بن مُصْعَب وهو ابن عم طاهر، وولاه السواد وحُلوان وكور دجلة، ولما وصل تكريت لقيه محمد بن عليّ الرضا فاجازه وزفّ اليه ابنته أمّ الفضل، وسار الى المدينة فاقام بها وسار المامون على الموصل الى مَنْبِجَ ثم دابق ثم انطاكية ثم المُصيصة وطرسوس . ودخل من هنالك فافتتح حِصْنَ قُرَّةَ عَنْوَةً وهدمه . وقيل بل فتحه على الامان، وفتح قبله حصن ماجد كذلك . وبعثه اشناس الى حصن سدس، ودخل ابنه العباس مَلَطْيَةَ، ووجه المامون عجيفاً وجعفر الخياط الى حصن سنان فاطاع . وعاد المعتصم من مصر فلقي المامون قبل الموصل، ولقيه العباس ابنه برأس عين . وجاء المامون منصرفه من العراق الى دمشق، ثم بلغه انّ الروم اغاروا على طرسوس والمصيصة واثخنوا فيهم بالقتل .

وكتب اليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع اليهم وافتتح كثيراً من معاقلهم واناخ على هِرَقْلَةَ حتى استامنوا وصالحوه، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حِصْناً منها مطمورة، وبعث يحيى بن اكْثَمَ فاثخن في البلاد، وقتل وحرق وسبى . ثم رجع المامون الى كَيْسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق .

وفي سنة سبع عشرة رجع المامون الى بلاد الروم فاناخ على

لؤلؤة فحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلّف عجيفاً على حصارها . وجاء نوفل ملك الروم فاحاط به فبعث اليه المأمون بالمدد، فارتحل نوفل واستأمن من أهل لؤلؤة الى عجيف، وبعث نوفل في المهادنة والمأمون على سلوين فلم يجبه . ثم رجع المامون سنة ثمان عشرة وبعث ابنه العبّاس الى بناء طِوانَةَ فبنى بها ميلًا في ميل ودورها اربعة فراسخ، وجعل لها اربعة ابواب ونقل اليها الناس من البلدان.

وفاة المأمون وبيعة المعتصم

ثم مرض المأمون على نهر البَرَنْدُون واشتدّ مرضـه، ودخل العراق وهو مريض فمات بطرسوس، وصلى عليه المعتصم وذلك لعشرين سنة من خلافته، وعهد لابنه المعتصم وهو ابو اسحاق محمد فبويع له بعد موته، وذلك منتصف رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين . وشَغَبَ الجند وهتفوا باسم العباس بن المامون فاحضره وبايع، فسكتوا وخرب لوقته ما كان بناه من مدينة طِوَانَةَ واعاد الناس الى بلادهم وحمل ما اطاق حمله من الآلة واحرق الباقي .

ظهور صاحب الطالقان

وهو محمد بن القاسم بن عليّ بن عُمَرَ بن عليّ زين العابدين بن الحُسَيْن، كان ملازماً للمسجد بالمدينة، فلزمه شيطان من أهل خُراسان وزيّن له انه أحقّ بالامامة، وصار يأتيه بحجّاج خُراسان يبايعونه . ثم خرج به الى الجَوْزَجَانِ وأخفاه وأقبل على الدعاء له، ثم حمله على

اظهار الدعوة للرضا من آل محمّدٍ على عادة الشيعة في هذا الابهام كما قدّمناه . وواقعه قوّاد عبدالله بن طاهر بخراسان المرّة بعد المرّة فهزموه وأصحابه، وأخرج ناجياً بنفسه ومرّ بنسا، فوُشِيَ به الى العامل فقبض عليه وبعثه الى عبدالله بن طاهر، فبعثه الى المعتصم منتصف ربيع أوّل سنة تسع عشرة، فحبسه عند الخادم مسرور الكبير، ووكل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خبر .

حرب الزط

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد، وولوا عليهم رجلاً منهم اسمه محمد بن عثمان، وقام بأمره آخر منهم اسمه سِماق . وبعث المُعتَصِمُ لحربهم في هذه السنة عَجيفَ بن عَنْبَسَةَ في جمادى الآخرة فسار الى واسط وحاربهم، فقتل منهم في معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة، ثم قتلهم وبعث برؤسهم الى باب المعتصم وأقام قِبالَتَهُم سبعة أشهر . ثم استأمنوا اليه في ذي الحجة آخر السنة وجاؤا بأجمعهم في سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً، فعبّاهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد في عاشوراء سنة عشرين، وركب المعتصم الى الشماسة في سفينة حتى رآهم، ثم غرّبهم الى عين زَرْبَةَ فأغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد .

بناء سامرا

كان المُعتَصِمُ قد اصطنع قوماً من أهل الحَرْفِ بمِصْرَ وسمّاهم المطارِبَةَ، وقوماً من سَمَرْقَنْدَ وأُسرُوسَنَةَ وفَرْغانَةَ وسمّاهم الفرغانة وأكثر من صبيانهم، وكانوا يُرْكِضُون الدواب في الطرق ويختلفون بها ركضاً، فيصدمون النساء والصبيان فتتأذّى العامة بهم، وربما انفرد بعضهم فقتلوه. وتأذّى الناس من ذلك ونكروه، وربما أسمعوا النكير للمعتصم، فعمد الى بناء القاطول، وكانت مدينةً بناها الرشيد ولم يستتمها وخربت، فجدّدها المعتصم وبناها سنة عشرين وسمّاها سُرّ من رأى فرخّمها الناس سامرا وصارت داراً الملكهم من لدن المعتصم ومن بعده، واستخلف ببغداد حتى انتقل اليها ابنه الواثق.

نكبة الفضل بن مروان

كان للمعتصم في ولاية أخيه كاتب يعرف بيحيى الجَرْمَقاني، واتصل به الفَضْلُ بن مروان، وهو من البردان، وكان حسن الخط. فلما هلك الجرمقاني استكتبه المعتصم وسار معه الى الشام فأثرى. ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الاموال، ثم صار يردّ أوامر المعتصم في العطايا ولا ينفّذها، واختلفت فيه السعايات عند المعتصم ودسوا عليه عنده من ملأ مجلسه ومساخره من يُعيّر المعتصم باستبداده عليه وردّ أوامره، فحقد له ذلك. ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته، وجعل مكانه محمد

ابن عبد الملك بن الزيّات وغرّب الفضل الى بعض قرى الموصل (١)

محاربة بابك الخرمي

قد تقدّم لنا حديث بابك الخُرّمي وظهوره سنة اثنتين ومائتين بدعوة جاوَنْدان بن سهل، واتخذ مدينة البذّ لامتناعه وتولّى المأمون حروبه، فهزم عساكره وقتل جماعة من قوّاده، وخرّب الحصون فيما بين أرْدَبيل وزَنْجان، فلما وَلِيَ المعتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التي خرّبها وشحنها بالرجال والاقوات، وحفظ السابلة لجلب الميرة. وبينما هو في ذلك اغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحي فخرج في طلبهم واستنقذ ما أخذوه، وقتل كثيراً وأسر اكثر، وبعث بالرؤس والاسرى الى المعتصم.

وكان ابن البعيث أيضاً في قلعة له حصينة من كور أذَرْبِيجَان ملكها من يد ابن الرواد، وكان يصانع بابك ويضيف سراياه اذا مرّوا به. ومرّ به في هذه الايام قائده عِصْمَة، وأضافه على العادة، ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به الى المعتصم، فسأله عن عورات بلاد بابك فدلّه عليها. ثم حبسه وعقد لقائده الافشين حيدر بن كاوس على الجبال، ووجهه لحرب بابك، فسار اليها ونزل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أرْدَبيل، وأنزل قوّاده في العساكر ما بينه وبين أردبيل يتلقون الميرة من أردبيل من واحد

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٣٦: فنفى الفضل إلى قرية في طريق الموصل تعرف بالسن وصار محمد وزيراً كاتباً.

الى الآخر حتى تصل عسكر الافشين . وكان اذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن احسان بابك اليه فيضاعفه ويطلقه. ثم ان المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الافشين بالنفقات، وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه، وأخبر الافشين بذلك بعض جواسيسهم فكتب الى بغا أن يرتحل من حصن النهرقيلا (١)، ثم يرجع الى أردبيل ففعل ذلك .

وجاءت الاخبار الى بابك وركب الافشين في يوم موادعته لبغا وأغذّ المسير، وخرجت سريّة بابك فلقيت قافلة النهر، ولم يصادفوا بغا فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال . ولقوا في طريقهم الهَيْثَمَ من قوّاد الافشين فهزموه وامتنع بحصنه، ونزل بابك عليه يحاصره واذا بالافشين قد وصل، فأوقع بهم، وقتل الكثير من جنده؛ ونجا بابك الى موقان وأرسل الى عسكره في البرّ فلحقت به، وخرج معهم من موقان الى البذّ . ولما رجع الافشين الى عسكره استمرّ على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحي، ووجه صاحب مراغة اليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابك فأخذوها، ثم خلص اليه بغا بما معه من المال ففرقه في العساكر، وأمر الافشين قوّاده فتقدّموا ليضيقوا الحصار على بابك في حصن البذّ، ونزل على ستة أميال منه . وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذّ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة، فتأخر

(١) اسم الحصن.

الى خندق محمد بن حميد من القوّاد، وبعث الى الافشين في المدد فبعث اليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خوس وصاحب شرطة الحسن بن سهل، وأمره بمناجزتهم الى الحرب في يوم عيّنه له فركبوا في ذلك اليوم، وقصدوا البذّ وأصابهم برد شديد ومطر .

وقاتل الافشين فغلب من بازائه من أصحاب بابك واشتدّ عليهم المطر فنزلوا واتخذ بغا دليلاً أشرف به على جبل يطل منه على الافشين، ونزل عليهم الثلج والضباب فنزلوا منازلهم . وعمد بابك الى الافشين ففض معسكره، وضجر أصحاب بغا من مقامهم في رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم ما تمّ على الافشين، وقصد حصن البذّ فتعرف خبر الافشين ورجع على غير الطريق الذي دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقباته، وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت اليهم مسابقة للمضايق امامه . وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فعسكر بهم بغا من رأس جبل وقد تبعوا وفنيت أزوادهم وبيتهم بابك، ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجوا الى خندقهم الاوّل في أسفل الجبل وأقام بغا هنالك.

وكان طرخان كبير قوّاد بابك قد استأذنه أن يشتوا بقرية في ناحية مراغة، فارسل الافشين الى بعض قوّاده بمراغة فأسرى اليه وقتله وبعث برأسه .

ودخلت سنة اثنتين وعشرين فبعث المعتصم جعفراً الخياط

بالعساكر مددا للافشين، وبعث ايتاخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعاد، ورحل الافشين لاول فصل الربيع ودنا من الحصن وخندق على نفسه. وجاءه الخبر بأنّ قائد بابك واسمه أذين قد عسكر بازائه وبعث عياله الى بعض حصون الجبل، فبعث الافشين بعض قوّاده لاعتراضهم، فسلكوا مضايق وتعلّقوا وأغاروا الى ان لقوا العيال فأخذوهم وانصرفوا، وبلغ الخبر أذين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء.

وعلم بشأنهم الافشين من علامات كان أمرهم بها ان رأى بهم ريباً، فركب اليهم. فلما احسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم، وتقدّم الافشين قليلًا قليلًا الى حصن البدّ [1] وكان يامر الناس بالركوب ليلًا للحراسة خوف البيات، فضجر الناس من التعب وارتاد في رؤس تلك الجبال أماكن يتحصّن فيها الرّجالة، فوجد ثلاثة فانزل فيها الرّجالة بازوادهم وسدّ الطرق اليها بالحجارة وأقام يحاصرهم. وكان يصلّي الصبح بغلس، ثم يسير زحفاً ويضرب الطبول ليزحف الناس لزحفه في الجبال والاودية على مصافهم، واذا امسك وقفوا. وكان اذا أراد ان يتقدم المضيق الذي أتى منه عام أوّل خلف بـه عسكراً على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرس منـه عليهم. وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكراً تحت تلك العقبة، واجتهد الافشين أن يعرف مكان

(١) كذا في الأصل البد وهي غلطة مطبعية، وفي الكامل لابن الأثير والطبري: البذ.

الكمين فلم يُطِق . وكان يأمر أبا سعيد وجعفراً الخياط وأحمد ابن الخليل بن هشام فيتقدّمون الى الوادي في ثلاثة كراديس ، ويجلس على تلك ينظر اليهم والى قصر بابك . ويقف بابك قبالته في عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر ، فيشربون الخمر ويلعبون بالسُرياني ، فاذا صلّى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروز مصافاً بعد مصاف ، الاقرب الى العدوّ ثم الذي يليه ، وآخرين تُرجع (١) العسكر الذي عقبه المضيق ، حتى ضجرت الخُرّميّة من المطاولة ، وانصرف بعض الايام وتاخر جعفر ، فخرج الخرمية من البذّ على أصحابه ، فردّهم جعفر على أعقابهم ، وارتفع الصياح ورجع الافشين وقد نشبت الحرب .

وكان مع ابي دلف من أصحاب جعفر قوم من المطّوعة فضيّقوا على أصحاب بابك وكانوا يصعدون البذ ، وبعث جعفر الى الافشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة ، فاتى له وأمره بالتحيُّل في الانصراف ، وتعلق أولئك المطوعة بالبذ وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة ، وتبين الافشين أماكنهم واطلع على خدعتهم . وانصرف جعفر الى الافشين وعاتبه ، فاعتذر اليه يستأمن الكمين وأراه مكانه ، فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأي معه .

وشكا المطوعة ضيق العلوفة والزاد فاذن لهم في الانصراف ،

(١) كذا ولعلها يرجعون.

وتناولوه بالسنتهم ثم طلبوه في المناهضة فاذن لهم وواعدهم ليوم معلوم ، وتجهز وحمل المال والزاد والماء والحامل لجرجا ، وتقدم الى مكانه بالامس ، وجهز العسكر على العقبة على عادته . وأمر جعفراً بالتقدم بالمطوعة وأن ياتوا من أسهل الوجوه ، وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين ، وتقدم جعفر الى مكانـه بالامس والمتطوعة معه ، فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ حتى ضرب جمهم ما به وجاء الفعـلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والازودة . ثم جاء الخُرّميّةُ من الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب ، ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوعة .

ثم عاود الافشين الحرب بعد اسبوعين ، وبعث من جوف الليل ألفاً من الناشبة الى الجبـل الذي وراء البذ حتى يعاينوا الافشين من هذه الناحية فيرمون على الخرمية . وبعث عسكراً آخر كميناً تحت ذلك الجبل الذي وراء البذّ ، وركب هو من الغداة الى المكان الذي يقف فيه على عادته . وتقدم جعفر الخياط والقوّاد حتى صاروا جميعاً حول ذلك الجبل ، فوثب كمين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء اليه لما فضحهم الصبح ، وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركّبوا الاعلام على رماحهم وقصدوا جميعاً أذّين قائد بابك في جفلة ، فانحدر الى الوادي ، فحمل عليه جماعة

من أصحاب القوّاد فرمى عليهم الصخور من الجبل، وتحدرت اليهم.

ولما رأى ذلك بابك استأمن للافشين على أن يحمل عياله من البذّ، وبينما هم في ذلك اذ جاء الخبر الى الافشين بدخول البذّ. وان الناس صعدوا بالاعلام فوق قصور بابك حتى دخل وادياً هنالك. وأحرق الافشين قصور بابك وقتل الخُرّميّةَ عن آخرهم، وأخذ أمواله وعياله ورجع الى معسكره عند المساء، وخالفه بابك الى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام. وجاء الافشين من الغد فهدم القصور وأحرقها، وكتب الى ملوك أرمينية وبطارقتهم باذكاء العيون عليه في نواحيهم حتى ياتوه به. ثم عثر على بابك بعض العيون في وادٍ كثير الغياض يمر من أذربيجان الى أرمينية، فبعث من يأتي به فلم يعثروا عليه لكثرة الغياض والشجر.

وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الافشين بعض المستأمنة من أصحاب بابك فامتنع من قبوله. وقتل بعضهم ثم خرج من ذلك الوادي هو وأخوه عبدالله ومعاوية وأمّه يريدون أرمينية، ورآهم الحرس الذين جاؤا لاخذه، وكان أبو السفاح هو المقدّم عليهم فرّوا في اتباعهم وأدركوهم على بعض المياه، فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وأمّ بابك وبعث بهم الى الافشين. وسار بابك في جبال ارمينية مختفياً وقد اذكوا عليه العيون، حتى اذا

مسّه الجوع بعث بعض اصحابه بدنانير لشراء قوتهم، فعثر به بعض المسلحة .

وبعث الى سهل بن ساباط فجاء واجتمع بصاحب بابك الذي كانت حراسة الطريق عليه، ودله على بابك فأتاه وخادعه حتى سار الى حصنه وبعث بالخبر الى الافشين، فبعث اليه بقائدين من قبله وأمرهما بطاعة ابن ساباط، فأكمنهما في بعض نواحي الحصن وأغرى بابك بالصيد وخرج معه . فخرج القائدان من الكمين فأخذاه وجاء به الى الافشين ومعهما معاوية بن سهل بن ساباط فحبسه ووكل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم، وآتى سهلاً ألف ألف درهم ومنطقة مفوّقة بالجوهر . وبعث الى عيسى بن يوسف بن أسطفانوس ملك البيلقان يطلب منه عبدالله أخا بابك، وقد كان لجأ الى حصنه عندما أحاط به ابن سباط فأنفذه اليه، وحبسه الافشين مع أخيه .

وكتب الى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك في شوّال من سنة اثنتين وعشرين، وسار الافشين بهما الى سامرا فكان يلقاه في كل رحلة رسول من المعتصم بخلعة وفرس. ولما قرب من سامرا تلقاه الواثق وكبّر لقدومه وأنزل الافشين وبابك عنده بالمطيرة، وتوّج الافشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف درهم يفرقها في عسكره، وذلك في صفر سنة ثلاث وعشرين .

وجاء أحمد بن أبي داود الى بابك متنكراً وكلمه، ثم جاء المعتصم أيضاً متنكراً فرآه. ثم عقد من الند واصطف النظارة سماطين وجيء ببابك راكباً على الفيل. فلما وصل أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذبحه، وأنفذ رأسه الى خراسان، وصلب شلوه بسامرا وبعث باخيه عبدالله الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل. وكان الذي أنفق الافشين في مدّة حصاره لبابك سوى الارزاق والانزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لمحاربته وخمسة آلاف يوم قعوده. وجميع من قتل بابك في عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألفاً، وهزم من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد واحمد بن الجنيد وزريق بن علي بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وابراهيم بن الليث. وكان الذين اسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذي استنقذ من يديه من المسلمات واولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان جعلوا في حظيرة، فمن اتى من اوليائهم واقام بينة على احد منهم اخذه، والذي صار في يد الأفشين من بني بابك وعياله سبعة عشر رجلاً وثلاثاً وعشرين امرأة.

فتح عمورية

وفي سنة ثلاث وعشرين خرج نَوْفَلُ بن ميخاييل مَلِكُ الروم الى بلاد المسلمين، فأوقع بأهل زِبَطرة، لان بابك لما اشرف على الهلاك كتب اليه انّ المعتصم قد وجّه عساكره حتى خِياطَة يعني

جَعْفَرَ بن دينار وطَبَاخَةَ يعني إِتياخ ولم يبق عنده احد، فانتهز الفرصة ثلاثاً أو دونها . وظنّ بابك، ان ذلك يدعو المعتصم الى انفاذ العساكر لحرب الروم، فيخِفّ عنه ما هو فيه . فخرج نوفل في مائة ألف وفيهم من المُحَمِّرَةِ الذين كانوا خرجوا بالجبال وهزمهم اسحاق بن ابراهيم بن مُصْعَبَ فلحق بالروم، وبلغ نوفل زِبَطْرَةَ فاستباحها قتلًا وسَبْياً واعاد على مَلَطْيَةَ وغيرها، ومثّل بالاسرى . وبلغ الخبر الى المعتصم فاستعظمه، وبلغه ان هاشِمِيَّةً صاحت وهي في أيدي الروم : وامعتصماه : فاجاب وهو على سريره لبيك، لبيك !

ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالاً وسكة من حديد فيها رداؤه . وجمع العساكر واحضر قاضي بغداد عبد الرحمن بن اسحاق ومعه ابن سهل في ثلثمائة وثلاثين من العدول فاشهدهم بما وقف من الضياع، ثلثاً لولده وثلثاً لمواليه وثلثاً لوجه الله . وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جمادى الأولى، وبعث عُجَيْفَ بن عَنْبَسَةَ وعمر الفرغاني وجماعة من القواد مدداً لاهل زبطرة، فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها فاقاموا حتى تراجع الناس واطمانوا .

ولما ظفر ببابك سأل أيّ بلاد الروم أعظم عندهم فقيل له عَمورِيّةَ فتجهّزَ اليها بما لا يماثله أحد قبله من السلاح والآلة والعدد وحياض الادم والقِرَبِ والروايا وجعل مقدّمته أشناس وبعده محمد

ابن ابراهيم بن مصعب وعلى الميمنة ايتاخ، وعلى الميسرة جعفر ابن دينار الخياط، وعلى القلب عجيف بن عنبسة. وجاء الى بلاد الروم فأقام بسَلوقِيّة على نهر السن قريباً من البحر، وعلى مسيرة يوم من طرطوس وبعث الافشين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحرب وبعث اشناس من درب طرطوس[1] وأمره بانتظاره بالصفصاف، وقدّم وصيفاً في أثر اشناس وواعدهم يوم اللقاء. ورحل المعتصم لست بقين من رجب وبلغه الخبر ان ملك الروم عازم على كبس مقدّمته، فبعث الى اشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة ايام ليلحق به.

ثم كتب اليه أن يبعث اليه من قوّاده من يأتيه بخبر الروم وملكهم، فبعث عمر الفرغاني في مائتي فارس، فطاف في البلاد وأحضر جماعة عند أشناس أخبروه بأنّ ملك الروم بينما هو ينتظر المقدّمة ليواقعها اذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينية يعني عسكر الافشين، فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار الى تلك الناحية، فوجه اشناس بهم الى المعتصم. وكتب المعتصم الى الافشين بالمقام حذراً عليه، وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم، وأوغل في بلاد الروم فلم يدركه الكتاب.

وكتب المعتصم الى أشناس بان يتقدم والمعتصم في أثره، حتى اذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أسر أشناس في طريقه جماعة

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ٥ ص ٢٤٧: طرطوس.

من الروم فقتلهم، وقال لهم شيخ منهم أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام والشعير، فبعث معه مالك بن كرد في خمسمائة فارس فدلّ بهم الى مكان أهل أنقرة فغنموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الافشين وقالوا: لما استخلف على عسكره سار الى ناحية أرمينية فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم وافترقت عساكرنا في طلبهم، ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك وانهزمنا، ورجعنا الى العسكر فوجدناه قد انتقض. وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذي استخلفه وكتب الى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدتهم بمكان كذا ليلقى المسلمين بها. ووجه خصيّاً له الى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا، فأمره الملك بالمسير الى عمورية، فوعى مالك بن كرد[1] خبرهم ووجع بالغنيمة والاسرى الى اشناس وأطلق الامير الذي دله.

وكتب اشناس بذلك الى المعتصم، ثم جاء البشير من ناحية الافشين بالسلامة، وان الوقعة كانت لخمس بقين من شعبان. وقدم الافشين على المعتصم بأنقرة ورحل بعد ثلاث والافشين في ميمنته وأشناس في ميسرته وهو في القلب، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعمورية.

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٤٨ : فرجع مالك بن كيدر بما معهم من الغنيمة والأسرى إلى عسكر أشناس.

ثم وافى عمورية وقسمها على قوّاده، وخرج اليه رجل من المتصرة فدلّه على عورة من السور بني ظاهره واخلّ باطنه، فضرب المعتصم خيمته قبالته ونصبت عليه المجانيق، فتصدع السور. وكتب بطريقها باطيس والخصي الى الملك يعلمانه بشأنها في السور وغيره، فوقع في يد المسلمين مع رجلين. وفي الكتاب ان باطيس عازم على ان يخرج ليلًا ويمرّ بعسكر المسلمين ويلحق بالملك، فنادى المعتصم حرسه. ثم انثلمت فوهة من السور بين برجين، وقد كان الخندق طمّ بأوعية الجلود المملوءة تراباً. ثم ضرب بالذبالات عليها فدحرجها الرجال الى السور، فنشبت في تلك الاوعية وخلص من فيها بعد الجهد. ولما جاء من الغد بالسلالم والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثلمة، وحارب وبدر بالحرب اشناس وجمت المنجنيقات على تلك الثلمة. وحارب في اليوم الثاني الافشين والمعتصم راكب ازاء الثلمة، واشناس وافشين وخواص الخدّام معه.

ثم كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم، وتقدّم ايتاخ بالمغاربة والاتراك، واشتدّ القتال على الروم الى الليل وفشت فيهم الجراحات، ومشى بطريق تلك الناحية الى رؤساء الروم، وشكا اليهم واستمدّهم فابوا. فبعث الى المعتصم يستامن، فامنه وخرج من الغد الى المعتصم وكان اسمه وندوا، فبينما هو والمعتصم يحادثه اوما عبد الوهاب بن علي من بين يديه الى المسلمين بالدخول، فاقتحموا من الثلمة ورآهم وندوا فخاف، فقال له المعتصم: كل

شيء تريده هـو لك . ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم .

وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالامان، وجاء الناس بالاسرى والسَّبيّ من كل جانب، واصطفى الاشراف وقتل من سواهم، وبيعت مغانمهم في خمسة أيام وأحرق الباقي . ووثب الناس على المغانم في بعض الايام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكفوا بعمورية فهدمت وأحرقت، وحاصرها خمسة وخمسين يوماً من سادس رمضان الى آخر شوال، وفرّق الاسرى على القوّاد ورجع نحو طرطوس . ولم يزل نوفل مملكاً على الروم الى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين في ولاية الواثق، ونصبوا ابنه ميخاييل في كفالة أمه ندورة فاقامت عليهم ست سنين، ثم اتهمها ابنها ميخاييل بقمط من أقاطها عليها وألزمها بيتها سنة ثلاث وثلاثين .

حبس العباس بن المأمون ومهلكه

كان المعتصم يقدّم الافشين على عجيف بن عَنْبَسَة ولما بعثه الى زِبَطْرَةَ لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للافشين، وكان يستقصر شان عجيف وأفعاله فطوى عجيف على النكث ولقي العباس بن المأمون فعذله على قعوده عند وفاة المامون عن الامر حتى بويع المعتصم وأغراه قبلًا في ذلك فقبل العباس منه، ودسّ رجلًا من بطانته يقال له السَّمَرْقَنْدِي قرابة عبدالله بن الوَضّاح وكان

له أدب ومداراة، فاستأمن له جماعة من القوّاد ومن خواص المعتصم فبايعوه، وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذي معه فيقتله من أصحاب المعتصم، والافشين واشناس بالرجوع الى بغداد فأبى من ذلك وقال: لا أفسد العراق. فلما فتحت عَمُورِيَّة وصعب التدبير بعض الشيء أشار عجيف بأن يضع من ينهب الغنائم، فاذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا مثل ما ذكرنا. وركب فلم يتجاسروا عليه.

وكان للفَرْغانِيّ قرابة غلام أمرد في جملة المعتصم، فجلس مع ندمان الفرغاني تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم، فأشفق الفرغاني وقال يا بني اقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك، وان سمعت هَيْعَةً فلا تخرج فأنت غلام غرّ. ثم ارتحل المعتصم الى الثغور، وتغير اشناس على عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل وأساء اليهما، فطلبا من المعتصم ان يضمهما الى من شاء وشكيا من اشناس، فقال له المعتصم أحسن ادبهما، فحبسهما وحملهما على بغل. فلما صار بالصفصاف حدّث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغاني، فأمر بغا أن يأخذه من عند اشناس ويساله عن تاويل مقالته فانكر وقال انه كان سكران، فدفعه الى ايتاخ.

ثم دفع أحمد بن الخليل الى اشناس (١) عنده نصيحة

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٥٢ : وسار المعتصم فانفذ أحمد ابن الخليل إلى أشناس يقول له: إن عندي نصيحة لأمير المؤمنين.

للمعتصم، وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندي، فانفذ اشناس الى الحرث وقيده وبعث به الى المعتصم وكان في المقدّمة، فاخبر الحرث المعتصم بجلية الامر فاطلقه وخلع عليه، ولم يصدقه على القواد لكثرتهم. ثم حضر العباس بن المامون واستحلفه ان لا يكتم عنه شيئاً فشرح له القصة فحبسه عند الافشين، وتتبّع القواد بالحبس والتنكيل وقتل منهم الشاه بن سهيل ثم دفع العبّاس للافشين، فلما نزل منبج طلب الطعام فاطعم ومنع الماء. ثم أدرج في بج[1] فمات. ولما وصل المعتصم الى نصيبين احتفر لعمر الفرغاني بئراً وطمت عليه، ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عجيف بمثل ما قتل به العبّاس، واستلحم جميع القواد في تلك الايام، وسمّوا العباس اللعين. ولما وصل الى سامرا جلس اولاد المأمون في داره حتى ماتوا.

انتقاض مازيار وقتله

كان مازيار بن قارن بن وندا هرمز صاحب طبرستان وكان منافراً لعبدالله بن طاهر فلا يحمل اليه الخراج، وقال لا أحمله الا للمعتصم، فيبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه الى وكيل عبدالله بن طاهر يردّه الى خراسان، وعظمت الفتنة بين مازيار وعبدالله، وعظمت سعاية عبدالله في مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه. ولما ظفر الافشين ببابك، وعظم محله عند المعتصم،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل: ثم أدرج في مسح فمات بمنبج.

وطمع في ولاية خراسان ظن ان انتقاض مازيار وسيلة لذلك، فجعل يستميل مازيار ويحرّضه على عداوة ابن طاهر وان اذّت الى الخلاف ليبعثه المعتصم لحربه، فيكون ذلك وسيلة له الى استيلائه على خراسان ظنا بأن ابن طاهر لا ينهض لمحاربته.

فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرهاً وأخذ رهائنهم وعَجّل جباية الخراج، فاستكثر منه وخرّب سور آمد وسور سابة وفتل أهلها الى جبل يعرف بهرمازاباروني سرخاشان سورطمس، منها الى البحر على ثلاثة أميال، وهي على حد جرجان، وكانت تبنيه سدًّا بين الترك وطَبَرَسْتَان وجعل عليه خندقاً ومن أهل جرجان الى نيسابور، وأنفذ عبدالله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحفظ جرجان فعسكر على الخندق، ثم بعث مولاه حيّان بن جَبَلَةَ الى قُوْمِسَ فعسكر على جبال شَرْوين.

وبعث المعتصم من بغداد محمد بن ابراهيم بن مصعب، وبعث منصور بن الحسن صاحب دِنْبَاوَنْد الى الريّ، وبعث ابا الساج الى دنباوند وأحاطت العساكر بجباله من كل ناحية وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان في تسليم سورهم وليس بينهما الا عرض الخندق، فكلموه وسار الآخرون اليه على حين غفلة من القائدين، وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه، فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار فقتل، ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره، وجيء

به الى الحسن بن الحسين فقتله أيضاً .

ثم وقعت بين حَيّان بن جَبَلَةَ وبين فارق بن شَهْرَيار وهو ابن أخي مازيار ومن قواده مداخلة استمالة حيان، فأجاب أن يسلم مدينة سارية الى حدّ جَرْجان على أن يملكوه جبال آبائه، وبعث حيان الى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل، وكان قارن في جملة عبدالله بن قارن أخي مازيار ومن قواده، فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم وبعث بهم الى حيان، فدخل جبال قارن في جموعه، واعتصم لذلك مازيار وأشار عليه أخوه القوهيار أن يخلي سبيل من عنده من أصحابه يرتحلون من الجبل الى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم، فصرف صاحب شرطته وخراجه، وكاتبه حيدة فلحقوا بالسهل، ووثب أهل سارية بعامله عليهم مهرستان بن شهرين، فهرب ودخل حيان سارية .

ثم بعث قوهيار أخو مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان، وكانوا قد حبسوه عند انتقاضهم فبعثه الى حيان ليأخذ له الامان وولاية جبال آبائه علـى أن يسلم اليه مازيار، وعزل قوهيار بعض أصحابه في عدوله بالاستئمان عن الحسن الى حيان، فرجع اليهم وكتبوا الى الحسن يستدعون قوهيار من أخيه مازيار فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم، ولقي حيان على فرسخ فرده الى جبال شروين التي افتتحها ووبخه على غيبته عنها فرجع سارية وتوفي وبعث عبدالله مكانه محمد بن الحسين بن مصعب

وعهد اليه ان لا يمنع قارن ما يريده، ولما وصل الحسن الى خرماباذ وسط جبال مازيار لقيه قاهيار هنالك واستوثق كل منهما من صاحبه، وكاتب محمد بن ابراهيم بن مصعب من قواد المعتصم قوهيار بمثل ذلك، فركب قاصداً اليه . وبلغ الحسن خبره فركب في العسكر وحازم يسابق محمد بن ابراهيم الى قوهيار فسبقه ولقي قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار، فقبض عليه وبعثه مع اثنين من قواده الى خرماباذ، ومنها الى مدينة سارية .

ثم ركب واستقبل محمد بن ابراهيم بن مصعب وقال : أين تريد؟ فقال الى المازيار : فقال هو بسارِيَةَ . ثم حبس الحسن أخوي المازيار ورجع الى مدينة سارية فقيَّدَ المازيار بالقيد الذي قيّد به محمد بن محمد بن موسى بن حَفصٍ . وجاء كتاب عبدالله ابن طاهر بأن يدفع المازيار وأخويه وأهل بيته الى محمد بن ابراهيم يحملهم الى المعتصم . وسأل الحسن المازيار عن امواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سمّاهم وأمر الحسن القوهيار بحمل هذه الاموال ، وسار الى الجبل ليحملها، فوثب به مماليك المازيار من الدَيْلَمِ وكانوا ألفاً ومائتين فقتلوه بثار أخيه وهربوا الى الديلم ، فاعترضتهم جيوش محمد بن ابراهيم وأخذوهم فبعث بهم الى مدينة سارية .

وقيل إنّ الذي غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طَبَرَسْتان والمازيار يتوارث سهلها ، وكانت جبال طبرستان ثلاثة

أجبل، فلما انتقض واحتاج الى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاه على أصعبها، وظنّ أنه قد توثق به فكاتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الافشين للمازيار، وداخله [1] في الفتك على ان يوليه ما كان . لآبائه، وأنّ المازيار لما ولّاه الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده، فأفضى له الحسن كتاب ابن طاهر وتوثق له فيه وأوعده ليوم معلوم، ركب فيه الحسن الى الجبل فأدخاله ابن عمّ مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه، ويقال أخذه أسيراً في الصيد . ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام في قتاله لمن كان بازائه فلم يشعر الا والعساكر من ورائه فانهزم، ومضى الى بلاد الديلم فاتبعوه وقتلوه. ولما صار المازيار في يده طلبت منه كتب الافشين فأحضرها، وأمر ابن طاهر ان يبعث بها معه الى المعتصم، فلما وصل الى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك سنة أربع وعشرين .

ولاية ابن السيد على الموصل

وفي سنة أربع وعشرين ولّى المُعْتَصِمُ على الموصل عبدالله بن السيِّد بن أَنَسٍ الأَزْدِيّ، وكان سبب ولايته أن رجلاً من مقدمي الاكراد يعرف بجعفر بن فهرجس كان قد عصى باعمال الموصل، وتبعه خلقٌ كثير من الاكراد وغيرهم، وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبدالله بن السيِّد بن أَنَسٍ فقاتله وغلبه على ما تعيس وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها، ولحق بجبل دانس

(١) داخله: شاوره، وهي من اصطلاحات ابن خلدون.

وامتنع بأعاليه، وقاتله عبدالله وتوغل في مضايق ذلك الجبل، فهزمه الاكراد وأثخنوا في أصحابه بالقتل، وقتل اسحاق بن أنس عم عبدالله . فبعث المعتصم مولاه ايتاخ في العساكر الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داس فقاتل جعفراً وقتله وافترق أصحابه، وأوقع بالاكراد واستباحهم وفروا أمامه الى تكريت .

نكبة الأفشين ومقتله

كان الافشين من أهل أشروسنّة تبوّأها ونشأ ببغداد عند المعتصم وعظم محله عنده، ولما حاصر بابك كان يبعث الى أشروسنّة بجميع أمواله فيكتب ابن طاهر بذلك الى المعتصم، فيأمره المعتصم بأن يجعل عيونه عليه في ذلك . وعثر مرّةً ابن طاهر على تلك الاموال فأخذها وصرفها في العطاء، وقال له حاملوها : هذا مال الافشين، فقال كذبتم لو كان ذلك لاعلمني أخي أفشين به وانما أنتم لصوص، وكتب الى الافشين بذلك بأنه دفع المال الى الجند ليوجّههم الى الترك، فكتب اليه افشين مالي ومال أمير المؤمنين واحد، وسأله في إطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينهما وتتابعت السعاية فيه من طاهر، وربما فهم الافشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع في ولايتها، وكان مازيار يحسّن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك الى عزله وولاية الافشين لحرب مازيار .

فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسيق الى بغداد مقيداً، وولى

المعتصم الافشين على أذْرَبِيْجان فولّى عليها من قِبله مَنْكُجور من بعض قرابته، فاستولى على مال عظيم لبابك، وكتب به صاحب البريد الى المعتصم فكذّبه منكجور وهم بقتله، فنعه أهل أرْدَبيل فقاتلهم . وسمع ذلك المعتصم فأمر الافشين بعزل منكجور، وبعث قائداً في عسكره مكانه، فخلع منكجور وخرج من أردبيل فهزمه القائد، ولحق ببعض حصون أذربيجان كان بابك خرّبه، فأصلحه وتحصن فيه شهراً ثم وثب فيه أصحابه وأسلموه الى القائد، فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين في أمره، وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأنّ القائد كان بغا الكبير وأنّه خرج اليه بالامان اﻫ .

ولما أحس الافشين بتغيّر المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق بارمينيه، وكانت في ولايته، ويخرج منها الى بلاد الخَزَر ويرجع الى بلاد أشروسَنَة، وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتخذ لهم صنيعاً يشغلهم فيه نهارهم، ثم يسير من أول الليل. وعرض له في اثناء ذلك غضب على بعض مواليه، وكان سيء الملكة فأيقن مولاه بالملكة، وجاء الى إيتاخ فأحضره الى المعتصم وخبره الخبر فأمره باحضاره وحبسه بالجَوْسَق، وكان ابنه الحسن عاملاً على بعض ما وراء النهر. فكتب المعتصم الى عبدالله بن طاهر في الاحتيال عليه، وكان يشكو من نوح بن اسد صاحب بُخارى . فكتب ابن طاهر الى الحسن بولاية بخارى، وكتب الى

نوح بذلك وان يستوثق منه اذا وصل اليه ويبعث به، ثم يبعث به الى ابن طاهر ثم الى المعتصم .

ثم امر المعتصم باحضار الافشين ومناظرته فيما قيل عنه، فاحضر عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيّات وعنده القاضي احمد بن أبي دؤاد واسحاق بن ابراهيم وجماعة القواد والاعيان، واحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزبان بن تَرْكَش احد ملوك الصُّغْدِ ورجلان من اهل الصغد يدّعِيان ان الافشين ضربهما وهما إمام ومؤذن بمسجد . فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من اللحم ، فقال ابن الزيات للافشين ما بال هذين؟ قال عهدا الى معاهدين فوثبا على بيت اصنامهم فكسراها، واتخذا البيت مسجداً فعاقبتهما على ذلك . وقال ابن الزيات : ما بال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر؟ قال كتاب ورثته من آبائي واوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه واترك كفرهم ، ولم احتج الى نزع حليته، وما ظننت ان مثل هذا يخرج عن الاسلام .

ثم قال المؤيد إنّه يأكل لحم المُنْخَنِقَةِ ويحملني على أكلها ويقول هو أرطب من لحم المذبوحة . ولقد قال لي يوماً حملت على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل ، الى هذه الغاية لم أختتن ولم تسقط عني شعرة العانة . فقال الافشين : أثِقَةٌ هذا عندكم في دينه؟ وكان مجوسياً قالوا : لا ! قال فكيف تقبلونه عليّ؟ ثم قال للمؤيد أنت ذكرت اني أسرَرْتُ اليك ذلك،

فلست بثقة في دينك ولا بكريم في عهدك ثم قال له المرزبان : كيف يكاتبك أهل أشْرُوسنَةِ ؟ قال ما أدري ! قال أليس يكاتبونك بما تفسره بالعربي : الى إلَه الآلِهَة من عبده فلان ؟ قال بلى ! فقال ابن الزيات فما أبقيت لفرعون ؟ قال هذه عادة منهم لأبي وجدّي ولي قبل الاسلام ، ولو منعتهم لفسدت عليّ طاعتهم .

ثم قال له أنت كاتبت هذا ؟ واشار الى المازيار . كتب أخوه الى أخي قوهيار انه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك، فأما بابك قد قتل نفسه بجمعه ولقد عهدت أن أمنعه فأبى الا حنقه، وأنت ان خالفت لم يرمك القوم بغيري ومعي أهل النجدة، وان توجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا العرب والمغاربة والترك ، والعربي كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه، والمغاربة أكلة رأس ، والاتراك لهم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتي عليهم، ويعود هذا الدين الى ما كان عليه أيام العجم .

فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه فما يجب عليّ ؟ ولو كتب فأنا أستميله مكراً به لاحظى عند الخليفة كما حظي به ابن طاهر، فزجره ابن أبي دؤاد فقال له الافشين: ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال : أَمُتَطَهِّر أنت؟ قال لا ! قال فما يمنعك وهو شعار الاسلام ؟ قال خشيت على نفسي من قطعة ! قال فكيف وأنت تلقى الرماح والسيوف ؟ قال تلك

ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه . فقال أبن أبي دؤاد لبغا الكبير: قد بان لكم أمره يا بغا عليك به ! فدفعه بيديه وردّه الى محبسه وضرب مازيار أربعمائة سوط فمات منها، وطلب افشين من المعتصم أن يُنفِذَ اليه من يثق به، فبعث حمدون بن اسماعيل فاعتذر له عن جميع ما قيل فيه، وحمل الى دار ايتاخ فقتل بها وصلب على باب العامة، ثم أحرق . وذلك في شعبان من سنة ست وعشرين، وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات .

ظهور المبرقع

كان هذا المُبَرْقَعُ يُعرف بأبي حرب اليماني وكان بفِلَسْطين، وأراد بعض الجند النزول في داره فمنعه بعض النساء فضربها الجندي وجاءت فشكت اليه بفعل الجندي، فسار اليه وقتله، ثم هرب الى جبال الاردن، فأقام بها واختفى يُبَرْقِعُ على وجهه . وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعيب الخليفة ويزعم أنه أمويّ، واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا هو السُفْيَانِيّ . ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بيهس وكان مطاعاً في قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف، وسرّح المعتصم رجاء بن أيوب في ألف من الجند، فخام عن لقائه لكثرة من معه، وعسكر قبالته ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لاعمالهم. وبينما همّ في الانصراف توفي المعتصم وثارت الفتنة بدمشق، فأمره الواثق بقتل من أثار الفتنة والعود الى المبرقع، ففعل وقاتله فأخذه أسيراً

وابن بيهس معه، وقتل من أصحابه عشرين ألفاً وحمله، وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين.

وفاة المعتصم وبيعة الواثق

وتوفي المعتصم أبو اسحاق محمد بن المأمون بن الرشيد، منتصف ربيع الاوّل سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته، وبويع ابنه هارون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر. فثار اهل دمشق بأميرهم وحاصروه، وعسكروا بمرج واسط [1] وكان رجاء ابن ايوب بالرملة في قتال المبرقع، فرجع اليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم واثخن فيهم، وقتل منهم نحو من ألف وخمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة، وصلح أمر دمشق، ورجع رجاء الى قتال المبرقع حتى جاء به أسيراً [2] بيعة الواثق توجه أشناس ووشحه، وكان للواثق سمر يجلسون عنده ويُفيضون في الاخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجابهم الاموال، فأغراه ذلك بمصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الاموال.

فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه، ومن سليمان بن وهب كاتب أتياخ أربعمائة ألف، ومن الحسن ابن وهب أربعة عشر ألفاً، ومن ابراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف، ومن أبي الوزر مائة وأربعين ألفاً، وكان على اليمن اتياخ، وولاه

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٥ ص ٢٦٧ : بمرج راهط.

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٦٩ : وفي هذه السنة - أي سنة ثمان وعشرين ومائتين - أعطى الواثق أشناس تاجاً ووشاحين.

عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار وسخطه وحبسه ثم رضي عنه وأطلقه، فلما وليَ الواثق ولّى اتياخ على اليمن من قبله سار بامیان، فسار اليها وكان الحرس اسحاق بن يحيي بن معاذ ولّاه المعتصم بعد عزل الافشين. وولى الواثق على المدينة سنة احدى وعشرين محمد بن صالح بن العبّاس وبقي محمد بن داود على مكة، وتوفي عبدالله بن طاهر سنة ثلاثين، وكان على خراسان وكرمان وطبرستان، والري وكان له الحرب والشرطة والسواد فولى الواثق على اعماله كلها ابنه طاهراً.

وقعة بغا في الأعراب

كان بنو سُلَيم يُفسِدون بنواحي المدينة ويتسلّطون على الناس في أموالهم، وأوقعوا بناس من كِنَانة وباهلة، وبعث محمد ابن صالح اليهم مَسْلَحَةَ المدينة ومعهم متطوّعَةٌ من قريش والانصار، فهزمهم بنو سليم وقتلوا عامّتهم وأحرقوا لباسهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق، فبعث الواثق بغا الكبير، وقدم المدينة في شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلًا وأسر مثلها، واستأمنوا له على حكم الواثق، فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين. ثم حج وسار الى ذات عِرْق وعرض على بني هلال مثل بني سُلَيْم فأخذ من المفسدين منهم نحو ثلثمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين.

ثم خرج بغا الى بني مُرَّةَ فنقب أولئك الاسرى الحبس وقتلوا الموكلين فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلاً ومنعوهم من الخروج فقاتلوهم إلى الصبح ثم قتلوهم، وشق ذلك على بغا وكان سبب غيبته انّ فزارة وبني مرّة تغلبوا على فَدَك فخرج اليهم وقدّم رجلاً من قوّاده يعرض عليهم الامان، فهربوا من سطوته الى الشام واتبعهم الى تخوم الحجاز من الشام، وأقام أربعين ليلة ثم رجع الى المدينة بمن ظفر منهم .

وجاءه قوم من بطون غِفارٍ وفَزارَة وأشْجَع وثَعْلَبَة فاستحلفهم على الطاعة . ثم سار الى بني كلاب فأتوه في ثلاثة آلاف رجل، فحبس أهل الفساد منهم ألفاً بالمدينة وأطلق الباقين، وأمره الواثق سنة أثنين وثلاثين بالمسير الى بني نُمَيْر باليمامة وما قرب منها لقطع فسادهم، فسار اليهم ولقي جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل منهم خمسين وأسر أربعين. ثم سار الى مرّة وبعث اليهم في الطاعة فامتنعوا وساروا الى جبال السند وطف اليمامة، وبعث سراياهم فأوقع بهم في كل ناحية. ثم سار اليهم في ألف رجل فلقيهم قريباً من أضاخ فكشفوا مقدّمته ومَيْسرته وأثخنوا في عسكره بالقتل والنهب .

ثم ساروا تحت الليل وهو في أتباعهم يدعوهم الى الطاعة، وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو في قلة، فحملوا عليه وهزموه الى معسكره واذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من

وجهتهم، فلما رآهم بنو نُمَير من خلفهم ولوا منهزمين وأسلموا رجالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالتهم أحد، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة، وأقام بمكان الوقمة وأستأمن له أمراؤهم فقيّدهم وحبسهم بالبصرة. وقدم عليه واجن الاشروسني في سبعمائة مقاتل مدداً، فبعثه الى اتباعهم الى أن بلغ تَبالَةَ من اعمال اليمن ورجع، وسار بغا الى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفي رجل ومائتي رجل، وكتب الى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد من عنده منهم فجاء بهم وسلموا جميعاً.

مقتل أحمد بن نصر

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدّم، وكان أحمد هذا نسيبة لاهل الحديث ويغشاه جماعة منهم مثل ابن حُصَيْن وابن الدَوْرَقي وأبي زُهَير، ولقن منهم النكير على الواثق بقوله بخلق القرآن. ثم تعدّى ذلك الى الشتم، وكان ينعته بالخنزير والكافر، وفشا ذلك عنه. وانتدب رجلان ممن كان يغشاه: هما أبو هارون السراج وطالب وغيرهما، فدعوا الناس له وبايعه خلق على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرقوا الاموال في الناس ديناراً لكل رجل وأنفذوا لثلاث تمضي من شعبان من سنة احدى وثلاثين يظهرون فيها دعوتهم.

واتفق أن رجالاً ممن بايعهم من بني الاشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم السكر، فضربوا الطبل وصاحب الشرطة اسحاق

ابن ابراهيم غائب، فارتاع خليفته محمد اخوه فأرسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد احد، واتوه برجل اعور اسمه عيسى وجدوه في الحمام، فدلهم على بني الاشرس وعلى احمد بن نصر وعلى ابي هارون وطالب، ثم سيق خادم احمد بن نصر فذكر القصة، فقبض عليه وبعث بهم جميعاً الى الواثق بسامرا مقيدين، وجلس لهم مجلساً عاماً وحضر فيه احمد بن ابي دؤاد، ولم يسأله الواثق عن خروجه وانما سأله عن خلق القرآن فقال: هو كلام الله. ثم سأله عن الرؤية فقال: جاءت بها الاخبار الصحيحة، ونصيحتي ان لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم سأل الواثق العلماء حوله عن امره، فقال عبد الرحمن بن اسحاق قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم! وقال ابن ابي دؤاد: هو كافر يستتاب. فدعا الواثق بالصَمْصَامَةِ فانتضاها ومشى اليه فضربه على حبل عاتقه ثم على رأسه، ثم وخزه في بطنه ثم اجهز سيما الدمشقي عليه وحزوا رأسه، ونصب ببغداد وصلب شلوه عند بابها.

الفداء والصائفة

وفي سنة احدى وثلاثين عقد الواثق لاحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والعواصم، وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم، وأمرهما أن تمتحن الاسرى باعتقاد القرآن والرؤية. وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا على نهر اللامس

على مرحلة من طرطوس[١]، وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف وأربعة وستين، والنساء والصبيان ثمانمائة، وأهل الذمة مائة. فلما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم شاتياً واصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس، وأسر منهم نحوها، وخرق بالنبل قرون خلق، ولقيه بطريق من الروم فخام عن لقائه ثم غنم ورجع، فعزله الواثق وولى مكانه نصر بن حمزة الخُزاعِيّ.

وفاة الواثق وبيعة المتوكل

وتوفي الواثق أبو جعفر هارون بن المعتصم محمد لست بقين من سنة اثنتين وثلاثين، وكانت علته الاستسقاء وأدخل في تنور مسجر فلقي خفة ثم عاوده في اليوم الثاني اكثر من الاول فأخرج في مِحَفّةٍ فمات فيها ولم يشعروا به. وقيل ان ابن أبي دؤاد غمضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته. وحضر في الدار أحمد ابن أبي دؤاد واتياخ ووصيف وعمر بن فرح وابن الزيات، وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام إمّر[٢] فألبسوه فاذا هو قصير، فقال وصيف: أما تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا! ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبي دؤاد الطويلة وعمّمه وسلم عليه بامارة المؤمنين ولقبه المتوكل وصلى على الواثق ودفنه. ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر، وولى على بلاد فارس ابراهيم

(١) هي طرسوس.
(٢) أمر: ضعيف الرأي.

ابن محمد بن مُصْعَب ، وكان على الموصل غانم بن محمد الطُوَيْس فأقرّه وعزل ابن العباس محمد بن صول عن ديوان النفقات، وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف .

نكبة الوزير ابن الزيات ومهلكه

كان محمد بن عبد الملك بن الزيّات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء ، وكان لا يحفل بالمتوكل ولا يوجب حقّه ، وغضب الواثق عليه مرّة فجاء الى ابن الزيّات ليستنزله فأساء معاملته في التحية والملاقاة فقال : اذهب فانك اذا صلحت رضي عنك . وقام عنه حزيناً فجاء الى القاضي أحمد ابن دؤاد فلم يدع شيئاً من البرّ إلّا فعله وحيّاه وفدّاه ، وخطب حاجته فقال : أحب أن ترضي عني أمير المؤمنين فقال : أفعل ونعمة عين ! ولم يزل بالواثق حتى رضي عنه . وكان ابن الزيات كتب الى الواثق عندما خرج عنه المتوكل ان جعفر أتاني فسأل الرضا عنه وله وَفرةٌ شبه زي المُخَنَّثين، فأمره الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجّاماً أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقد له ذلك واساء له .

ولما ولي الخلافة بقي شهراً ثم أمر ايتاخ أن يقبض عليه ويقيّده بداره ويصادره، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين فصادره واستصفى أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب، ثم جعله في تنور خشب في داخله مسامير تمنع من الحركة وترعج من فيه

لضيقه، ثم مات منتصف ربيع الاول، وقيل انه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله. وكان عمر بن الفرج الرَخجي يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له، ولما استخلف قبض عليه في رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف.

نكبة اتياخ ومقتله

كان اتياخ مولى السلام الابرص، وكان عنده ناخوريا طبّاخاً وكان شجاعاً فاشتراه المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع في دولته ودولة الواثق ابنه، وكان له المؤنة بسامرا مع اسحاق بن ابراهيم بن مصعب، وكانت نكبة العظماء في الدولة على يديه وحبسهم بداره، مثل أولاد المأمون وابن الزيّات وصالح وعجيف وعمر بن الفَرَجِ وابن الجُنَيْدِ وأمثالهم، وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والاتراك. وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعربد على اتياخ، وهم اتياخ بقتله ثم غدا عليه فاعتذر له ودسّ عليه من زيّن له الحج فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمرّ به.

وسار لذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وسار العسكر بين يديه وجعلت الحجابةُ الى وصيف الخادم، ولما عاد اتياخ من الحج بعث اليه المتوكل بالهدايا والالطاف، وكتب الى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره بحبسه. فلما قارب بغداد كتب اليه اسحاق بأنّ المتوكل أمر أن يدخل بغداد وان تلقاه

بنو هاشم ووجوه الناس، وأن يقعد بدار خُزَيْمَة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك، ووقف اسحاق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول اليه، ووكل بالابواب ثم قبض على ولديه منصور مُظَفَّر وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد، وبعث ايتاخ اليه يسأله الرفق بالولدين ففعل، ولم يزل ايتاخ مقيداً بالسجن الى أن مات فقيل انهم منعوه الماء، وبقي ابناه محبوسين الى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل.

شأن ابن البغيث

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتنعاً في حصونه بأذرَبَيْجانَ وأعظمها مَرَنْد، واستنزل من حصنه أيام المتوكل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمرند، وقيل انه في حبس اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب وشفع فيه بغا الشرابي، فأطلقه اسحاق في كفالة محمد ابن خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشيباني وكان يتردّد الى سامرّا حتى مرض المتوكل ففرّ ولحق بمرند وشحنها بالاقوات، وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتي رجل، والوالي بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم بن هَرْثَمة فلم يقاممه، فعزله المتوكل وولى حَمْدَوَيْه بن علي بن الفضل السعدي، فسار اليه وحاصره بمرند مدّة وبعث اليه المتوكل بالمدد، وطال الحصار فلم يُقَنْ[1] فيه، فبعث بغا الشرابي في ألفي فارس فجاء لحصاره. وبعث

(١) أوقن الرجل إذا اصطاد الطير من وقته وهي محضنة.

اليه عيسى بن الشيخ بن السلسل بالامان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل، فنزل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق بغا وخرج هو هارباً، ونهبت منازله وأسرت نساؤه وبناته. ثم أدرك بطريقه وأتي بـه أسيراً وباخويه صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيث، وجاء بهم بغا الى بغداد وحملهم على الجمال يوم قدومه حتى رآهم الناس وحبسوا. ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه في الشاكرية مع عبدالله بن يحيى خاقان.

بيعة العهد

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمداً وطلحة وابراهيم، ويقال في طلحة ابن الزبير، وجعل محمداً أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه أفريقيّة والمغرب وقِنّسرين والثغور الشاميّة والجَزَرِيّة، وديار مضر وديار ربيعة، وهيت والموصل وغانة والخابور، وكور دجلة والسواد والحرمين وحضرموت والحَرَمين والسند ومَكران وقندابيل وكور الاهواز والمستغلات بسامرا، وماء الكوفة وماء البصرة.

وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز، وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والريّ وأرمينية وأذرَبيجان وأعمال فارس. ثم أضاف اليه سنة أربعين خزن الاموال ودور الضرب في جميع الآفاق، وأمر أن يرسم اسمه في السكة.

وجعل الثالث ابراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الاعمال الشاميّة . وفي هذه السنة أمر الجند بتغيير الزيّ فلبسوا الطيالسةَ العسليّة وشدّوا الزنانير في أوساطهم (١) وجعلوا الطراز في لباس المماليك، ومنع من لباس المناطق، وأمر بهدم البيع المحدثة لاهل الذمّة، ونهى أن يستغاث بهم في الاعمال وأن يُظهِروا في شعانيهم الصلبان، وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب .

ملك محمد بن ابراهيم

كان محمّدُ بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب على بلاد فارس، وهو ابن أخي طاهر، وكان أخوه اسحاق بن ابراهيم صاحب الشُرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان ابنه محمد بباب الخليفة بسامرا نائبا عنه . فلما مات اسحاق سنة خمس وثلاثين ولاه المتوكل وضمّ اليه أعمال أبيه، • استخلفه المعتزّ على اليمامةِ والبحرين ومكّةَ وحمل الى المتوكّل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيراً، وبلغ ذلك محمد بن ابراهيم فتنكر للخليفة ولمحمد ابن أخيه، وشكا ذلك محمد الى المتوكل فسرّحه الى فارس وولاه مكان عمه محمد، فسار وعزل عمه محمداً وولّى مكانه ابن عمه الحُسَين بن اساعيل بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه الشراب فمات .

---

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥ : وركوب السروج بالركب الشب وعمل كرتين في مؤخر السروج.

انتقاض أهل أرمينية

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البطريق بُقْرَاطُ بن أسواط، وهو بطريق البطارِقَةِ يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما الى المتوكل، فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زُرَارَةَ وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين، وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه . فسرّح المتوكل بغا الكبير، فسار على الموصل والجزيرة وأناخ على أردن حتى أخذها وحمل موسى واخوته الى المتوكل، وقتل منهم ثلاثين ألفاً وسبى خَلقاً وسار الى مدينة دبيل فأقام بها شهراً، ثم سار الى تفليس فحاصرها وبعث في مقدّمته ريزك التركي، وكان بتفليس اسحاق بن اسماعيل بن اسحاق مولى بني أمية فخرج وقاتلهم، وكانت المدينة كلّها مشيدة من خشب الصنوبر، فأمر بغا أن يرمي عليها بالنفط فاضطرمت النار في الخشب، واحترقت قصور اسحاق وجواريه وخمسون ألف انسان وأسر الباقون، وأحاطت الاتراك والمغاربة باسحاق فأسروه وقتله بغا لوقته، ونجا أهل اسحاق بأمواله الى صعدنيل، مدينة حذاء تفليس على نهر الكرمن من شرقيّه بناها أنوشروان وحصنها اسحاق، وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا، ثم بعث الجند الى قلعة أخرى بين بَرْذَعَة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها . ثم سار الى عيسى بن يوسف في قلعة كيس من كور البليقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من

البطارقة، وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

عزل ابن دواد وولاية ابن اكثم

وفي سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد وقبض ضياعه وحبس أولاده، فحمل ابو الوليد منهم مائة وعشرين الف دينار وجواهر تساوي عشرين الفاً، ثم صولح عن ستة عشر الف الف درهم واشهد عليهم ببيع املاكهم وفلج أحمد، فأحضر المتوكل يحيى بن اكثم وولاه قضاء القضاة، وولى ابا الوليد بن ابي دؤاد المظالم ثم عزله . وولى ابا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله، وولى يحيى بن اكثم على المظالم ثم عزله سنة اربعين، وصادره على خمسة وسبعين الف دينار واربعة آلاف حزبو[1]، وولى مكانه جعفر ابن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي . وتوفي في هذه السنة احمد بن ابي دؤاد بعد ابنه ابي الوليد بعشرين يوماً وكان معتزلياً اخذ مذهبهم عن بشر المَرِّيسِيّ واخذه بِشْرٌ عن جَهْمِ بن صَفْوَان، واخذه جَهْمٌ عن الجَعْدِ بن دَهْمٍ معلِّم مَرْوان .

انتقاض أهل حمص

وفي سنة سبع وثلاثين وثب اهل حمص بعاملهم ابي المُغيثِ موسى بن ابراهيم الرافقي بسبب انه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه

---

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٩٤ : «وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة». وفي الطبري ج ١١ ص ٥٠ : «وفيها عزل يحيى بن أكثم عن القضاء في صفر وقبض منه ما كان له ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وفي أسطوانة في داره ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة».

وفي لسان العرب : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة .

وقتلوا من اصحابه، فولى مكانه محمد بن عَبْدَوَيه الانبارِيّ فأساء اليهم وعسف فيهم فوثبوا به، وأمّره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، واخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وادخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره .

اغارة البجاة على مصر

كانت المدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدّون منها الخمس الى أهل مصر، فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن، وكتب صاحب البريد بذلك الى المتوكل، فشاور الناس في غزوهم فأخبروه انهم أهل ابل وشاء وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بدّ فيها من الزاد وان فنيت الازواد هلك العسكر فأمسك عنهم . وخاف أهل الصُغْدِ من شرّهم فولى المتوكل محمد ابن عبدالله القُمّي على أسوان وقَفْط والاقْصُر وأسنا وأَرْمَنْت، وأمره بحرب البجاة .

وكتب الى عنبسة بن اسحاق الضَبّي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وازاحه عليهم فسار في عشرين الفاً من الجند والمتطوّعة، وحملت المراكب من القُلْزُمِ بالدقيق والتمر والأُدْمِ الى سواحل بلاد البجاة، وانتهى الى حصونهم وقلاعهم . وزحف اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف عساكرهم على المهارى، وطاولهم علي بابا رجاء ان تفنى ازوادهم فجاءت المراكب وفرّقها القُمّي في

اصحابه، فناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة، فأمر القمي جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم . ثم حملوا عليهم فانهزموا واثخن فيهم قتلاً واسراً حتى استأمنوا على اداء الخراج لما سلف ولما يأتي وان يرد الى مملكته، وسار مع القمي الى المتوكل واستخلف ابنه، فخلع القمي عليه وعلى اصحابه وكسا ارجلهم الجلال المديحة(١) وولاهم طريق ما بين مصر ومكة، وولى عليهم سعداً الايتاخي الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع معهم واستقامت ناحيتهم .

الصوائف

وفي سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم في مائة مركب فكبسوها، وكانت المسلحة التي بها قد ذهبوا(٢) الى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن اسحاق الضبي فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط واحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبياً ومتاعاً، وذهبوا الى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك واقلعوا . وغزا بالصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الارمني صاحب الصوائف، وفي سنة احدى واربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين، وكانت تدورة ملكة الروم قد حملت اسرى المسلمين على التنصر، فتنصر الكبير(٣) منهم . ثم طلبت المفاداة

(١) كذا ولعلها المدوحة.
(٢) كذا والصحيح : الذي بها قد ذهبت.
(٣) كذا. والسياق يقتضي «الكثير».

فيمن بقي فبعث المتوكل سيفاً الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد، واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب، وكان الفداء على نهر اللامس. ثم اغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الزُّطِ وسَبَوْا نساءهم وأولادهم. ولما رجع علي بن يحيى الارميني من الصائفة خرجت الروم في ناحية سميساط فانتهوا الى آمد، واكتسحوا نواحي الثغور والجَزَرِيّةِ[1] نهباً وأسروا نحواً من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم فرشاش[2] وعمر بن عبد الاقطع وقوم من المتطوّعة فلم يدركوهم، وامر المتوكل علي بن يحيى ان يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل.

وفي سنة اربع واربعين جاء المتوكل من بغداد الى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسي اليها فأقام بها شهرين، ثم استوبأها ورجع بعد ان بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوّخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع، وفي سنة خمس واربعين اغارت الروم على سميساط فغنموا، وغزا علي بن يحيى الارميني بالصائفة كَرْكَرَةَ وانتقض اهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه الى بعض موالي المتوكل، فأطلق ملك الروم في فداء البطريق الف اسير من المسلمين. وفي سنة ست واربعين غزا عمر بن عبيدالله الاقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٩٧ : «حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية» وكذا في الطبري ج ١١ ص ٥٥.

(٢) كذا في الأصل واسمه في الكامل لابن الأثير: قربياس، وفي الطبري : قربياس.

وغزا قرقاش فجاء بخمسة آلاف رأس، وغزا الفضل بن قاران في الاسطول بعشرين مركباً فافتتح حصن انطاكية وغزا ملكها دورهم وسبا، وغزا علي بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف، وكان على يده في تلك السنة الفداء في الفين وثلثمائة من الاسرى .

الولايات في النواحي

ولّى المتوكل سنة اثنتين على بلاد فارس محمد بن ابراهيم بن مُصْعَب، وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسي، واستوزر لاول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيّات . وولّى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراساني مولى الازدي، وعزل الفضل بن مروان. وولى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول . وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر، وعزل محمد بن عيسى . وولّى على حجابة بابه وصيفاً الخادم عند ما سار ايتاخ للحجّ . وفي سنة خمس وثلاثين عهد لاولاده كما مرّ، وولى على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب مكان ابنه ابراهيم عندما توفي، وكانت وفاته ووفاة الحسن بن سهل في سنة واحدة . وفي سنة ست وثلاثين استكتب عبيدالله ابن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولّى على ارمينية وأذْرَبَيْجَان حرباً وخراجاً يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف

المروزوزي عندما توفي أبوه فجاءه فسار اليها وضبطها، وأساء الى البطارقة بالناحية، فوثبوا به كما مرّ وقتلوه .

وبعث المتوكل بغا الكبير في العساكر فأخذ ثاره منهم، وولى معادن السواد عبدالله بن اسحاق بن ابراهيم . وفي سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبي دؤاد عن القضاء وصادره، وولى مكانه يحيى ابن اكثم . وقدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان فولاه الشرطة والجزية وأعمال السواد، وكان على مكة علي بن عيسى ابن جعفر بن المنصور فحجّ بالناس، ثم ولى مكانه في السنة القابلة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى . وولى على الاحداث بطريق مكة والمواسم جعفر بن دينار، وكان على حمص أبو المغيب موسى بن ابراهيم الرافقي وثبوا به سنة تسع وثلاثين، فولى مكانه محمد بن عبدويه . وفي سنة تسع وثلاثين عزل يحيى ابن أكثَم عن القضاء، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان . وفي سنة اثنتين وأربعين ولّى على مكة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام، وولى على ديوان النفقات الحسن بن مُخلد بن الجرّاح عندما توفي ابراهيم بن العبّاس الصُوليّ وكان خليفته فيها من قبل .

وفي سنة خمس وأربعين اختطّ المتوكل مدينته وأنزلها القوّاد والاولياء وأنفق عليها ألف ألف دينار، وبنى فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله في علوّه وأجرى له الماء في نهر احتفره وسمّاها المُتَوَكِّلِيَّة،

وتسمى الجعفري والماخورة . وفيها ولّى على طريق مَكّةَ أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة . وولى على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سلمة وكانت له صولة على العمال، فكان ينام المتوكل فسعى عنده في الحسن بن مخلد، وكان معه على ديوان الضياع ولّى موسى بن عقبة عبد الملك وكان على ديوان الخراج، وضمن للمتوكل في مصادرتهما أربعين ألفاً . وأذن المتوكل وكانا منقطعين الى عبيد الله بن خاقان، فتلطف عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين، وأشار اليه بأخذ ما فيهما معاً وبدأ بنجاح فكتبه وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع، ثم ضرب فمات وصودِرَ أولاده في جميع البلاد على اموال جَمّة .

مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه

كان المتوكل قد عهد الى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الامر لنفسه، وكان يسميه المنتصر والمستعجل لذلك . وكان المنتصر تنكّر عليه انحرافه عن سنن سَلَفَه فيما ذهبوا اليه من مذهب الاعتزال والتشيّع لعليّ، وربما كان الندمان في مجلس المتوكل يفيضون في ثلب عليّ فينكر المنتصر ذلك ويتهدّدهم ويقول للمتوكل ان علياً هو كبير بيتنا وشيخ بني هاشم، فان كنت لا بدّ ثالبه فتولّ ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصفّاعين سبيلاً الى ذلك فيستخف به ويشتمه، ويأمر

وزيره عبيدالله بصفعه ويتهدّده بالقتل ويصرّح بخلعه. وربما استخلف ابنه الخير في الصلاة والخطبة مراراً وتركه، فطوى من ذلك على النكث. وكان المتوكل قد استفسد الى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن، فأفسدوا عليه الموالي. وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسميساط لتعهد الصوائف، فسار لذلك واستخلف مكانه ابنه موسى في الدار، وكان ابن خالة المتوكل، واستخلف على الستر بغا الشرابي الصغير.

ثم تغيّر المتوكل لوصيف وقبض ضياعه باصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان، فتغير وصيف لذلك وداخل المنتصر في قتل المتوكل، وأعدّ لذلك جماعة من الموالي بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر، وجاؤا في الليلة التي اتعدوا فيها. وحضر المنتصر ثم انصرف على عادته، وأخذ زرافة الخادم معه، وأمر بغا الشرابي الندمان بالانصراف حتى لم يبق الا الفتح وأربعة من الخاصّة، وأغلق الابواب الا باب دِجْلَةَ فأدخل منه الرجال وأحسّ المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم، واستماتوا وابتدروا اليه فقتلوه. والقى الفتح نفسه عليهم ليقيه فقتلوه.

وبعث الى المنتصر وهو ببيت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر، وبايع له زرافة وركب الى الدار فبايعه من حضر، وبعث الى وصيف انّ الفتح قتل أبي فقتلته فحضر وبايع،

وبعث عن اخويه المعتز والمؤيّد فحضرا وبايعا له . وانتهى الخبر الى عبيد الله بن يحي فركب من ليله وقصد منزل المعتز فلم يجده، واجتمع عليه عشرة آلاف من الازد والارمن والزواقيل وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك، وأصبح المنتصر فأمر بدفن المتوكل والفتح، وذلك لاربع خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين . وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم (١) وركب بعضهم بعضاً وقصدوا باب السلطان، فخرج اليهم بعض الاولياء فاسمعوه، ورجع فخرج المنتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشردوهم عن الابواب فتفرّقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس .

خلفاء بني العباس أيام الفتنة

الخبر عن الخلفاء من بني العباس أيام الفتنة، وتغلب الأولياء وتضايق نطاق الدولة باستبداد الولاة في النواحي من لدن المنتصر الى ايام المستكفي

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدّت ايالتهم على جميع ممالك الاسلام، كما كان بنو أمية من قبلهم . ثم لحق بالاندلس من فلّ بني أمية من ولد هشام بن عبد الملك حافده عبد الرحمن

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠٦: فتوافى الجند والشاكرية بباب العامة وبالجعفرية وغيرهم من الغوغاء والعامة وكثر الناس وتسامعوا وركب بعضهم بعضاً.

ابن معاوية بن هشام، ونجا من تلك الملكة فأجاز البحر ودخل الاندلس، فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهري، وخطب للسفاح فيها حولاً ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعذلوه في ذلك فقطع الدعوة عنهم. وبقيت بلاد الاندلس مقتطعة من الدولة الاسلامية عن بني العباس. ثم لما كانت وقعة فتح أيام الهادي علي بن الحسن بن علي سنة تسع وتسعين ومائة، وقتل داعيتهم يومئذ حسين بن علي بن حسن المثنى وجماعة من أهل بيته ونجا آخرون، وخلص منهم ادريس بن عبدالله بن حسن الى المغرب الاقصى، وقام بدعوته البرابرة هنالك، فاقتطع المغرب عن بني العباس فاستحدثوا هنالك دولة لانفسهم.

ثم ضعفت الدولة العبّاسيّة بعد الاستفحال، وتغلب على الخليفة فيها الاولياء والقرابة والمصطنعون، وصار تحت حُجْرهم من حين قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد، وصار العلويّة الى النواحي مظهرين لدعوتهم، فدعا أبو عبد الله الشيعي سنة ست وثمانين ومائتين بافريقية في طامة لعبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق وبايع له، وانتزع افريقية من يد بني الأغلب واستولى عليها وعلى المغرب الاقصى ومصر والشام، واقتطعوا سائر هذه الاعمال عن بني العباس واستحدثوا له دولة أقامت مئتين وسبعين سنة كما يذكر في أخبارهم. ثم ظهر بطَبَرَستان من العلويّة الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن

ابن زيد بن الحسن السبط ويعرف بالداعي، خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحق بالديلم فأسلموا على يديه، وملك طبرستان ونواحيها وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة احدى وثلثمائة الأطروش من بني الحسين، ثم من بني علي، عمر داعي الطالقان أيام المعتصم، وقد مرّ خبره. واسم هذا الاطروش الحسن بن علي بن الحسين بن علي ابن عمر، وكانت لهم دولة وانقرضت أيام الحسين، واستولى عليها الديلم، وصارت لهم دولة أخرى.

وظهر باليمن الرئيس وهو ابن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن المثنى فأظهر هنالك دعوة الزيدية وملك صعدة وصنعاء وبلاد اليمن، وكانت لهم هنالك دولة ولم تزل حتى الآن. وأوّل من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاسم سنة تسعين ومائتين ثم ظهر أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج ادّعى انه أحمد[1] ابن عيسى بن زيد الشهيد، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي، وطعن الناس في نسبه فادّعى أنه من ولد يحيى بن زيد قتيل الجوزجان، وقيل إنه انتسب الى طاهر بن الحسين بن علي والذي ثبت عند المحققين أنه علي بن عبد الرحيم بن عبد القيس، فكانت له ولبنيه دولة بنواحي البصرة أيام الفتنة قام بها الزنج الى أن انقرضت على يد المعتضد أيام التسعين ومائتين.

ثم ظهر القرمط بنواحي البحرين وعمان فسار اليها من الكوفة

(١) قوله أحمد في المروج أنه علي بن أحمد اهـ مصححة.

سنة تسع وسبعين أيام المعتضد ، وانتسب الى بني اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق دعوى كاذبة ، وكان من أصحابه الحسن الجمالي وزكرونة القاشاني، فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا لعبد الله المهدي وغلبوا على البصرة والكوفة، ثم انقطعوا عنها الى البحرين وعمان ، وكانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة ، وتغلب عليهم العرب من بني سُلَيْم وبني عقيل. وفي خلال ذلك استبدّ بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا على الدعوة إلا انهم لا ينفذون أوامر الخلفاء ، وأقامت دولتهم الى آخر المئة الرابعة.

ثم اتصلت دولة أخرى في مواليهم بغزنة الى منتصف المائة السادسة ، وكانت للاغالبة بالقيروان وافريقية دولة أخرى بمصر والشام بالاستبداد من لدن الخمسين والمائتين أيام الفتنة الى آخر المائة الثالثة ، ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طفج الى الستين والثلثمائة. وفي خلال هذا كله تضايق نطاق الدولة العبّاسيّة الى نواحي السواد والجزيرة فقط ، إلا انهم قائمون ببغداد على أمرهم. ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على النواحي وملكوا الاعمال ثم ساروا الى بغداد وملكوها وصيروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعوام الثلاثين والثلثمائة ، وكانت من أعظم الدول. ثم أخذها من أياديهم السُلْجُوقيّة من الغُزّ احدى شعوب الترك ، فلم تزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة الى

آخر المائة السادسة، وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم.

وتشعبت عنها دول هي متصلة الى عهدنا حسبما يذكر ذلك كله في مكانه، ثم استبدّ الخلفاء من بني العباس آخراً في هذا النطاق الضيّق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس، الى ان خرج التتار من مفازة الصين وزحفوا الى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية، وزحفوا الى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم، وانقرض امر الخلافة، وذلك سنة ست وخمسين وستمائة. ثم اسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة، وتشعبت عنها دول لهم ولاشياعهم في النواحي وهي باقية لهذا العهد آخذة في الثلاثين كما نذكر ذلك كله في اماكنه.

دولة المنتصر

ولما بويع المنتصر كما ذكرناه ولى على المظالم ابا عمرو احمد بن سعيد، وعلى دمشق عيسى بن محمد النَوْشَرِي، وكان على وزارته احمد بن الخصيب، واستقامت اموره وتفاوض وصيف وبغا واحمد ابن الخصيب في شأن المعتز والمؤيد لما توقعوا من سطوتهما بسبب قتل المتوكل، فحملوا المنتصر على خلعهما لاربعين يوماً من خلافته وبعث اليهما بذلك، فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وأوهموه القتل، فخلا به المؤيد وتلطف به حتى اجاب وخلع نفسه وكتبا ذلك بخطهما. ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الامراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم الى ذلك

خشية عليكما منهم، فقبّلا يده وشكرا له وشهد عليهما القضاة وبنو هاشم والقوادووجوه الناس، وكتب بذلك المنتصر الى الآفاق والى محمد بن طاهر ببغداد . ثم ان احمد بن الخصيب اخا المنتصر امر باخراج وصيف للصائفة وابعاده عن الدولة لما بينهما من الشحناء، فأحضره المنتصر وقال له : قد اتانا من طاغية الروم انّه افسد الثغر فلا بدّ من مسيرك او مسيري، فقال بل انا اشخص يا امير المؤمنين ! فأمر احمد بن الخصيب ان يجهّزه ويزيح علل العسكر معه، وامره ان يوافي ثغر مَلَطْيَةَ، فسار، وعلى مقدّمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح، وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد القروالي ان يأتيه رأيه .

وفاة المنتصر وبيعة المستعين

ثم أصابت المنتصر عِلّةُ الذبْحَةِ فهلك لخمس بقين من ربيع الأول من سنة ثمان واربعين ومائتين لستة أشهر من ولايته، وقيل بل أكثر من ذلك، فجعل السُمّ في مشرطة الطبيب، فاجتمع الموالي في القصر وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش وغيرهم، فاستحلفوا قوّاد الأتراك والمغاربة والأشْرُوسيّة على الرضا بمن يرضونه لهم، ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الخصيب، فعدلوا عن ولد المتوكل خوفاً منهم ونظروا في ولد المعتصم فبايعوه واستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش وغدا على دار العامة في زيّ الخلافة، وابراهيم بن اسحق يحمل بين يديه الحربة،

وصفّت المماليك والاشروسنّية صفين بترتيب دواجن، وحضر أصحاب المراتب من العباسيين والطالبيين، وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبدالله بن طاهر، والغوغاء [1] فشهروا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشدّوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا، ثم جاءت المبيّضة والشاكريّة وحمل عليهم المغاربة والاشروسية، فنشبت الحرب وانتهبت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة، وجاء بغا الصغير، فدفعهم عنها وقتل منهم عدّة وفتقت السجون وتمت بيعة الأتراك للمستعين، ووضع العطاء على البيعة وبعث الى محمد بن عبدالله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد.

ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبدالله بن طاهر بخراسان، وهلك عمه الحسين بن طاهر بمرو، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه، وعقد لمحمد بن عبدالله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين، وولّى عمه طلحة على نيسابور، وابنه منصور بن طلحة على مرو وسَرَخْس وخوارَزْم، وعمه الحُسَين بن عبدالله على هَراةَ وأعمالها، وعمه سليمان بن عبدالله على طَبَرَسْتان، والعبّاس ابن عمه على الجوزَجان والطالقان.

ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أتاجور من قوّاد الترك الى العمرط الثعلبي فقتله، واستأذنه عبدالله

(١) كذا بالأصل ومقتضى السياق: وأما الغوغاء فشهروا السلاح.

ابن يحيى بن خان في الحج فأذن له، ثم بعث خلفه من نفاه الى برقة، وحبس المعتزّ والمؤيّد في حجره بالجوسق بعد أن أراد قواد الاتراك قتلهما، فنعهم أحمد بن الخصيب من ذلك. ثم قبض على أحمد بن الخصيب فاستصفى ماله ومال ولده ونفاه الى قرطيش، واستوزر أتامش [1] وعقد له على مصر والمغرب، وعقد لبغا الصغير على حُلوان وماسبدان ومهرجا تمرف، وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخاصة أموره وخدمه، واشناس على جميع الناس. وعزل علي بن يحيى الارمني عن الثغور الشاميّةِ وعقد له على أرمينية وأذَرَبِيْجانَ. وكان على حمص كندر، فوثب به أهلها فأخرجوه، فبعث المستعين الفضل ابن قارنَ وهو أخو مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم الى سامرا، وبعث المستعين الى وصيف وهو بالثغر الشامي بأن يغزو بالصائفة، فدخل بلاد الروم وافتتح حصن فروريّة. ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير، واستأذنه عمر بن عبدالله الاقطع في تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل في جماعة من أهل مَلَطْيَة ولقي ملك الروم فخرج الاسقف في خمسين ألفاً أحاطوا به، وقتل عمر في ألفين من المسلمين. وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم، وبلغ ذلك عليّ بن يحيى وهو قابل من ارمينية الى ميافارقين ومعه جماعة من أهلها، فنفر اليهم وهو في نحو اربعمائة فقتلوا وقتل.

(١) كذا وهو اسم مكان ولعله محرف.

فتنة بغداد وسامرا

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبدالله وعليّ ابن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغَناء في الجهاد، واشتدّ نكيرهم على الترك في غفلتهم عن المصالح، وتذكروا قتل المتوكل واستيلاءهم على الامور، فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير الى الجهاد. وانضمّ اليهم الشاكِرِيّة يطلبون ارزاقهم، ثم فتقوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبدالله بن طاهر. ثم اخرج اهل اليسار من بغداد الأموال ففرّقوها في المجاهدين، وجاءت العامّة من الجبال وفارس والاهواز فنفروا للغزو، ولم يظهر للمستعين ولا لاهل الدولة في ذلك اثر. ثم وثب العامة بسامرا وفتقوا السجون وخرج من كان فيها، وجاء جماعة من الموالي في طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم، وركب بغا ووصيف وأتامش في الترك فقتلوا من العامة خلقاً وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة.

مقتل أتامش

كان المستعين لما وَلِيَ أطلق يد امِّه وأتامش وشاهك الخادم في الاموال، وما فضل عنهم فلنفقات العباس بن المستعين وكان في حجر اتامش، فبعث ذلك عليه بغا ووصيف، وضاق حال الاتراك والفراعنة ودسّهم عليهم بغا ووصيف، فخرج منهم اهل الكرخ والدور وقصدوه في الجَوْسَق مع المستعين، واراد الهرب فلم يطق

واستجار بالمستعين فلم يُجِره، وحاصروه يومين. ثم افتتحوا عليه الجوسق وقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم ونهبت اموالهم، واستوزر المستعين مكانه أبا عبدالله بن محمد بن عليّ على الاهواز، وبغا الصغير على فلسطين. ثم غضب بغا الصغير على ابي صالح فهرب الى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجَرْجانيّ، وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد.

ظهور يحيى بن عمر ومقتله

كان على الطالبيين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنّى ابا الحسين، وامه من ولد عبدالله بن جعفر وكان من سراتهم ووجوههم، وكان عمر بن فرج يتولى امر الطالبيين ايام المتوكل، فعرض له ابو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدين لزمه، فأغلظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق الى بغداد. ثم جاء الى سامرا، وقد أملق فتعرض لوصيف في رزق يجرى له، فأساءه [1] عليه واليها فرجع الى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن عليّ من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر، فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من الاعراب واهل الكوفة، ودعا للرضي من آل محمد ففتق السجون ونهبها وطرد العمال، واخذ من بيت المال الفي دينار وسبعين الف درهم.

---

(١) كذا ولعلها بمعنى أساء إجراءه عليه.

وكان صاحب البريد قد طَيَّر بخبره الى محمد بن عبدالله بن طاهر، فكتب الى عامله بالسواد عبدالله بن محمود السرخسي ان يصير مدداً الى الكوفة، فلقيه وقاتله، فهزمهم يحيى، وانتهب ما معهم وخرج الى سواد الكوفة وتبعه خلق من الزيديّة، وانتهى الى ناحية واسط وكثرت جموعه. وسرّح محمد بن عبدالله بن طاهر الى محاربة الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب في العساكر فسار اليه.

وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطّاب المعروف بوجه الفَلْس فهزمه يحيى الى ناحية ساهي، ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيديّة واشتمل عليه عامة اهل الكوفة وامداد الزيدية من بغداد، وجاء الحسين بن اسماعيل وانضمّ اليه عبد الرحمن بن الخطاب. وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصَبّحَ العساكر فساروا اليه فهزموه ووضعوا السيف في اصحابه، واسروا الكثير من اتباعه كان منهم الهَيْصَمُ العِجْلِيّ وغيره، وانجلت الحرب عن يحيى بن عمر قتيلًا فبعثوا برأسه الى محمد بن عبدالله بن طاهر فبعث به الى المستعين، وجعل في صندوق في بيت السلاح، وجيء بالاسرى فحبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين [1].

(١) كذا في الأصل، وقد ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في حوادث سنة خمسين ومائتين.

الدّولة العلويّة

ابتداء الدولة العلوية بطبرستان

لما ظهر محمد بن عبدالله بن طاهر بيحيى بن عمرو وكان له من الغَناء في حربه ما قدّمناه، أقطعه المستعين قطائع من صوافي السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس، وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلأ، مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعي، وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمه سليمان بن عبدالله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع، وكان سليمان مكفولاً لأمّه، وقد حظي عندها وتقدّم وفرّق أولاده في أعمال طبرستان. وأساؤا السيرة في الرعايا، ودخل محمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسالمون، فسبى منهم وانحرفوا لذلك. وجاء نائب محمد بن عبدالله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الارض الموات المرصدة لمرافق الناس، فنكر ذلك الناظر على تلك الارض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك، فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان. وبعث ابنا رستم الى الديلم يستنجدانهم على حرب سليمان، وبعثا الى محمد بن ابراهيم من العلويين بطبرستان يدعوانه الى القيام بأمره، فامتنع ودلهما

على كبير العلوية بالري الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط، فشخص اليها وقد اجتمع أهل كلار وسالوس ومقدّمهم ابنا رستم وأهل الرّيان ومعهم الديلم بأسرهم، فبايعوه جميعاً وطردوا عمال سليمان وابن أوس .

ثم انضمّ اليهم جبال طَبَرْسَتَان وزحف الحسن بمن معه الى مدينة آمد، وخرج ابن أوس من سارية لمدافعته، فانهزم ولحق بسليمان من سارية، فخرج سليمان لحرب الحسن . ولما التقى الجمعان بعث الحسن بعض قوّاده خالف سليمان الى سارية، وسمع بذلك سليمان فانهزم، وملك الحسن سارية وبعث بعيال سليمان وأولاده في البحر الى جرجان . وقيل : ان سليمان انهزم اختياراً لما كان بنو طاهر يتهمون به من التشييع [1] . ثم بعث الحسن الى الريّ ابن عمه وهو القاسم بن علي بن اسماعيل، ويقال محمد بن جعفر ابن عبدالله العقيقي بن الحسين بن علي بن زين العابدين، فملكها . وبعث المستعين جنداً الى همذان ليمنعها . ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الريّ أساء السيرة، وبعث محمد بن طاهر قائد محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الريّ وانتزعها منه وأسره، فبعث اليه الحسن بن زيد قائده دواجن، فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الري . ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان الى طبرستان فملكها، ولحق الحسين بالديلم، وسار سليمان الى سارية

(١) كذا وهي التشيع .

وآمد ومعهم أبناء قارن بن شهرزاد، فصفح عنهم ونهى أصحابه عن الفتك والاذى . ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الريّ من يدي أبي دُلف، وبعث مصلحاً الى طبرستان فحارب الحسن ابن زيد وهزمه، واستولى على طبرستان، ولحق الحسن بالديلم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع الى موسى بالريّ .

مقتل باغر

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بغا الصغير، ولما قتل المتوكل زيد في أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمنها له بعض أهل باروسما بألفي دينار فطلبه ابن مارمة وكيل باغر وحبسه، ثم تخلص وسار الى سامرا وكانت له ذمّة من نصراني عند بغا الصغير، فأجاره النصراني من كيد بغا وأغراه به، فغضب لذلك باغر وشكى الى بغا فأغلظ له القول وقال: اني مستبدل من النصراني، وأفعل فيه بعد ذلك ما تريد . ودسّ الى النصراني بالحذر من باغر وأظهر عزله، وبقي باغر يتهدّده وقد انقطع عن المستعين، وقد منعه بغا في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان، فسأل المستعين وصيفاً من أعمال اتياخ وقلدها لباغر، فعذل وصيفاً في الشأن فحلف له انه ما علم قصد الخليفة . وتنكر بغا لباغر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكل وجدّد عليهم العهد في قتل المستعين وبغا ووصيف، وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الامر لهم . ونما الخبر على الترك الى المستعين فأحضر بغا ووصيفاً

وأعلمها بالخبر، فحلفا له على العلم وأمروا بحبس باغر ورجلين معه من الاتراك، فسخطوا ذلك وثاروا فانتهبوا الاصطبل وحضروا الجوثق . وأمر بغا ووصيف وشاهك الخادم وكاتبه أحمد بن صالح ابن شيرزاده، ونزل على محمد بن طاهر في بيته في المحرّم سنة احدى وخمسين، ولحق به القوّاد والكتاب والعمال وبنو هاشم، وتخلّف جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ، فندم الاتراك وركب جاعة من قوّادهم الى المستعين وأصحابه ليردّوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا في بيعة المعتز .

بيعة المعتز وحصار المستعين

كان قوّاد الاتراك لما جاؤا الى المستعين ببغداد يعتذرون من فعلهم ويتطارحون في الرضا عنهم والرجوع الى دار مكة وهو يوبخهم ويعدّد عليهم إحسانه وإساءتهم، ولم يزالوا به حتى صرّح لهم بالرضا فقال بعضهم : فان كنت رضيت فقم واركب معنا الى سامرا فكلمه ابن طاهر لسوء خطابهم، وضحك المستعين لعُجْمتهم وجهلهم بآداب الخطاب، وأمر باستمرار ارزاقهم ووعدهم بالرجوع، فانصرفوا حاقدين ما كان من ابن طاهر، وأخرجوا المعتزّ من محبسه وبايعوا له بالخلافة، وأعطى الناس شهرين . وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال : قد خلعت نفسك ! فقال أكرهت ! فقال ما علمنا ذلك ولا مخلص لنا في ايماننا فتركه .

وولوا على الشرطة ابراهيم البريح وأضيفت له الكتابة والدواوين

وبيت المال، وهرب عتاب بن عتاب من القوّاد الى بغداد، وقام محمد بن عبدالله بن طاهر بالاحتشاد، واستقدم مالك بن طوق في أهل بيته وجنده، وأمر حَوْبَةَ بن قيس ــ وهو على الانبار ــ بالاحتشاد . وكتب الى سليمان بن عِمْران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سامرا وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الاسوار والخنادق من الجانبين، وجعل على كل باب قائداً، ونصب على الابواب المجانيق والعرادات، وشحن الاسوار بالرماة والمقاتِلَةِ، وبلغت النفقة في ذلك ثلثمائة وثلاثين ألف دينار، وفوّض للعيّارين الرزق وأغدق عليهم، وأنفذ كتب المستعين الى العمال بالنواحي تحمل الخراج الى بغداد .

وكتب المستعين الى الاتراك يأمرهم بالرجوع عما فعلوا، وكتب المعتزّ الى محمد يدعوه الى بيعته، وطالت المراجعات في ذلك، وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حمص، فاختلفت اليه وهو بالشام كتب المستعين والمعتز يدعوه كل واحد منهما الى نفسه، فأختار المعتز ورجع اليه، وهرب اليه عبدالله بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه فقتله . وهرب الحسن بن الافشين الى بغداد فخلع عليه المستعين وضمّ اليه الاشروسِيَّة . ثم عقد المعتز لاخيه الى أحمد الواثق عن حرب بغداد وضمّ اليه الجنود مع باكليال من قوّادهم، فسار في خمسين الفاً من الاتراك والفراغنة والمَغاربة، وانتهبوا ما بين عكبرا وبغداد من القرى والضياع

وخرّبوها، وهرب اليهم جماعة من أصحاب بغا الصغير ووصلوا الى باب الشماسية .

وولى المستعين على باب الشماسية الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن مُصعَب، وجعل القوّاد هنالك تحت يده، ووافت طلائع الاتراك الى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه وأمدّه ابن طاهر بالشاه بن ميكال وبيداو الطبري . ثم ركب محمد بن عبد الله بن طاهر من الغد ومعه بغا ووصيف والفقهاء والقضاة، وذلك عاشر صفر، وبعث اليهم يدعوهم الى مراجعة الطاعة على المعتز ولي عهده فلم يجيبوا، فانصرفوا وبعث اليه القوّاد من الغد بأنهم زحفوا الى باب الشماسية فنهاهم عن مناداتهم بالقتال .

وقدم ذلك اليوم عبد الله بن سليمان خليفة بغا من مكة في ثلثمائة رجل . ثم جاء الاتراك من الغد فاقتتلوا مع القوّاد وانهزم القوّاد، وبلغ ابن طاهر أن جماعة من الاتراك ساروا نحو النهروان، فبعث قائداً من أصحابه اليهم فرجع منهزماً، واستولى الاتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد . ثم بعث المعتز عسكراً آخر نحو اربعة آلاف فنزلوا في الجانب الغربي، وبعث ابن طاهر اليهم الشاه بن ميكال فهزمهم وأثخن فيهم، ورجع الى بغداد فخلع عليه وسائر القوّاد أربع خلع وطوقاً وسواراً من ذهب لكل واحد . ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والحوانيت الى باب الشماسية ليتسع المجال للحرب، وقدمت عليه أموال فارس والاهواز مع

مكحول الأشروسي، وخرج الاتراك لاعتراضه. وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به بغداد ولم يظفر به الاتراك، ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر.

وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد والياً على الثغور الجزريّة وأقام ينتظر الجند والمال، فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرَّقةِ الى بغداد، فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف لمحاربتهم، وصار الى ضُبَيْعَة بالسواد فأقام بها. فقال ابن طاهر: لن يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به، ثم ذهب الاتراك وقاتلوا. واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهبت الاسواق، وورد الخبر من الثغور بأن بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز. فقال ابن طاهر: لعله ظنّ موت المستعين فكان كذلك، ووصل كتابه بأنه جدّد البيعة. وكان موسى بن بغا مع الاتراك كما قد قدّمنا فأراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره، وفرّ القطّاطون من البصرة ورموا على الاتراك فأحرقوهم، فبعث ابن طاهر الى المدائن ليحفظها وأمده بثلاثة آلاف فارس، وبعث الى الانبار حوبة بن قيس فشق الماء الى خندقها من الفرات وجاء الى الاسحاقي من قبل المعتز، فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر وملك الانبار.

ورجع حَوْبَةُ الى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحُسَيْن بن اسماعيل في جماعة من القواد والجند، فاعترضه الاتراك وحاربوه وعاد الى

الأنبار ، وتقدّم هو لينزل عليهما، وبينما هو يَحطّ الأثقال اذا بالاتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم ، وكانوا قد كمنوا له فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات. وأخذ الاتراك عسكره ووصل الى الياسِرِيّةِ آخر جمادي الآخرة ، ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد، وتوعدهم على الرجوع اليه. وأمدّه بجند آخر فدخل من الياسرية، وبعث على المخاض الحسين بن عليّ بن يحيى الأرميني في مائتي مقاتل ليمنع الاتراك من العبور اليه من عدوة الفرات، فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه، وركب الحسين في زورق منحدراً ، وترك عسكره وأثقاله فاستولى عليها الاتراك، ووصل المنهزمون الى بغداد من ليلتهم. ولحق من عسكره جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم عليّ ومحمد ابنا الواثق ، وذلك أوّل رجب.

ثم كانت بينهم عدة وقعات، وقتل من الفريقين خلق، ودخل الاتراك في كثير من الايام بغداد وأخرجوا عنها. ثم ساروا الى المدائن وغلبوا عليها ابن أبي السَفّاح وملكوها. وجاء الاتراك الذين بالأنبار الى الجانب الغربي، وانتهوا الى صَرصَر وقصر ابن هُبَيْرَة ، واتصل الحصار الى شهر ذي القعدة ، وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القواد والعساكر، فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق ؛ وارتقم الذين كانوا مع بغا ووصيف لذلك فلحقوا بالاتراك. ثم تراجع الاتراك وانهزم أهل بغداد.

ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس أخو الافشين ساعياً في الصلح بين الفريقين، واتهم الناس ابن طاهر بالسعي في خلع المستعين، فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه ابي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر، وعمدوا الى دار رشيد ليهدموها، وسأل ابن طاهر من المستعين أن يسكنهم فخرج اليهم ونهاهم وبرأ ابن طاهر مما اتهموه به فانصرفوا، وتردّدت الرسل بين ابن طاهر وبين ابي أحمد فتجدّد للعامة والجند سوء الظنّ. وطلب الجند أرزاقهم فوعدهم بشهرين، وأمرهم بالنزول فأبوا إلّا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين. وخاف أن يدخلوا الاتراك كما عمل أهل المدائن والانبار، فاصعد المستعين على سطح دار العامّة حتى رآه الناس وبيده البُرْدَةُ والقضيب، وأقسم عليهم فانصرفوا.

واعتزم ابن طاهر على التحوّل الى المدائن، فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالغَوْغاء فأقصروا بنقل المستعين عن دار ابن طاهر الى دار رزق الخادم بالرصافة. وأمر القواد وبني هاشم بالكون مع ابن طاهر، فركب في تعبية وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الاصلاح فدعوا له، وسار الى المستعين وأغراه به، وأمر بغا ووصيفاً بقتله فلم يفعلا. وجاءه احمد ابن اسرائيل والحُسَيْنُ بن مخلد بمثل ذلك في المستعين، فتغير له ابن طاهر. فلما كان يوم الاضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بامضاء الصلح، فأجاب وخرج الى باب الشماسية، فجلس هناك ابن طاهر الى المستعين

وأخبره بأنه عقد الامر الى أن يخلع نفسه، ويبذلوا له خمسين ألف دينار، ويعطوه غلة ثلاثين ألف دينار، ويقيم بالحجاز متردداً بين الحرمين، ويكون بغا والياً على الحجاز، ووصيف على الجبل، ويكون ثلث الجباية لابن طاهر، وجند بغداد والثلثان للموالي والاتراك. فامتنع المستعين أوّلا من الخلع ظنّاً منه أن وصيفاً وبغا معه. ثم تبيّن موافقتها عليه، فأجاب وكتب بما أراد من الشروط، وأدخل الفقهاء والقضاة وأشهدهم بأنه قد صير أمره الى ابن طاهر. ثم أحضر القوّاد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الاصلاح الا حقن الدماء، وأخرجهم الى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على اقراره، فجاؤا بذلك لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك

ولما تمّ ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتزّ على كتاب الشروط أخذ البيعة للمعتزّ على أهل بغداد، وخطب له بها وبايع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك، فنقله من الرصافة الى قصر الحَسَنِ بن سَهْلٍ ومعه عياله وأهله، وأخذ البُرْدَةَ والقضيب والخاتم ومنع من الخروج الى مكة، فطلب البصرة فمنع منها، وبعث الى واسط. فاستوزر المعتزّ أحمد بن أبي اسرائيل، ورجع أخوه أبو أحمد الى سامرا. وفي آخر المحرّم انصرف أبو الساج دِيْوَاذُ ابن درموسب الى بغداد، فقلده ابن طاهر معاون السواد، فبعث

معه مؤنه اليها لطرد الاتراك والمغاربة عنها، وسار هو الى الكوفة.

ثم كتب المعتزّ الى ابن طاهر باسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين، وكان محمد أبو عون من قوّاد ابن طاهر قد تكفل لابي اسحاق بقتلهما، وعقد له المعتز على اليامة والبحرين والبصرة. ونمي الخبر اليهما بذلك فركبا الى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن القوم قد نقضوا العهد. ثم بعث وصيف أخته سعاد الى المؤيد، وكان في حُجْرِها فاستوهبت له الرضا من المعتز، وكذا فعل أبو أحمد مع بغا، وكتب لهم المعتز جميعاً بالرضا. ثم رغب الاتراك في احضارهما بسامرا، فكتب بذلك ودسّ الى ابن طاهر بمنعهما فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما. وحضرا بسامرا فعقد اليهما المعتز على أعمالهما، وردّ البريد الى موسى بن بغا الكبير.

ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان، جاؤا اليه يطلبون أرزاقهم قال: كتبت الى أمير المؤمنين في ذلك فكتب إليّ إن كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم، وان كان لنا فلا حاجة لنا فيهم. فشغبوا ففرّق فيهم ألفي دينار فسكنوا. ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا الخيام بباب الشماسيّة وبنوا البيوت من الاعواد والقصب. وجمع محمد بن ابراهيم أصحابه وشحن داره بالرجال، وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فقعد واعتذر بالمرض، فخرجوا الى الجسر ليقطعوه فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه. ثم دفعوا أصحاب ابن

طاهر باعانة أهل الجانب الشرقي، وجاء العامّة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر باحراق الحوانيت الى باب الجسر، ومات أصحاب تعبية الحرب وجاء من دله على عورة الجند، فسرح الشاه ابن ميكال وعرض القواد فسار الى ناحيتهم، وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل.

وحمل رئيسهم الآخر ابن القاسم عَبْدون بن المُوَفَّق الى ابن طاهر ومات في خلال ذلك. وأخرج المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد، وذلك أنّ العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث الى المؤيد بخمسة آلاف دينار، فأخذها عيسى بن فرخانشاه، فأغرى المؤيد بعيسى الاتراك والمَغاربة، فبعث المعتز الى المؤيد وأبي أحمد فحبسهما وقيّد المؤيد، فأخذ خطّه بخلع نفسه. ثم نمي اليه أن الاتراك يرومون إخراجه من الحبس، فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك، وأخرج المؤيد من الغد ميتاً ودفنته أمّه، فيقال غطّي على أنفه فمات، وقيل أقعد في الثلج ووضع على رأسه. ثم نقل أخوه ابن احمد الى مجلسه.

ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين، فكتب الى محمد بن عبدالله ابن طاهر ان يسلّمه الى سيما الخادم، وكتب محمد في ذلك الى الموكلين به بواسط، يقال بل أرسل بذلك أحمد بن طولون، فسار به في القاطون وسلّمه الى سعيد بن صالح، فضربه سعيد حتى مات، وقيل ألقاه في دجلة بحجر في رجله، وكانت معه دابته فقتلت معه وحمل رأسه الى المعتز فأمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف

درهم وولاه معونة البصرة . ثم وقعت فتنة بين الاتراك والمغاربة مستهل رجب، بسبب ان الاتراك وثبوا بعيسى بن فرخانشاه فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد، فامتعضت المغاربة له ونكروا على الاتراك وغلبوهم على الجوسق، وأخذوا دوابهم وركبوها وملكوا بيت المال .

واستجاش الاتراك بمن كان منهم في الكرخ والدور، وانضم الغوغاء والشاكرية الى المغاربة، فضعفت الاتراك عن لقائهم وسعى بينهم جعفر بن عبد الواحد في الصلح، فتوادعوا أياماً . ثم اجتمع الاتراك على حين افتراق المغاربة، فقصد محمد بن راشد ونصر بن سعيد منزل محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الهيعة، فدس للاتراك بخبرهما وجاؤا فقتلوهما في منزله وبلغ ذلك المعتز فهم بقتل ابن عون ثم نفاه .

أخبار مساور الخارجي

كان الوالي على الموصل عُقْبَةُ بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث بن هاني الخزاعِيّ وكان صاحبُ الشرطة بالْحَدِيثَةِ من أعمالها حسين بن بكير، وكان مساور بن عبدالله بن مساور البَجَلِيّ من الخوارج يسكن بالبوازيج . وحبس صاحب الشرطة حسين بن بكير بالحديثة ابنا للمساور هذا يسمى جوثرة وكان جميلاً، فكتب الى أبيه مساور بأنّ حسين بن بكير نال منه الفاحشة، فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة، فاختفى حسين وأخرج ابنه من

الحبس . ثم كثر جمعه من الاكراد والاعراب، وقصد الموصل فقاتلها أياماً، ثم رجع فكان تحت طريق خُراسان، وكانت لنظر بندار ومظفر بن مشبك[1] فسار اليه بندار في ثلثمائة مقاتل، والخوارج مع مساور في سبعمائة فهزموه وقتلوه، ولم ينج منهم الا نحو خمسين رجلاً، وفرّ مظفر الى بغداد .

وجاء الخوارج الى جلولاء، وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق . ثم سار خطرمش في العساكر فلقيهم بجلولاء، وهزمه مساور . ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل، ثم ولى الموصل أيوب بن احمد بن عمر بن الخطاب التغلبي سنة اربع وخمسين، فاستخلف عليها ابنه الحسن، فجمع عسكراً كان فيهم حمدون بن الحرث بن لقمان جد الامراء من بني حمدان، ومحمد ابن عبدالله بن السيّد بن انس، وسار الى مساور وعبر اليه نهر الزاب، فتأخر عن موضعه . وسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل، وقتل محمد بن السيد الازدي، ونجا الحسن ابن أيوب الى اعمال اربل .

ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين خلع المعتز وبويع للمهتدي، وولى على الموصل عبدالله بن سليمان . فزحف اليه مساور، وخام عبدالله عن لقائه، فملك مساور البلد، وأقام بها جمعة وصلى وخطب، ثم خرج منها الى الحُدَيْثَةِ وكانت دار هجرته . ثم

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٥ ص ٣٣٥: مظفر بن سيسل.

انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زُهَير العُمَرِيّ بسبب الخلاف في توبة الخاطيء. وقال عبيدة لا تقبل واجتمع معه جماعة، وخرج اليهم مساور من الحديثة واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم قتل عبيدة وانهزم اصحابه.

وخرج اليه آخر من بني زَهْرٍ اسمه طوق، فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العَدَوِيّ جمعاً كثيراً وحاربه فقاتله سنة خمس او سبع، واستولى مساور على اكثر العراق ومنع الاموال، فسار اليه موسى ابن بغا بابكيال في العساكر فانتهوا الى (1) وبلغهم خبر الاتراك مع المهتدي فأقاموا ثم زحفوا بخلع المهتدي، فلما ولي المعتمد سيَّر مفلحاً الى قتال مساور في عسكر كبير، وخرج مساور عن الحديثة الى جبلين حذاءها وقاتله مفلح في اتباعه، ولحق الجبل فاعتصم به وأقام مفلح في حصاره، فكانت بينهما وقعات، وكثرت الجراحة في أصحاب مساور من لدن حربه مع عبيدة الى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار الى الموصل ثم الى ديار ربيعة وسنجار ونصيبين والخابور، فأصلح أمورها وخرج من الموصل الى الحديثة ففارقها عنه، فرجع مساور

(1) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ٣٤٥: ثم أتى بأكيال التركي، كتب إليه ولاية طريق خراسان في ذي القعدة، وكان مساور بن عبد الحميد قد استخلف رجلا اسمه موسى بالدسكرة ونواحيها في ثلاثمائة رجل وإليه ما بين حلوان والسوس على طريق خراسان وبطن جوخي.

في اتباعهم يتخطف من أعقابهم ويقاتلهم حتى وصل الحديثة، فأقام بها أياماً، ثم سار الى بغداد في رمضان سنة ست وخمسين، فرجع مساور الى الحديثة واستولى على البلاد واشتدت شوكته، ثم أوقع به مسرور البلخي سنة ثمان وخمسين، وجهز العسكر بالحديثة مع جعلان من قواد الترك . ثم قتل سنة احدى وستين يحيي بن جعفر من ولاة خراسان، وسار مسرور في طلبه وتبعه الموفق فلم يدركاه .

مقتل وصيف ثم بغا

وفي سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز اجتمع الجند من الاتراك والفراغنة والاشروسية فطلبوا ارزاقهم منهم لاربعة أشهر وشغبوا، فخرج اليهم بغا ووصيف وسيما الطويل، وكلمهم وصيف واعتذر بعدم المال وقال: خذوا الزاب في أرزاقكم . ونزلوا بدار اشناس يتناظرون في ذلك، ومضى بغا وسيما الى المعتز يسألانه في أمرهم، وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه . ثم انقادوا وأهدر لهم ذلك، وجعل المعتز لبغا الشرابي ما كان لوصيف، وألبسه التاج والوشاحين، ثم تغير له المعتز لما عليه من الاستبداد على الدولة، وخشي غائلته ومال باطناً الى بابكيال وداخله في أمره واعتده لذلك .

ثم زوج بغا ابنته آمنة من صالح بن وصيف وشغل بجهازها، فركب المعتز في تلك الغفلة ومعه حمدان بن اسرائيل الى بابكيال

في كرخ سامرا، وكانت بينه وبين بغا وحشة شديدة، وبلغ ذلك بغا فركب في خمسمائة من غلمانه وولده وقوّاده، وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسنّ، وأقام المعتز على وجل لا ينام الا بسلاحه . ثم تعلل أصحاب بغا عليه فأعرض عنهم وركب البحر راجعاً الى بغداد، وجاء الجسر ليلًا لئلا يفطن به الموكلون هنالك، وبعثوا الى المعتز بخبره، فأمر بقتله وحمل اليه رأسه، ونصب بسامرا وأحرقت المغاربة شلوه، وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز .

ابتداء دولة الصفار

كان يعقوب بن الليث عمرو [1] الصفر بسجستان، وكان صالح بن النضر الكناني من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج، وسمى أصحابه المتطوّعة، حتى قيل له صالح المطوّعي، وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبدالله أمير خراسان . وهلك صالح اثر ذلك، وقام بأمر المتطوّعة درهم بن الحسن فكثر اتباعه . وكان يعقوب بن الليث شهماً وكان درهم مضعفاً، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد،

(١) كذا بياضان بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ٣٤٠: استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان .

فاجتمعت المتطوّعة على يعقوب بن الليث، وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرب قراهم، وكانت له شرية في اصحابه لم تكن لاحد قبله، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهراً طاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب السراة، فأحسن الغناء فيه وتجاوزه الى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم سار من سجستان الى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد ابن عبدالله بن طاهر، وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الانباري، فجمع لمحاربة يعقوب وسار اليهم في التعبية، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف . وكان المعتز قد كتب بولاية سجستان، فكتب له الآن بولاية كرمان، وكان على فارس عليّ بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الخراج واعتذر، فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد إعداء كل منهما بصاحبه لان طاعتهما مهوضة (1)، فأرسل عليّ بن الحسين بفارس طوق بن المغلس خليفة على كرمان، وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها، وأقام يعقوب بمكانه قريباً منها يترقب خروج طوق اليه .

وبعد شهرين ارتحل الى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب

(1) كذا وإذا كانت من فعل «هاض» فينبغي أن تكون «مهيضة» أي مكسورة .

وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه، فكر راجعاً واغذ السير فصادفه بعد يومين، وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففرّوا ناجين بأنفسهم، وملك يعقوب كرمان وحبس طوق. وبلغ الخبر الى عليّ بن الحسين وهو على شيراز، فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته، والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما، فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز الى عليّ بن الحسين وأصحابه فانهزموا، وأخذ عليّ أسيراً، واستولى على جميع عسكره، ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج ورجع الى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين.

ويقال بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها عليّ، وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي والاكراد، ورجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الابواب، وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا الى الاهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف، ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بردة، ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحدّ، وكتب الى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع الى سجستان، ثم استعاد الخليفة بعد ذلك فارس وبعث عماله اليها.

ابتداء دولة ابن طولون بمصر

كان بابكيال من أكابر قواد الاتراك مع بغا ووصيف وسيا الطويل، ولما حدثت هذه الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الاعمال والنواحي في اقطاعهم، فاقطع المعتز بابكيال هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدبر، وكان بابكيال مقيماً بالحضرة فنظر فيمن يستخلفه عليها، وكان أحمد بن طولون من أبناء الاتراك وأبوه من سبي فرغانة وربي في دار الخلفاء، ونشأ ابنه احمد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله، وأشير عليه بتوليته فبعثه على مصر فاستولى عليها أوّلا دون أعمالها والاسكندرية. ثم قتل المعتز بابكيال وصارت مصر في اقطاع بارجوع الترك (١)، وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودّة متأكدة، فكتب اليه واستخلفه على مصر جميعها، ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثاً لبنيه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة.

استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد

قد تقدّم لنا أن محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد، وكانت لهم الشرطة وغيرها، وكان مقيماً ببغداد، وكان في المدافعة عن المستعين لما لجأ اليه. ثم صلح ما بينه وبين المعتز، واستقل المعتز بالخلافة والآثار المذكورة. ثم هلك آخر سنة ثلاث وثمانين أيام المعتز وفوض ما كان بيده من الولاية الى

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٣٩: فلما قتل المهتدي بابكيال وصارت مصر لياركوج التركي، وكانت بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة، استعمله على ديار مصر جميعها.

أخيه عبيدالله، نازعه ابنه طاهر في الصلاة عليه ومالت العامّة مع أصحاب طاهر، والقواد مع عبيدالله لوصية أخيه. ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه، وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم.

ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبدالله بن طاهر من خراسان، وولاه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد، وعزل أخاهما عبيدالله. فلما علم عبيدالله تقدم سليمان أخذ ما في بيت المال وانتقل الى غربيّ دجلة، وجاء سليمان وقائده محمد بن أوس ومعه جند من خراسان، فأساؤا السيرة في أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقي في بيت المال، وقدمهم على جند بغداد وشاكريّها، فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون، وعبر ابن أوس الى الجزيرة واتبعه الجند والعامّة، فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب الشماسية، ونهب من منزله قيمة ألفي ألف درهم، ومن الامتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده.

ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمره بالخروج الى خراسان، ثم كانت الفتنة في خلع المعتز وولاية المهدي كما يذكر، وبعث المهتدي سلخ رجب من سنة خمس وخمسين الى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد، وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعثه اليها المعتز، فنقله سليمان الى داره ووثب الجند والعامة لذلك واجتمعوا بباب سليمان، وقاتلهم أصحابه ملياً، ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا الى بيعة أبي أحمد، وطلبوا رؤيته

فأظهره لهم ووعدهم بما طلبوا، فافترقوا ووكل بحفظ أبي أحمد ثم بايع للمهتدي في شعبان من تلك السنة .

خبر كرخ أصبهان وأبي دلف

قد تقدّم لنا شأن أبي دُلَف أيام المأمون وانه كان مقيماً بكرخه، وان المأمون عفا له عما وقع منه في القعود عن نصره، وأقام بتلك الناحية وهلك، فقام ابنه عبد العزيز مكانه . ولما كانت أيام الفتنة تمسّك بطاعة المستعين، وولّى وصيف على الجبل وأصبهان، فكتب الى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع، وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير في شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل وأصبهان، فسار لذلك وفي مقدمته مفلح، فلقيه عبد العزيز بن أبي دلف في عشرين ألفاً خارج همذان، فتحاربا وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه . وسار مفلح الى الكرخ، فخرج اليه عبد العزيز وقاتله ثانية، فانهزم واستولى مفلح على الكرخ . ومضى عبد العزيز الى قلعة نهاوند، فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وأمّه .

ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على أعمال الجبل، ثم عقد لموسى بن بغا، فسار وفي مقدّمته مفلح، فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله . ثم ملك عبد العزيز وقام مكانه ابنه دلف، وقاتله القاسم بن صبهاه من أهالي أصبهان. ثم قتل القاسم أصحاب أبي دلف وولوا أخاه أحمد بن عبد العزيز

سنة خمس وستين . وولاه عمر الصفار من قبله على أصبهان عندما ولاه عليها المعتمد سنة ست وستين، وحاربه كغليغ التركي سنة تسع وستين، فغلبه أحمد وأخرجه الى الصميرة، وبعث اليه عمر سنة ثمان وستين في المال فبعث اليه . ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحمد باصبهان، فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها لنزول الموفق . ثم مات أحمد سنة ثمانين وولّى أخوه عمر وأخوه بكير يرادفه، وقاتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمهما كما يأتي ذكره . ثم قلد المعتضد أَصْبَهَانَ ونَهَاوَنْدَ والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة احدى وثمانين ثم راجعا الطاعة .

خلع المعتز وموته وبيعة المهتدي

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلباً على المعتز وكان كاتبه احمد بن اسرائيل، وكانت أمه قبيحة ووزيرها الحسن بن مخلد . وكان أبو نوح عيسى بن ابراهيم من كبار الكتاب وجباة الاموال . وطلب الاتراك أرزاقهم وشغبوا، فقال صالح للمعتز : هذه الاموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء، وليس في بيت المال شيء، فردّ عليه احمد بن اسرائيل وأفحش في ردّه، وتفاوضا في الكلام فسقط صالح مغشيا عليه، وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتضين سيوفهم فدخل الى قصره، فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيدوا، وشفع المعتز في أمر وزيره فلم تقبل شفاعته، وصادرهم على مال جليل حملوه فلم يسدّ شيئاً، فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا من

المصادرة اتهم الجند انهم حملوا على مال ولم يكن ذلك، فشفعوا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفاً يبذلها لهم. وسألها من أمّه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعه.

ودخل اليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال وطلبوه في الخروج اليهم، فاعتذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا، وجرّوه الى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار، وكلما مرّ به أحد منهم لطمه. ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فأشهدهم على خلعه، وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمه وأخته وولده. وفرّت أمه قبيحة من سَرَب كانت اتخذته بالدار، ثم عذّبوا المُعتزّ ثم جعلوه في سَرَبٍ وطمّوا عليه، وأشهدوا على موته بني هاشم والقوّاد، وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين، وبايعوا لمحمد ابن عمه الواثق، ولقبوه المهتدي بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقرّ بالعجز والرغبة في تسليمها الى المهتدي بايعة الخاصة والعامة. وكانت قبيحة أم المعتز لما فعل صالح بالكتاب ما فعل قد (1) نفرا منهم على الفتك بصالح، ونمي ذلك اليه، فجمع الاتراك على الثوران،

(1) كذا بياض في الأصل، وفي الكامل لابن الأثيرج ٥ ص ٣٤٣: ذكر ظهور قبيحة أم المعتز: قد ذكرنا استتارها عند قتل ابنها. وكان السبب في هربها وظهورها أنها كانت قد واطأت النفر من الكتاب الذي أوقع بهم صالح على الفتك بصالح.

وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت ما في الخزائن من الاموال والجواهر، وحفرت سَرَباً في حجرتها هربت منه لما أُحيطَ بالمعتزّ، ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت الى صالح تستأمنه فأحضرها في رمضان وظفر منها بخمسمائة ألف دينار، وعذّبها على خزائن تحت الارض فيها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم ير مثله، ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الاحمر القليل النظير، وذمّها الناس بأنها عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال، ثم سارت الى مكة فأقامت هنالك، وقبض صالح على أحمد بن اسرائيل وزيد بن المعتزّ وعذّبه وصادره. ثم قبض على أبي نوح وفعل به مثله وقبض على الحسن بن مخلد كذلك ولم يمت. وبلغ المهتدي ذلك فنكره وقال: كان الحبس كافياً في العقوبة. ولاول ولاية المهتدي أخرج القِيَانَ والمغنّين من سامرا ونفاهم عنها، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وردّ المظالم وجلس للعامة، وكانت الفِتَنُ قائمة، والدولة مضطربة، فشمّر لاصلاحها لو أُمهل واستوزر سليمان بن وَهْبٍ وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة.

مسير موسى بن بغا الى سامرا ومقتل صالح بن وصيف

كان موسى بن بغا غائباً بنواحي الريّ وأصبهان منذ ولاية المعتز عليها سنة ثلاث وخمسين، ومعه مفلح غلام أبي الساج،

وكانت قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب أموره كتبت الى موسى قبل أن يفوت في المعتز أمره، فجاءه كتابها وقد بعث مفلحاً لحرب الحسن بن زيد العلوي فحربه بطبرستان فغلبه، وأحرق قصوره بآمد وخرج في اتباعه الى الديلم، فكتب الى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو في استقدامه وانتظاره قتل المعتز وبويع المهتدي، وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتابه وأمه فشرهوا الى مثل ذلك، وأغروا موسى بالمسير الى سامرا.

ورجع مفلح من بلاد الديلم اليه وهو بالري، فسار نحو سامرا، وسمع المهتدي بذلك فكتب اليه بالمقام يحذره على ما وراءه من العلويين فلم يصغ لذلك، وأفحش أصحابه في اساءة الرسل الواصلين بالكتب. فكتب بالاعتذار واحتج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه ان عادوا الى الريّ وصالح بن وصيف في خلال ذلك يغري به المهتدي وينسبه الى المعصية والخلاف الى أن قدم في المحرّم سنة ست وخمسين ودخل في التبعية، فاختفى صالح بن وصيف، ومضى موسى الى الجوسق والمهتدي جالس للمظالم. فأعرض له عن الاذن ساعة ارتاب فيها هو وأصحابه وظنوا أنه ينتظر قدوم صالح بالعساكر. ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهتدي وأودعوه دار باجورة، وانتهبوا ما كان في الجوسق.

واستغاث المهتدي بموسى فعطف عليه، ثم اخذ عليه العهود والأيمان أن لا يوالي صالحاً، وأنّ باطنه وظاهره في موالاتهم سواء.

فجدّدوا له البيعة واستبدّ موسى بالامر، وبعث الى صالح للمطالبة بما احتجبه من الاموال فلم يوقف له على أثر، وأخذوا في البحث عنه . وفي آخر المحرّم احضر المهتدي كتاباً رفعه اليه سيما الشرابي زعم أنّ امرأة دفعته اليه وغابت فلم يرها، وحضر القوّاد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح يذكر ما صار اليه من الاموال، وأنه انما استتر خشية على نفسه وحسماً للفتنة وابقاء على الموالي . ولما قرأ الكتاب حثّهم المهتدي على الصلح والاتفاق، فاتهمه الاتراك بالميل الى صالح وأنه مطلع على مكانه، وطال الكلام بينهم بذلك .

ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهتدي، إلا أخا بابكيال فانه أبى من ذلك وتهدّدهم بأنه مفارقهم الى خراسان، واتصل الخبر بالمهتدي فاستدعاه اليه، وقد نظّف ثيابه وتطيّب وتقلّد سيفه فأرعد وأبرق، وتهدّدهم بالاستماتة، ثم حلف لا يعلم مكان صالح، وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح في أمر المعتز وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه في ذلك كله . وانتشر الخبر في العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعه، فطفقوا يحاذرون على الدعاء في المساجد والطرقات ويبغون على القوّاد بغيهم على الخليفة، ويرمون الرقاع بذلك في الطرقات . ثم ان الموالي بالكرخ والدور دسّوا الى المهتدي أن يبعثوا اليه أخاه أبا القاسم عبدالله بعد أن ركبوا وتحرّكوا، فقالوا لابي القاسم :

بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة للخليفة فيما يريده، وشكوا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صاروا من الاقطاع والزيادات الى قوّادهم وما أخذه النساء والدخلاء حتى أصحب ذلك كله بالخراج والضياع، وكتبوا بذلك الى المهتدي .

فأجابهم بالثناء على التشيّع له والطاعة، والوعد الجميل في الرزق، والنظر الجميل في شأن الاقطاعات والقوّاد والنساء، فأفاضوا في الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الحجر والاستبداد عليه، وأن ترجع الرسوم الى عادتها أيام المستعين على كل عشرة عريف، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط النساء والزيادة في الاقطاع، ويوضع العطاء في كل شهرين، وكتبوا بذلك إلى المهتدي وانهم صائرون الى بابه ليقضي حوائجهم، وان احد اعترض عليه أخذوا رأسه وان تعرّض له احد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وماجور . فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهتدي للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقوّاد قائمون في مراتبهم، فقرأ كتابهم على القوّاد فاضطربوا وكتب جوابهم بما سألوا، وطلب أبو القاسم من القوّاد ان يبعثوا معه رسولاً بالعذر عنهم ففعلوا، ومضى ابو القاسم اليهم بكتاب الكتاب وبرسل القوّاد واعذارهم.

فكتبوا الى المهتدي يطلبون التوقيعات بحط الزيادات وردّ الاقطاعات واخراج الموالي البرّانيين من الخاصة، وردّ الرسوم الى عاداتها أيام المستعين، ومحاسبة موسى بن بغا وصالح بن وصيف

على ما عندهم من الاموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف النظر في الجيش الى بعض اخوته او قرابته واخراجه من الموالي، وكتبوا بذلك الى المهتدي والقوّاد فأجابهم الى جميع ما سألوه.

وكتب اليهم موسى بن بغا بالاجابة في شأن صالح والاذن في ظهوره فقرؤا الكتابين ووعدوا بالجواب، فركب اليهم أبو القاسم واتبعه موسى في ألف وخمسمائة فوقف في طريقهم، وجاءهم ابو القاسم فاضطربوا في الجواب ولم يتفقوا فرجع وردّ موسى بن بغا فأمرهم المهتدي بالرجوع وأن يتقدم اليهم محمد بن بغا مع ابي القاسم، ويدفعوا اليهم كتاب الامان لصالح بن وصيف، وقد كان من طلبتهم ان يكون موسى في مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش في يده، وأن يظهر على الامان فأجيبوا إلى ذلك.

وافترق الناس الى الكرخ والدور وسامرا، فلما كان من الغد ركب بنو وصيف في جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبي القاسم يطلبون صالحاً، فأنكر المهتدي ان يكون علم بمكانه، وقال ان كان عندهم فليظهروه. ثم ركب ابن بغا في القواد ومعه اربعة آلاف فارس وعسكر وافترق الأتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لاهل الدور وسامرا في هذا اليوم حركة. وجدّ موسى في طلب صالح ونادى عليه وعثر عليه بعض الغوغاء فجاء به الى الجوسق والعامة في اتباعه فضربه

بعض اصحاب مفلح فقتله، وطيف برأسه على قناة وخرج موسى ابن بغا لقتال السراة بناحية السن .

الصوائف

منذ ولاية المنتصر الى اخر أيام المهتدي

في سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد ابن عمر الشاربي وحكم، فسرّح المنتصر اسحاق بن ثابت الفرغاني فأسره في عدّة من أصحابه وقتلوا وصلبوا . وفي هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المُنتصر بالمقام بمَلَطْيَة أربع سنين يغزو في أوقات الغزو الى ان يأتيه رأيه، وكان مقيماً بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية . وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار، فافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبدالله الأقطع في الدخول الى بلاد الروم فأذن له، فدخل في جموع من أهل ملطية ولقي ملك الروم بمرج الاسقف في خمسين ألفاً فأحاطوا به، وقيل في ألفين من المسلمين، وخرج الروم الى الثغور الخزرية فاستباحوها، وبلغ ذلك علي ابن يحيى الارمني وقد كان صرف عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان . فلما سمع بخبرهم نفر اليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في اربعمائة من المسلمين، وفي

سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر .

الوزارة

لما وَلِيَ المنتصرُ استوزر أحمد بن الخصيب، وولّى على المظالم أبا عمر أحمد بن سعيد مولى بني هاشم . ثم وَلِيَ المستعين ومات طاهر بن عبدالله بخراسان، فولى المستعين مكانه ابنه محمداً وولى محمد بن عبد الله على العراق وجعل اليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد، واستخلف أخاه سليمان بن عبدالله على طبرستان . وتوفي بغا الكبير فولى ابنه موسى على اعماله، وضاف اليه ديوان البريد، وشغب أهل حمص على عاملهم وأخرجوه، فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقاً وحمل مائة من أعيانهم الى سامرا .

واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الخصيب، واستصفى بقي الى اقريطش، وعقد لاتامش على مصر والمغرب، ولبغا الشرابي على حلوان وماسبذان ومهرجا بعده . ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبدالله بن محمد بن داود، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخانشاه، وولى وصيفاً على الاهواز وبغا الصغير على فلسطين، ثم غضب بغا على ابي صالح ففرّ الى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، وولى ديوان الرسائل سعيد بن

حميد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه الى البصرة، وولي جعفر بن محمد بن عمّار البُرْجُمي ،

وفي خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بساسان على مكة، ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فسرّح اليهم المستعين موسى بن بغا وحاربوه فهزمهم، وافتتحت حمص وأثخن فيهم وأحرقها . وفيها وثب الشاكِرِيّةُ والجند بفارس بعبدالله بن اسحاق فانتهبوا منزله، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن، وهرب عبدالله بن اسحاق وفيها كان ظهور العَلَوِيّةِ بنواحي طبرستان . وفي سنة احدى وخمسين عقد المعتز لبغا ووصيف على أعمالها، وردّ البريد الى موسى بن بغا الكبير وعقد محمد بن طاهر لابي الساج وقدّم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا، وأظهر أنه انما جاء لحرب الأعراب وتلطّف لابي أحمد حتى خالطه وقيّده وبعث الى بغداد في سنة اثنتين وخمسين . وولى المعتز الحُسَين بن أبي الشوارب على القضاء، وبعث محمد بن عبدالله ابن طاهر أبا الساج على طريق مكة وعقد المعتز لعيسى الشيخ ابن السليل الشيباني من ولد جسّاس بن مرّة على الرملة فاستولى على فِلَسْطين وعلى دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يحمل من الشام. وكان ابراهيم بن المدبر على مصر فبعث الى بغداد من المال بسبعمائة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها، وطولب بالمال فقال : الفتنة على الجند ! فولاه المعتمد على ارمينية يقيم بها دعواه .

وبعث المعتمد الى الشام ماجور على دمشق وأعمالها، وبلغ الخبر الى عيسى فبعث ابنه منصوراً في عشرين ألف مقاتل فانهزم وقتل، وسار عيسى الى أرمينية على طريق الساحل . وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبي دُلَفِ العِجْلِيّ على أعمال الجبل . وفي سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل، فسار وفي مقدّمته مُفلِح مولى بني الساج، وقاتله عبد العزيز بن أبي دلف فانهزم ولجأ الى قلعة لمادر، وملك مفلح الكرخ وأخذ اهله وعياله، وفيها مات ابن عبدالله بن طاهر ببغداد وولي أخوه عبيدالله بعهده . ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاه مكانه وكان على الموصل سليمان بن عِمْران الأَزْدِيّ، وكانت بينه وبين الأَزْدِ حروب بنواحي الموصل . وفيها مات مُزاحم بن خاقان بمصر . وفيها ملك يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراة، وكان ابتداء دولته، وولى بابكيال أحمد بن طولون على برّ مصر من قبله فكان ابتداء دولته . ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين ليارجوع فولّى عليها أحمد بن طولون من قبله، وفي سنة خمس وخمسين أيام المهتدي استولى مُساوِرُ الخارجي على الموصل وفيها ظهر صاحب الزِنْجِ وكان ابتداء فتنته .

أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته

كان اكثر دعاة العَلَوِيّة الخارجين بالعراق أيام المُعْتَصِمِ وما بعده أكثرهم من الزَيْدِيّة وكان من أئمتهم عليّ بن محمد بن أحمد

ابن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة، ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه علي بن محمد بن الحسين، فقتل بفدك، ولأيام من قتله خرج رجل بالريّ يدّعي انه علي بن محمد ابن أحمد بن عيسى المطلوب، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين ايام المهتدي . ولما ملك البصرة لقي علياً هذاحياً معروف النسب، فرجع عن ذلك وانتسب الى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور .

ونسبه المسعوديّ الى طاهر بن الحسين، واظنه الحسين بن طاهر ابن يحيى المحدِّث بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن عليّ، لان ابن حزم قال في الحسين السبط انه لا عقب له الّا من علي بن الحسين، وقال فيه علي بن محمد بن جعفر بن الحسين ابن طاهر. وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحققين انه من عبد القيس، واسمه عليّ بن عبد الرحيم من قرية من قرى الريّ، ورأى كثرة خروج الزيديةِ فحدّثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب، ويشهد لذلك انه كان على رأي الازارقة من الخوارج، ولا يكون ذلك من اهل البيت . وسياقة خبره انه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر ومدحهم .

ثم شخص من سامرا الى البحرين سنة تسع واربعين ادّعى انه من ولد العباس بن ابي طالب، ثم من ولد الحسن بن عبدالله ابن العباس، ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من اهل هجر

وغيرها، وقاتلوا اصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته، فتحوّل عنهم الى الاحساء ونزل على بني الشمّاس من سعد بن تميم، وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الازرق وسليمان بن جامع فكانا قائدين له، وقاتل اهل البحرين فانهزم وافترقت العرب عنه واتبعه عليّ بن أبان وسار الى البصرة ونزل في بني ضُبَيْعَة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء، والفتنة فيها بين البلاليّة والسعديّة، وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجته وجماعة من اصحابه، فسار الى بغداد واقام بها حولاً وانتسب الى محمد ابن ابي احمد بن عيسى كما قلناه، واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحانيّ من ولد زيد بن صوحان، ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن، وسمّى مسروقاً حمزة وكناه ابا احمد، وسمّى رفيقاً جعفراً وكناه ابا الفضل .

ثم وثب رؤساء البلاليّة والسعديّة بالبصرة واخرجوا العامل محمد بن رجاء، فبلغه ذلك وهو ببغداد، وان اهله خلوه، فرجع الى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان ابن جامع ومسروق ورفيق، فنزل بقصر القَرْشِ ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغّبهم في الاحسان، وحلف لهم وكتب لهم في خِرْقَةٍ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ الآية . واتخذها راية، وجاءه موالي الزنوج في عبيدهم، فأمر كل عبد ان يضرب

مولاه وحبسهم ثم اطلقهم، ولم يزل هذا رأيه والزنوج في متابعته والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغبهم . ثم عبر دُجَيْلًا الى نهر ميمون، فاخرج عند الحِمْيَرِيّ وملكه وسار الى الأُبُلّةِ وبها ابن أبي عون، فخرج اليه في أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم .

ثم سار الى القادِسيّةِ فنهبها وكثر سلاحهم، وخرج جماعة من اهل البصرة لقتاله فبعث اليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل، فهزمهم وأخذ سلاحهم . ثم طائفة اخرى كذلك واخرى، وخرج قائدان من البصرة فهزمها وقتل منهما، وكانت معهما سفن ألقتها الريح الى الشطِّ فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده . وجاء أبو هلال من قوّاد الاتراك في اربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريّان فهزمه الزنج واستلحموا اكثر اصحابه . ثم خرج ابو منصور احد موالي الهاشميين في عسكر عظيم من المطوّعةِ والبلاليّةِ والسعديّةِ فسرّح للقائهم عليّ بن أبان، فلقي طائفة منهم فهزمهم . ثم ارسل طائفة اخرى الى مرفأ السفن وفيه نحو من ألفي سفينة، فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءه عساكر ابي منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل، وعليهم علي بن ابي أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم واخذوا سلاحهم . ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب . ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج واثخنوا فيهم .

ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج اليه اهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برّاً وبحراً فلقيهم بالسُدّ وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل. ووهن أهل البصرة وكتبوا الى الخليفة فبعث اليهم جعلان التركي مدداً، وولّى على الأُبُلّةِ أبا الأحوص الباهلي وأمّه بجند من الاتراك. وقد بث صاحب الزنج أصحابه يميناً وشمالا للغارة والنهب. ولما وصل جعلان الى البصرة نزل على فرسخ منهم وخندق عليه، وأقام ستة اشهر يسرّح لحربهم الزيني مع بني هاشم ومرجف. ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه، وتحوّل عن مكانه، ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعدد من المراكب غنم فيها أموالا عظيمة، وقتل اهلها وألحّ بالغارات على الابلة الى ان دخلها عَنْوَةً آخر رجب سنة ست وخمسين، وقتل عاملها ابا الأحوص عبيدالله بن حميد الطوسي وخلقاً من اهلها واستباحها وأحرقها، وبلغ ذلك اهل عبادان فاستأمنوا له وملكها واستولى على ما فيها من الأموال والعبيد والسلاح الى الاهواز، وبها ابراهيم بن المدبر على الخراج، فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا واسروا ابن المدبر، فخاف اهل البصرة وافترق كثير منهم إلى البلدان. وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين، فهزمهم واخذ ما معهم واثخن فيهم، وكان ابن المدبر أسيراً عندهم في بيت يحيى بن محمد البَحْرَاني، وقد ضمن لهم مالا كثيراً

ووكل به رجلين قد اخلفهم حتى حفر سَرَباً من البيت وخرج منه ولحق بأهله .

خلع المهتدي وقتله وبيعة المعتمد

وفي أوّل رجب من سنة ست وخمسين شغب الأتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدي أخاه أبا القاسم ومعه كفقا وغيره فشكوهم[1] وعادوا، وبلغ محمد بن بغا أنّ المهتدي قال للاتراك ان الاموال عند محمد وموسى ابني بغا، فهرب الى أخيه بالسِنْدِ وهو في مقاتلة موسى الشاري فأمنه المهتدي ورجع ومعه اخوه حنون وكيغلغ، فكتب له المهتدي بالامان ورجع الى اصحابه وحبسه وصادره على خمسة عشر الف دينار، ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه الى موسى بن بغا بأن يتسلم العسكر واوصاه بمحاربة الشاربي وقتل موسى بن بغا ومفلح، فقرأ الكتاب على موسى وتواطؤا على أن يرجع بابكيال فيتدبر على قتل المهتدي، فرجع ومعه يارجوج واساتكين وسيا الطويل ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب، فحبس بابكيال من بينهم واجتمع اصحابه ومعهم الأتراك وشغبوا .

وكان عند المهتدي صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور

---

(١) كذا بالأصل وأنت ترى أن في هذه العبارة أكثر من غلطة، وإليك عبارة ابن الأثير في ج ٥ ص ٣٥٥: في رجب الخامس عشر منه خلع المهتدي وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، وكان السبب في ذلك أن أهل الكرخ والدور من الأتراك الذي تقدم ذكرهم تحركوا في أول رجب لطلب أرزاقهم فوجه المهتدي إليه أخاه أبا القاسم وكيغلغ وغيرهما فسكنوهم ورجعوا.

فأشار بقتله ومناجزتهم، فركب في المغاربة والاتراك والفراغنة على التعبية. ومشى والبلخي في الميمنة ويارجوج في الميسرة، ووقف هو في القلب ومعه اساتكين وغيره من القوّاد، وبعث برأس بابكيال اليهم مع عتاب بن عتاب، ولحق الاتراك من ميمنة المهتدي وميسرته باخوانهم الاتراك، فانهزم الباقون عن المهتدي وولى منهزماً ينادي بالناس ولا يجيبه احد، وسار الى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار احمد بن جميل صاحب الشرطة، وافتتحوا عليه وحملوه على بغل الى الجوسق، وحبس عند احمد بن خاقان، وارادوه على الخلع فأبى واستمات، فأخرجوا رقعة بخطه لموسى بن بغا وبابكيال وجماعة القوّاد انه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهمّ بذلك، ومتى فعل شيئاً من ذلك فقد جعل امر الخلافة بأيديهم يولون من شاؤا، فاستحلوا بذلك امره وقتلوه.

وقيل في سبب خلعه غير هذا وهو انّ اهل الكرخ والدور من الاتراك طلبوا الدخول على المهتدي ليكلموه فأذن لهم، وخرج محمد بن بغا الى المحمدية، ودخلوا في اربعة آلاف، فطلبوا ان يعزل عنهم قوّاده ويصادرهم وكتابهم على الاهواز، ويصير الامر الى اخوته فوعدهم بالاجابة واصبحوا من الغد يطلبون الوفاء بما وعدهم به، فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك إلّا بسياسة ورفق فأبوا الا المعاجلة فاستخلفهم على القيام معه في ذلك بايمان البيعة فحلفوا ثم كتبوا الى محمد بن بغا عن المهتدي وعنهم يعذلونه في غيبته

عن مجلسهم مع المهتدي، وانهم انما جاؤا بشكوى حالهم ووجدوا الدار خالية، فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه في الاموال وكتبوا الى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر الى من ذكروه لهم، وبعثوا من يقيدهما ان لم يأتمرا ذلك .

ولما قرئت الكتب على موسى واصحابه امتنعوا لذلك وساروا نحو سامرا، وخرج المهتدي لقتالهم على التعبية وتردّدت الرسل بينهم بطلب موسى ان يولّي على ناحية ينصرف اليها، ويطلب اصحاب المهتدي ان يحضر عندهم فيناظرهم على الاموال الى ان انفض عنهم اصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان، ورجع بابكيال وجماعة من القوّاد الى المهتدي فقتل بابكيال ثم انف الاتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وارادوا طردهم فابى المهتدي ذلك، فخرج الاتراك عن الدار بأجمعهم طالبين ثار بابكيال، فركب المهتدي على التعبية في ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ونحو الف من الاتراك اصحاب صالح بن وصيف، واجتمع الاتراك للحرب في عشرة آلاف، فانهزم المهتدي وكان مـا ذكرناه من شأنه . ثم احضر ابو العباس احمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق، فبايعه الناس، وكتب الاتراك الى موسى بن بغا وهو غائب فحضر وكملت البيعة لاحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فأصبح المهتدي ثاني يوم البيعة ميتاً منتصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته .

ولم يزل ابن خاقان في وزارته الى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطة بالميدان سال فيها دماغه من منخريه، فاستوزر محمد بن مخلد. ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان ابن وَهْب، ثم عزله وحبسه وولى الحسن بن مخلد، وغضب الموفقُ لحبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربيّ وتردّدت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين.

ظهور العلوية بمصر والكوفة

وفي سنة ست وخمسين ظهر بمصر ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن الحَنَفِيّةِ، ويُعرف بالصوفي، يدعو الى الرضا من آل محمد، وملك أشياء من بلاد الصعيد. وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مصر فهزمهم وقتل قائدهم، فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم الى الواحات وجمع هنالك جموعاً وسار الى الاشمومين[1]، فلقيه هنالك أبو عبد الرحمن العُمَريّ، وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزو بلادهم لما كان منهم في غزو بلاد المسلمين، فاشتدّ أمره في تلك الناحية وكثر اتباعه. وبعث اليه ابن طولون عسكراً فقال لقائده: أنا ألبث هنالك لدفع الاذى عن بلاد المسلمين، فشاوِر أحمد بن طولون! فأبى القائد الا من أجزته[2] فهزمه العمري.

(١) كذا وفي الكامل ج ٥ ص ٣٦٩: الأشمونين.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل: فاكتب إلى الأمير أحمد عرفه كيف حالي، فإن أمرك بالانصراف فانصرف وإلا فإن أمرك بغير ذلك كنت معذوراً. فلم يجبه إلى ذلك. وقاتله، فانهزم جيش ابن طولون.

ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره، فبقي على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية . فلما جاء الصوفي من الاشمونين لقيه العمري فهزمه وعاد العمري الى أسوان واشتدّ عَيْثُهُ، فبعث اليه ابن طولون العساكر فهرب الى عيذاب وأجاز البحر الى مكة وافترق أصحابه، وقبض عليه والي مكة وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدّة ثم أطلقه فرجع الى المدينة ومات بها (١) وفي هذه السنة ظهر علي بن زيد، وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد في جيش كثيف فهزمه وأثخن في أصحابه . فسرح المعتمد الى حربه كيجور التركي فخرج عليّ عن الكوفة الى القادِسيَّةِ وملك كيجور الكوفة أوّل شوال، وأقام عليّ بن زيد ببلاد بني أسد . ثم غزا كيجور آخر ذي الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع الى الكوفة، ثم الى سر من رأى، وبقي عليٌّ هنالك الى أن يبعث المعتمد سنة تسع (٢) عسكراً فقتلوه بعبكرا وانقطع أمره، وقيل سار الى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الري وسار موسى بن بغا اليه .

---

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل: فلما كان بعد مدة وثب على العمري غلامان له فقتلاه وحملا رأسه إلى أحمد بن طولون، فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا: أردنا التقرب إليك بذلك فقتلهما وأمر برأس العمري فغسل وكفن ودفن.

(٢) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٣٦٠: فوجه إليه الخليفة نفراً من القواد فقتلوه بعبكرا في ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائتين.

بقية أخبار الزنج

قد تقدّم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع بهم، ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره، ورجع الى سامرا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخياط فقطع عنهم ميرة السفن . ثم سار اليهم في البحر فهزموه الى البحرين، ثم بعث الخبيث عليّ بن أبان من قواده الى اربل لقطع قنطرتها، فلقي ابراهيم بن سيا منصرفاً من فارس، فاوقع بهم ابراهيم وخرج عليّ بن أبان وسار ابراهيم الى نهر جيّ وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه . وجاء الخبر الى علي بن أبان باقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشدّ من الاوّل، وانصرف الى جيّ .

وكان منصور بن جعفر الخياط منذ انهزم في البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق واصلاح السفن، فزحف عليّ بن أبان لحصاره بالبصرة وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها وبعث لاحتشاد العرب، فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرّقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين، ثم افتتحها عليّ بن أبان منتصف شوال وأفحش في القتل والتخريب، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الامان فأمّنهم وأحضرهم في بعض دور الامارة فقتلهم أجمعين وحرق عليّ بن أبان الجامع ومواضع من البصرة، واتسع الحريق من الجبل الى الجبل وعم النهب وأقام

كذلك أياماً . ثم نادى بالامان فلم يظهر أحد، وانتهى الخبر الى الخبيث فصرف عليّ بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحراني .

مسير الموفق لحربهم

لما دخل الزنج البصرة وخربوها أمر المعتمد محمداً المعروف بالموفق بالمسير الى البصرة، وسار الى الأُبُلّةِ ثم نزل البصرة واجتمع اليه أهلها، وأخرج الزنج عنها الى نهر معقل . ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب الموفق فقاتله عشرة أيام، ووطن الموفق نفسه على المقام، وبعث الخبيث الى يحيى بن محمد أبا الليث الأَصْبَهاني مدداً وأمرهم بتبييت الموفق، فبيتوه وقاتلوه تلك الليلة والغد الى المساء . ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحراني الى الجامدة، وأوقع بأهلها ونهب تلك القرى أجمع، وعاث فيها ورجع الى نهر معقل .

مقتل منصور الخياط

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار عليّ بن أبان الى جيّ وعلى الاهواز يومئذ منصور بن جعفر الخياط قد ولاه عليها المعتمد بعد مواقعته الزنج بالبحرين، فسار الى الاهواز ونزل جيّ وسار عليّ ابن أبان قائد الزنج لحربه . وجاء أبو الليث الاصبهاني في البحر مدداً له، وتقدّم الى منصور من غير أمر عليّ فظفر منصور وقتل الكثير ممن معه وافلت منهزماً الى الخبيث . ثم تواقع عليّ بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه في النهر

ليعبر اليهم فغرق، وقيل تقدّم اليه بعض الزنج لما رآه فقتله في الماء . ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولى يارجوج . على عمل منصور اصطَيْخُورَ من قواد الأتراك .

مسير الموفق لحرب الزنج

كان أبو أحمد المُوَفَّقُ، وهو أخو المعتمد بمكة، وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتدّ أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح . ولما انهزم سعيد بن سعيد بن صالح عقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والاهواز ثم قتله كما قلنا . فعقد المعتمد لاخيه أبي أحمد الموفق على مصر وقنسرين والعواصم وخلع على مفلح، وذلك في ربيع سنة ثمان وخمسين وسيرهما لحرب الزنج فساروا في عدة كاملة .

وخرج المعتمد يشيع أخاه، وكان عليّ بن أبان بجيّ ويحيى ابن محمد البحراني بنهر العبّاس والخبيث في قلة من الناس وأصحابه متردّدون الى البصرة لنقل ما نهبوه . فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج الى صاحبهم مرتاعين، فأمر عليّ بن أبان بالمسير اليهم ولقي مفلحاً في مقدمة الموفق فاقتتلوا، وبينما هم يقتتلون اذ أصاب مفلحاً سهم غَرِبٌ فقتل وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم، ثم

رحل الموفق نحو الأُبُلّةِ ليجمع العساكر، ونزل نهر أبي الأَسَدِ ووقع الموتانُ في عسكره فرجع الى بادَرود، وأقام لتجهيز الآلة وإزاحة العِلَل وإصلاح السفن . ثم عاد الى عسكر الخبيث فالتقَوا واشتدّ الحرب بينهم على نهر أبي الخصيب وقَتل جماعةً من الزَنْجِ واستنقذ كثيراً من النساء المَسْبِيَّات، ورجع الى عسكره ببادَرود فوقع الحريق في عسكره، ورحل الى واسط، وافترق أصحابه، فرجع الى سامرا واستخلف علي واسط .

مقتل البحراني قائد الزنج

كان أَصطَيْخورُ لما وَلِيَ الأَهوازَ بعد مَنصُورِ الخَيَّاطِ بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج الى نهر العبَّاس عند مسير الموفق اليهم، فخرج اليه أَصطَيْخور فقاتله، وعبر يحيى النهر، وغنم سفن الميرة التي كانت عند أَصطيخور، وبعث طلائعه الى دَجلة فلقوا جيشَ المُوَفَّقِ فرجعوا هاربين، وطلائع الموفق في اتباعهم، وعبروا النهر منهزمين . وبقي يحيى فقاتل وانهزم، ودخل في بعض السفن جريحاً وغنم طلائع الموفق غنائمهم والسفن، وأحرقوا بعضها وعبروا الماخوذةَ على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشيةً علي أنفسهم، فسعى به طبيب كان يداوي جراحه، وقبض عليه وحمل الى سامرا وقطع، ثم قتل، ثم أنفذ الخبيث عَلِيَّ بن أبان وسُلَيْمانَ بن موسى الشَعْراني من قواده الى الاهواز، وضمّ اليهما الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البَحْراني، وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدَستِميسان

وانهزم أمامهما وغرق، وهلك من أصحابه خلق وأُسِرَ الحسنُ بن هزيمة والحسَنُ بن جعفر وغيرهما وحبسوا، ودخل الزِنجُ الاهواز فأقاموا يُفسِدون في نواحيها ويغنمون الى أن قدم موسى بن بَغا.

مسير ابن بغا لحرب الزنج

ولما ملك الزِنجُ الأَهوَازَ سنة تسعٍ وخمسين سرّحَ المُعتَمَدُ لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الاعمال، فبعث الى الأَهوَازِ عبد الرحمن بن مُفلِحٍ، والى البَصرَةِ اسحاق بن كِنداجِق، والى باذرود ابراهيم بن سيما، وامرهم بمحاربة الزنج. فسار عبد الرحمن الى عليّ بن أبان فهزمه أوّلاً، ثم كانت لعبد الرحمن الكرّة ثانياً فأثخن فيهم، ورجعوا الى الخبيث، وجاء عبد الرحمن الى حِصنِ نَهدي فعسكر به، وزحف اليه عليّ بن ابان فامتنع عليه، فسار الى ابراهيم بن سيما بباذرود فواقعه، فانهزم أوّلا ابراهيم ثم كانت له الكرّة ثانياً. وسار ابن ابان في الغِياضِ فأضرموها عليهم ناراً ففرّوا هاربين، وأُسِرَ منهم جماعة. وسار عبد الرحمن الى عليّ بن ابان، وجاءه المدد من الخبيث في البحر، فبينما عبد الرحمن في حربه اذ بعث عليٌّ جماعةً من خلفه وشعر بهم، فرجع القهقرى ولم يصب منهم شيء الابعض السُفُنِ البَحرِيّة. ثم راجع عبد الرحمن حرب عليّ بن ابان وفي مقدّمته طاشتمر، فأوقعوا بعلي بن ابان ولحق بالخبيث صاحب الزنج، واقام عبد الرحمن بن مفلح. وابراهيم يتناوبان حرب الخبيث ويوقعان به، واسحاق بن كنداجق

بالبصرة يقطع عنه المدد، وهو يبعث لكل منها طائفة يقاتلونهم، واقاموا على ذلك سبعة عشر شهراً الى أن صُرِفَ موسى بن بغا عن حربهم وَوَلِيَهَا مَسْرورٌ البلخي كما نذكر .

استيلاء الصفار على فارس وطبرستان

قد تقدّم استيلاء يَعْقوب بن الليث الصَّفّارِ على فارس أيّامَ المُعْتَزِّ من يد عليّ بن الحسين بن مقبل . ثم عادت فارِسُ الى الخلفاء ووِلِيَهَا الحَرْثُ بن سيما، وكان بها من رجال العراق محمد ابن واصل بن ابراهيم التميمي، فاتفق مع أحمد بن الليث من الاكراد الذين بنواحيها ووثبوا بالحرث بن سيما فقتلوه، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين، وقام بدعوة المُعْتَمَدِ وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفياض، فسار اليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين، وبلغ ذلك المعتمد فكتب اليه بالنكير، وبعث اليه المُوَفَّقُ بولاية بَلْخٍ وطَخارَسْتان فلكهما وقبض على رَتبيل، وبعث الى المعتمد بِرُسُلِهِ وهداياه . ثم رجع الى بَسْت، واعتزم على العَوْدِ الى سِجِسْتَان، فعجّل بعض قُوّاده الرحيل قبله، فغضب وأقام سنةً ثم رجع الى سجستان .

استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان

ثم جاء الى هَرَاةَ وحاصر مدينة نيسابور حتى ملكها ثم سار الى بوشنج وقبض على الحسين بن عليّ بن طاهر بن الحسين، وبعث

اليه محمد بن طاهر بن عبدالله شافعاً فيه فأبى من اطلاقه، ثم ولّي على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان وكان بها عبدالله السجزي ينازعه. فلما قوي عليه يعقوب فرّ منه الى خراسان وحاصر محمد بن طاهر في نيسابور، ورجع اليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد، وولاه الطَبَسَيْن وقهستان، وأرسل يعقوب في طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب اليه بنيسابور فلم يطق لقاءه ونزل يعقوب بظاهرها، فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه. ثم خرج اليه فوبخه على التفريط في عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها، وأرسل الى الخليفة بأن اهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر في أمره، وغلبه العلوي على طبرستان فبعث اليه المعتمدُ بالنكير والاقتصار على ما بيده، وإلّا سلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين.

وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك وهو ان محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والإدبار، فكاتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعوه، فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر بمجيئه الى ناحية موزيا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان، وان المعتمد أمره بذلك، وانه لا يعرض شيئاً من أعمال خراسان. وبعث بعض قواده عيناً عليه يمنعه من البراح عن نيسابور، وجاء بعده. وقدم أخاه عمراً الى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنّفه على الاعمال والعجز، وقبض على جميع اهل بيته نحو من مائة وستين رجلاً، وحملهم جميعاً الى

سجستان، واستولى على خراسان، ووثب نوابه في سائر أعمالها، وذلك لاحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد .

ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبدالله السَّجَزِيّ الى الحسن بن زيد صاحب طبرستان، فبعث اليه فيه فأجاره . وسار الى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن الى ارض الديلم، وملك يعقوب سارية وآمل ومضى في اثر الحسين من عسكره نحو من أربعين ألفاً من الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة، وكتب الى المعتمد بذلك وكان عبدالله السجزيّ قد هرب بعد هزيمة الحسن العلوي الى الري فسار يعقوب في طلبه، وكتب الى عامل الريّ يؤذنه بالحرب ان لم يدفعه اليه، فبعث به اليه وقتله ورجع الى سجستان .

استيلاء الحسن بن زيد على جرجان

ولما هرب الحسن بن زيد امام مفلح من طبرستان، ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع الى جرجان فبعث محمد بن طاهر اليها العساكر لحفظها فلم يغنوا عنها، وجاء الحسن فملكها وضعف أمر ابن طاهر في خراسان، وانتقض عليه كثير من اعمالها، وظهر المتغلّبون في نواحيها، وعاث السراة من الخوارج في اعمالها ولم يقدر على دفعهم، وآل ذلك الى تغلب الصفار على ابن طاهر، وانتزاع خراسان من يده كما ذكرنا[1] .

---

(١) هنا بياض بالأصل مقدار صحيفة وفي الطبري ح ١١ ص ٢٦٠ : وذكر أنه ـ أي يعقوب =

فتنة الموصل

كان المُعتَمدُ قد ولّى على الموصل أشاتكين من قُوّاد الاتراك، فبعث عليها هو ابنه أذكَرتكين، وسار اليها في جمادى سنة تسع وخمسين، فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس في طلب الخوارج، وتعرّض بعض الايام رجل من حاشيته الى امرأة في الطريق، وتخلصها من يده بعض الصالحين، فأحضره أذكرتكين وضربه ضرباً شديداً، فاجتمع وجوه البلد وتآمروا في رفع امرهم الى المعتمد، فركب اليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه، واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم. ولما كانت سنة احدى وستين ولى استاكين عليها الهيثمُ بن عبدالله بن العَمْدِ الثعلبيّ العدويّ وأمره ان يزحف لحربهم ففعل، وقاتلوه أياماً وكثرت القتلى بينهم، ورجع عنهم الهيثم، وولى أستاكين مكانه اسحاق بن أيوب الثعلبيّ جدّ بني حمدان وغيره، وحاصرها مدة، ومرض يحيى بن سليمان الامير في اثنائها فطمع اسحاق في البلد وجدّ في الحصار، واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه، وحملوا يحيى بن سليمان في قُبّةٍ وألقوه أمام الصّفّ واشتدّ القتال، ولم يزل اسحاق يراسلهم ويعدهم حسن

= الليث ـ كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيره إلى الحسن بن زيد، وأنه سار من جرجان إلى طميس فافتتحها ثم سار إلى سارية، وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر ورفع المعابر وعور الطريق، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصناً بأودية عظام، وقد مالأه خرشاد بن جيلا وصاحب الديلم فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقمية والجبلية والشامية والجزرية، فهزمته وقتلت عدة لم يبلغها بعهدي عدة، وأسرت سبعين من الطالبيين وذلك في رجب وسار الحسن بن زيد إلى الشرر ومعه الديلم.

السيرة الى ان أجابوه على ان يقيم بالرَّبض فاقام اسبوعاً، ثم حدثت ممن بايعه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه، واستقر يحيى بن سليمان بالموصل .

حروب ابن واصل بفارس

قد تقدّم لنا وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي بالحرث بن سيا عامل فارس وتَغَلُّبه عليها سنة ست وخمسين، فلما بلغ ذلك الى المعتمد اضاف فارس الى عبد الرحمن بن مُفلح وبعثه الى الاهواز وامدّه بطاشتمر، وزحفوا من الاهواز الى ابن واصل سنة احدى وستين، فسار معهم من فارس ومعه ابو داود الصُّلُوك، ولقيهم برام هرمز فهزمهم، وقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم . وبعث اليه المعتمد في اطلاق ابن مفلح فقتله خِفْيَةً وسار لحرب موسى بن بغا بواسط، وانتهى الى الأهواز، وبها ابراهيم بن سيا في جموع كثيرة . ولما رأى موسى بن بغا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتهم فأعفاه، وكان عند انصراف ابن مفلح عن الاهواز الى فارس قد ولى مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج، فبعث صهره عبد الرحمن لذلك فلقيه عليّ بن أبان قائد الزنج، فهزمه عليّ وقتله، وانحاز أبو الساج الى عسكر مكرم، وملك الزنجُ الاهواز فعاثوا فيها .

ثم عزل ابو الساج عن ذلك وولى مكانه ابراهيم بن سيا فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الاعمال كلها ولما هزم

ابراهيم بن سيما بن واصل عبد الرحمن بن مفلح وقتله، طمع يَعْقُوبُ الصَفَّارُ في ملك فارس، فسار من سِجِسْتان مُجِداً، ورجع ابن واصل من الاهواز، وترك محاربة ابن سيما، وأرسل خاله أبا بلال مِرْدَاس الى الصفار، وراجعه بالكتب والرسل بحبس ابن واصل رسله، ورحل بعد السير ليفجأه على بغتة، وشعر به الصفار فقال لخاله مرداس ان صاحبك قد غدر بنا وسار اليهم، وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير، ومات أكثرهم عطشاً . فلما تراءى الجمان انهزم ابن واصل دون قتال، وغنم الصفار ما في عسكره وما كان لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس ورتّب بها العُمّالَ وأوقع بأهل زَمّ لاعانتهم ابن واصل، وطمع في الاستيلاء على الاهواز وغيرها .

مبدأ دولة بني سامان وراء النهر

كان جدّهم أَسَدُ بن سامان من أهل خراسان وبيوتها، وينتسبون في الفرس تارةً الى سامَةَ بن لُؤَيّ وإلى ابن غالِب أخرى . وكان لأَسَدٍ اربعة من الوُلدِ: نوح وأحمد ويحيى وإلياس . وتقدّموا عند المأمون أيام ولايته خُراسان واستعملهم، ولما انصرف المأمون الى العراق ولّى على خُراسان غَسّان بن عَبّاد من قرابة الفَضْل بن سَهْلٍ، فولّى نوحاً منهم على سَمَرْقَنْد وأحمد على فَرْغَانَة، ويحيى على الشاش وأشروسنة والياس على هَراة . فلما وَلِيَ طاهر بن الحُسَيْن بعده أقرّهم على أعمالهم. ثم مات نوح بن أسد فأقر أخويه

يحيى وأحمد على عمله، وكان حسن السيرة . ومات الياس بهراة، فولى عبدالله بن طاهر مكانه ابنه أبا اسحاق محمد بن الياس، وكان لاحمد بن اسد من البنين سبعة نصر ويعقوب ويحيى واسماعيل واسحاق وأسد وكنيته أبو الاشعث وحميد وكنيته أبو غانم .

فلما توفي أحمد استخلف ابنه نصراً على أعماله بسمرقند وما اليها، وأقام الى انقراض ايام بني طاهر وبعدهم، وكان يلي أعماله من قبل ولاة خراسان الى حين انقراض أيام بني طاهر . واستولى الصَفَّارُ على خُراسان، فعقد المعتمد لنصر هذا على أعماله من قبله سنة احدى وستين، ولما ملك يعقوب الصَفَّار خُراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه الى شط جَيْحون مَسْلَحَةً من الصفار، فقتلوا مقدمهم ورجعوا الى بُخارى، وخشيهم واليها على نفسه ففرّ عنها، فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولّوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسماعيل لضبط بُخارى .

ثم وَلِيَ خُراسان بعد ذلك رافع بن هَرْثَمَةَ بدعوة بني طاهر، وغلب الصفار عليها، وحصلت بينه وبين اسماعيل صاحب بخارى موالاة اتفقا فيها على التعاون والتعاضد، وطلب منه اسماعيل اعمال خوارَزْم، فولّاه إيّاها، وفسد ما بين اسماعيل وأخيه نصر، وزحف نصر اليه سنة اثنتين وسبعين، واستجاش اسماعيل برافع بن هرثمة فسار اليه بنفسه مددًا، ووصل الى بخارى، ثم أوقع الصلح بينه

وبين اخيه خوفاً على نفسه، وانصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين، وظفر اسماعيل بنصر . ولما حضر عنده ترّجل له اسماعيل وقبّل يده وردّه الى كرسي امارته بسمرقند، وأقام نائباً عنه ببخارى، وكان اسماعيل خيّرا مُكرماً لاهل العلم والدين .

مسير الموفق الى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقيّةِ عزم المعتمد على تجهيز أخيه أبي احمد المُوفّق ، فجلس في دار العامّة وأحضر الناس على طبقاتهم، وذلك في شوّال من سنة احدى وستين، وعقد لابنه جعفر العهد من بعده، ولقّبه المُفوّض الى الله، وضم اليه موسى بن بغا وولاه افريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خُراسان ونهر تصدق، وعقد لاخيه ابي أحمد العهد بعده ولقّبه الناصر لدين الله الموفق، وولاه المشرق وبغداد وسواد الكوفة وطريق مكّة واليمن وكَسْكَر وكور دجلة والاهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدّينور والريّ وزنْجان والسند . وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود، وشرط أنه ان مات وجعفر لم يبلغ يتقدّم الموفق عليه، ويكون هو بعده، وأخذت البيعة بذلك على الناس، وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب، واستوزر صاعد بن مَخْلد، ثم نكبه سنة اثنتين وسبعين واستصفاه واستكتب مكانه الصُقْر اسماعيل بن بابل، وأمر المعتمد

أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج فبعثه في مقدّمته واعتزم على المسير بعده .

وقعة الصفار والموفق

لما كان يعقوب الصفّار ملك فارس من يد واصل، وخراسان من يد ابن طاهر، وقبض عليه صرّح المعتمد بأنه لم يُوَلّه ولا فعل ما فعل باذنه، وبعث ذلك مع حاجّ خُراسان وطَبَرَستان . ثم سار الى الاهواز يريد لقاء المُعتمد، وذلك سنة اثنتين وسبعين . فأرسل اليه المعتمد اسماعيل بن اسحاق وفهراج من قوّاد الاتراك ليردّوه على ذلك، وبعث معهما من كان في حبسة من اصحابه الذين حبسوا عندما قبض على محمد بن طاهر، وعاد اسماعيل من عند الصفّار بعزمه على الموصل، فتأخر الموفق لذلك عن المسير لحرب الزنج ووصل مع اسماعيل من عند الصفّار حاجبه دَرهم يطلب ولاية طَبَرَستان وخُراسان وجرجان والريّ وفارس والشرطة ببغداد، فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً الى ما بيده من سِجستان وكرمان، وأعاد حاجبه اليه بذلك ومعه عُمَر بن سيما فكتب يقول : لا بدّ من الحضور بباب المعتمد . وارتحل من عسكر مكرم حاماً وسار اليه أبو الساج من الاهواز لدخوله تحت ولايته، فأكرمه ووصله وسار الى بغداد . ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانيّة وأخوه مسرور البلخيّ فقاتله منتصف رجب، وانهزمت ميسرة الموفّق وقتل فيها ابراهيم بن سيما وغيره من القوّاد .

ثم تراجعوا واشتدّت الحرب، وجاء الى الموفق محمد بن أوس والداراني مدداً من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة فانهزموا، وخرج الصفّار واتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر، ومن الاموال ما يؤد حمله، وكان محمد بن طاهر معتقلاً معه في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلّص ذلك اليوم، وجاء الى الموفق وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد، وسار الصفار الى خوزستان فنزل جنديسابور، وأرسله صاحب الزنج يحثّه على الرجوع ويعده المساعدة، فكتب اليه: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة. وكان ابن واصل قد خالف الصَفّار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها، وبعث الصفار اليه جيشاً مع عمر ابن السري من قوّاده، فأخرجه عنها وولى على الاهواز محمد بن عبدالله بن طاهر. ثم رجع المعتمد الى سارا والموفق الى واسط، واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك، وعاد الى بغداد ومعه مسرور البَلْخِيّ سار بعد موسى وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد.

سياقة أخبار الزنج

قد ذكر انّ مسروراً البَلْخِيّ سار بعد موسى بن بغا لحرب الزنج، ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصَفّار، وبلغ صاحب الزنج جاؤا تلك النواحي من العساكر، فبعث

سراياه فيها للنهب والحرق والتخريب في بعث سليمان بن جامع الى البطيحة وسليمان بن موسى الى القادسيّة . وجاء ابو التركي في السفن يريد عسكر الزنج فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهراً حتى تخلص وانحاز الى سليمان بن جامع، وبعث اليهما الخبيث بالمدد، وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جنداً في البحر الى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم، ونزل بِقرّةِ مروان قريباً من يعقوب متحصّناً بالغياض والأغوار . وزحف اليه قائدان من بغداد وهما أغرتمش وحشيش في العساكر برّاً وبحرّاً، وأمر سليمان اصحابه بالاختفاء في تلك الغياض حتى يسمعوا أصوات الطبول .

وأقبل اغرتمش، ونهض شرذمة من الزنج فواقعوا أصحابه وشاغلوهم، وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا اليهم في الماء، فانهزم اصحاب اغرتمش وظهر ما كان مختفياً، وقتل حشيش واتبعوهم الى العسكر وغنموا منه، واخذوا من القِطَع البحريّة، ثم استردّها اغرتمش من ايديهم، وعاد سليمان ظافراً وبعث برأس حشيش الى الخبيث صاحبه، فبعث به الى عليّ بن أبان في نواحي الاهواز، وكان مسرور البلخيّ قد بعث الى كور الاهواز أحمد ابن كيتونة، فنزل السوس وكان صاحب الاهواز من قِبَل الصفّار يكاتب صاحب الزنج ويداريه، ويطلب له الولاية عنه، فشرط عليه ان يكون خليفة لابن أبان، واجتمعا بتستر .

ولما رأى أحمد تظافرهما رجع الى السوس، وكان علي بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله، فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفار ولم يذكر الخبيث، فغضب علي وسار الى الاهواز. وجاء احمد ابن كيتونة الى تستر، فأوقع بمحمد بن عبدالله وتحصّن منه بتستر. وأقبل عليّ بن أبان اليه فاقتتلا واشتدّ القتال بينهما، وانهزم علي ابن أبان، وقتل جماعة من اصحابه ونجا بنفسه جريحاً في الساريات بالنهر، وعاد الى الاهواز. وسار منها الى عسكر الخبيث، واستخلف على عسكره بالاهواز حتى داوى جراحَهُ ورجع. ثم بعث أخاه الخليل الى أحمد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتله، وقد أكمن لهم فانهزموا، وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون الى علي بن أبان، وبعث مسلحةً الى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب احمد بن كيتونة، وقتلهم الزنج جميعاً فحظّي عنده بذلك وبعث في اثر ابراهيم من قتله في سرخس.

ولما أراد الصَفّارُ العود الى سجستان ولّى على نيسابور عزيز ابن السري وعلى هراة أخاه عمرو بن الليث، فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسي وسار الى سجستان سنة احدى وستين، فجاء الخبيث الى اخيه علي وزيّن له ان يقيم نائباً عنه في أموره بخراسان، وطلب ذلك من اخيه يعقوب فأذن له. ولما ارتحلوا جمع جمعاً وحارب علياً فأخرجه من بلده، ثم غلب عزيز بن السري على نيسابور وملكها أوّل اثنتين وستين، وقام بدعوة بني طاهر.

واستقدم رافع بن هرثمة من رجالاتهم فجعله صاحب جيشه، وكتب الى يَعمُر بن سَرْكَب وهو يحاصر بلْخ يستقدمه فلم يثق اليه، وسار الى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص، وقتله وزحف اليه أحمد وكانت بينهما مواساة. ثم داخل بعض قوّاد احمد الخجستاني في الغدر بيعمر، على ان يمكّنهُ من أخيه ابي طلحة، فكلف ذلك القائد به فتمّ ذلك، وكبسهم احمد وقبض على يعمر وبعثه الى نائبه بنيسابور فقتله، وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه وسار الى نيسابور في جماعة، فلقي بها الحسين بن طاهر مردوداً من أصبهان طمعاً ان يدعو له احمد الخجستاني كما كان يزعم حين أورد فلم يخطب، فخطب له ابو طلحة وأقام معه بنيسابور، فسار اليهما الخجستاني من هراة في اثني عشر ألفاً.

وقدّم أخاه العباس فخرج اليه ابو طلحة وهزمه، فرجع احمد الى هراة ولم يقف على خبر اخيه، وانتدب رافع وهرثمة الى استعلام خبره واستأمن الى ابي طلحة فأمّنه ووثق اليه. وبعث رافع الى أحمد بخبر أخيه العباس، ثم أنفذه طاهر الى بَيْهق لجباية مالها وضم معه قائدين لذلك، فجبى المال وقبض على القائدين وانتقض. وسار الى الخجستاني ونزل في طريقه بقرية وبها علي ابن يحيى الخارجي، فنزل ناحية عنه، وركب ابن طاهر في اتباعه فادركه بتلك القرية، فأوقع بالخارجي يظنه رافعاً، ونجا رافع الى الخجستاني. وبعث ابن طاهر اسحاق الشاري الى جرجان لمحاربة

الحسن بن زيد والدَّيلَم منتصف ثلاث وستين، فأثخن في الديلم ثم انتقض على ابن طاهر، فسار اليه وكبسه اسحاق في طريقه فانهزم الى نيسابور واستضعفه أهلها فأخرجوه، فأقام على فرسخ منها، وجمع جمعاً وحاربهم، ثم كتب على أهل نيسابور، الى اسحاق باستدعائه ومساعدته علي بن طاهر وأبي طلحة، وكتب الى أهل نيسابور عن اسحاق بالمواعدة . وسار اسحاق أبو محمد في قِلَّةٍ من الجند، فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاصر نيسابور، فاستقدموا الخجستاني من هَراة وأدخلوه .

وسار أبو طلحة الى الحسن ابن زيد مستنجداً فأنجده ولم يظفر، وعاد الى بَلْخ وحاصرها سنة خمس وستين، وخرج للخجستاني من نيسابور به، وحاربه الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة . وجاء أهل جرجان مَدَداً للحسن، فهزمهم الخجستاني وأغرمهم أربعة آلاف ألف درهم . ثم جاء عمرو ابن الليث الى هراة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفّار، وعاد الخُجِستَانِيّ من جرجان الى نيسابور، وسار اليه عمرو من هراة فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع الى هراة، وأقام أحمد بنيسابور .

وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون الى عمرو لتولية السلطان إياه، فأوقع الخجستاني بينهم الفتنة ليشغلهم بها، ثم سار الى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر منه بشيء، فسار نحو سجستان وترك نائبه بنيسابور فأساء السيرة وقوى أهل الفساد،

فوثب به أهل نيسابور واستعانوا بعمرو بن الليث وبعث اليهم جنداً يقبض على نائب الخجستاني وأقاموا بها، ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها وأقام الى تمام سبع وستين، وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بلخ فقدم عليه وأعطاه أموالاً واستخلفه بخراسان، وسار الى سجستان، وسار أحمد الى سرخس ولَقِيَهُ أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان، وأقام أحمد بطَخَارِسْتَان. ثم جاء أبو طلحة الى نيسابور فقبض على أهل الُخجِسْتَانِيّ وعياله، وجاء أحمد من طَخارِسْتَان الى نيسابور وأقام بها. ثم تبين لابن طاهر انّ الخجستاني انما يروم لنفسه، وليس على ما يدّعيه من القيام بأمرهم.

وكان على خَوارِزْمَ أحمد بن محمد بن طاهر، فبعث قائده أبا العباس النَوْفَلِيّ الى نيسابور في خمسة آلاف مقاتل، وخرج أحمد أمامهم وأقام قريباً منهم، وأفحش النوفلي في القتل والضرب والتشويه، وبعث اليه الُخجِسْتَانِيّ فنهاه عن مثل ذلك فضرب الرسل، فلحق أهل نيسابور بالخجستاني واستدعوه وجاؤا به وقبض على النوفلي وقتله. ثم بلغه انّ ابراهيم بن محمد بن طَلْحَةَ بن عبدالله ابن طاهر بمرو، فسار اليه من أسورد في يوم وليلة وقبض عليه وولى عليها موسى البَلْخيّ، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل اليه نحو عشرين ألف درهم، وكان الخجستاني لما بلغه أخذ والدته من نيسابور وهو بطخارستان وسار مُجِدًّا، فلما بلغ هراة أتاه غلام لابي طلحة مستأمناً فأمّنه وقرّبه فنص بـه

وغلامه الخالصة عنده والجنود، وطلب الفرصة في قتل الخجستاني وكان قد غور ساقية قطلغ، فاتفقا على قتله فقتلاه في شوّال سنة ثمان وستين . وانفذ داجور خاتمه الى الاسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر الى ابي طلحة ليستقدموه، وأبطأ ظهوره على القوّاد فدخلوا فوجدوه قتيلاً، وأخبرهم صاحب الاسطبل بخبر الخاتم والدواب، وطلبوا داجور فلم يجدوه ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه، واجتمعوا على رافع بن هرثمة وكان من خبره ما نذكره .

استيلاء الصفار على الأهواز

ثم سار يعقوب الصفّار من فارس الى الاهواز، وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البلخي على الاهواز مقيم على تستر، فرحل عنها ونزل يعقوب جنديسابور، ففرّ كل من كان في تلك النواحي من عساكر السلطان، وبعث الى الاهواز من اصحابه الخضر بن المير، فافرج عنها علي بن أبان والزنج ونزلوا السدرة، ودخل خضر الاهواز، وأقام أصحاب الخضر وابن أبان يغير بعضهم على بعض . ثم فرّ ابن أبان وسار الى الاهواز فأوقع بالخضر وفتك في أصحابه وغنم، ولحق الخضر بعسكر مكرم، واستخرج ابن أبان ما كان بالاهواز ورجع الى نهر السدرة . وبعث يعقوب الى الخضر مدداً وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالاهواز، فأبى

ابن أبان من ذلك إلّا ان ينقل طعاماً ما كان هناك فنقله وتوادعوا .

استيلاء الزنج على واسط

قد تقدم لنا واقعة أغرتمش مع سليمان بن جامع، وظفر سليمان به، فلما انقضى أمره سار سليمان الى صاحب الخبيث ومرّ في طريقه بعسكر تكين البخاريّ وهو ببردود، فلما حاذاه قريباً أشار عليه الجنانيّ ان يغير على العسكر في البحر ويستطرد لهم لينتهزوا منهم الفرصة ففعل، وجاء مستطرداً وقد أكمنوا لهم الكمناء حتى أجازوا موضع الكمائن . وركب سليمان اليهم وعطف الجناني على من في النهر وخرجت الكمائن من خلفهم فأثخنوا فيهم الى معسكرهم، ثم بيتوهم ليلاً فنالوا منهم، وانكشف سليمان قليلاً، ثم عبر أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة براً وبحراً، فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره . ثم استخلف سليمان على عسكره الجناني، وسار الى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين . ومضى الجنانيُّ بالعسكر لطلب الميرة، فاعترضه جعلان من قوّاد السلطان وهزمه وأخذ سيفه .

ثم زحف منكجور ومحمد بن علي بن حبيب من القوّاد، وبلغ الحجاجية فرجع سليمان مغذّاً الى طهتا يريد جعلان وفي مقدمته الجنانيّ . ثم كرّ الى ابن خبيث فهزمه وقتل أخاه وغنم ما معه . ثم سار في شعبان الى قرية حسان فأوقع بالقائد هناك جيش ابن

خمار تكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها . ثم بعث العساكر في الجهات للنهب براً وبحراً، واعترض جعلان بعضهم فأوقع بهم، ثم سار سليمان الى الرصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغنم ما فيها ورجع الى منزله بمدينة الخبيث، وجاء مطر الى الحجاجية فعاث فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضي سليمان، فحمله الى واسط . ثم سار الى طهتا وكتب الجناني بذلك الي سليمان فوافاه لاثنتين من ذي الحجة، وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان سار الى الكوفة وجبيل، فعاد الى البريديّة وصرف جعلان وضبط تلك الاعمال، وأوقع تكين بسليمان وقتل جماعة من قوّاده . ثم ولى الموفّق على مدينة واسط محمد بن الوليد وجاءه في العساكر، واستمدّ سليمان صاحبه بالخليل بن أبان في ألف وخمسمائة مقاتل، فزحف الى ابن المولد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخاري فقاتله عامة يومه، ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان الى جبيل، واستدعوه في نواحيها تسعين ليلة .

استيلاء ابن طولون على الشام

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قوّاد الاتراك، فتوفي سنة أربع وستين وقام ابنه عليّ مكانه . وتجهز أحمد بن طولون من مصر الى دمشق، وكتب الى ابن ماجور بان المعتمد اقطعه الشام والثغور فأجاب بالطاعة، وسار أحمد واستخلف على مصر ابنه العباس، ولقيه ابن ماجور بالرملة فولّاه عليها، وسار الى

دمشق فملكها وأقرّ القوّاد على اقطاعهم . ثم سار الى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب، وكان على انطاكية وطرسوس سيما الطويل من قوّاد الاتراك، فبعث اليه ابن طولون بالطاعة، وأن يقره على ولايته فامتنع، فسار اليه ودلّوه على عَوْرَةٍ في سور البلد نصب عليها المجانيق، وقاتله فملكها عَنْوَةً وقتل سيما في الحرب، فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها ويريد الغزو. وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم الى الشام، ومضى الى حران وبها محمد بن أتامش فحاربه وهزمه واستولى عليها .

ثم جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس بمصر وانه أخذ الاموال وسار الى بَرْقَةَ فلم يكترث لذلك، وأصلح أحوال الشام وأنزل بحَرّان عسكراً وولى مولاه لؤلؤاً على الرَّقّةِ وأنزل معه عسكراً، وبلغ موسى بن اتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو جَرْجان وبها أحمد بن جيفونة من قوّاد ابن طولون فأهمل مسيره، وقال له بعض الاعراب واسمه أبو الاعز لا يهمك أمره فانه طَيَّاشٌ قَلِقٌ وأنا آتيك به ! فقال افعل ! وزاده عشرين رجلاً، وسار الى عسكر موسى بن أتامش، فأكمن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقي على زيّ الأعراب، وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واهتاج العسكر وركبوا واستطرد لهم أبو الأعز حتى جاوز الكمين وموسى في أوائلهم، فخرج الكمين

وانهزم أصحاب موسى من ورائه، وعطف عليه أبو الأعز فأخذه أسيراً وجاء به الى ابن جيفونة؛ وبعث به الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وذلك سنة ست وستين .

ومن أخبار الزنج انّ سليمان احتفر نهراً يمرّ الى سواد الكوفة ليتهيأ له الغارة على تلك النواحي وكان أحمد بن كيتونة (١) فكبسهم وهم يعلمون، وقد جروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحواً من أربعين قائداً وأحرق سفنهم، ورجع سليمان مهزوماً الى طَهثا. ثم عدَت عساكر الزنج على النُّعمانيَّةِ واستباحوها وصار أهلها الى جَرْجَرَايا وأجفل أهل السواد الى بغداد، وزحف علي بن أبان بعسكر الزنج الى تَسْتُر فحاصرها وأشرف على أخذها . وكان الموفق استعمل على كور الأهواز مسروراً البَلْخيّ فولى عليها تكين البُخاريّ فسار اليها ووافاها أهل تستر في تلك الحال فأغزى عليّ ابن أبان وهزمه، وقتل من الزنج خلقاً ونزل تستر . وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس، وجاء عين بخبرهم الى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة . وسار ابن أبان فانهزم أمامه وكتب ابن ابان الى تكين يسأله الموادعة فوادعه بعض الشيء واتهمه مسرور فسار وقبض عليه وحبسه عند عِجلان ابن أبان، وفرّ منه أصحابه وطائفة الى الزنج وطائفة الى محمد بن عبدالله الكرخي ثم أمن الباقين فرجعوا اليه .

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٠ : أحمد بن ليشويه، وهو عامل الموفق بجنبلاء.

موت يعقوب الصفار وولاية عمر وأخيه

وفي سنة خمس وستين أخريات شوّال منها مات يعقوب الصفّار وقد كان افتتح الرجح وقتل مَلِكَها وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكةً واسعة الحدود. وافتتح زابَلِسْتانَ وهي غزنة، وكان المعتمد قد استماله وقلّده أعمال فارس. ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته، فولاه المُوَفَّقُ من قِبَلِهِ ما كان له من الاعمال : خراسان وأَصْبَهانَ والسِنْد وسِجِسْتان والشُرْطة ببغداد وسرَّ مَنْ رَأَى وقبله عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وخلع الموفق عمرو بن الليث، وولّى على أصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز ابن ابي دلف محمد بن ابى الساج .

أخبار الزنج مع اغرتمش

قد كان تقدّم لنا ايقاع سليمان بن جامع بأغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط . ثم ولى اغرتمش مكان تكين البخاريّ ما يتولاه من اعمال الاهواز فدخل تستر في رمضان ومعه مطر بن جامع، وقتل جماعة من اصحاب أبان كانوا مأسورين بها . ثم سار الى عسكر مكرم، ووافاه هناك علي بن أبان والزنج، فاقتتلوا ثم تحاجزوا لكثرة الزنج، ورجع عليّ الى الاهواز وسار أغرتمش الى الخليل بن أبان ليعبروا اليه من قنطرة أربل، وجاءه أخوه علي وخاف أصحابه المخلفون بالاهواز فارتحلوا الى نهر

السروة وتحارب علي واغرتمش يوماً ثم رجع عليّ الى الاهواز ولم يجد اصحابه، فبعث من يردّهم اليه فلم يرجعوا . وجاء اغرتمش وقتل مطر ابن جامع في عدّة من القوّاد، وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه اغرتمش وتركه .

ثم بعث محمد بن عبيد الله الى أبِكْلاي ابن الخبيث في ان يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه، وبعث يطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار اليه، وهرب محمد من رَامَهُرْمُز الى اقصى معاقله، ودخل عليّ والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها . ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم، وترك أعماله . ثم استنجده محمد بن عبيدالله على الاكراد، على أنّ لعليّ غنائمهم، فاستخلف عليٌّ على ذلك مُجْلِز، وطلب منه الرهنَ فمطلَ وبعث اليه الجيش فزحف بهم الى الاكراد . فلما نشب القتال انهزم اصحاب محمد فانهزم الزنج وأثخن الاكراد فيهم، وبعث عليٌّ من يعترضهم فاستلبوهم، وكتب علي الى محمد يتهدّده فاعتذر وردّ عليهم كثيرًا من أسلابهم، وخشي من الخبيث وبعث الى اصحابه مالًا ليسألوه في الرّضا عنه، فأجابهم الى ذلك على ان يقيم دعوته في أعماله ففعل كذلك . ثم سار ابن ابان لحصار مؤتة واستكثر من آلات الحصار، وعلم بذلك مسرور البلخي وهو بكور الاهواز فسار اليه ووافاه عليها، فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هناك، وقتل من الزنج خلق، وجاء الخبر بمسير الموفق اليهم .

استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة

لما دخل الزَنجُ واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه؛ بعث المُوَفَّقُ ابنه أبا العَبّاسِ، وهو الذي وَلِيَ الخلافة بعد المُعتَمِدِ ولُقِّبَ المُعتَضِدُ فبعثه أبوه بين يديه في ربيع سنة ست وستين في عشرة آلاف من الخيل والرجال، وركب لتشييعه، وبعث معه السُفُنَ في النهر، عليها أبو حمزة نصر، فسار حتى وافى الخيل والرَّجل والسفن النهرِيّة وعلى مُقدمته الجناني وانهم نزلوا الجزيرة قريباً من بردروبا، وجاءهم سليمان بن موسى الشعراني مدداً بمثل ذلك، وان الزنج اختلفوا في الاحتشاد، ونزلوا من السفح الى أسفل واسط ينتهزون الفرصة في ابن الموفق لما يظنون من قِلّة دِرايَتِهِ بالحرب . فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيراً فلقيهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أوّلاً، ثم كرّ في وجوههم وصاح بنصير فرجع وركب أبو العباس السفن النهريّة فهزم الزنج وأثخن فيهم، واتبعهم ستة فراسخ، وغنم من سعيهم وكان ذلك أوّل الفتح .

ورجع سُلَيمانُ بن جامع الى نهر الامين، وسليمان بن موسى الشعراني الى سوق الخميس، وأبو العباس على فرسخ من واسط يغاديهم القتال ويُراوحُهُم . ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه، وركب في السفن النهرية وبرز اليه نُصَير في سفنه، وركب معه أبو العباس في خاصّته وأمر الجند بمحاذاته من الشطِّ، ونشب الحرب فوقعت الهزيمة على الزنج وغُنِمَت سُفُنُهُمْ، وأفلت سليمان والجناني

من الملكة، وبلغوا طَهْثا، ورجع ابو العباس الى معسكره وأمر باصلاح السفن المغنومة، وحفر الزنج في طريق الجبل الآبار وغطوها، فوقع بعض الفرسان فيها، فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق. وأمر الخبيث أصحابه بالسفن في النهر وأغاروا على سفن أبي العبّاس، وغنموا بعضها وركب في اتباعهم واستنقذ سفنهم، وغنم من سفنهم نحواً من ثلاثين، وجدّ في قتالهم وتحصن ابن جامع بطهثا، وسمى مدينته المنصورة. والشعراني بسوق الخميس، وسمى مدينته المنيعة.

وكان أبو العباس يغير على الميرة التي تأتيهم من سائر النواحي، وركب في بعض الايام الى مدينة الشعراني التي سماها المنيعة، وركب نُصَيْرٌ في النهر وافترقوا في مسيرهم، واعترضت أبا العباس جماعةٌ من الزنجِ فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره، وأشاعوا قتل نصير، وخالفهم نصير الى المدينة فأثخن فيها وأضرموا النار في بيوتها. وجاء الخبر بذلك الى أبي العباس بسبرة. ثم جاء نصير ومعه اسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم، ورجع ابو العباس الى عسكره، وبعث الخبيث الى ابن ابان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبي العبّاس.

وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنيعة والمنصورة

كان المُوَفّقُ لما بعث ابنه ابا العبّاس لحرب الزِنجِ تأخر لامداده بالحشود والمُدَدِ وازاحة علله ومسارقة أحواله، فلما بلغه اجتماع ابن

ابان وابن جامع لحربه سار من بغداد اليه فوصل الى واسط في ربيع الاول من سنة سبع وستين، ولقيه ابنه واخبره بالاحوال، ورجع الى عسكره . ونزل المُوَفَّقُ على نهر شَدَّاد، ونزل ابنه شرقي دجلة على موهة[1] بن مساور، فأقام يومين ثم رحل الى المنيعة بسوق الخميس سار اليها في النهر، ونادى بالمقامة ولقيه الزنج فحاربوه . ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم اصحاب ابي العباس فاقتحموا عليهم المنيعة وقتلوا خلقاً واسروا آخرين وهرب الشعراني واختفى في الآجام آخرون، ورجع الموَفَّقُ الى عسكره وقد استنقذ من المسلمات نحو خَمْسَ عَشْرَةَ امرأةً ثم غدا على المنيعة فأمر بنهبها وهدم سورها وطمِّ خندقها واحراق ما بقي من السُّفُنِ فيها، وبعث الاقوات التي أُخذت فكانت لا حدّ لها فصرفت في الجند .

وكتب الخبيث الى ابن جامع يحذّرُهُ مثل ما نزل بالشعْرانيّ وجاءت العيون الى الموفق ان ابن جامع بالحوانيت فسار الى الضَبيّةِ وأمر ابنه بالسَّيرِ في النهر الى الحوانيت فلم يلق ابن جامع بها، ووجد قائدين من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلات ولحق بمدينته المنصورة بطهثا فقاتل ذلك الجند ورجع الى أبيه بالخبر فأمره بالمسير اليه، وسار على أثره برّاً وبحراً حتى نزلوا على ميلين من طهثا، وركب لبيوني مقاعد القتال على المنصورة فلقيه الزنج وقاتلوه وأسروا جماعة من غلمانه .

---

(١) الموهة : ماء الوجه . ولا معنى لها هنا . ولعلها «ماهة» وهي الماء . وتصغيرها مويهة .

ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدي الجناني فمات وأوهن موته، ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبّى عسكره وبعث السفن الى البحر الذي يصل الى المنصورة، ثم صلى وابتهل بالدعاء وقدم ابنه أبا العباس الى السور، واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولوا منهزمين الى الخنادق وراءه فقاتلوه عندها واقتحمها عليهم كلها، ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا وأجلوهم عن المدينة، وما اتصل بها وهو مقدار فرسخ، وملكه الموفق وأفلت ابن جامع في نفر من أصحابه. وبلغ الطلاب في أثره الى دجلة وكثر القتل في الزنج والأسر، واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف، وأعطى ما وجد في المنصورة من الذخائر والاموال للاجناد، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة. ولما جاء جماعة من الزنج الى الآجام اختفوا فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطم خنادقها وأقام سبعة عشر يوماً في ذلك ثم رجع إلى واسط.

حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها

ثم إنّ المُوَفّقَ عرض عساكره وأزاح عللهم وسار معه ابنه أبو العباس الى مدينة الخبيث فأشرف عليها، ورأى من حصانتها بالأسوار والخنادق ووعر الطرق، وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه. ولما عاين الزنجُ عساكر الموفق دهشوا وقدم ابنه أبا العباس في السفن حتى ألصقها بالأسوار فرموه

بالحجارة في المجانيق والمقاليع والأيدي، ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يحتسبوه. ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والملّاحين نزعوا الى الموفق فقبلهم وأحسن اليهم، فتتابع المُستأمِنونَ في النهر، فوكل الخبيث بفوهة النهر من منعهم وتعبى أهل السفن للحرب مع بهبود قائد الخبيث، فزحف اليه أبو العباس في السفن وهزمه وقتل الكثير من أصحابه، ورجع فاستأمن اليه بعض تلك السفن النهريّة وكثير من المقاتلة فأمّنهم وأقام شهراً لم يقاتلهم.

ثم عبّى عساكره منتصف شعبان في البرّ والبحر وكانوا نحواً من خمسين ألفاً. وكان الزّنجُ في نحو ثلثمائة الف مقاتل، فأشرف عليهم ونادى بالأمان إلا للخبيث، ورمى بالرّقاع في السهام بالأمان، فجاء كثير منهم ولم يكن حرب. ثم رحل من مكانه ونزل قريباً من المختارة، ورتب المنازل من انشاء السفن، وشرع في اختطاط مدينة لنزله سمّاها المُوَفّقيّة. فأكمل بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الأموال والميرة اليها، وأغب الحرب شهرًا فتتابعت الميرة الى المدينة، ورحل اليها التجار بصنوف البضائع، واستبحر فيها العمران ونفقت الأسواق، وجلبت صنوف الاشياء.

ثم أمر الموفق ابنه أبا العباس بقتال من كان من الزنج خارج المُختارة فقاتلهم وأثخن فيهم، فاستأمن اليه كثير منهم فأمّنهم ووصلهم وأقام الموفق أياماً يحاصر المحاربين ويصل المستأمنين،

واعترض الزنج بعض الوفاد[١] الجائية بالميرة، فأمر بترتيب السفن على مخارج الأنهار، ووكل ابنه أبا العباس بحفظها، وجاءت طائفة من الزنج بعض الايام الى عسكر نُصَير يريدون الايقاع به، فأوقع بهم وظفر ببعض القوّاد منهم، فقتل رشقاً بالسهام، وتتابع المستأمنة فبلغوا الى آخر رمضان خمسين ألفاً.

ثم بعث الخبيث عسكراً من الزِنج مع عليّ بن أبان ليأتوا من وراء الموفق اذا نَاشَبَهُم الحرب، ونمى اليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العبّاس فأوقع بهم، وحملت الأسرى والرؤوس في السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه، وظنّوا أن ذلك تمويه، فرميت الروس في المجانيق حتى عرفوها، فظهر منهم الجزع وتكرّرت الحرب في السفن بين أبي العباس وبين الزنج، وهو يظهر عليهم في جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم، فاشتدّ الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين، مثل محمد بن الحَرْث القُمّيّ وأحمد اليربوعي. وكان من اشجع رجاله القمي منهم موكّلا بحفظ السور فأمنهم الموفق ووصلهم، وبعث الخبيث قائدين من أصحابه في عشرة آلاف ليأتوا البُطَيْحَة من ثلاثة وجوه، فيعبروا من تلك النواحي ويقطعوا الميرة عن الموفق. وبلغ الموفق خبرهم فبعث اليهم عسكراً مع مولاه وزل فأوقع بهم وقتل وأسر، وأخذ منهم أربعمائة سفينة.

(١) بمعنى «الوفود».

ولما تتابع خروج المستأمنة وكل الخبيث من يحفظها، وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قوّاده إلى الموفق يستأمنون، وأن يناشبهم الحرب ليجدوا السبيل اليه فأرسل ابنه أبا العباس إلى نهر الغربي وبه علي بن أبان فاشتدّ الحرب، وظهر أبو العباس على ابن أبان، وأمدّه الخبيث بابن جامع ودامت الحرب عامّة يومهم، وكان الظفر لابي العباس، وسار اليه المستأمنة الذين واعدوه. وانصرف أبو العباس الى مدينة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعاً فيهم لقتلهم، فتكاثروا عليه، ثم جاءه المدد من قبل أبيه فظهر عليهم. وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبا العباس من ورائه، وخفقت طبوله، فانكشف أصحاب أبي العباس، ورجع منهزمة الزنج فأَجِبَّت جماعة من غِلمان الموفق وعدّة من أعلامهم، وحامى أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا، وقوي الزنج بهذه الواقعة، فأجمع الموفق العبور الى مدينتهم بعسكره.

فعبّى الناس لذلك من الغداة آخر ذي الحجة، واستكثر من المعابر والسُفُن وقصدوا حِصْنَ اوكان بالمدينة وفيها أنكلاي بن الخبيث وابن جامع وابن أبان، وعليه المجانيق والآلات، فأمر غلمانه بالدنُوّ منه فخاموا لاعتراض نهر الاتراك بينهم وبينه، فصاح بهم فقطعوا النهر سبحاً وتناولوا الركن بالسلاح يهدمونه، ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفق وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقاً عظيماً. وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الاخرى

وابن أبان قبالته، فهزمه ووصل أصحاب ابي العباس الى السور فثلموه ودخلوا، ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى ردّهم الى مواقفهم.

ثم توافى الفعلة فثلموا السور في مواضع ونصبوا على الخندق جسراً عبر عليه المقاتلة، فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم الى دير ابن سمعان فملكه أصحاب الموفق وأحرقوه، وقاتلهم الزنج هناك. ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث، فركب من هنالك، وانهزم عنه أصحابه وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس، وتأخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين في السفن واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن. وكان بهبود بازاء مسرور البَلْخيّ فنال من أصحابه واستأمن بعض المنهزمين من الزنج والأعراب بعثوا بذلك من عبادان والبصرة، وكان منهم قائده ريحان أبو صالح المغربي فأمّنهم الموفق وأحسن اليهم وضم ريحان الى ابي العباس.

وخرج في المحرم الى الموفق من قواد الخبيث وثقاته جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان، فأحسن اليه الموفق وحمله في بعض السفن الى قصر الخبيث، فوقف وكلم الزنوج في ذلك وأقام الموفق أياماً استجَمّ فيها أصحابه، فلما كان منتصف ربيع الثاني قصد مدينة الخبيث وفرّق القوّاد على جهاتها ومعهم النقابون للسور، ومن ورائهم الرماة يحمونهم. وتقدّم اليهم أن لا يدخلوا بعد الهزم إلّا باذنه، فوصلوا الى السور وثلموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم وبلغوا ابعد مما وصلوا اليه بالامس. ثم تراجع الزنج وحاربوا من

المكامن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد ان نال منهم الزنج، ورجع الموفق الى مدينته، ولام أصحابه على تقدمهم بغير اذنه.

ثم بلغ الموفق انّ بعض الأعراب من بني تميم يجلبون الميرة الى الزنج فبعث اليهم عسكراً أثخنوا فيهم قتلًا وأسراً وجيء بالأسرى فقتلهم، وأوعز الى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية، وجهدهم الحصار وكثر المستأمنة وافترق كثير من الزنج في القرى والامصار البعيدة، وبث الموفق دعاته فيهم، ومن أبى قتلوه. وعرض المستأمنين وأحسن اليهم لاستمالتهم وتابع الموفق وابنه قتال الزنج، وقتل بهبود بن عبد الواحد من قواد الخبيث في تلك الحروب، فكان قتله من أعظم الفتوح، وكان قتله في السُفُن البَحرِيّةِ ينصب فيها اعلاماً كأعلام الموفق، ويخايل أطراف العسكر فيصيب منهم، وأفلت في بعض الأيام من يد أبي العباس بعد ان كان حصل في قبضته. ثم خيل أخرى لبعض السفن طامعاً فيها فحاربوه وطعنه بعض الغلمان منها فسقط في الماء وأخذه أصحابه فمات بين أيديهم، وخلع الموفق على الغلام الذي طعنه وعلى أهل السفينة. ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضربهم على ما له، فاستفسد قلوبهم وهرب كثير منهم الى الموفق فوصلهم وطلبهم بالأمان ليقبّتهم. ثم اعتزم على العبور الى الزنج من الجانب الشرقي وكانت طرقه ملتفة بالنخيل، فأمر بقطعها وأدار الخنادق على معسكره حذراً من البيات. ثم

صعب على الموفق القتال من الجانب الغربي لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه، وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلة خبرتهم بها، فصرف قصده الى هدم أسوارهم، وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلمى، وباشر الحرب بنفسه، واشتد القتال وكثرت القتلى في الجانبين وفشت الجراح، وكانت في النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال ويأتون أصحاب الموفق من ورائهم، فأمر بهدمهما فهدمتا. ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا الى دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه.

ثم تقدموا الى الجامع فخربوه وجاءوا بمنبره الى الموفق بعد ان استمات الزنج دونه فلم يَغْنَوْا به. ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح، ثم أصاب المُوَفّق في ذلك اليوم سهمٌ في صدره، وذلك لخمس بقين من جمادى سنة تسع وستين، فعاد الى عسكره. ثم صابح الحرب تقوية لقلوب الناس. ثم لزم الفراش واضطرب العسكر، وأُشير عليه بالذهاب الى بغداد فابى، فاحتجب عن الناس ثلاثة اشهر حتى اندمل جرحه. ثم ركب الى الحرب فوجد الزنج قد سدّدوا ما تثلم من الأسوار فأمر بهدمها كلّها، واتصل القتال مما يلي نهر سلمى كما كان، والزنج يظنون انهم لا يأتون الا منها فركب يوماً لقتالهم، وبعث السفن أسفل نهر ابي الخصيب، فانتهوا الى قصر من قصور الزنج فأحرقوه وانتهبوا ما فيه، واستنقذوا كثيراً من الساكن فيه.

ورجع الموفق آخر يومه ظافراً. ثم بكر لحربهم فوصلت المقدّمات دار أنكلاي بن الخبيث وهي متصلة بدار ابيه، واشار ابن أبان باجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدي العساكر، وأمر الموفق بطم الخنادق والانهار، ورام احراق قصره وقصده من دجلة فنمع من ذلك كثرة الحماة عنه، فأمر أن تسقف السفن بالاخشاب وتطلى بالادوية المانعة من الاحراق. ورتب فيها انجاد أصحابه، وباتوا على أهبة الزحف من الغد. وجاء كاتب الخبيث وهو محمد ابن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأمناً، وبكروا الى الحرب وأمر الموفق ابنه أبا العباس باحراق منازل القوّاد المتصلة بقصر الخبيث ليشغلهم عن حمايته، وقصدت السفن المطلية قصر الخبيث فأحرقوا الرواشن والأبنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار على السفن فلم تؤثر فيها.

ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن، فلما جاء الدعاة الى القصر أحرقوا بيوتاً كانت تشرع على دجلة، واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها. واستولى أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة من النساء، وأحرق قصر أنكلاي ابنه، وجرحا، وعاد الموفق عشاء يومه مظفراً. ثم بكر من الغد للقتال وأمر نصيراً قائد السفن بقصد القنطرة التي كان الخبيث عملها في نهر ابي الخصيب دون القنطرة التي كان اتخذها، وفرّق العسكر في الجهات فدخل نصير في أوّل المدّ ولصق

بالقنطرة واتصل الشدّ من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حسر الماء عنها، وفطن لها الزنج فقصدوها فألقى الملّاحون أنفسهم في الماء، وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشدّ قتال . ثم انهزم وسقط في الحريق فاحترق، ثم خلص بعد الجهد .

وانصرف الموفق سالماً وأصابه مرض المفاصل واتصل به الى شعبان من سنته، فامسك في هذه المدّة عن الحرب حتى أبلى فأعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها، وجعل امامها سكراً من الحجارة ليضيق المدخل على السفن، فبعث الموفق طائفة من شرقي نهر ابي الخصيب وطائفة من بحريه ومعهم الفعلة لقطع القنطرة؛ وجعل امامها سفناً مملوءة من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحترق الجسر، وفرّق جنده على القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوّال، وتقدّموا الى الجسر ولقيهم انكلاي بن الخبيث وابن أبان وابن جامع، وحاموا على القنطرة لعلمهم بما في قطعها من المضرّة عليهم، ودامت الحرب عليها الى العشيّ .

ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها ونقضها النجّارون ونقضوا الاثقال التي دونها وأدخلوا السفن بالقصب وأضرموها ناراً، ووافت القنطرة فاحرقتها ووصل النجارون بذلك الى ما أرادوا . وسهل سبيل السفن في النهر، وقتل من الزنج خلق واستأمن آخرون، وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن اصحابه الى الجانب الشرقي من نهر ابي الخصيب، ونقل اسواقه اليه وتبين ضعفه

فانقطعت عنه الميرة وفقدت الاقوات وغلت حتى اكل بعضهم بعضاً واجمع الموفق ان يحرق الجانب الشرقي كما احرق الغربي . فقصد دار الهمذان وكان حصيناً وعليه الآلات، فلما انتهى اليها تعذر الصعود لعلو السور فرموا بالكلاليب ونشبت في أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت فانهزم المقاتلة وصعد النفاطون فاحرقوا ما كان عليها من الآلة ، ونهبوا الاثاث والمتاع . واتصل الحريق بما حولها من الدور ، واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث فأمنهم ، ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الأول تسمى المباركة ، وبها التجار الذين بهم قوامهم، فقصدها لاحراقها وحاربه الزنج عندها ، وأضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقي التحريق عامّة اليوم .

ثم رجع الموفق ، ثم انتقل التجار بامتعتهم وأموالهم الى أعلى المدينة ، ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتعوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي، واحتفر خندقاً عريضاً حصّنَ به منازل أصحابه على النهر الغربي . ثم خرّق الموفق باقي السور الى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت عليه، وكان للخبيث جَمْعٌ من الزنج وهم أشجع أصحابه ، وقد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيعوقونهم فاجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه براً وبحراً وفرّقهم على سائر جهاته وجهات الخبيث ، وأمدّ الخبيث الملعون بالمهلبي وابن جامع ،

فلم يغنوا عنه وانهزموا وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقاً ، وخلصوا من الحصن كثيراً من النساء والصبيان ، ورجع الموفق الى عسكره ظافراً.

استيلاء الموفق على الجهة الغربية

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب، وأحرق الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضاً، فكان في احراقه حرب عظيمة. وأعدّت لذلك سفينة ملئت قصباً وجعل فيها النفط ، وأرسلت في قوّة المدد ، فتبادر الزنوج اليها وغرقوها. فركب الموفق الى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدهم من غربي النهر وشرقيه الى ان انتهوا الى الجسر من غربيه وعليه أنكلاي بن الخبيث وابن جامع فأحرقوه ، وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقي ، فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لانشاء السفن وسجن كان هناك للخبيث. وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي، واستأمن كثير من قواده فأمّنهم وأخرجوا ارسالاً وخرج قاضيه هارباً ، ووكل بالجسر الثاني من يحفظه. وأمر الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لاحراقه فزحف في انجاد غلمانه ومعه الفعلة والآلات.

وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العباس أنكلاي وابن جامع ، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه والمهلبي. وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن

جامع وانكلاي وأضرمت النار في الجسر، ولما وافياه وهو مضطرم ناراً ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد ان غرق من أصحابهما خلق، واحترق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافترق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنقذ من كان في حبسه من النسوة والرجال. وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن الى دجلة، ونهبها أصحاب الموفق، واستأمن انكلاي بن الخبيث وعلم أبوه فثناه عن ذلك. واستأمن بن سليمان ابن موسى الشعراني من رؤساء قوّاده فاجيب بعد توقف. ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم ووصل الى الموفق فأحسن اليه، واقتفى أثره في ذلك شبل بن سالم من قواده، وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء، وصار شبل ابن سالم يخرج في السرايا الى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم.

استيلاء الموفق على الجهة الشرقية

وفي خلال هذه الحروب واتصالها مرن أصحاب الموفق على تخلل تلك المسالك والشعاب مع تضايقها ووعرها، وأجمع الموفق على قصد الجانب الشرقي في نهر أبي الخصيب، وندب لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم، ووعدهم بالاحسان والزيادة فأبوا وسألوه الاقالة فأبى لتتميز مُنَاصَحَتُهم. وجمع سفن دجلة من كل جانب، وكان فيها عشرة آلاف مَلّاح من المُرْتَزِقَةِ. وأمر ابنه أبا العباس بقصد مدينة الخبيث الشرقيّةِ من جهاتها، فسار الى دار

المهلبي وهو في مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانه، وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير حفافي النهر يشاهد أحوالهم، وبكر الموفق لثمان خلون من ذي القعدة زاحفاً للحرب، فاقتتلوا ملياً وصبروا . ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق وأسر آخرون فقتلوا، وقصد الموفق بجمعه دار الخبيث، وقد جمع الخبيث أصحابه للمدافعة فلم يغنوا عنه وانهزموا وأسلموها فنهبها أصحاب الموفق وسبوا حريمه وبنيه وكانوا عشرين . ونجا الى دار المهلبي ونهبها واشتغل أصحابهم جميعاً بنقل الغنائم الى السفن، فاطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس الى مواقفهم . ثم صدق الموفق الحملة عشيّ النهار فهزم الزنج الى دار الخبيث ورجع الناس الى عسكره، ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في القدوم عليه فأخّر القتال الى حضوره .

مقتل صاحب الزنج

ولما وصل غُلام ابن طولون في ثالث المحرّم من سنة سبعين وجاء في جيش عظيم، فأحسن اليهم المُوَفّق وأجرى لهم الارزاق على مراتبهم، وأمره بالتأهّب لقتال الخبيث . وقد كان لما غلب على نهر أبي الخصيب وقُطِعَتِ القناطر والجسور التي عليه، أحدث فيه سكراً وضَيّق جِرْيَةَ الماء ليمنع السُفُنَ من دخوله اذا حضر، ويتعذّرُ خروجها أمامه . وبقي جَرْيُه لا يتهيّأ الا بازالة ذلك السِكْرِ . فحاول ذلك مدّةً والزنجُ يدافعون عنه . ودفع الموفّق لذلك لؤلؤاً

في أصحابه ليتمرّنوا على حرب الزِنْجِ في تلك المسالك والطُرُق فأحسنوا البلاء فيها ووصلهم، وألحّ على العسكر، وهو كل يوم يقتل مُقاتِلَتَهُمْ ويحرقُ مساكنهم ويقتل المُستأمِنَةَ منهم . وقد كان بقي بالجِهَةِ الغربيّة بقيّة من أبنيةٍ ومزارِعَ، وبها جماعة يحفظونها . فسار اليهم أبو العباس وأوقع بهم، ولم يسلم منهم الا الشريد .

ثم غلبهم على السِكْرِ وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدّم ابنه أبا العبّاس الى دار المُهَلّبِ وأضافَ المستأمنة الى شِبْلِ بن سالمٍ، وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نَفْخَ البوق، ونَصَبَ عَلَمِهِ الأسْوَدِ على دار الكَرْمَانِيّ . ثم صَمَدَ اليهم وزحف الناسُ في البرِ والنهر، ونُفِخَتِ الأبْوَاقُ، وذلك لثلاث بقين من المُحَرَّم سنة سبعين واشتدّ القتال وانهزم الزِنْجُ ومات منهم قتلاً وغَرَقاً ما لا يُحصى واستولى المُوَفّق على المدينة واستنقذوا الاسرى وأسروا الخليل وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما، ومضى الخبيث ومعه ابنه انكلاي وابن جامع، وقوّادٌ من الزِنج الى موضع بنهر السُفْيَانِيّ، كانوا أعدّوه ملجأ اذا غلب على المدينة، واتّبعه المُوَفّق في السُفُن ولؤلؤ في البرّ . ثم اقتحم النهر بفرسه واتّبعه أصحابُهُ فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان واعتصموا بجبل وراءه، ورجع لؤلؤ عنهم وشكره المُوَفّق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح .

وجمع المُوَفّق أصحابه فوبّخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا

بأنهم ظنوا انصرافه. ثم تحالفوا على الاقدام والثباتِ حتى يظفروا وسألوه أن ترد المعابر التي يعبُرون فيها ليستميت الناس في حرب عدوّهم، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صَفَر فعبّى المراكب وبعثهم الى المراكز وردّ المعابر التي عبروا فيهـا، وتقدّم العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضّوا جماعةً وأثخنوا فيهم قتلًا وأسراً وافترقوا كلّ ناحيةٍ. وثَبُتَ مع الخبيث لِمّةٌ من أصحابه، فيهم المُهَلَّبيّ، وذهب ابنه أنكِلاي وابنُ جامِع وأتبع كلًّا منهم طائفةً من العسكر بأمر أبي العباس بن المُوَفّق. ثم أسر ابراهيم بن جعفر الهَمَذَانيّ فاستوثقوا منه.

ثم كرّ الخبيث والمنهزمون معه على من اتّبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقفهم. ثم رجعوا ومضى الموفق في اتّباع الخبيث الى آخر نهر أبي الخصيب، فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار أنكلاي نحو الديناريّ ومعه المُهَلّبيّ. وبعث المُوَفّق أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبمن معهم، وكانوا زهاء خمسة آلاف، فاستوثق منهم ثم استأمن اليه دَرْمُونَةُ، وكان عند البُطَيحَةِ قد اعتصم بغايضَ وآجامٍ هنالك يُخيفُ السابلَةَ ويغيرُ على تلك النواحي، وعلى الواردين الى مدينة المُوَفّق. فلما علم بموت الخبيث سُقِطَ في يده وبعث يستأمن، فأمّنه الموفق فحسُنَت توبته وردّ المغصوبات الى أهلها ظاهراً، وأمر المُوَفّق بالنداء برجوع الزِنجِ الى موطنهم فرجعوا وأقام الموفّق بمدينة المُوَفّقِيّةِ ليأمن الناسُ بمُقامه وولى

على البصرة والأُبُلّة وكور دِجلَةَ محمد بن حمّاد، وقدّم ابنه أبا العباس الى بغداد فدخلها منتصف جمادى من سنة سبعين، وكان خروج صاحب الزِنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين، وقتله أوّل صفر سنة سبعين لاربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته .

ولاية ابن كنداج على الموصل

لما سار أحمد بن موسى بن بغا الى الجزيرة وولى موسى بن اتامش على ديار ربيعة فتغيّر لذلك اسحاق بن كنداج، وفارق عسكره واوقع بالاكراد اليعقوبيّةِ وانتهب اموالَهُم ثم لقي ابن مُساوِرَ الخارِجيّ فقتله وسار الى الموصل، فقاطع أهلها على مالٍ، وكان عليهم عليّ ابن داود قائداً، فدفعه وسار ابن كنداج اليه، فخرج عليُّ بن داود واجتمع حمدان بن حمدون التَغلِبيّ، واسحاق بن عُمَرَ بن أَيوب بن الخطّاب الثعلبيّ العدويّ، فكانوا خمسة عَشَرَ، وجاءهم عليّ بن داود فلقِيَهُمْ اسحاق في ثلاثة آلاف فهزمهم بدسيسةٍ من اهل مسيرتهم . وسار حمدان وعلي بن داود الى نيسابور وابن أيُّوب الى نصيبين وابن كنداجَ في اتّباعه فسار عنها واستجار بعيسى ابن الشيخِ الشَيْبانِيّ وهو بآمد وابي العزّ موسى بن زُرَارَةَ وهو عامل أُردن، فأنجداه وبعث المعتمد الى اسحاق بن كنداج بولاية الموصل، فدخلها وارسل اليه ابن الشيخِ وابن زُرارَةَ مائة الف دينار على ان يُقرّهم على اعمالهم فأبى، فاجتمعوا على حربه فرجع الى اجابتهم . ثم حاربوه سنة سبع وستين . واجتمع لحربه

اسحاق بن ايوب وعيسى ابن الشيخ وابو العز بن حمدان بن حمدون في ربيعَةَ وثعلب وبكرٍ واليمن، فهزمهم ابن كنداج الى نَصيبين ثم الى آمد، وحمّر[1] عسكر الحصارِ ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب.

حروب الخوارج بالموصل

كان مُساوِرُ الخارجيّ قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوارسح، وأراد أصحابه ولاية محمد بن خَرْداد بشهرزور، فامتنع وبايعوا أيوب بن حيّان المعروف بالغُلام، فقُتِل فبايعوا هارون بن عبدالله البَجَليّ وكثُر أتباعه، واستولى على بلد الموصل، وخرج عليه من أصحابه محمد بن خَرْداد، وكان كثير العبادة والزُّهدِ يجلِسُ على الارض ويلبَسُ الصوف الغَليظ ويركبُ البقر لئلّا يفرّ من الحرب. فنزل واسِطَ وجاء وجوه أهل الموصل فسار اليهم وهارون غائب في الاحشاد، فبادر اليه واقتتلا وانهزم هارون وقتل من أصحابه نحو مائتين. وقصد بني ثَعْلَبَ[2] مستنجداً بهم فأنجدوه وسار معه حمدان بن حمدون، ودخل معه الموصل، ودخل ابن حرداد واستمال هارون أصحابه، ورجع الى الحُدَيْثَةِ، ولم يبق مع ابن حرداد إلّا قليل من الاكراد فالوا الى هارون بالموصل، فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالاكراد الجلاليّةِ، وكثر

(١) حمر الرجل: تحرق غضباً، وحمره: قال له يا حمار.
(٢) كذا، ولعلها بني تغلب.

أتباعه وغلب على القُرى والرساتيق، وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المُصَمَّدَةِ والمُنْحَدِرة، ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغَلَّات، واستقام أمره. ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ستٍّ وسبعين، واستنجد بحمدان بن حمدون فجاءه بنفسه وسار الى نهر الخازنِ، وانهزمت طليعتهم وانهزموا بانهزامها، وجاء بنو شيبان الى فسا فانجفل أهلها وأقام هارون وأصحابه بالحُدَيْثَة.

أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستاني

لما قُتِلَ أحمدُ الخُجِسْتَانِيُّ سنة ثمانٍ وستين كما قدّمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قُوّاد محمد بن طاهر، وكان رافع هذا لما استولى يَعقُوبُ الصَفَّار على نيسابور، وزال بنو طاهرٍ صار رافع في جملته وصَحِبه الى سِجِسْتَانَ. ثم أقصاه عن خدمته وعاد الى منزله بنواحي جيّ، حتى استخدمه الخُجِسْتَانِيُّ وجعله صاحبَ جيشه. فلما قُتِلَ الخجستانِيّ اجتمع الجيش عليه بهَراة وأمّروه، وسار الى نيسابور فحاصر بها أبا طلحة بن شَرْكَب، وقد كان وصل اليها من جرجان فضيّق عليه المخنق، ففارقها أبو طلحة الى مرو، وولى على هراة ابن المَهْدِيّ، وخطب لمحمّد بن طاهر بمَرْوٍ وهَرَاة، وزحف اليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما بيده. واستخلف على مرو محمد بن سهل بن هاشم، وخرج أبو طلحة الى مَكْمَد، واستعان باسماعيل بن أحمد الساماني، فأمدّه بعسكر وأخرج محمد بن سهل، وخطب بها لعمرو بن الليث سنة احدى وسبعين.

ثم قلّد المُوَفّقُ تلك السنة أعمالَ خُراسان لمحمد بن طاهر وهو ببغداد، فاستخلف عليها رافع بن الليث وأقرّ على ما وراء النهر نصر بن احمد، ووردت كُتُبُ المُوَفّق بعزل عمرو بن الليث ولعنه، فسار رافع الى هَراة وقد كان بها محمَّدُ ابن المهديّ خليفة ابي طلحة، فثار عليه يوسف بن معبد. فلما جاء رافع استأمن اليه فأمّنه واستعمل على هَراة مهدي بن مُحْسِن. ثم سار رافع الى ابي طلحة بمرو بعد أن استمدّ اسماعيل بن أحمد وأمدّه بنفسه في أربعة آلاف فارس، واستقدم علي بن مُحسِن المَرْوَروزيّ فقدم عليه في عسكره وساروا جميعاً الى ابي طلحة بمرو سنة اثنتين وسبعين، فهزموه وعاد اسماعيل الى بخارى ولحق بأبي طلحة وبها مهدي، فاجتمع معه على مخالفة رافع فهزمهما رافع، ولحق أبو طلحة بعمرو ابن الليث. وقبض على مهدي سنة اثنتين وسبعين ثم خلّى سبيله، وسار رافع الى خوارزم فجبى أموالها ورجع الى نيسابور.

مغاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لأجل ذلك

كان المُوَفّقُ حدثت بينه وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله، وبعث موسى بن بغا في العساكر اليه سنة اثنتين وستين فأقام بالرَّقّةِ عشرة أشهر، واختلف عليه العسكر فرجع. وكان المُوَفّقُ مُستَبِدًّا على أخيه المُعتَمَد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكِفايَة والغَناء الا أنه كان المعتمد يتأفّف من الحَجْرِ. وكتب الى أحمد بن طولون في السر يشكو ذلك وأشار عليه باللحاق اليه

بمصرَ لينصره . وبعث عسكراً الى الرقّةِ في انتظاره وكان الموفق مشغولاً بحرب الزنجِ، فسار المُعتَمدُ منتصف سنة تسعٍ وستين في القواد مُظهِرًا أنه يتصيَّد . ثم سار الى اعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كِنداج . وكتب صاعِدُ بن مُخلد وزير الموفّق عن الموفق الى اسحاق بردّه عن طريقه والقبض على من معه من القُوّاد .

فلما وصل المُعتَمَدُ الى عمله أظهر اسحاق طاعته فارتحل في خدمته الى أوّل عمل ابن طولون . ثم اجتمع بالمعتمد والقوّاد وفيهم نَيْزَك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعذلهم في المسير الى ابن طولون والمُقام تحت يده، وطال الكلام بينهم مَلياً . ثم دعاهم الى خيمته للمُناظرة في ذلك أدباً مع المعتمد، وقيّدهم وجاء الى المُعتَمد فعذله في المسير عن دار خلافته ومغاضَبَة أخيه، وهو في دفاع عدوّه ومن يريد خراب ملكه، وحمل الجميع الى سامُرّا وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط اسمه من الطِّرَز[1]، وغضب الموفق بسبب ذلك على أحمد بن طولون، وحمل المعتمد على أن يُشار بلعنه على المنابر .

وولى اسحاق بن كنداج على أعماله وفوّض اليه من باب الشماسيّة الى افريقية . وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملاً له على حِمصَ وحَلَب وقِنّسرين وديار مِصر من الجزيرة . وكان منزله بالرقّة،

(١) الطرر: حواشي الكتاب.

فانتقض عليه في هذه السنة وسار الى بالِسَ فنهبها، وكتب الى الموفق فمرّ بقرقيسيا وبها ابن صفوان العُقَيْلِيّ فحاربه وغلبه عليها وسلّمها الى أحمد بن مالك بن طَوْق. ووصل الى الموفق في عسكر عظيم وهو يقاتل صاحبَ الزنج فأكرمه المُوَفَّقُ وأحسن هو الغَنَاء في تلك الحرب. ثم بعث ابن طولون في تلك السنة جيشه الى مَكَّةَ لاقامة المَوْسِم، وعامل مكة هارون بن محمد ففارقها خوفاً منهم، وبعث الموفق جَعْفَراً في عسكرٍ فقوي بهم هارون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار. وقرىء الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون، وانقلب أهل مِصْرَ الى بلدهم آمنين. ولم يزل لؤلؤ في خدمة المُوَفَّقِ الى أن قُبِضَ عليه سنة ثلاث وسبعين، وصادره على أربعمائة ألف وأدبَرَ أمره ثمّ، ثم عاد الى مِصْرَ آخر أيام هارون بن حَمَادَيه.

وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشام

وفي سَنَة سبعين انتقض بازمان الخادم بطَرْسوس وقبض على نائبه، وسار اليه أحمد بن طولون في العساكر وحاصروه فامتنع عليه، فرجع الى انطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنةً من ولايته على مِصْرَ ووليَ بعده ابنه خمَارَوَيْه، وانتقضت عليه دمشق فبعث اليها العساكر وعادت الى طاعته. وكان يومئذ بالموصل والجزيرة اسحاق بن كِنْداج وعلي الانبار والرَحَبَة وطريق الفرات محمد بن أبي الساج، فكاتبا المُوَفَّقَ في المسير الى الشام

واستمدّاه فأذن لهما ووعدهما بالمدد، فسارا وملكا ما يجاورهما من بلاده، واستولى اسحاق على انطاكية وحلب وحمص، وكاتبه نائب دِمَشق، واجتمع الخلاف على خمارويه فسار اليه فهرب الى شَيْزَر وهي في طاعة خمارويه ودمشق.

وجاء أبو العبّاس بن المُوَفّق وهو المُعْتَضِدُ من بغداد بالعساكر فكبس شَيْزَر وقتل من جند ابن طولون مقتلةً عظيمةً ولحق فلُّهم بدمشق وأبو العبّاس في اتّباعهم، فجلَوا عنها ومَلَكها في شَعْبَان سنة احدى وسبعين. ورجعت عساكر خُمَارَوَيْه الى الرَّمْلَة فأقاموا بها وزحف اسحاق بن كنداج الى الرَّقّة وعليها وعلى الثغور والعواصم ابن دعاص من قِبَلِ خمارويه، فقاتله وكان الظهور لاسحاق. ثم زحف أبو العبّاس المُعْتَضِدُ من دمشق الى الرملة، وسار خمارويه من مِصرَ واجتمع بعساكره في الرملة على ماء الطواحين. وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبي السّاج ونسبهما الى الجُبْنِ في انتظارهما إيّاه في محاربة خمارويه.

وعبّى المُعْتَضِدُ عساكره ولقيَ خُمَارَوَيْه وقد أكمن له فانهزم خمارويه أوّلًا وملك المعتضد خيامه، وشُغِلَ أصحابه بالنَّهبِ فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد الى دمشق، فلم يفتح له أهلها، فراح الى طرسوس وأقام العسكران يقتتلان دون أمير، وأقام أصحاب خمارويه عليهم أخاه سعداً مكانه، وذهبوا الى الشام فملكوه أجمع وأذهبوا منه دعوة المُوَفّق وابنه. وبلغ الخبر الى خُمَارَوَيْه

فنُرَّ وأطلق الاسرى الذين كانوا معه. ثم سار أهل طرسوس بأبي العبّاس فأخرجوه، وسار الى بغداد وولوا عليهم مازيار فاستبدّ بها. ثم دعا لخارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال انفذ اليه ثلاثين الف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مِطْرَف وسلاحاً كثيراً فدعا له ثم بعث اليه بخمسين ألف دينار.

وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه

ثم تُوُفّي الحسن بن زيد العَلَوِي صاحب طَبَرَسْتَان في رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته، ووليَ مكانه أخوه وكان على قزوين أتكوتكين، فسار الى الريّ في أربعة آلاف فارس، وسار اليه محمد بن زيد في عالم كثير من الدّيلَم والخُراسانِيّة، والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقُتِل من عسكره نحوٌ من ستة آلاف وأسر ألفان، وغنم اتكوتكين عسكراً وملك الريّ وأغرم اهلها مائة الف دينار، وفرّق عُمّاله عليها. وسار محمد بن زَيدٍ الى جَرْجَان، ثم عزل عمرو بن الليث عن خُراسان، وولى عليها محمد بن طاهر، واستخلف محمد بن رافع بن هَرْثَمَة، وسار سنة خمس وسبعين الى جَرْجان، وهرب عنها ليلًا الى استراباد فحاصره رافع فيها سنتين حتى اجهده الحصار ففرّ عنها ليلًا الى سارية، فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارن الى رافع بطَبَرْستَان فأمّنه، وبعث الى سالوس محمد بن هارون نائباً عنه وأتاه بها عليّ بن كاني مستأمناً. ثم جاءه محمد وحاصرهما بسالوس،

وانقطعت اخبارهما عن نافع . ثم جاءه الخبر بحصارهما فسار اليهما، فارتحل محمد بن زيد الى ارض الدَّيْلَمِ فدخل رافعٌ خلفه وأثخن فيها نهباً وتخريباً الىّ حدود قزوين، وعاد الى الريّ الى أن توفي المعتمد سنة تسع وتسعين .

فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون

كان ابن أبي الساج في أعماله بقِنّسْرين والفُرات والرَّحَبَة ينافِسُ اسحاق وهو على الجزيرة، ويريد التقدّم عليه، فحدثت لذلك منها فتنة . فخطب ابن أبي الساج لخمارَوَيْه بن طولون . وبعث ابنه ديوداد رهينة اليه فبعث اليه خمارويه أموالا جمّة وسار الى الشام واجتمع بابن أبي الساج ببالس . ثم عبر ابن أبي الساج الفُرات الى الرقّة وهزم اسحاق بن كنداج واستولى على أعماله، وعبر خمارويه ونزل الرقّة . ومضى اسحاق الى قلعه ماردين وحاصره ابن أبي الساج بها، ثم أفرج عنها وسار الى سنجار لقتال بعض الاعراب، فسار ابن كِنْداج من ماردين الى الموصل، فاعترضه ابن أبي الساج وهزمــه، فعاد الى ماردين . واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل، وخطب فيها لخمارويه ثم لنفسه بعده، وبعث غلامه فتحاً الى أعمال الموصل لجباية الخراج .

وكان اليَعْقُوبِيَّةُ من السّراةِ قريباً منه فهادنهم، ثم غدر بهم فكبسهم، وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة، فحملوا على أصحاب فتح فاستلحموهم . ثم انتقض ابن أبي الساج واستبيح

عسكره . وكان له بحِمْصَ خلف من أثقاله ، فقدم خمارويه طائفة من العسكر اليها فاستولوا على ما فيها ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها ، فسار الى حلب ثم الى الرَّقَّةِ وخمارويه في اتّباعه ، فعبر الفُرات الى الموصل . وجاء خمارويه الى بَلَد وأقام بها ، وسار ابن أبي الساج الى الُحَدِيْثَةِ . وكان اسحاق بن كِنْداج قد لحق بخمارويه من ماردين ، فبعث معه جيشاً وجماعة من القوّاد ، وسار في طلب ابن أبي الساج ، وقد عبر دجلة ، فجمع ابن كِنْداج السُّفُن ليوطىء جسراً للعبور .

وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت الى الموصل ، فوصلها الرابعة ، وسار ابن كنداج في اتّباعه . فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبي الساج في ألفين ، فصبر واشتدّ القتال ، وانهزم ابن كنداج وهو في عشرين ألفاً . فخلص الى الرقّة ومحمد ابن أبي الساج في اتّباعه . وكتب الى الموفق يستأذنه في عبور الفُرات إلى بلاد خمارَوَيْه بالشام ، فأمره بالتوقُّف الى وصول المدَدِ من عنده ، ومضى بن كنداج الى خمارويه فجاء بجيوشه الى الفُرات ، وتوافق مع ابن أبي الساج والفُرات بينهما . ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبي الساج فانهزموا الى الرقّة فسار ابن أبي الساج عن الرقة الى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها ، فأكرمه المُوَفّق ووصله واستولى ابن كِنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة ، وأقام بها وولّى الموفق

محمد بن أبي الساج على أذربيجان ، فسار اليها فخرج اليه عبد الله ابن الحُسَيْن الهَمَذاني عامل مراغة ليصدّه فهزمه ابن ابي الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله ، واستقرّ ابن أبي الساج في عمله بأذْرَبَيْجَان .

أخبار عمرو بن الليث

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولاه الموَفّقُ خراسانَ وأصبهانَ وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد ، كما كان أخوه ، وقد ذكرنا ذلك قبل . وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين ، فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفِرَت جيوشُهُ بمحمد وأسره وحبسه بكرمان ، فأقام بها ثم بعث الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف وهو بأصبهان يطلبه بالمال . فبعث اليه بالاموال ، وبعث عمرو الى الموفق بثلثمائة ألف دينار ، وبخمسين مَناً من المِسْكِ ومثلها من العَنْبَر ومائتين من العود ، وثلثمائة ثوب من الوَشْيِ ومن آنية الذَّهَبِ والفِضَّةِ والدوابّ والغلمان قيمة مائة ألف دينار . واستأذنه في غزو محمد بن عُبَيْد الكُرْدِيّ رامَهُرْمُز فأذن له فبعث قائداً من جيشه اليه فأسره وجاء به الى عمرو .

ثم عزل المعتمد سنة احدى وستين عمرو بن الليث عما كان قلّده من الاعمال وأدخل اليه الحاج من أهلها عند مُنْصَرَفِهِم من مكّة فأعلمهم بعزله ، وأنه قد ولى على خُراسان محمد بن طاهر ، وأمر

بلعن عمرو على المنابر . وجهز مُخلِد بن صاعد الى فارِسَ لحرب عمرو، واستخلف محمد بن طاهر على خُراسان رافع بن هَرْثَمَةَ . وكتب المعتمدُ الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف يأمره بقتاله، وبعث اليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو، وكان في خمسة عشر ألف مُقاتل، فانهزم عمرو وخرج قائده الديلمي، وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف، فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يُحصى . ثم زحف المُوَفّق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمداً الى أرَّجان في العساكر، وعلى مقدّمته أبو طلحة ابن شركب وعباس بن اسحاق الى سيراف، واستأمن أبو طلحة الى المُوَفّق ففتّ ذلك في عَضُدِ عمرو، وعاد الى كَرْمان واستراب الموفق بأبي طلحة فقبض عليه قريباً من شيراز، وجعل ماله لابنه أبي العباس المعتضد، وسار في طلب عمرو فخرج من كرمان الى سِجستان . ومات ابنه محمد بالمفازة، ورجع عنه الموفق، وسار رافع بن الليث من خراسان، وغلب محمد بن زَيْدٍ على طَبَرَسْتان كما قدّمناه، وقَدِم عليه هنالك عليُّ بن الليث هو وابناه المعدّل والليث (بن حسن أخيه علي) [1] بكرمان، ثم قتله رافع سنة ثمان وستين .

---

(١) كذا بالأصل وفي هذه العبارة تشويش، ربما سقط أثناء النسخ أو الطبع كلمة أو فقرة. ولم نجد إلى تصحيح هذه العبارة سبيلاً فيما لدينا من المراجع.

مسير الموفق الى اصبهان والجبل

كان كاتب أتكوتكين أنهى الى المُعتَضِد أنّ له مالاً عظيماً ببلاد الجبل، فتوجّه لذلك فلم يجد شيئاً. ثم سار الى الكرخ ثم الى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فتنحى أحمد عن البلد بعسكره، وترك داره بفرشها لنُزُل المُوَفَّق عند قدومه، ثم رجع الموفق الى بغداد.

قبض الموفق على ابنه أبي العباس المعتضد
ثم وفاته وقيام ابنه أبي العباس بالأمر بعده

كان المُوَفَّق بعد رجوعه من أصبهان نزل واسِطَ، ثم عاد الى بَغْدادَ، وترك المُعتَمَدُ بالمدائن، وأمر ابنه أبا العبّاس وهو المعتضد بالمسير الى بعض الوجوه فأبى فأمر بحبسه ووكل به. وركب القواد من أصحابه واضطربت بغدادُ فركب المُوَفَّق الى المَيْدان وسكّن الناس وقال: إني احتجت الى تقويم ابني فقوّمته فانصرف الناس، وذلك سنة ست وسبعين. وكان عند منصَرَفه من الجبل قد اشتدّ به وجع النِقْرِس، ولم يقدر على الركوب فكان يُحْمَلُ في المِحَفَّةِ، ووصل الى داره في صفر من سنة سبع، وطال مرضه وبعث كاتبه أبا الصَّقْرِ بن بُلْبُل الى المَيْدان، فجاء بالمعتمد وأولاده وأنزله بداره، ولم يأت دار الموفق، فارتاب الاولياء لذلك، وعمد غِلْمَانُ أبي العبّاس فكسروا الاقفال المغلقة عليه، وأخرجوه وأقعدوه عند رأس أبيه وهو يجود بنفسه، فلما فتح عينه قرّبه وأدناه وجمع أبو

الصقر عنده القواد والجند .

ثم تسامع الناس أن الموفق حي فتسللوا عن أبي الصقر وأولهم محمد بن أبي الساج فلم يَسَعْ أبا الصقر الا الحضور بدار الموفق، فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر انه هرب بمال الموفق الى المعتمد، فنهبوا داره، وأُخرجت نساؤه حفاةً عُراةً، ونُهِبَ ما يجاوره من الدور، وفتقت السجون، ثم خلع المُوَفَّقُ على ابنه أبي العبّاس وأبي الصقر، وركب الى منزلها وولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة . ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ودُفِنَ بالرُصافة، واجتمع القواد فبايعوا ابنه أبا العبّاس المُعتضِد بالله، واجتمع عليه أصحاب أبيه ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه، وانْتُهِبَت منازلهم، وولى عبدالله بن سُليان ابن وهب الوِزَارَةَ، وبعث محمد بن أبي الساج الى واسط ليردّ غلامه وصيفاً الى بغداد فأبى وصيف وسار الى السُّوسِ فأقام بها .

القرامطة

ابتداء أمر القرامطة

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلًا ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتّسم بالزُهد، وكان يدعى قُرْمُط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كَرْمَيْطة فعُرِّب، وقيل بل اسمه حمدان ولقبه قرمط . يقال وزعم أنه داعيةٌ لاهل البيت

لِلمُنتَظَرِ منهم . واتّبعه العبّاس فقبض عليه الهَيصَم عامل الكوفة وحبسه، ففرّ من حبسه وزعم ان الإغلاق لا يمنعه . ثم زعم أنه الذي بشّر به أحمد بن محمد بن الحَنَفِيّة وجاء بكتاب تناقله القرامِطَة، فيه بعد البسملة : يقول الفرج بن عُثمانَ من قرية نَصرانة انه داعِيَةُ المسيح وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المَهدِيّ، وهو أحمد بن محمّد ابن الحَنَفِيّة، وهو جبريل . وان المسيح تصوّر له في جسم انسان فقال له انك الداعيةو إنك الحُجّةِ وانك الناقة وانك الدابّة وانك يحيى بن زكريّا وانك روح القدس وعرفه ان الصلاة أربعُ ركعاتٍ قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الاذان بالتكبير في افتتاحه، وشهادة التوحيد مرّتين، ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم، ثم لأحمد بن محمد بن الحَنَفِيّة ويقرأ الاستفتاح في كل ركعَةٍ وهو من المنزل على أحمد بن محمد ابن الحنفية، والقبلة بيتُ المَقدِسِ والجُمعة يوم الاثنين، ولا يعمل فيه شيء .

والسورة التي تُقرَأ فيها : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المُنجِدِ لاوليائه بأوليائه، قل انّ الاهِلّة مواقيتُ للناس ظاهرها ليُعلَم عَدَدُ السنين والحساب والشهور والايام، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي، اتقوني يا أولي الالباب، وأنا الذي لا أُسأل عمّا أفعل وأنا العليم الحكيم، وانا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومِحنَتي واختباري ألقيتُه في جنّتي وفي نعمتي ،

ومن زال عن أمري وكذّب رُسُلي اخلدته مُهاناً في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت على ألسنة رُسُلي. فأنا الذي لم يعلُ جبّارٌ إلا وضعته وأذللته، فبئس الذي أصرّ على امره، ودام على جهالته.

وقال: لن نَبْرَحَ عليه عاكفينَ وبه موقنين أولئك هُمُ الكافرون. ثم يركعُ ويقول في ركوعه مرّتين: سبحان ربّي ورب العِزّة وتعالى عما يَصِفُ الظالمون، وفي سجوده: الله اعلى مرّتين، الله اعظم مرّة، والصوم مشروع يوم المِهْرَجان والنَّيْرُوز. والنبيذ حرام، والخمر حلال، والغُسْل من الجنابة كالوضوء. ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخالب. ومن خالفهم وحارب وجب قتله، وان لم يحارب أُخِذت منه الجزية انتهى. الى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضُها بعضاً وتشهد عليهم بالكَذِب. وهذا الفَرَجُ بن يحيى الذي ذكر هذا اول الكتاب أنه داعِيَةُ القَرَامِطَةِ يُلقَّب عندهم ذِكْرَوَيْه ابن مَهْرَوَيْه. ويقال: ان ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج وإنه سار اليه على الامان وقال له: ان ورائي مائة سيف، فتعال نتناظَرْ فلعلنا نتّفق ونتعاون. ثم تناظرا فاختلفا وانصرف قُرمط عنه، وكان يسمّي نفسه القائم بالحق. وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الازارِقَةِ من الخوارج.

فتنة طرسوس

قد تقدّم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاه أحمد بن طولون، وأنه حاصره فامتنع عليه، وانه راجع بعد طاعة ابنه

خمارويه مما حمل اليه من الاموال والامتعة والسلاح، فاستقام أمره بطرسوس مدّة، وغزا سنة ثمانٍ وسبعين بالصائفة مع أحمد الجُعفيّ وحاصروا اسكندا فأصيب بحجر مَنْجَنيق، فرجع وهلك في طريقه، ودُفِنَ بطرسوس. وكان استخلف ابن عَجيف فأقرّه خمارويه وأمدّه بالخيل والسّلاح والمال. ثم عزله واستعمل عليها ابن عمّه ابن محمد بن موسى بن طولون. ولما تُوُفِّي المُوَفَّقُ نَزَعَ خادمٌ من خواصّه اسمه راغب الى الشكّ، وطلب المُقامَ بالثغر للجهاد فأذن له المُعتضِدُ، فسار الى طرسوس وحطّ أثقاله بها وسار الى لقاء خمارويه بِدَمشق فأكرمه واستجلب أُنسَهُ فطال مُقامه وأَلمّ أصحابه بطرسوس انه قبض عليه، فأوصوا أهل البلد في ذلك فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يُطلِقَ لهم راغبَ، وبلغ الخبر الى خمارويه فأطلقه فجاء اليهم ووبّخهم على فعلهم، فأطلقوا محمد بن موسى، وسار عنهم الى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف الى وِلايته.

فتنة أهل الموصل مع الخوارج

قد تقدّم لنا أن هارون بن سليمان كان على الشّراةِ من الخوارج، وكان بنو شَيْبانَ يقاتلونهم ويَغيرون على الموصل. فلما كانت سنة تسعٍ وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على سُوى وغيرها من الاعمال، فاجتمع هارونُ الشاربي في الخوارج، وحَمْدان بن حَمْدون الثعلبيّ على مدافعتهم. وكان مع بني شيبان هارون بن سيا مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشَّيْبانيّ بعثه محمد بن اسحاق بن كِنْداجُق

والياً على الموصل عندما مات أبوه اسحاق، وولى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعةَ فلم يَرْضَهُ أهل الموصل وطردوه، فسار الى بني شيبان مُسْتَنْجِداً بهم، فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أوّلاً، واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب، فكرّ عليهم بنو شيبان وظفروا بهم . وكتب هارونُ بن سيما الى محمّدِ بن اسحاق بن كِنداجُق يستمدّه، فسار بنفسه وخَشِيَهُ أهل الموصل، فسار بعضهم الى بغداد يطلبون عاملاً يكفيهم أمر ابن كِنداجُق ومرّوا في طريقهم بمحمّد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فألفَوْه وقد وصل اليه بولاية العهد بالموصل فبادر ملكها، وتواثق ابن كنداجق في مكانه وبعث الى خمارويه بالهدية، ويسأل إمارة الموصل كما كان من قبل، فلم يجبه الى ذلك، ثم عزل المجروح وولى بعده عليّ بن داود الكردي .

الصوائف

الصوائف أيام المعتمد

وصل الخبر في سنة سبعٍ وخمسين بأنّ ملك الروم بالقُسْطَنطِينِيّةِ ميخاييل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك، ويعرف بالصِّقلِيّ، فقتله لاربع وعشرين سنةً من ملكه، وملك مكانه . وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط، ثم نازلوا مليطة، وقاتلهم أهلها فانهزموا، وقتل بطريقٌ من بطارقتهم . وفي

سنة ثلاثٍ وستين استولى الروم على قلعة الصقالِبَةِ، وكانت ثغراً لطرسوس وتسمّى قلعة كَرْكَرَةَ فردّ المعتمد ولاية ثغرِ طرسوس لابن طولون . وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفّق يريد أن يجعلها ركاباً لجهاده لخبرته بأحوالها . وكان يردّد الغزو من طرسوس الى بلاد الروم قبل ولاية مِصْرَ فلم يجبه الموفق، وولى عليها المُوَفّق محمد بن هارون الثعلبي، واعترضه السَراة [1] أصحاب مساور وهو مسافر في دجلةَ فقتلوه، فولى مكانه أماجور ابن أولغ بن طُرخان من التُرْكِ، فسار اليها وكان غِرّاً جاهلاً فأساء السيرة ومنع أقران أهل كَرْكَرَةَ ميرتهم، وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار، فأخذها أماجور لنفسه، وأبطأ على أهل القلعة شأنها . فنزلوا عنها وأعطوها الروم، وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثَغْرَهُم وعيناً لهم على العدوّ وبلغ ذلك المُعتَمَدُ فكتب لاحمد بن طولون بولايتها وفوّض اليهم أمر الثغور، فولّيَها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجِهاد وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام جميعها كما ذكرناه قبل .

وفي سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبدالله بن رشيد بن كاوُس في أربعين ألفاً من أهل الثغور الشاميّة فأثخن فيهم وغنم ورجع . فلما رحل عن البَذَنْدون خرج عليه بطريق سَلوقِيَةَ وقره

(١) السراة، وهم السادة. وهو جمع شاذ. والأصح فيه سروات. ولعلها الشراة وهم فئة من الخوارج.

كوكب وحرسية وأحاطوا بالمسلمين، فاستمات المسلمون واستلحمهم الروم بالقتل، ونجا فلّهم الى الثغر، وأسر عبدالله بن كاوس وحمل الى القُسْطَنْطِينِيّة، وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى أذَنة فقتلوا واسروا والي الثغور أوخرد فعزل عنها وأقام مرابطاً . وبعث ملك الروم بعبدالله بن كاوس ومن معه من الاسرى الى أحمد بن طولون، وأهدى اليه عدّة مصاحف .

وفي سنة ست وستين لقي اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق من سلم منهم بصقلية، وفيها خرجت الروم على ديار ربيعَةَ واستنفر الناس ففرّوا ولم يطيقوا دخول الدرب لشدّة البرد فيها . وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشامِيّة في ثلثمائة من أهل طرسوس، واعترضهم اربعة آلاف من الروم من بلاد هِرَقْل فنال المسلمون منهم اعظم النَّيل . وفي سنة ثمان وستين خرج ملك الروم . وفيها غزا بالصائفة خَلفُ الفَرغانيّ عامل ابن طولون على الثغور الشامِيّة فأثخن ورجع . وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة الف ونزلوا قلمية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازيار فهزمهم وقتل منهم سبعين الفاً وجماعة من البطارقة، وقتل مقدّمهم بطريق البطارقة، وغنم منهم سبع صلبان ذهباً وفِضّة، وكان اعظمها مكلّلا بالجواهر . وغنم خمسة عشر الف دابة، ومن السروج والسيوف مثل ذلك، واربع كراسي من ذهب ومائتين من فِضّة وعشرين علماً من الديباج وآنية كثيرة .

وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغّل في ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس. وفي سنة ثمان وسبعين دخل احمد الجُعفي طرسوس وغزا مع بازيار بالصائفة ونازلوا اسكندا فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات في طريقه ودُفِنَ بطرسوس.

الولايات في النواحي

الولايات بالنواحي أيام الفتنة

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من اطرافها وأوساطها، واستولى بنو سامان على ما وراء النهر، والصفار على سجستان وكرمان، وملك فارسَ من يد عُمّال الخليفة، وانتزع خراسان من بني طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة. وغلب الحسن ابن زيد على طبرستان وجرجان مُنازعاً بالدعوة ومحارباً بالديلم لابن سامان والصفّار وعساكر الخليفة بأصبهان واستولى صاحب الزنج على البصرة والأُبُلّة الى واسط وكور دجلة منازعاً للدعوة ومُشاقّاً، واضرم تلك النواحي فتنةً. ولم يزل الموفق في محاربته حتى حسم علّته وقطع اثره واضطرمت بلاد الموصل والجزيرة فتنةً بخوارج السراة (١) وبالقرب من بني شَيْبان وتغلب بالاكراد، واستولى ابن طولون على مصر والشام مقيماً لدعوة الخلافة العبّاسيّة وابن

(١) السراة ولعلها «الشراة» وهم جماعة معروفة من الخوارج.

الاغلب بافريقيّة كذلك .

واما المغرب الاقصى والاندلس فاقتطعا عن الملكة العبّاسيّة منذ ازمان كما قلناه ولم يكن لِلمُعْتَمِدِ مدة خلافته كلها حكم ولا امر ونهيٌ انما كان مغلباً لاخيه الموفق وتحت استبداده، ولم يكن لهما جميعا كبير ولاية في النواحي باستيلاء من استولى عليها ممن ذكرناه الا بعض الاجناس، فلنذكر ما وصل الينا من هذه الولايات ايام المعتمد، فلأول ولايته استوزر عُبَيْدَالله بن يحيى بن خاقان، وبعث جعلان لحرب الزنج بالبصرة فكان امره معهم كما مرّ . ثم ولى عيسى ابن الشيخ من بني شيبان على دمشق، فاستأثر بها ومنع الخراج، وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه انفقه على الجند، فكتب له المعتمد عهده في ارمينيّة ليقيم بها دعوته وقلّد اماجور دمشق واعمالها فسار اليها وانفذ عيسى بن الشيخ ابنه منصوراً لقتال اماجور في عشرين الفاً فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى الى ارمينية على طريق الساحل ودخل اماجور دمشق .

وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مُساوِرِ الخارجيّ فلقيه ساحة جائتين [1] فنال الخوارج منهم . وفيها كان وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي على الحرث بن سيا

(١) كذا بالأصل في هذه العبارة تشويش لم يمكن الاهتداء إلى تصويبها في المراجع التي بين أيدينا.

عامل فارس، فقتله وغلب عليها كما مرّ . وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبيّ على الريّ فسار اليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن، وظهر على ابن زيد بالكوفة وملكها، وبعث المعتمد لمحاربته كيجور التُركي فخرج عنها الى القادِسيّة، ثم الى ختان، ثم الى بلاد بني اسد . وغزاه كيجور من الكوفة فأوقع به وعاد الى الكوفة، ثم الى سرّ من رأى .

وفي سنة سبع وخمسين عقد المُعتَمَدُ لاخيه المُوَفّق على الكوفة والحَرَمَيْن واليمن، ثم على بغداد والسواد الى البصرة والاهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد الحاجب . وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الخيّاط ونزل الاهواز . ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لاحمد ابن المُوَلّد فسار اليها وقاتل الزنج . وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهليّ متغلّباً عليها فأخذه ابن المولد وبعث به الى سامرا . وفيها تغلّب يعقوب الصفّار على فارس وبعض أعمال خُراسان، وولاه المعتمد ما غلب عليها (١)

وفيها غلب الحَسَنُ بن زيد على خُراسان وانتقضت على ابن طاهر أعمال خُراسان . وفيها اقتطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التُرْكِيّ فولى عليها أحمد بن طولون ومات يارجوج لسنة بعدها،

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٦٣: وفي هذه السنة سار يعقوب بن الليث إلى فارس فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ، وطخارستان، وسجستان والسند فقبل ذلك وعاد وسار إلى بلخ، وطخارستان.

فاستبدّ ابن طولون بها، وكان عبد العزيز بن أبي دلف على الريّ، فخرج عليها خوفاً من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان، فبعث الحسن من قرابته القاسم بن علي بن القاسم، فأساء فيها السيرة .

وفي سنة ثمان وخمسين قُتِلَ منصور بن جعفر الخيّاط في حرب الزنج وولى يارجوج على أعمال منصور، فولى عليها اصطيخور، وهلك في حرب الزنج، وعقد المُعتَمَدُ للمُوَفّقِ على ديار مصر وقِنّسرين والعواصم . وبعثه لحرب الزِنج ومعه مُفلِح، فهلك في تلك الحرب . وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرورِ البلخيّ فكانت بينه وبين مُساوِر الشيبانيّ حروب، وكذلك بين الاكراد واليعقوبيّة وأوقع بهم كما مرّ، وفيها رجع أحمد بن واصل الى طاعة السُلطان وسلّم فارس للحسن بن الفياض . وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك اصطيخور بالاهواز، فأمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير لحرب الزنج كما مرّ، وفيها ملك يعقوب الصفّار خُراسان وقبض على محمد ابن طاهر، وكان لمنكجور على الكوفة فسار عنها الى سامرا بغير اذن وأُمر بالرجوع فأبى، فبعث المعتمد عدّة من القوّاد فلقوه بعكبرا فقتلوه وحملوا رأسه .

وفيها غلب الحسن بن زيد على قَوْمِسَ وملكها وكانت وقعة بين محمَّد بن الفضل بن نيسان وبين دَهْشودان بن حسّان الدَيلمي فهزمه محمد . وفيها غلب شركب الجمال على مرو ونواحيها .

وفي سنة ستين قام يعقوب بن الصفار على الحسن بن زيد فهزمه

وملك طبرستان كما مرّ، وأخرج اهل الموصل عاملهم اتكوتكين ابن اساتكين، فبعث عليهم اساتكين اسحاق بن ايوب في عشرين الفاً ومعه حمدان بن حمدون الثعلبيّ، فامتنع اهل الموصل منهم وولوا عليهم يحيى ابن سليمان، فاستولى عليها. وفيها قتلت الاعراب منكجور والي حِمص فولي بكتر. وولى على أذرَبيجان الرُّذَيني عُمَرَ بن علي لما بلغه ان عاملها العلاء بن احمد الازديّ فُلِج. فلما اتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل، واستولى الرذيني على مخلفه قريباً من ألفي الف وسبعمائة الف درهم.

وفيها سار علي بن زيد القائد بالكوفة الى صاحب الزنج فقتله.

وفي سنة احدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الاهواز والبصرة والبحرين واليمامة، مضافاً لما بيده. فولاها عبد الرحمن ابن مُفلِح وبعثه لحرب ابن واصل، فهزمه ابن واصل وأسره كما مرّ. ورأى موسى بن بَغا اضطراب تلك الناحية فاستعفى منها ووليهَا أبو السّاج ومَلَكَ الزنجُ الأهوَازَ من يده، فصُرِفَ عن ولايتها، ووليها ابراهيم بن سيما ووليَ محمّد بن أوْس البَلْخيّ طريقَ خُراسان. ثم جاء الصفّار الى فارسَ فغلب عليها ابن واصل كما مرّ، فجهز المعتمد أخاه المُوَفَّقُ الى البصرة بعد أن ولاه المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه. وبعث المُوَفَّقُ ابنه أبا العبّاس لحرب الزنج فتقدّما بين يديه. وفيها فارق محمّد بن زيد ولاية

يعقوب الصفّار، وسار ابن أبي الساج الى الاهواز، وطلب أن يوجّه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى خُراسان، وفيها استبدّ نَصرُ بن أحمد بن سامان بسَمرْقَنْد وما وراء النهر، وولى أخاه اسماعيل بُخارا وفيها ولّى المُعتَمَد على الموصل الُخضر بن أحمد ابن عُمَرَ بن الخطّاب .

وفيها رجع الُحسَيْنُ بن زَيْدٍ الى طَبَرْسَتان وأخرج منها أصحاب الصفّار وأحرق سالوس لمالأة أهلها الصفّار وأقطع ضياعهم للدَّيلم وفيها نادى المعتمد في حاجّ خُراسان والريّ وطَبَرَسْتان وجَرْجان بالنَّكير على ما فعله الصفّار في خُراسان وابن طاهر، وانه لم يكن عن أمره ولا ولّاه . وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن جعفر من ولاة خُراسان فسار مسرورٌ البَلخيّ في طلبه والموفق من ورائه .

وفي سنة اثنتين وستين كانت الحرب بين الموفق والصفّار، واستولى الزنجُ على البُطَيْحَة ودسيميسان وولّى على الأهواز كما ذكرنا، وبعث مسرور البلخي أحمد بن ليتونة لحربهم كما مرّ. وفيها ثار أحمد بن عبدالله الُخجِسْتانيّ في خراسان بدعوة بني طاهر، وغلب عليها الصفّار الى أن قتل كما مرّ ذكره. وفيها وقعت مغاضبة بين الموفق وابن طولون فبعث اليه الموفق موسى بن بَغا فأقام بالرّقّة حولًا، وعجز عن المسير لقلّة الأموال، فرجع الى العراق. وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطّان صاحب مفلح، فقتله الاعراب بالبرية .

وفي سنة ثلاث وستين استولى الصفَّار على الأهواز، ومات مساور الشاري وهو قاصد لقاء العساكر السُلطانيَّة بالبواريخ، فولى الخوارج مكانه هارون بن عبدالله البَلْخيّ فاستولى على الموصل. وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل. وفيها هزم ابن أوس من طريق خُراسان وعاد الى الموصل. وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل وأسروه، ومات عُبَيْدُ الله بن يحيى بن خاقان وزيرُ المُعْتَمَدِ فاستوزر مكانه الحسن بن مُخلِد، وكان موسى بن بَغا غائباً في غزو العرب، فلما قدم خافه الحسين وتغيَّبَ فاستوزر مكانه سليمان ابن وهب. وفيها غلب أخو شَرْكَب الحَمَّال على نيسابور، وخرج عنها الحسين بن طاهر الى مرو، وبها خوارزم شاه يدعو لأخيه محمد.

وفيها ملك الزنجُ مدينة واسط وقاتله (١) دونها محمد بن المُوَلَّد، فهزمه ودخلها واستباحها. وفيها قبض المعتمد على وزيره سليمان ابن وَهْب، وولى مكانه الحسن بن مُخلِد، وجاء المُوَفَّقُ مع عبدالله ابن سليمان شفيعاً فلم يُشفِعهُ، فتحوّل الى الجانب الغربي مُغاضباً واختلفت الرسل بينه وبين المعتمد وكان مع الموفق مسرور كيغلغ وأحمد بن موسى بن بغا. ثم أطلق سليمان ودعا الى الجوسق وهرب محمد بن صالح بن شيرزاده والقوّاد الذين كانوا بسامُرّا مع المعتمد

(١) كذا بالأصل، والأصح: قاتلهم دونها محمد بن المولد فهزمهم. أو سقطت أثناء النسخ كلمة صاحب: فتصبح العبارة: وفيها ملك صاحب الزنج مدينة واسط، فتستقيم العبارة عندئذ.

خوفاً من المُوَفّق، فوصلوا الى الموصل . وكتب الموفق لاحمد ابن أبي الاصبغ في قبض أموالهم . وفيها مات أماجور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام وطرسوس، وقتل عاملها سيما .

وفي سنة خمس وستين ولي مسرور البلخي على الاهواز وهزم الزنج. وفيها مات يعقوب الصفار وقام بأمره أخوه عمر، ولاه الموفق مكان أخيه بخراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشُرطة ببغداد . وفيها وثب القاسم بن مهان بدُلف بن عبد العزيز ابن أبي دلف بأصبهان فقتله، فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم فقتلوه، فوليَ أصبهان أحمد بن عبد العزيز أخو دلف . وفيها لحق محمد بن المولد بيعقوب الصفار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد . وفيها حبس الموفّق سليمان بن وهب وابنه عبدالله وصادرهما على تسعمائة ألف دينار . وفيها ذهب موسى بن أتامش واسحاق بن كنداجق والفضل بن موسى بن بغا مُغاضبين . وبعث الموفق في أثرهم صاعد بن مخلد فردّهم من صرصر .

وفيها استوزر المُوَفّق ابا الصقر اسماعيل بن بُلْبُل . وفي سنة ستٍّ وستين ملك الزنجُ رامَهُرْمُز وغلب أساتكين على الريّ واخرج عنها عاملَها فُطلَمْت . ثم مضى الى قزوين وبها اخوه كيغلغ، فصالحه وملكها . وفيها ولّى علي بن الليثِ على الشرطة ببغداد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وعلى اصبهان احمد بن عبد العزيز

ابن ابي دُلف، وعلى الحرَمَيْن وطريق مكة محمد بن ابي الساج.
وولى الموفق على الجزيرة احمد بن موسى بن بَغا، فولّى من قِبَله على ديار ربيعَةَ موسى بن اتامش، فغضب لذلك اسحاق بن كنداجق، وفارق عسكر موسى، وسار الى بلد واوقع بالاتراك اليَعقوبيّةِ.
ثم لقي ابن مساور الخارجيّ فقاتله. وسار الى الموصل وطلب من اهلها المال، وخرج عليّ ابن داود لقتاله مع اسحاق بن ايوب وحَمدان ابن حمدون وكانت بينهم حروب، اخرها المعتمد وعقد لاسحاق بن كنداجق على الموصل، وقد مرّ ذلك من قبل.

وفيها قتل اهلُ حِمصَ عاملها عيسى الكرخيّ. وفيها كانت بين لؤلؤ غلام ابن طولون وبين موسى بن أتامش وقعةً برأس عين وأسره لؤلؤ وبعث به الي الرقّة. ثم لقيه أحمد بن موسى فاقتتلوا، وغلب احمد أوّلا، ثم كرّ لؤلؤ فغلبهم وانتهوا الى قرقيسيا، ثم ساروا الى بغداد وسامرّا. وفيها اوقع أحمد بن عبد العزيز بيكتمر فانهزم ولحق ببغداد، وأوقع الخُجِستاني بالحسن بن زيد بجرجان فلحق بآمد، وملك الخجستاني جرجان وأقطعه من طبرستان، واستخلف على سارية الحسنَ بن محمّدٍ بن جعفر بن عبدالله العقيقي ابن حسين الاصفر بن زين العابدين. فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر الحسن بن محمد أنه قتل ودعا لنفسه، وحاربه الحسن بن زيد فظفر به وقتله.

وفيها ملك الخُجِستَانيّ نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن

الليث، وفيها في صفر زحف الموفق لقتال صاحب الزنج فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف سنة سبعين . وفيها كانت الحرب بالمدينة بين بني حسن وبني جعفر . وفي سنة سبع وستين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج . وفيها حبس السلطان محمد بن عبدالله بن طاهر وجماعة من بيته اتهمه عمرو بن الليث بمالأة الُخجستانيّ والحسين بن طاهر أخيه، فكتب الى المعتمد وحبسه . وفيها كانت بين كيقلغ(١) التركي وأحمد بن عبد العزيز ابن ابي دُلف، وانهزم أحمد وملك كيقلغ همذان، فزحف اليه أحمد بن عبد العزيز فهزمه وملك همذان، وسار كيقلغ الى الصحيرة .

وفيها ازال الُخجستاني ذكر محمد بن طاهر من المنابر ودعا لنفسه بعد المعتمد، وضرب السِكّة باسمه، وجاء يريد العراق فانتهى الى الريّ، ثم رجع . وفيها اوقع أصحاب ابي الساج بالهيثم العجلي صاحب الكوفة، وغنموا عسكره . وفيها اوقع ابو العباس بن الموفق بالاعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بني تميم وغيرهم .

---

(١) اسمه في الكامل لابن الأثير: كيغلغ . ج ٦ ص ٤٠ .

دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

IBN KAHLDUN

Volume Five

DAR AL - KITAB AL - MASRI
CAIRO

DAR AL - KITAB AL - LUBNANI
BEIRUT